



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي ةالبحث العلمي

جامعة أحمد دراية ادرار

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

الحرف والمهن بحواضر توات خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي (13هـ - 19 م)

" دراسة تاريخية "

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث(L.M.D)

تخصص تاريخ معاصر

إعداد الطالبة — **إشراف الأستاذ الدكتور**

أم الخير مقدم — **عبد الله خي**

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د.أحمد جعفري	أستاذ	رئيسا	جامعة ادرار
أ.د.عبد الله خي	أستاذ	مشرفا ومقرراً	جامعة ادرار
د.أحمد بوسعيد	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة ادرار
د.الطاهر عبو	أستاذ محاضر أ	مناقشاً	جامعة ادرار
د.عومري عبد الحميد	أستاذ محاضر أ	مناقشاً	جامعة ادرار
د.عمار غرايسه	أستاذ محاضر أ	مناقشاً	جامعة الوادي

السنة الجامعية: 2022م /2023م – 1443هـ/ 1444هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

إلى والداي الكريمين حفظهما الله

إلى من نامت عيني ولم تنم عينها إلى من كان اجتهادي ونجاحي من صنيعها

إلى أمي قرة عيني

إلى من كانوا لي السند والدعم

إخوتي وأبناء أخي كل بإسمه

إلى من شجعوني على المواصلة والتحدي

صديقاتي وزملائي في العمل

إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أوبعيد

عمي عبد الله وعمي مبروك

إلى كل طالب علم ومعرفة

مقدم أم الخير

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد

بعد أن من الله علي بإتمام هذه الأطروحة

أشكر الله عز وجل أحمده على فضله وعطائه

ثم أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الله خي

الذ قام بالإشراف على هذه الرسالة

والدكتور أحمد بوسعيد على ما قاما به من الإهتمام،والتوجيهات

والتصويبات، والتي بفضلها تم إخراج هذا العمل في هذه الحلة التي نرجوها موفقة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور جعفري مبارك رئيس فريق

التكوين، ومرافقته لنا في كل كبيرة وصغيرة، ولكل أعضاء فريق التكوين. شكري

موصول إلى كل من دعمني ووشجعني ولو بنصيحة

شكري وامتناني لزميلتي للأستاذة ناصري.عائشة على مساعدتها ودعمها

شكراً لجمعيات الحرفيين

شكراً لأصحاب الخزائن

قائمة مختصرات البحث

سجل المنازعات	**س، م**
سجل الزواج والطلاق	**س، ز، ط**
عقود المحكمة الشرعية للقضاة البلباليين	**ع.م.ش.ق.ب**

مقدمة

يعتبر إقليم توات من الأقاليم الصحراوية الواقعة في الجنوب الغربي الجزائري العريق، وقد تشكل قديما على حواف الوديان، وطرق القوافل التجارية والحج، مما جعله يكتسي أهمية تاريخية وجغرافية، وقد شكلت قواعده الثلاث توات، تيديكلت، قورارة مراكز ومحطات لهذه القوافل.كما شهد الإقليم نمواً وتوسعاً في حركة الإعمار تعود إلى مرحلة دخول العرب إلى بلاد المغرب الإسلامي، حيث بدأت تتشكل وتظهر معالم المجتمع التواتي الصحراوي الذي يضم عدداً من الأعراق، والأجناس، فحط البربر رحالهم في الواحات، ونزل العرب بمختلف فروعهم وامتزجوا مع قبائل السودان المجاورة للإقليم، فعرف سكان الإقليم الاستقرار، وشيدت القصور والقصبات والقلاع، فظهرت بذلك المكونات البشرية للمجتمع فاشتغل السكان، وتأقلموا مع المناخ والبيئة الصحراوية، فشقت الفقارات، وتفجرت منها العيون والسواقي، فاشتغل الناس بالأرض والزرع والغرس، وقد فرضت هذه البيئة على السكان توفير احتياجاتهم من محيطهم فبرز عدداً من المهن، والحرف كان لها دور كبيراً في تنظيم المجتمع، والحفاظ عليه، وعلى استمراريته. وهذا محور هذه الدراسة التي أحاول من خلالها الإحاطة بالموضوع من الناحية التاريخية خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

دوافع اختيار الموضوع:

أما عن دوافع اختياري لهذا الموضوع فهي تتنوع بين الدوافع الذاتية، والموضوعية، على النحو التالي:

أ– الدوافع الذاتية: هي الرغبة بمواصلة البحث في تاريخ المنطقة، وأنني أعتبر موضوع الحرف والمهن بمثابة تتمة لما بدأته من بحث في مذكرة الماستر التي خصصتها للحديث عن نزوح العرب لإقليم توات، ودورهم الحضاري ما بين نهاية القرن الخامس عشر، ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين، خاصة أن الدراسات الغربية في الكثير من الأحيان كانت تتهم العرب النازحين سواء بني هلال، أو غيرهم بالهمجية والتخريب، وبأنهم ضد الحضارة والتحضر. ولعل الأسباب التي جعلتني أتمسك بالموضوع هو أنني أحاول إظهار ما يزخر به الاقليم من حرف يدوية، ومهن.

ب– الدوافع الموضوعية:أن يكون هذا الموضوع وسيلة للبحث في مدى استفادة إقليم توات بحواضره من التركيبة البشرية التي اكتسبها من خلال الموقع الجغرافي، ومدى انعكاسها على الواقع الاقتصادي والاجتماعي للسكان من خلال النشاطات، وأنماط العمل التي يمارسها السكان لتلبية

حاجياتهم اليومية، إن هذا النوع من الدراسات التي تجمع بين الجانب الاجتماعي، والثقافي والاقتصادي، تكتسي أهمية كبيرة، تجعل الباحث يصول ويجول بين مختلف الحرف ذات الطابع اليدوي مثل:(صناعة السعف، والفخار،والنسيج،...) والأخرى ذات الطابع الاقتصادي(مثل الزراعة والتجارة وغيرها...)، ولدي رغبة كبيرة في حصر وجمع ما أمكن من هذه الحرف والمهن، والمساهمة في كتابة تاريخ المنطقة الإقتصادي قدر المستطاع.

الإطار الزماني:يعتبر القرن التاسع عشر بالنسبة للإقليم توات مرحلة إنتقالية، وفترة صعبة جداً عاشها الإقليم سواء من الناحية الإجتماعية، أو الإقتصادية وحتى من الناحية السياسية في هذه المرحلة كانت الجزائر خاضعة للاستعمار الفرنسي منذ عام 1830م، والمغرب يعيش صراعات داخلية وبالتالي كانت المنطقة فاقدة للأمن والإستقرار، وفي ذات الوقت كان الاقليم محط أنظار سلاطين المغرب، وحكام الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي وبعده. باعتباره محطة للقوافل التجارية، ومحاولة فرنسا وضع قدمها على الاقليم، الذي اعتبرته البوابة الرئيسية لمدن الساحل الإفريقي، وخطوة للسيطرة على طريق القوافل التجارية، والتخلص من المنافسة الإنجليزية، إضافة إلى الصراعات الداخلية وعلى رأسها صراع ياحمد، وسفيان الذي كان له أثرٌ على حياة الناس في توات، وبالتالي فإن الدراسة ركزت على القرن التاسع عشر الميلادي(13هـ/19م) حتى تتمكن من الإحاطة بموضوع الحرف والمهن، في ظل تلك المعطيات السياسية والاقتصادية، التي عاشها الإقليم.

الإطار المكاني:كما ورد في العنوان أن موضوع الدراسة الحرف والمهن بحواضر توات، ونعني بها الحواضر الكبرى، وهي توات الأصلية، وتيديكلت، وقورارة كركائز أساسية للمجتمع التواتي، وقد ركّزتُ على هذه الحواضر تمييزا لها عن غيرها لأن هناك من يعتبر تمنطيط لوحدها حاضرة، بحكم تاريخها، وقد عرفت هذه الحواضر نوعاً من الإستقرار شهدت معه حركة توسعية في العمران، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض الأنشطة الحرفية في المجتمع، وعلى رأسها الزراعة، والتجارة، وحرف يدوية مختلفة، تساهم في توفير احتياجات الساكنة من الأدوات المستعملة في الحياة اليومية.

أهمية وأهداف الدراسة:تكمن أهمية الموضوع في أنه يسلط الضوء على جانب مهم من التاريخ الاقتصادي لمناطق توات المختلفة، تلك الجوانب التي لم تول لها أهمية كبيرة كون أن موضوع الحرف، والمهن في نفس الوقت يعكس لنا الوضع الاجتماعي لسكان توات، وهو ما نحاول أن

نستكشفه من خلال المصادر، مما عثر عليه في ثنايا المخطوطات، وكذلك من خلال الكتابات الفرنسية، والاستفادة من المعلومات التي توصلوا إليها حول هذه المجتمعات. كما تساعدنا دراسة هذا الموضوع في الوقوف على حقيقة هذه الحرف، وصيرورتها ومدى تطورها من عدمه، والأسباب الكامنة وراء ذلك.

أغلب الدراسات تناولت بالدراسة الجوانب الاجتماعية لحياة السكان في إقليم توات، ولم تفرد مواضيع اقتصادية بعينها تختص بالزراعة أو التجارة أو الحرف، وإنما كانت تدرس كجوانب تعتبر مكملة للبحوث، وهامشية فإن هدف هذه الدراسة محاولة إظهار الجانب التاريخي للحرف والمهن في توات ومعرفة خصائصها، وما يميزها عن تلك الحرف الموجودة في مدن وجهات أخرى، ومدى التقارب و الاختلاف.

إن الموروث الثقافي في توات متنوع، وينقسم إلى مادي ولامادي، ويستدعي منا كباحثين العمل على جمعه، وتدوينه، والحفاظ عليه من الضياع، والنسيان ليبقى موروث حضاري تصنع منه الأجيال القادمة قاعدة للإنطلاق إلى المستقبل، والمعاصرة مع الحفاظ على الأصالة. كما تعتبر هذه الدراسة مساهمة في كتابة تاريخ المنطقة الإقتصادي.

وأعمل على أن تكون هذه الدراسة كتتمة للدراسات المخصصة في الجوانب الإقتصادية لإقليم توات. خاصة وأن الكتب الفرنسية تزخر بمعطيات كثيرة في الزراعة والتجارة، هذه الدراسات التي يجب أن لا تتوقف على هذه الفترة، بل يجب أن تتعدى إلى المراحل التي تلى القرن التاسع عشر وتلك المتعلقة بفترة الإستعمار، وبدايات الإستقلال فالمعطيات كثيرة لاتزال تريد من يبحث فيها.

الإشكالية: لدراسة الموضوع بشكل علمي، ومنهجي فإن الأمر يتطلب طرح إشكالية واضحة المعالم، تتمحور حول طبيعة الحرف والمهن التي عرفها إقليم توات خلال القرن التاسع عشر ميلادي (13هـ) وما مدى تأثيرها في المجتمع وتأثرها بالمحيط الخارجي؟ ولتوضيح هذه الإشكالية والإحاطة بالموضوع كان من الضروري ربط العلاقة بين الموقع الجغرافي، والتركيبة البشرية للمجتمع، والوضع السياسي للإقليم، بطرح الأسئلة التالي:

-ماهي الحدود الجغرافية لإقليم توات وحواضره، وملامحه، وتركيبته البشرية؟ وماظروفه السياسة خلال القرن (13هـ/19م)؟

- ما المقصود بالحرف والمهن؟ وما طبيعتها ؟ وما تصنيفاتها؟

- إلى أي مدى أسهمت هذه الحرف في النشاط الاقتصادي للاقليم؟ وماهي أوجه ذلك؟

-كما يثير موضوع الحرف والمهن، تساؤولات في الجانب الاجتماعي نظراً لعلاقة التأثير والتأثر الحاصلة بينهما؟ فما هي صور هذا التأثير وانعكاساتها ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات فقد اتبعت المنهج التالي:

المنهج المتبع

المنهج التاريخي الذي يصف، ويسجل مامضى من الوقائع، والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس علمية صارمة،كما أنه يساعد في الكشف عن الروابط بين الأحداث التاريخية، من خلال ربطها بما قبلها، كما أنه يتيح ويسمح بإجراء المقارنة بين المراحل المختلفة، ومعرفة تطورات المشكلات، وذلك للوصول إلى تعميمات تساعد على فهم الحاضر والماضي، وهذا الأمر يعد مساعدا جدا للبحث في موضوع الحرف والمهن لما يحتاجه من مقارنات، ومعرفة الأحداث التاريخية وتأثيراتها في جانب الحرف.

-كما يعد الأسلوب الوصفي أحد أهم أدوات المنهج التاريخي المساعد لمعرفة مميزات وخصائص الحرف والمهن، ويسمح بالمقارنة ومعرفة الفروق بين الحرف في توات ومناطق أخرى، للوقوف على مدى التأثر والتأثير، وتطور الحرف من عدمه.

وفي ظل الغياب الكلي للأرقام الاحصائية. والوصف الدقيق في المصادر،كان لابد من الاستعانة بـ :

- المقابلات الشخصية مع بعض الحرفيين، وبعض المسنين، ومن لهم إطلاع على الموضوع للاحاطة بجميع المعطيات الخاصة بالحرفة وأدواتها، ومنتوجاتها. للخروج ببعض الإستنتاجات خاصة ماتعلق بالإنعكاسات لبعض الحرف، وتأثيرها على التركيبة البشرية للمجتمع والعكس.

الدراسات السابقة

في حدود ما اطلعت عليه من الدراسات السابقة وجدت أن هناك دراسات تناولت الجوانب التاريخية المختلفة لإقليم، ولا أحد ينكر ذلك إلا أن الدراسات المتخصصة في موضوع الحرف والمهن خاصة في الفترة الحديثة أوالمعاصرة فهي قليلة. وهناك بعض الدراسات متخصصة لكن جلها دراسات خاصة بعلم الإجتماع، وهي دراسات تخص الفترة الحالية، وميدانية تفتقر في

كثير من الأحيان إلى الجانب التاريخي الذي يهمنا نحن كباحثين في التاريخ، لكن هذا لا يمنع من أنها تساعد كثيراً الباحث التاريخي في التحليل الجيد لهذا المجتمع وسلوكاته، ومن الدراسات السابقة:

-أطروحة دكتوراه بعنوان الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12و13 الهجريين 18و19الميلاديين لزاجية هرباش، بجامعة وهران، الدراسة تناولت الجانب الاقتصادي، أين كان التركيز فيه على الجانب الزراعي خاصة ماتعلق بمياه الفقارة وطرق السقي، والمسائل الفقهية المرتبطة بها، وركزت أيضا على التجارة معتمدة على باب البيوع، فيما لم تحظ الحرف والمهن بنفس القدر من الدراسة، وعلى الرغم من كون الدراسة تعتمد على الغنية للبلبالي إلا أنها اعتمدت على كم كبير من المصادر والمراجع الفرنسية. وربما كان ذلك لتدارك النقص الموجود في الغنية، وقد استفدت منها كثيرا في النقاط المذكورة.

-أطروحة دكتوراه بعنوان الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900م-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية لـ عبد الله بابا. بجامعة ادرار، وقد استفدت منها على الرغم من أنها تناولت الفترة التاريخية المرتبطة بالقرن العشرين، إلا أن بعض السجلات بها معطيات قريبة من القرن التاسع عشر، وفي ظل غياب المصادر المكتوبة، تعتبر معلوماتها أدق حتى من الروايات الشفوية، ولم يتطرق بالتفصيل للحرف والمهن إلا بعض النماذج، بالإضافة للزراعة والتجارة.

-رسالة ماجستر بعنوان: الواقع الاجتماعي والمهني للحرف بالجزائر دراسة حالة صناعة الجلود بمنطقة أولف لرقاني الزهرة بجامعة ادرار، وهذه الرسالة قدمت بعض المعلومات عن صناعة الجلود في الجزائر بصفة عامة، وكانت أولف أنموذجا، وبالتالي كانت دراسة ميدانية للواقع الحالي لهذه الحرفة. ومع ذلك فقد قدمت بعض المعلومات عن بعض العائلات التي امتهنت هذه الحرفة بأولف.

- رسالة ماجستر لحوتية عفيفة بعنوان: حاضرة تينقورارين دارسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13هـ/19م، جامعة ادرار، وقد تناولت بعض الجوانب المتعلقة بالحرف كتلك المرتبطة بالقوافل التجارية، وبعض الحرف اليدوية التي عرفها المجتمع القوراري.كما يجب الإشارة لبعض الكتب التي تناولت جانبا من هذه الحرف دون أن تتوسع أو تفصل فيها ومنها:

– فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ديوان المطبوعات الجامعية 2007م. يعد من الدراسات المهمة التي تناولت إقليم توات من الناحية التاريخية والاقتصادية، وتحدث عن الجانب الإداري، وبعض المهن والحرف التي عرفها المجتمع، إلا أنه لم يدرس جميع الحرف وكان تركيزه على الزراعة والتجارة، وإشارات بسيطة إلى بعض الحرف اليدوية دون تفصيل. وقد استفدت منه كثيرا ،كبداية لدراسة الحرف والمهن الخاصة بإقليم توات خلال القرن التاسع عشر.

مقدم مبروك: بنائية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي ديوان المطبوعات الجامعية2016، يقدم الكتاب دراسة مهمة لبعض الحرف التي عرفها إقليم توات، بطريقة تحليلية وكذلك التطور الذي عرفه المجتمع في جانب العمل، والأنماط الانتاجية التي عرفها، وقد استفدت منه في المقارنة بين العمل في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وبالتالي معرفة مدى تطور الحرف والمهن من عدمه. وكذا معرفة نمط الأجور الذي كان متبعا في توات، والخاص ببعض الحرف والمهن.

– قدي عبد المجيد: صفحات من تاريخ منطقة أولف، أبحاث للترجمة والنشر، الجزائر 2007 يتناول الكتاب منطقة أولف وهي إحدى ركائز حاضرة تيديكلت، درس الجانب التاريخي والاقتصادي، والثقافي للمنطقة، وقد لمح لبعض الحرف وتصنيفاتها دون تفصيل.

سرقمة عاشور: الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات مدخل للذهن الشعبية دار الغرب للنشر والتوزيع 2004م. وحسب العنوان فقد درس صاحب الكتاب الجوانب الثقافية للمجتمع والطبوع الفنية، وقد استفدت منه فقد أشار إلى الجوانب التاريخية لبعض هذه الرقصات الشعبية والأغاني، وحاولت ربط العلاقة بينها وبين الحرف المرتبطة بها مثل:حرفة التطبيل، وحرفة التزمير.

خطة البحث:

لحل هذه الإشكالية وضعت الخطة التالية:حيث تم تقسيم البحث إلى خمس فصول ومدخل تمهيدي، في كل فصل عدد من المباحث على النحو التالي:

مدخل تمهيدي: معنون بـ ملامح المجتمع التواتي خلال القرن 13هـ/19م(طبيعياً، بشرياً، سياسياً) وقد تم تقسيمه إلى أربعة مباحث، أثرت الحديث فيها عن الخصائص الطبيعية والبشرية

والأهمية التاريخية للاقليم توات، وكذلك الاوضاع السياسية الأمنية للاقليم خلال القرن التاسع عشر ميلادي، والإدارة المحلية للاقليم.

الفصل الأول: الحرف والمهن طبيعتها وتصنيفاتها، وخصص هذا الفصل لتحديد المفاهيم والمصطلحات الخاصة بالحرف والمهن ومرادفاتها طبيعتها وتصنيفاتها، إذ لا يمكن الشروع في البحث دون تحديد المفاهيم لما لها من أهمية في البحث، وكذا الحديث عن المهن والحرف ذات الطابع الديني والحرف والمهن الإدارية. والتطبيب والتوليد.

الفصل الثاني: والذي يحمل عنوان" النسيج والخياطة و الدباغة، وقد خصص هذا الفصل لدراسة حرف النسيج والخياطة، والدباغة، وقد أفردت المبحث الأول للحديث عن حرفة النسيج وتاريخها وشكلها في حواضر توات ووسائلها، وأهم منتوجاتها، فيما خصص المبحث الثاني لحرفة الخياطة وتم الحديث عن تاريخها وتاريخ اللباس، وأنواع اللباس في توات، أما المبحث الثالث فقد خصص لحرفة الدباغة تاريخها، ومناطق ارتكازها في توات، وطريقة عملها.

الفصل الثالث: مهن وحرف يدوية متنوعة، وقد خصص المبحث الأول منه للحرف المرتبطة بالنخلة ومشتقاتها كالسعفيات المختلفة، أما المبحث الثاني، فقد تحدثت فيه عن حرفيو الفخار والحجارة صانعوا الأدوات الحجرية، والحدادون، والنجارون والصاغة أو النقارون، أما المبحث الثالث فيتناول الحديث عن الحرف والمهن النسوية، منها حرفة التبركيش(فتل الكسكس)، وصناعة التوابل، والبخور والسقاية، والمشاطة.

الفصل الرابع: خاص بحرفة الفلاحة(الزراعة)وما ارتبط بها من حرف، وخصص المبحث الأول للحديث عن تاريخ الفلاحة الصحراوية، والمبحث الثاني للفلاحة في حواضر توات، والمبحث الثالث أنماط العمل في الأراضي الزراعية، أما المبحث الرابع فقد خصص لطرق السقي في حواضر توات، أما المبحث الخامس فتحدثت فيه عن الحرف المرتبطة الزراعة، كالنقالة، كالحصادة، والدّراسة (الدق).

الفصل الخامس: خاص بحرفة التجارة وما ارتبط بها من حرف، وخصص المبحث الأول منه للحديث عن حرف التجارة في حواضر توات، أما المبحث الثاني فيدرس العملات والموازين والمكاييل في حواضر توات، والمبحث الثالث تناول حرف الدلال والصراف والجزار، وعملهم في مجتمع توات. أما المبحث الرابع، والأخير فيتحدث عن الحرف المرتبطة بالقوافل التجارية.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

للإحاطة بجميع تفاصيل البحث كان من الضروري الرجوع إلى المصادر والمراجع المختلفة لأخراج العمل في أحسن صورة. ونظراً لكون الموضوع ليس منتاولاً بشكل كبير، والقصد هنا من الناحية التاريخية التي هدفنا الوصول إليها كأن نعرف متى ظهرت بعض الحرف مثلا، أو مصدرها. تم الرجوع إلى المخطوطات المحلية، في ظل غياب الوثائق الأرشيفية الخاصة بالإقليم ونعني فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي، باستثناء بعض ماتعلق بسجلات المحاكم الشرعية، والتي عثرنا عليها في وضعية صعبة،كونها ممزقة بخزانة كوسام. ومما تمكنا من استغلاله ما يلي:

1-المصادر المخطوطة:

-نوازل الرجلوي(ت1112هـ/1797م): وتمثل هذه النوازل مادة دسمة لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لتوات، خاصة في مجال البيوع والتجارة، والزراعة وكل ما يتعلق بالفقارة والماء والكراء، والخماسة والخراصة، وبعض مسائل المساقاة، والمزارعة، ومسائل في الجزارين. لكنها تفتقر لمسائل حول الحرف الأخرى.

-مسائل عبد الرحمن بنعمر التنلاني(ت/1189هـ-1775م)، وتحتوي هذه النوازل أيضا على معلومات ومسائل استفدت منها في باب الإجارة، ومسائل حول خماسة توات، ونوع الأراضي، وأراضي الوقف والأحباس، وأسئلة عن وقف المسجد وأجرة الإمام وغيرها.

-مخطوط:غنية المقتصد السائل في ما وقع في توات من قضايا ومسائل، لمحمد بن عبد الرحمن البلبالي(ت/1244هـ/1828م)والذي جمعها ابنه محمد عبد العزير البلبالي(ت/1261هـ-1845م) وقد بدأ الوالد محمد بن عبد الرحمن بجمع كل ماورد في سجلات القضاء من مشاورات والأحكام والأجوبة التي وردت إليه من علماء بلاد توات، وغيرهم من علماء المالكية، بما فيها المسائل التي وقعت قبل توليه القضاء، وبعد وفاته تولى إبنه إتمام الجمع وسماها"غنية المقتصد السائل".وقد شملت الغنية خاصة في باب البيوع العديد من النوازل والمسائل التي تقع بين الأشخاص والنزاعات، ومع ذلك لابد من التحري والدقة في الاستشهاد ببعض النوازل والمسائل، لأن هناك بعض الأسئلة يظهر أنها ليست متعلقة بتوات، فيرد على صاحبها بقوله"عرف بلدكم"أو إن كانت متعلقة بالمنطقة أحيانا نجد، في بلدنا أوعرف بلدنا.

كما أنني لم أعثر في النوازل على مسائل أو نزاعات تشير إلى حرف معينة مثلا المتعلقة ببيع أواني فخارية، أو السلال أو النجارة، تلك المرتبطة بالحياة اليومية للسكان، بينما نجد بعض المسائل المتعلقة الخماس والخراص، وبيع الماء وكرائه، والكثير من المسائل المتعلقة بالفقارة، والتجارة والدلال والسمسار والصراف.وقد اعتمدت نسختين واحدة خاصة بخزانة المطارفة نسخة مصورة، وأخرى بخزانة ابن الوليد تحمل أرقاما غير مرتبة، واعتمدت أيضا على تحقيق الغنية لحموني فاطمة بجامعة ادرار.

-مخطوط تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس، لمحمد ابن اب المزمري (ت1160هـ/1747م)، وتفيد هذه المخطوطة أنها تعطي صورة عن المعاملات التي جرى بها العمل في توات، وهي الخماسة والخراصة وفي نص الجواب يبين كيف كان التعامل بين الخماسين، وملاك الأراضي والنزاعات التي كانت تحدث بينهم.

-مخطوط مسائل ملتقطة من غاية الأماني في أجوبة الشيخ أبي زيد التنلاني جمعها محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد المليك البلبالي:واستفدت منه في بعض ما يتعلق بالوقف ومسائل حول العبيد والبيوع بصفة عامة.

-مخطوط التقييد المجموع لمن هو هذا الفن مولوع، ليوسف بن عبد الحفيظ التنلاني (1267هـ/1851م)، ويتحدث في هذا المخطوط عن صناعة المداد المستعمل في الكتابة وأهميته ويطرح فيه كيفيات عديدة لصنعه وعقده.

-نيل المراد في كيفية عقد ألوان المداد، محمد الصافي بن محمد البركة(ت1315هـ)، وهو أيضا يحتوي على طرق مختلفة لعقد المداد، ولبعض الحرف المرتبطة بالكتاب كالتجليد.

المصادر المطبوعة:

أما بالنسبة للمصادر المطبوعة نظراً لطبيعة الموضوع وكون الدراسة التاريخية للموضوع قليلة جدا، فلم نجد كتباً مطبوعة تتناول الحرف في إقليم توات بالتحديد، وفي الفترة التاريخية المدروسة وهي القرن التاسع عشر(19م)، فلذلك كان لزاما الرجوع إلى الكتب المصدرية المعروفة التي تناولت بالوصف إقليم توات من جوانب مختلفة منها:

-القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد الطيب ابن بابا حيدة، تحقيق فرج حمود فرج.وقد استفدت منه في الجانب التاريخي للمنطقة، وحديثه عن تمنطيط وإعمارها، والقبائل التي نزلت بها، ومكانتها ودورها بين القرن السابع عشر والثامن عشر.

-كتاب وصف افريقيا الحسن الوزان الذي أعطى وصفا دقيقا لبعض مناطق توات فأشار إلى صحراء نوميدية، وتسابيت وتيكورارين، وقدم معلومات استفدت منها كثيراً في الزراعة، واستغلال الأرض وتسميدها، والتجارة، وتساعد في رسم صورة عن النشاط الإقتصادي وتطوره، وهذه المعلومات استمرت حتى القرن التاسع عشر، ومنها ماهو مستمر حتى اليوم.

-كتاب المقدمة لابن خلدون، وتعتبر المقدمة من المصادر التاريخية المهمة فقد استفدت منها كثيرا في تصنيف الحرف والصنائع، فقد صنفها، ورتبها بناء على عدة اعتبارات، وهذا جانبا مهما للدراسة،كما تحتوي المقدمة على العديد من المفاهيم والشروحات، وكذا ذكره للحرف والعمران البشري، وبالتالي تساعد في معرفة التطور التاريخي للحرف، ومدى التغيير الحاصل بها،

المراجع

حتى تكون هذه الدراسة، في أحسن صورة لها، فقد استعنت بمجموعة من المراجع للإلمام بالموضوع من جوانبه المختلفة منها:

1.كتاب: دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، للطيب شنتوف، وقد قدم في الكتاب دراسة دقيقية حول النشاط التجاري في إقليم توات خلال القرن التاسع عشر، وأهم العملات التي كانت مستعملة في إقليم توات،كما أورد مقالات لفرنسيين حول الطبقية في المجتمع الجزائري، ومقارنتها مع الإقطاع في أروبا.

2.كتاب: توات والأزواد، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ج1وج2، 2007، لحوتية محمد، وقد قدم الكتاب دراسة عن مجتمع توات ومجتمع الأزواد، من جوانب مختلفة، وقد استفدت منه في الجوانب التاريخية لإقليم توات وما تعلق بالتجارة والزراعة.

3.كتاب: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، لمحمد باي بلعالم، وهو من جزئين، وقد تناول فيهما جوانب مختلفة من الحياة الثقافية والاجتماعية لاقليم توات، وعاداته وتقاليد.وإشارته لحرفة التطبيب، ومهنة التعليم.

4.كتاب: سكان تديكلت القدماء والإتكال على النفس" سعيدان الحاج التومي، وتحدث فيه عن الجانب التاريخي للمنطقة، وكذا تعرضها للإحتلال الفرنسي، وقد قام المؤلف بحصر العديد من الحرف التي عرفها المجتمع، دون أن يتوسع فيها أويعطي معلومات تاريخية عن هذه الحرف، واكتفى بسردها فقط.

المصادر باللغة الأجنبية:

تقدم الدراسات الأجنبية معلومات أوفر مقارنة مع ما تقدمه المخطوطات المحلية خاصة فيما يتعلق بدراسة الجانب الاقتصادي لتوات، ولكن هذا لايعني أنها تعطي معلومات وافية على جميع الأنشطة التي كانت موجودة في توات خلال القرن التاسع عشر، فأكثر ما ركزت عليه معظم هذه الدراسات هي التجارة، وهذا بحكم أنها جاءت في إطار الاستكشاف والبحث عن سبل للتوغل في هذه الواحات، ودافعها توسعي مصلحي محض، فركزت في دراساتها على الطرق التجارية، وعلى المبادلات التجارية، وتجارة القوافل وكيفية ومدى استفادتها منها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ركزت على مصادر المياه لتضمن سيطرتها، فكانت دراسات كثيرة حول الفقارات ونمط استغلال المياه وطرق التقسيم، ومهملة في نفس الوقت الإشارة إلى النشاطات الأخرى التي كان يمارسها السكان، فكانت إشارتهم محتشمة إن لم نقل منعدمة للحرف اليدوية، إلا بعض الدراسات القليلة التي تناولت الجانب الاجتماعي والتي سجلت بعض الملاحظات الخاصة بالنشاطات الاجتماعية للسكان ونذكر منها:

A travers les oasis sahariennes : les spahis sahariens / Guillaume de Champeaux. Date de l'édition originale : 1903. Sujet de l'ouvrage : Algérie (1830-1962) France (1789-...) France – Colonies France.

وقد صدر هذا الكتاب سنة 1903م وذكر في مقدمة الكتاب أنه كتب معلومات بقلم الرصاص تحت الخيمة في الهواء الطلق،كل مارءآه بعينه حول الواحات الصحراوية، في نوفمبر1902م ويبدوا أنه شارك في حملة الغزو للمنطقة، وحضوره كان قبل هذا التاريخ حيث تحدث عن المقاومة في الجنوب الوهراني ومقاومة بوعمامة، وتحدث في كتابه عن المظاهر الإجتماعية لإقليم توات وقورارة وتيديكلت، فأشار للإدارة المحلية للإقليم، والحياة الاجتماعية والسكان والبناء، واللباس،

والنشاطات الفنية، والطبوع الغنائية، وحلي وأدوات الزينة للنساء والأواني المنزلية والغذاء، فقد قدم معلومات ساعدتني كثيرا.إلا أن ما يؤخذ عليه هو إطلاقه لأوصاف وأحكام تهكمية عن المجتمع التواتي ونشره لصور غير لائقة، ويظهر تحيزه للنظرة الفوقية للرجل الأروبي.

Quatre siècles d´histoire marocaine: au Sahara de1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912: d'après archives et documentations indigènes/ Alfred Goerges paul Martin. Date de l'édition originale: 1923.

قدم عدد من الدراسات حول الواحات الصحراوية، من بينها الكتاب المذكور، وقد كتبه بعد زيارته للمنطقة بين سنتي، 1904م- 1908م، وقدم دراسة بعنوان Les Oasis Sahariennes نشرت عام 1908، وتعتبر كتاباته من أهم الكتابات التي تناولت تاريخ توات، بحكم أنه استعمل أهم المخطوطات، التي عثر عليها ، وقد تطرق لتاريخ المنطقة منذ فترة الجيتول وصولا إلى الفترات المتعاقبة، والمحاولات البائسة لسلاطين المغرب للسيطرة عليه، وركز في كتاب المغرب في أربع قرون على الأوضاع السياسية والزراعة والتجارة.

أما دراسته حول الواحات الصحراوية فقد ركز على جوانب مختلفة من مجتمع توات، خاصة التجارة والزراعة، والمحاصيل الزراعية، ولم تحظى الصناعات الحرفية سوى بأسطر.

- reise durch Marokko: vebersteigung des grossen Atlas, Exploration der oasen von:Tafilet,Tuat und Tidikelt:und reise durch die grosse.wuste uber.Rhoidnes nach. Tripoli, Bremen/ Rohlfs Gerhard, 1868.

ومن بين المصادر المهمة رحلة جيرارد رولف الألماني الذي زار الإقليم خلال القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة 1864م، والذي قدم فيه معلومات مختلفة عن القصور التي مر بها خلال رحلته التي امتدت إلى عين صالح،كما تحدث عن الأسواق وبعض العادات، وقدم ملاحظات عن نمط البناء، وإشارته لتمنطيط وقصورها ومحلاتها، غير أنه لم يشر بالتفصيل إلى الحرف والصناعات، وإنما واكتفى بذكرها، وقد اعتمدت النسخة الألمانية الأصلية.

origine des populations du Touat d´après les traditions conservées dans le pays: bulltin de la societé de géographie d´Alger et de l´Afrique du Nord, 2 éme trimestre, Date de l'édition originale/ O.I. Watin: 1905

قدم واتين في كتابه معلومات حول القبائل التي استوطنت توات، مشيرا إلى طبقات المجتمع التواتي،كما أعطى بعض المعلومات البسيطة حول الصناعات الحرفية خاصة الزراعة والتجارة.

- Missions au Sahara Sahara Algérien : Date de l'édition originale/ E.F. Gautier: 1908.

وله عدة دراسات منها الكتاب المذكور، وركز فيه كثيرا على الجوانب المتعلقة بالتضاريس الصحراوية.وله دراسة مهمة وقد تكون الوحيدة حول نسيج الدوكالي، وهي دراسة دقيقية جدا تعطي كل المعلومات الخاصة بهذا النوع من النسيج، من التحضير إلى الأدوات إلى طريقة الصنع إلى الرسومات، إلى البيع والتجارة، وقد استفدت منه كثيرا.

-Selka, Abd Erahman:Notice sur le Touat :Bulletin de la société de géographie d´Alger l´Afrique de Nord, imprimerie Algérienne : Date de l'édition originale: 1913.

قدم سلكة عبد الرحمن خوجة توات انذاك، في دراسته التي أرخها بـ 27 ديسمبر1913م معلومات عن مجتمع توات والطبقات المشكلة له، والزراعة والتجارة ومعلومات قليلة عن الصناعات التقليدية.

Victor Benjamin: Sahara Algérien: Gourara, Touat, Tidikelt Caravanes et Transsaharien/ Deporter: Date de l'édition originale:1891.

قدم ديبورتر معلومات مهمة عن مجتمع توات، وقد استفدت منها كثيرا خاصة في جانب المهن والحرف الإدارية،كما تحدث عن اللباس الرجالي والنسائي، والحلي وأدوات الزينة بالنسبة للنساء.

L’Oasis rouge, Date de l'édition originale/ Date de l'édition originale/ G.Mercadier, R.Rondreux, J.Salleras: Date de l'édition originale: 1946.

يتحدث هذا الكتاب بالتحديد عن الواحة الحمراء من جوانبها المختلفة الاجتماعية والاقتصادية وقد استفدت منه كثيرا في حديثه عن الأمراض والأوبئة في قورارة، وطرق العلاج التقليدية والطب الشعبي، والتوليد التقليدي.وما يؤخذ عليه أنه يورد أحكاما على المجتمع القوراري، والإستهزاء والسخرية، والتقليل في بعض الأحيان من قيمة الطب الشعبي المحلي.

الصعوبات والعراقيل:

-انعدام الوثائق الأرشيفية الرسمية الخاصة بفترة ماقبل الاحتلال الفرنسي لإقليم توات .

-إنعدام الأرشيف الخاص بالقرن التاسع عشر بالبلدية إذ لم نعثر على أي وثيقة أرشيفية رغم اتصالنا بالجهات المكلفة بالأرشيف ببلدية ادرار، ولم نستفد شيئا حتى عن بعض الملتقيات والأيام التي كانت تقام بمناسبات مختلفة.

-بالنسبة للعقود وسجلات المحاكم الشرعية الخاصة بالقرن التاسع عشر، والمتواجدة بخزانة كوسام فلم نستطع الإستفادة منها نظراً لوضعيتها الصعبة، كونها ممزقة وتصعب قراءتها .

-أرشيف ولاية أدرار غير متاح .

-الظرف الصحي وفترة الغلق بسبب الوباء حالت دون تنقلنا إلى الأماكن التي يعتقد وجود بعض الوثائق بها.

-رغم هذه الصعوبات إلا أنني حاولت تدارك النقص الكبير في المادة العلمية، والمعرفية المتعلقة بموضوع الحرف، والمهن من خلال إجراء العديد من المقابلات الشخصية مع عدد من الحرفيين والأشخاص الذين لهم علاقة بالنشاط الحرفي والجمعيات الحرفية.

مدخل تمهيدي

ملامح المجتمع التواتي خلال القرن 13هـ/19م

(طبيعياً- بشرياً- سياسياً)

المبحث الأول: المظاهر الطبيعية لإقليم توات وحواضره

المبحث الثاني: المكونات البشرية للمجتمع التواتي وتشكله

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية والأمنية لإقليم توات خلال القرن(13هـ/19م)

تمهيد

يتشكل إقليم توات من مجموعة حواضرمحددة الجغرافيا والمعالم، كان لها حضورا مهما بالجغرافيا والتاريخ، في تاريخ صحراء شمال افريقيا، ونشأت بها حواضر[1] عدة، كما عرفت واحات توات الاستقرار الذي هو أساس العمران والتمدن، وينقسم سكان الصحراء عموما إلى صنفين: البدو والحضر، فالحضر يعيشون داخل القصور، أو القرى، حيث يعتبر القصر[2] أو القرية الخلية الأساسية للتنظيم الإجتماعي، وحتى السياسي في بعض الأحيان، وهي مركز تجاري أو زراعي أو هما معا[3] وما العدد الكبير من القصور، والقلاع المشيدة والقصبات والمساجد رغم بساطتها، والفقارات وواحات النخيل إلا دليل على ذلك،كما أن ابن خلدون قد ذكر توات وعدد قصورها، ووصفها بالوطن المستبحر في العمران،[4] وركاب التجار، وهو الذي كتب كثيرا في العمران والبداوة والتحضر ما لم يسبقه إليه أحد.

كما ربط علاقة السكان بمحيطهم الخارجي وامتزاج ثقافاتهم مع جيرانهم، فكانت تمنطيط لوحدها تشكل حاضرة، فكيف لا تكون قورارة وتيديكلت، وتوات حواضر كبرى بعلمائها ومراكزها العلمية، و التجارية، وتحاول بعض الكتابات الفرنسية التقليل من دور سكان الصحراء في

[1] - الحاضرة من فعل حَضَرَ،حُضُوراً وحَضَارةٌ وهي ضد غاب، والحَضَر محرَّكة والحَضْرةُ والحَاضِرةُ والحِضَارَةُ خلاف البادية، والحَضَارَة الإقامة في الحضر، ينظر مجد الدين محمد (بن يعقوب الفيروزأبادي)، القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي وزكرياء جابر، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ-2008م، ص 373.

[2] - يختلف المعنى المحلي للقصر عن التعريفات اللغوية المعروفة، فهو عبارة عن قرية محصنة، أو مجموعة كتل سكنية متراصة، ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعة من الأفراد والعائلات الموسعة، كثيرا ماتنتمي إلى أصول عرقية واحدة أو فئات اجتماعية مشتركة، وقد تكون مختلفة، يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية(في الزوايا). تنسب عادة إلى ولي صالح باعتباره مؤسس أو صاحب في لم الشمل.مثل:قصر أولادعلي، أو أولاد أوشن، أولاد سعيد...ينظر مبروك(مقدم) نشأة القصور وعمارة الأرض بمناطق توات وأحوازها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016، ص98.

[3] -ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912)م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دط، دس، ص23.

[4] - عبد الرحمن(ابن خلدون)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر مج 7، ج6 القسم الأول، 11، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ص118.

الإعمار فتقع في التعارض، ومثال ذلك ما قاله غوتييه[1](Gautier) عن زناتة سكان الصحراء:"هم بالفعل الجمالون الكبار الذين عرفهم المغرب ما يجعلهم يتميزون عن غيرهم من البربر، حتى أنهم كانوا يقيمون في القرن الرابع عشر نوعا من الوطن"[2]، ويقصد القرن(14م)، ويقول عن اليهود أنهم أسسوا دولة:"في غرارة أقصى شمالي توات بين تمنتيت وسبع وغرارة تلك المنطقة التي حافظت على لغة زناتة وجنسها حتى أيامنا،كانت تقوم دولة يهودية استمرت حتى نهاية القرن الخامس عشر وأبيدت هذه القبيلة[3]سنة 1492م/897ه حين قضى عليها المسلمين بعد هزيمتهم في إسبانيا."[4]ويقصد القرن (15م).

يظهر هنا التقليل من شأن ودور قبائل زناتة عموما، ومحاولة طمس انجازاتهم، ونسبها لليهود، كما أن لفظ الدولة الذي أورده، بعيدا عن الواقع حينها، فلا دلائل على وجود دولة أنذاك في المنطقة. فاليهود كانوا يشكلون جزء من التركيبة البشرية للمجتمع مثل غيرهم من الأجناس الأخرى. إلا أن ما ذكره غوتييه دليل إثبات على عراقة الإقليم، وتاريخه، ودوره الحضاري. وشكل الإقليم على مر التاريخ وحدة جغرافية، وثقافية وتاريخية متناسقة، متكاملة جمعت بين سكان حواضره الثلاث توات، تيديكلت وقورارة، رغم التنوع في تركيبته البشرية، والمستوى الاجتماعي لطبقاته، والظروف السياسية التي مر بها خلال القرن التاسع عشر(19م) ومطلع القرن العشرين(20م)، وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل.

---

[1]- إميل فليكس غوتييه(1864-1940) عالم جغرافي قادته الجغرافيا إلى التاريخ، والتاريخ مال به إلى لدراسة الانسان، بدأ حياته أستاذاً للجغرافيا في مدغشقر قبل انتقاله إلى الجزائر ليستقر فيها، وكتابه "ماضي شمال إفريقيا من المؤلفات النادرة التي وضعها بين أيدي الباحثين الغربيين، وقد عمل على عرض فرضياته حيث لم تتوفرله البراهين اللازمة لاستجلاء بعض الغوامض التي سعى لكشفها.ينظر إميل (فيليكس غوتييه)، ماضي شمال إفريقيا، ط1،تر هاشم الحسيني، نشر الفرجاني، طرابلس، 1970، ص 5.

[2]- نفسه، ص152.

[3]- يقصد هنا القبيلة التي أقامت هذه الدولة وهي قبيلة زناتية يهودية، وقد وقع في التناقض فمن جهة يصف قبائل زناتة بالتميز وأنهم هم الجمالة من أدخل التغيير و التحضر على المجتمع الصحراوي، وفي نفس الوقت لاينسبه لكل قبائل زناتة ويقتصره على اليهودية، من خلال محاولته ربط علاقة القرابة بين الزناتة واليهود، واستدل على ذلك بابن خلدون وقال: أنه اعتبر قبيلة جراوة الزناتية التي تقطن بالأوراس يهودية، وقبيلة نفوسة أيضا يهودية، ونفس الشيء للقبيلة الموجودة في غرارة وبالتالي لم يعتبر هذه الدولة التي أشار إليها دولة زناتية وربطها باليهود ونسبها إليهم ينظر، إميل فليكس غوتييه، المرجع نفسه، ص153.

[4]- نفسه، ص152.

المبحث الأول:المظاهر الطبيعية لإقليم توات وحواضره

أولا: الموقع الفلكي والجغرافي

يمثل إقليم توات مجموعة من الواحات تشملها ثلاث حواضر كبرى، تقع في الجنوب الغربي الجزائري، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تدمايت ومن الجنوب هضبة مويدر، ويقع الإقليم فلكيا بين خطي طول 4°غربا إلى1°شرقا وبين خطي عرض 26°و30° شمالا.[1]ويضم حاليا ثلاث مناطق كبرى وهي أدرار، تيميمون، عين صالح وتعرف الأولى بتوات أوتسوات،[2]وتمتد إلى غاية رقان وتسمى أيضا توات الأصلية،[3] والثانية بقورارة أوتينجورارين، والأخيرة تيديكلت وأطلق على المناطق الثلاث مجتمعة مايسمى(اقليم توات).[4]

1.حاضرة تينجورارين: ويقال لها أيضا قورارة، وتقع شمال إقليم توات بين العرق الغربي وهضبة تدمايت ووادي الساورة.[5]ويحيط به من الشمال والشمال الشرقي العرق الغربي الكبير، ومن الجنوب هضبة تدمايت ومن الجهة الغربية وادي الساورة وواد مسعود، عاصمته تيميمون، ويوجد

---

[1]- أنظر الملحق رقم 1، ص389

[2]- محمد الصالح (حوتية)، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 28.

[3] - A.G.P.Martin: Les Oasis Sahariennes : (Gourara- Touat- Tidikelt), Edition de l´imprimerie algérienne,1908, pp 30-29

[4]- هناك آراء مختلفة حول إطلاق تسمية توات على الواحات أو الحواضر الثلاث فالرأي الأول يقول:أن لفظ توات يقتصر فقط على توات الوسطى "توات الحناء" أي مابين تسابيت شمالا ورقان جنوبا الى قصر تاهنت وذلك إستنادا إلى رواية العياشي وعبد العزيز الفشتالي وابن خلدون وغيرهم، وبذلك يفصلون توات عن قورارة وتيديكلت، أما الرأي الثاني، توجه توات الكبرى، ويرى أصحاب هذا الرأي أن توات تمتد على المساحة المنحصرة بين وادي صالح (تبلكوزة) إلى عين صالح وتنقسم إلى ثلاث مناطق تينجورارين، توات الوسطى وتيدكلت وذلك استنادا إلى الهلالي صاحب تقييد بزرة الأخبار في تاريخ توات من وادي صالح إلى عين صالح، ورأي محمد بن عبد الكريم التمنطيطي صاحب درة الأقلام، ينظر عبد الرحمن (بعثمان)القضاء في منطقة توات خلال القرنين 18/17،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد معمر،جامعة وهران -1- ،2015-2016، ص،ص54-56 ،أيضا عبد الله (بابا)، الحياة الإجتماعية والإقتصادية بتوات إبان الإحتلال الفرنسي 1900-1962 من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مبارك جعفري كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية ،1439-1440هـ/2018-2019م،ص-ص 18-22

[5]- محمد (باي بلعالم):الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات:ط، ج1، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2015م، ص 26.

الإقليم في موقع جغرافي متشابه طبوغرافيا باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها القصور التي تقع في شمال الإقليم.[1] أبعد نقطة فيها تابلكوزة، وينتهي بها وادي مقيدن مكونا سبخة كبيرةتسمى سبخة قورارة. وقدر عدد قصورها حسب المجلة الجغرافية، لسنة1901م، 114قصراً ويواجه السكان مشكلة الرمال.[2]

2.حاضرة تيديكلت: فهي تقع في أقصى الشرق من الواحات التواتية، وجنوب هضبة تدمايت تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 150كم، وتمتد قصورها من الشرق إلى الغرب.وتقع بين خطي عرض 26.30°و27.30°شمالا وخط طول0.30°شرقا و1.30°غربا تتكون من منطقة جبلية شاسعة وهضبة ضعيفة، ومنطقة رق كبيرة وهي مغطاة جزئيا بنباتات الغابة، تمتد على طول 250 كيلومتر مربع[3].

والمقاطعات الأربعة الأولى وهي:

زاوية الكحلة(فقارة الزوى)، عين صالح،عين غار(إنغر)، أولف، أقبلي، قرب تدمايت.[4]

تضم هذه المقاطعات واحداً وخمسون قصراً بلغ عدد سكانها سنة 1898م، ثلاثة وعشرون (23000)ألف ساكن موزعين على ست فئات، وهي الشرفة، الطوارق العرب، الزناتة والحراثين والزنوج، وهي عبارة عن واحة من البساتين الغنية بالأشجار المثمرة.[5]

3. **حاضرة توات الوسطى(الأصلية):** فهي المنطقة الواقعة بين إقليمي قورارة وتيدكلت يحدها من الشمال العرق الغربي الكبير وعرق الراوي وإقليم قورارة، ومن الغرب وادي مسعود، ومن الجنوب العرق الغربي وعرق شاش، ومن الشرق هضبة تدمايت، ومن الجنوب الشرقي إقليم تيدكلت وجنوباً

---

[1]- محمد الصالح (حوتية)، المرجع سابق، ص 28

[2]-Revue de géographie / dirigée par M. Ludovic Drapeyron, Exploration – Colonisation, Géographie Scientifique et Economique, Tome XLIX, Juiellet-Décembre, 1901, Librarie Ch. Delagrave, Paris, p.3

[3] -Paul. Soleillet, L'Afrique occidentale : Algérie, Mzab, Tildikelt, Avignon : F. Seguin aîné, 1877-1878, p 252

[4] - Henri. Bissuel : Le Sahara Français : ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIRE -E´DITEUR Imprimeur-libraire de l'Académie 4, place du gouvennement, 4, Alger 1891, p39

[5] -ibid, p 39

تنزروفت، أما الموقع الفلكي فهو يقع ما بين خطي طول 2.30و3.30درجة غربا ودائرتي عرض 26.7و28.5درجة شمالا.[1] وتبدأ توات من أعلى بودة من وادي مسعود المتجه غربا فتأخذ اتجاهه من الشمال إلى الجنوب وتشكل بذلك أرخبيل من القصور والواحات.[2]

يضم إقليم توات عدد من المدن والقصور بلغ عددها حوالي(354قصر)حسب بعض الدراسات الفرنسية للقرن التاسع عشر، وقد كان ابن خلدون قد ذكر أن تعدادها(300)قصر في وقته، تمتد في سهول رملية جنوب العرق الغربي الكبير، وحول هضبة تادميت من جهاتها الثلاثة الشمالية والغربية والجنوبية.

ثانيا– المظاهر التضاريسية:

مرت الصحراء الجزائرية خلال تكوينها بعدة تطورات وذلك باختلاف العصور والأزمنة الجيولوجية حيث كانت في القديم كتلة صلبة تتواجد بالقارة الكبرى الشاسعة، والمعروفة باسم قارة (جندا) القديمة جدا، وكانت هذه الكتلة الصلبة التي تشكل أساس الصحراء وهي عبارة عن صخور أركية نارية بلورية معظمها من الغرانيت، أومتحولة من النيس والشيست ويعد الذهب والجرانيت والرخام والفضة، والنحاس والزنك والحديد، والنيكل والرصاص، والقصدير أهم مكونات صخورها.[3]

1– السهول الرملية:يغطي الجزء الأعظم من الصحراء الكبرى هضاب صخرية جرداء وسهول شاسعة تغطيها مساحات هائلة من الكثبان الرملية تسمى الأرج(العرق)،[4] وهي صحراء حصوية تكاد تكون خالية من مظاهر الحياة مثل رق تنزروفت، وفي بعض المناطق تساعد الرمال المتحركة على تكوين كثبان رملية قد يصل ارتفاعها إلى نحو 180م، وهي تحتل أيضا مساحات واسعة من

---

[1]- P. Devors : le Touat étude géographique et médicale, archives l´institut pasteur, D´algérie, txxv.n°.3-4.sep- déc 1947, p 224-225

[2]-O.I.(Watin) origine des populations du touat d´après les traditions conservées dans le pays, bulltin de la societé de géographie. d´Alger et de l´Lafrique du Nord, 2 éme trimestre, 1905, p212.

[3]– عبد السلام(بوشارب)، الهقار أمجاد وأنجاد، دط، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، الروبية، 1995، ص، ص 33-36.

[4]– عبد الوهاب (الكيالي) وآخرون، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص62

الصحراء الجزائرية، ومنها العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، وعروق أخرى ثانوية منها ما يمتد إلى الإقليم منها عرق شاش وإيقدي.[1]

2- **الهضاب الصحراوية:** وهي ذات تكوينات صخرية جيرية منها هضبة الحمادة التي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية، وهي هضبة تادميت الكريتاسية الفسيحة الممتدة في وسط الصحراء[2].وبالنظر للخصائص الجيولوجية، وحسب دراسة قام بها غوتيي فإن البنية الصخرية معقدة تعود للعصر الطباشيري لتوات عموما وتنقسم إلى ثلاث أقسام صخور قديمة تعود إلى الزمن الجيولوجي الأول، وهي التي تكون القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية التي تكونت عليها عبر الأزمنة التي جاءت بعد الزمن الجيولوجي الأول.[3]تظهر هذه القاعدة أحيانا على السطح، مثلا في المنطقة الممتدة على طول حوضي وادي الساورة ووادي مسعود أو الخط الانكساري الشرقي الطويل الذي يمتد جنوب شرق العرق الأكبر من شمال القليعة (المنيعة) بالشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي نحو توات ويقف عند أوقروت، أما صخور الزمن الجيولوجي الثاني صخور عصر الكريتاسي الأوسط فهي تمتد على الجانب الشرقي للخط الانكساري الشرقي، وصخور عصر الكريتاسي الأسفل التي تمتد بشكل واسع على الجانب الشمالي، والشمالي الغربي للخط الانكساري الشرقي أيضا بين قورارة غربا إلى شمال شرق حصن ماكماهون[4]، وبالنسبة للزمن الجيولوجي الرابع فهناك صخور العصر الديفوني الأعلى الموجودة بالسبخة الواقعة شرق تسفاوت وشرق شاروين.[5]

---

[1]-ابراهيم (مياسي)، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، دط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر (دس)، ص-ص19-20

[2] - أحميدة (عميراوي)، وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م، دط، دار الهدى الجزائر، 2009، ص 11.

[3]-E.F.Gautier, Missions au Sahara, Sahara Algérien : libraire Armand Colin, 1908,p-p219-221

[4] - من الحصون التي شيدتها فرنسا في الصحراء الجزائرية في حاسي العمار على بعد مائة وخمسة وستين كيلو متر جنوب غرب المنيعة في وادي مقيدن على طريق قورارة، ينظر ابراهيم مياسي، مرجع سابق، ص107.

[5] --E.F. Gautier, Op.cit, p-p220-227

ينظر أيضا- أحمد (العماري)، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850إلى 1902، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس، 1408ه/ 1983م ،ص 12-13.

هذه الصخور من نوع الكلس ذو البنية الورقية أو الرمل، وهي التي تتركب منها البنية الصخرية للمنطقة وهذا ما يعطي مميزات وخصائص تضارسية صحراوية تختلف عن المنطقة التلية تتميز بالبساطة، وانعدام المرتفعات المعقدة، وقلة الجبال المتقطعة والسهول الضيقة، والإلتواءات الحديثة، إلا بعض الكتل والسلاسل المتناثرة في القسم الشرقي من توات، وتتوفر على السهول التحاتية الواسعة، والعروق الرملية المتنقلة،[1]يتميز السطح ببنية تضاريسية متنوعة في أشكالها المورفولوجية، لكنها بسيطة.[2]

ثالثا- المناخ والنبات:

أ-المناخ

يقع إقليم توات جغرافيا ضمن المجال الجغرافي للصحراء الكبرى في إفريقيا والتي تعتبر من أوسع صحاري العالم، والتي تمتد شرقا من البحر الأحمر، عبر النيل وحتى المحيط الأطلسي غربا ومن الجنوب إلى غاية الشمال بين بلدان إفريقيا الشمالية وبلاد السودان(بلاد الزنج)، وما يميز هذه المنطقة المناخ الصحراوي، وهو مناخ حار وجاف أغلب أشهر السنة الذي يتميز بما يلي:

1- الحرارة:

أشار معظم المؤرخين والجغرافيين العرب منذ العصر الوسيط إلى ارتفاع درجة الحرارة في الصحراء ومن بينهم أبو عبيد البكري، وياقوت الحموي معلومات تتعلق بمناخ الصحراء خلال القرن 10م. ومناخ توات أيضا هو مناخ صحراوي حار جدا في فصل الصيف، ومعتدل في الشتاء وجاف في جميع الفصول، ويمكن أن نميز بين فترتين أو موسمين موسم البرد الذي يمتد من شهر ديسمبر إلى شهر فبراير، وما يلاحظ أيضا المدى الحراري أو الفارق الكبير في درجة الحرارة فقد تصل في بعض الأحيان إلى 50درجة مئوية، وتنزل إلى ما يقرب من 20درجة مئوية في بعض المناطق وفي فصل الشتاء تنخفض إلى 5 درجات كحد أدنى وأحيانا وبشكل استثنائي تصل إلى أقل من0 درجة، وحد أقصى15 درجة.[3] تتميز مناطق توات وتيدكلت وقورارة بنفس الخصائص،إذ

[1] -E.F. Gautier, op. cit, p-p 227-233

[2]- أحميدة(عميراوي) وآخرون، مرجع سابق، ص 11.

[3]- P. Devors, op. cit, pp 230-231

ترتفع درجة الحرارة بداية من شهر ماي لتصل في شهر جويلية إلى 50درجة مئوية، وتبدأ في الانخفاض مع بداية فصل الشتاء.[1]

قدم لنا جيرارد رولف الذي زار توات في فصل الصيف وبالتحديد في شهر أوت من عام 1864م وصفا لحالة الطقس أنذاك لما دخل إلى المنصور ببودة، حيث قال:"أنها تقع على بعد دورة واحدة من أدرار، وكانت الحرارة شديدة جدا على الدوام، حيث وصلت بعد الظهر إلى 40°مئوية تحت الظل."من الساعة التاسعة صباحا إلى الساعة الرابعة بعد الظهر، كان العرق يتساقط قطرة، قطرة من على وجه جيرارد رولف، وكان ذلك عذابا حقيقيا على حد قوله، منعه من القيام بكل الرحلات التي خطط لها لزيارة قصور أدرار.[2]ويضيف قائلا:"في مثل هذه الحرارة تتعرق أكثر مما تنام أو ترتاح في النهار."[3]على الرغم من هذه الحرارة الشديدة إلا أن الجو تغير في الليل فيصفه قائلا:"كانت الليالي باردة ومع ذلك انخفض مقياس الحرارة إلى 25° مئوية فوق الصفر."[4]

2- الرياح:

يتميز المناخ الصحراوي أيضا بعدم استقرار شدة الرياح التي تبلغ درجة عالية من السرعة حيث تفتت الصخور، وتعري السطح وهو الأمر الذي يؤثر على النمط المعيشي لسكان المنطقة وتعرف الصحراء بنوعين من الرياح رياح الشهيلي وهي الرياح الجنوبية ...، ورياح سيروكو وهي الرياح الجنوبية الشرقية،[5]وتصل سرعتها إلى100كم في الساعة، وتفوق قوتها 5م/ث. وهي من أخطر أنواع الرياح والزوابع لكونها تحمل معها كميات كبيرة من الرمال فتملأ المنخفضات، وتؤثر كثيرا على حياة السكان، فتغزو البساتين وتقضي على المزروعات، وتدفن البيوت والقرى والطرق وتغير معالم الصحراء أحيانا كثيرة، ونظراً لقوة وشدة هذه الرياح الصحراوية فقد أدت إلى هلاك

---

[1]- أحميدة (عميراوي) مرجع سابق، ص 12، ينظر أيضا: نور الدين بن عبد الله، دور المناخ في تشكيل عمارة الصحراء (قصور قورارة أنموذجا) مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج(07) عدد(22) ،2015/03/03م. ص210

[2]-ينظر الملحق رقم (2)، ص390

[3]- Rohlfs (Gerhard), reise durch Marokko,vebersteigung des grossen Atlas, Exploration der oasen von:Tafilet,Tuat und Tidikelt,und reise durch die grosse.wuste uber.Rhoidnes nach.Tripoli,Bremen,1868,p103

[4] -ibid,p103

[5]- اسماعيل(العربي)، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، 1983، ص16

قوافل كاملة وذلك من خلال العثور على هياكل عظمية من طرف المستكشفين، ورياح الخماسين وهي رياح رملية هوائها شديد الحرارة تهب من الجهات الجنوبية وهذا النوع يكثر في شهر فيفيري،[1]كما يروي ابن سعيد المغربي الذي عاش في القرن السابع الهجري13م في كتابه الجغرافيا أن هذه الصحراء التي تمتد بين غانا، وسجلماسة تجفف المياه التي يحملها المسافرون في قربهم.[2]

3- التساقط :

تتميز الصحراء بقلة التساقط فبعض المناطق تبقى لمدة طويلة دون نزول المطر، وإقليم توات أيضا تكاد تنعدم فيه الأمطار إلا بعض القطرات في السنة، إذ لا تتعدى نسبة التساقط 1مم في فصل الشتاء بداية من شهر جانفي إلى شهر أفريل، وإذا ما سقطت فإنها سرعان ما تتبخر بسبب ارتفاع درجة الحرارة. وهو ما يفسر الجفاف شبه الكامل للمناطق التي لا تسقى بمياه الفقارة أحيانا تتساقط بكميات كبيرة تؤدي إلى كوارث مادية كبيرة، وذكر(P.Devors) كارثة وقعت في أكتوبر 1944م حيث قدرت كمية التساقط ب (40ملم) على مدى ثلاث أيام تسببت في انهيار مئات المنازل.[3]

إن الشرط الأساسي للعيش في الصحراء عموما هو وجود الماء، على اعتبار أنها أصعب المناطق من حيث المناخ، وذلك لارتفاع درجة الحرارة بشكل كبير، على اختلاف بعض المناطق في الصحراء الجزائرية يفتقد إقليم توات إلى المصادر المائية المتنوعة، إذ يقتصر الأمر على المياه الجوفية، وبالرجوع إلى مراحل تاريخية سابقة تشير معظم الكتابات التاريخية حول توات إلى وجود مجاري مائية تتمثل في الأودية التي كانت تعبر الإقليم منها وادي جير ووادي مسعود، والتي ذكرها المؤرخون والرحالة أمثال ابن خلدون والعياشي.

هذه الأودية الثلاث هي التي تغذي الفقاقير والآبار بالمياه، وهي وادي مقيدن بقورارة ووادي مسعود بتوات، ووادي قاريت بتديكلت، فالأول هو امتداد لوادي سفور بالمنيعة، ويتجه نحو الغرب ثم يظهر باسم جديد وهو وادي شيدون، وينتهي إلى قورارة حيث يكوّن"سبخة قورارة

---

[1]- نور الدين (بن عبد الله)، مرجع سابق، ص 210

[2]- اسماعيل(العربي)، مرجع سابق، ص 17

[3]-P. Devors, op.cit, p 231

"أما وادي مسعود[1]فهو عبارة عن اتحاد واد جير مع واد زوسفانة عند منطقة فيقيق، ثم يتجه نحو الجنوب ليصبح وادي الساورة، ولما يصل إلى كرزاز يغير اتجاهه نحو الجنوب فيطلق عليه "اسم وادي مسعود "ولما يصل الى مقاطعة تسفاوت يشكل سبخة، ثم يتجه أيضا نحو رقان ليضيع في صحراء تنزروفت وقد بين مسار هذا الوادي من منبعه الذي ينطلق من جنوب المغرب الأقصى وصولا إلى توات، والوادي الثالث وهو وادي قاريت من الشمال الشرقي لمنطقة تيدكلت ويتجه جنوب غربها حتى يصل إلى وادي مسعود ويصبح رافدا له.[2]

رصد لنا المدعوا الحاج عبد القادر بن أبو بكر التواتي بن هبة الله الذي يقول أنه من نسل الخليفة على معلومات تمكن من جمعها من رحلة قام بها في توات، في إطار مهمة كلفه بها الرائد (Boissonnet)وقال أنه كتبها عام1680هـ/1854م حول الوديان التي تسقي المنطقة، والنباتات التي تنموا في تيديكلت، وذكر ثمانية أودية، وهي: وادي إتيل ويتدفق من الشرق نحو الغرب ويوجد في قاعه رخام أبيض، وواد لو، ووادي زيتا، ووادي إن بلبال، وادي تيليا، وادي الأبيض، واد تيمقطن، وادي الطلح، ولا تتدفق مياه هذه الوديان بشكل دائم،كما أشار إلى قرب الماء من السطح بحيث لو حفرت قليلا تجد الماء.[3]

4.الغطاء النباتي: نظراً لقلة الغطاء النباتي والحياة الفطرية في الصحراء الكبرى والمناطق التي تنتمي إليها مقارنة مع باقي الصحاري، تتأقلم بعض الحشائش والأعشاب والشجيرات على قلتها مع

---

[1] - وينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير، ينحدر ذهابا إلى القبلة مشرقا بعض الشيء، ويقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة، ثم بعدها إلى تمنطيت، ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها ثم يمر إلى أن يصب في الفقار ويروغ في فقارها ويغور في رمالها، وهو موضع مقامه قصور ذات نخل تسمى ركان".ابن خلدون العبر، مصدر سابق،ص 134.وقد ذكر العياشي وادي جير خلال رحلته ووصفه بالكبر والفيح "كراهة الرائحة"من أطول أودية المغرب مسافة، ملتف الأشجار قليل الأحجار، وذكر محطة وادي الساورة باسم الأساور الذي تتصل قراه نحو عشرة أيام إلى قريب من توات، لكنه جعل منتهاه بعد ذلك الانعطاف يمينا في رمال كثيرة دون تفصيل في ما إن كان يمر توات أم لا.ينظر، عبد الرحمان (بعثمان)، مرجع سابق، ص-ص 73-74

[2]- فرج (محمود فرج):إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر للميلاد (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 ، ص ص 13 -14 .

[3] - Abd-akader.(ben Abou.Bekr-et Touaty , Le Sahara et soudan (histouriques et géograpfiques, traduits de l´arabe, M.L´abbén Bargés, extrait de revue dorient,bulttin de la sociéte orientale de France,cahier de février, 1853 .p20

الظروف المناخية الجافة والقاسية، وبعض هذه النباتات تنمو لفترات قصيرة، أما النباتات التي تعمر لأكثر من عام فهي تستمد مياهها من مصادر أخرى غير الأمطار، وتتمتع بجذور طويلة تضرب في عمق التربة لتمتص الرطوبة اللازمة لبقائها.[1]

تتميز المناطق الصحراوية عموما بنوعية مميزة من النباتات، وهي النباتات الشوكية، وتتوفر مناطق توات المختلفة على أنواع من النباتات ذات إستعمالات مختلفة، ومنها أشجار النخيل، التي تشكل أغلب واحات توات، وأيضا أشجار القطن، والخروع[2] وشجرة الفتنة، الكاليتوس، الطلح، الدفلة، لقضم، البردي، تنكلت، لعلاندا، الرتم، الجعدة الرمد الدرين أم وكبة، الغلقي أجداري الكبار، القزاح، الضمران النسال،[3]كما توجد بعض النباتات السامة مثل الكرنكا أو العريش والهبالة أو البتينة، أم حلوس، الحدجة، كما توجد بعض الأعشاب الطبية مثل: الكاش أو الوشام، الطازية العقاية، الغرم، اقارقار، وبعض النباتات الرعوية في عين بلبال منها النقار وتهنة والعراك، القندولة وبعض الاعشاب الطبية والرعوية منها: الحناء والدنون والخبيز وزهرة الشيخ، القرصية والقصب، لقطف، الفيجل، القرطوفة الشندقورة، لمخينزة، بوفتاش.[4]

ذكر الحاج عبد القادر بن أبو بكر في رحلته مجموعة من النباتات التي صادفها في طريقه ومنها:عود الطلح (الأكاسيا)،الثيمات، الإتيل، الرتم، بوركبة، القرع، الدرين الذي ينموا في الأماكن الرطبة المغطاة بالرمل والسبخة، والنباتات الأكثر انتشارا:هي الزيتا-التيدا-أزال (الإفيدرا)- الرتم الدمران- البلبال- إيتيل- طرفة - الجرجير- الفاصولياء العريضة- السمسم- والبتين.[5]

[1]- عبد الوهاب(الكيالي)، مرجع سابق، ص64 .

[2]-مجهول، النباتات في منطقة قورارة - هضبة تدمايت - توات - تدكلت -تنزروفت، مكتبة دار الثقافة أدرار 2008، دص.

[3]- سعيدان (الحاج التومي)، سكان تديكلت القدماء والإتكال على النفس، (دط)،(دس)، ص ص 147-149

[4]- مجهول، النباتات في منطقة قورارة - هضبة تدمايت - توات -تدكلت -تنزروفت،.

[5] -T. Abd-akader: op.cit, p20

الحيوانات:من الحيوانات التي تعيش في إقليم توات الغزال، العروي(اللروي أو فيستال)، الثور البري، الذيب، الأرنب، الأورال(السحلية الكبيرة)، الشرشمان، الأفعى، الوسق، الشبع.[1]

رابعا:الأبعاد اللغوية والتاريخية لتسمية إقليم توات وأهميته التاريخية

طرحت كثيراً إشكالية التسمية، والمقصود هنا تسمية توات على أساس أنها تطلق على مجموعة الواحات الواقعة في الجنوب الغربي الجزائري، ويمتد حاليا بين أدرار وتيميمون وصولاً إلى عين صالح وتعرف الأولى بتوات، والثانية قورارة أو تينجورارين، وأخيرا تيدكلت، وأطلق بعض المؤرخين على هذه المناطق مجتمعة تسمية توات. في حين أن توات تطلق أيضاً على أحد أكبر الواحات وهي المنطقة الوسطى الممتدة بين منطقتي تيدكلت، وتينجورارين .فما المقصود بكلمة توات؟

I.المعنى اللغوي لتسمية إقليم توات

1- من المصادر العربية: اختلف المؤرخون واللغويون حول تفسير معنى الكلمة"توات"فمن خلال بعض الوثائق المحلية التي تناولت الحديث عن التسمية، نجد الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن مبروك البداوي (ت،ق 13هـ)في مخطوطه نقل الرواة في من أبدع بقصور توات، الذي يعود بالتسمية إلى فترة الفتح الإسلامي، وبالتحديد إلى عقبة ابن نافع الفهري لما، وصل إلى ساحل بلاد المغرب ثم رجع إلى بلاد نون ودرعة وسجلماسة سنة 62هـ (اثنين وستين هجرية) فسألهم عن هذه البلاد أي بلاد توات فيما إذا كانت مواتية أو تصلح لنفي المجرمين من عصات المغرب فينزلهم بها، فأجابوه بأنها تواتي لذلك بمعنى أنها تصلح، فانطلق اللسان بذلك لكن تغير اللفظ على لسان العامة للتخفيف. ويضيف رأيا آخراً يرجع به إلى فترة الهجرة العربية إلى بلاد المغرب، ووصولهم إلى بلاد توات وهزيمتهم لقبائل زناتة ففرضوا عليهم الأتوات فسموها بذلك بلاد الأتوات .[2]

يرى محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي(ت،ق 14هـ)أن التسمية تعود إلى عهد الموحدين يقول«:حكي عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طلبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف فأمر

---

[1] - T. Abd-akader: op.cit, p20

[2]- ينظر محمد (بن مبروك البداوي، بن عمر بن محمد)، نقل الرواة في من أبدع بقصور توات، مخطوط بخزانة أدغا، أدرار ص-ص 4-5

عامله أن يقبض في المغارم الرطب، والعنب وسائر الثمار والكروم، فعل ثم باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه، وعظمت بذلك المصلحة فصدر الأمر عنه في العالم الثاني بتخريص الأشجار، وقبض الأتوات كيلاً ووزناً على حسب التخريص فعرف أهل هذه الأرض بأهل الأتوات لأن السلطان قبلها منهم في المغرم .» ويعلق فيقول وهذه الرواية أصح.[1]يضيف قائلا:"ولهذا اللفظ مستند في العربية قال: في المصباح التوت هو من، الفاكهة والجمع أتوات فعرفت هذه البلاد بأهل الأتوات بحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فصارت توات بعد حذف التعريف والمضاف ...وصار هذا الإسم على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزة إلى عين صالح"، وهذا الأمر اعتمده الكثير من المؤرخين، وأعتبر الرأي الأرجح، فيما ذهبت تفسيرات أخرى أن اللفظ أعجمي مثل:محمد بن مبارك:فيقول أن كلمة (توات)أصلها أعجمية فقد أطلقها قبائل من اللمتونة عندما التجأت للإقليم في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي على المكان بعد أن وجدوه يناسبهم (يواتيهم)[2].

يذهب السعدي (ق17م)في كتابه (تاريخ السودان) أن أصل الكلمة تكرورية وتعني وجع الرجل وأورد في ذلك قصة مفادها أن السلطان المالي (كنكان موسى)كان متوجها إلى الحج في أوائل القرن الثامن وأنه"مر بطريق ولات في العوالي، وعلى موضع توات فتخلف هناك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها . فسمي الموضع باسم تلك العلة فؤرخ أهل المشرق مجيئه ذلك وتعجبوا من قوته في ملكه."[3] ذكر الرصاع(ت456هـ/1046م) في فهرسته اسم توات حينما أشار إلى أنهم ينقسمون إلى برانس وبتر وملثمين قال أن الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ومنهم طوائف وذكر"التوارق ولمتة والمتونة والتوات والملثمون من صنهاجة الصحراء الجنوبية ..."وبذلك يعتبر التوات طائفة من الملثمين.[4]

---

[1] – محمد(بن عبد الكريم، بن عبد الحق التمنطيطي)، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة، ابن الوليد باعبد الله، ادرار، ص3

[2] – محمد ابن المبارك، تاريخ توات، مخطوط، نقلا عن فرج محمود فرج، ورقة1–ورقة2

[3] – عبد الرحمن (السعدي بن عبد الله بن عمران بن عامر)، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1964، ص7

[4] – محمد أبي عبد الله (الرصاع الأنصاري)، فهرست الرصاع، تح محمد (العنابي) ، دار الكتب الوطنية، تونس، دس، ص 127

2- من المصادر الغربية : يرى المؤرخين الغربيين ومنهم المؤرخ الفرنسي مارتان(Martin)أن أصل التسمية يعود إلى الكلمة اليونانية ouasis وتعني الواحة (وا) (ou) أو (واه)(oua)أو(أوا) ويقول: عبو الطاهر أن كلمة واحة في اللغة الإنجليزية جاءت من الكلمة اللاتينية oasis وتكتب في اليونانية القديمة(oaoic).وهي موجودة في الفرنسية، وبالتالي هناك إختلاف في كتابة الكلمة، وتوجد في العربية، كما توجد في القبطية والزناتية البربرية، وهذه المفردة (وا)تعني (موقع مسكون) أو مكان مأهول وقد فرق مارتان(Martin) بين المناطق الجرداء، أوالفيافي والمناطق المزروعة المأهولة والمحاطة بالنخيل وهي التي اصطلح عليها الواحة، وتوجد مناطق تحمل تسمية توات مثل: تواتن عبو (Touat´nebbou) وتعني واحة المياه، وإسم توات الجنة،[1] وأضاف البربر الليبيون حرف التاء في أول الكلمة وفي أخرها فأصبحت توات.ويضيف Mandevilleأن إسم توات أطلقه بربر الطوارق على مجموع الواحات التي تنتشر بالمنخفض العميق لواد الساورة ووادي مسعود، ويؤكد (roclees)بأن توات كلمة بربرية معناها الواحة، وهذه الروايات قريبة إلى الصحة بإعتبار أن القبائل البربرية المعروفة بالملثمين (التوارق، لمتونة) هي أول من سكن الإقليم ولا يعقل أن تسكن منطقة دون أن تعطيها إسما مشتقا من لغتها البربرية.[2]

يظهر من خلال هذه الآراء كلها أنها تختلف في أصل اشتقاق اللفظ نفسه "توات"، هل هي من الفعل واتى، يواتي؟ أو هو من المغارم أي الأتوات؟ أم هو إسم أعجمي؟ له دلالات خاصة تبعاً للغة البربرية أو التكرورية أو التارقية أو العربية؟و مما سبق أيضا يتضح أن أصل كلمة توات أشتملت على عدة تفسيرات، فالرواية التي تربط التسمية بالإتاوة غير دقيقة الإتوات أدت المغارم لجميع الدويلات الفاتحة بالمغرب كما لو أن إقليم أدى الإتاوى لدولة ما سمي بتوات لتكرر هذا الإسم وانتشر في سائر الأقطار.

من خلال دراستي لهذه الآراء المختلفة فالأقرب للصحة، هو أن يكون أصل التسمية بربريا فمعظم قصور توات تسميتها بالبربرية (الزناتية)ومن جهة أخرى أن القصور التي تحمل أسماء عربية هي إسما للقبيلة العربية التي نزلت به، كذلك الملاحظ أن حرف التاء يرد في بداية تسميات العديد

---

[1] - A.G.P. Martin : Quatre sièclees d´histoire marocaine : au Sahara de1504 à 1902, au Marouc de 1894 à 1912, l´ibrairie Félix Alcan, Paris, 1923, p1-2

[2] - عيسى (قرقب)وآخرون، الإسلام في افريقيا الغربية ودور توات في نشر الثقافة العربية، وحدة بحث، جامعة أدرار، قسم التاريخ 2007-2008، ص 143.

من القصور بل وحتى مناطق الإقليم فنجد: توات، تيدكلت، تمنطيط، تيمي، تنيلان، تبلكوزة ... ولربما لهذا الحرف دلالة في الأمازيغية.وقد يكون من واتى وأضيف له حرف التاء.

II- الأهمية التاريخية لأقليم توات وحواضره

لقد تناولت العديد من المصادر التاريخية الحديث عن إقليم توات، وهذا يدل على أهميته وقدمه، فقد أشار المؤرخ اليوناني هيرودوث إلى السكان الأوائل لمناطق توات وقورارة، وتديكلت وهم الجيتول،[1]الذين سكنوا الكهوف والمغارات والبيوت الطينية،[2]وأكد ذلك المؤرخ (إبلين)الذي تحدث عن نهر سماه(جير) كما سماه المؤرخ بتوليمي بنهر النيجر، وقد تحدث هذا الأخير عن انحدار النهر نحو الشرق مكونا مايسمى ببركة ليبيا (سبخة قورارة)و بحيرة (نقريس)سبخة توات[3] .

يعود تاريخ عمارتها كما ذكر سابقا إلى ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف واد قير خلال القرن الرابع الهجري، وما يدل على أهمية الإقليم هو الحديث عنه من طرف المؤرخين، والرحالة العرب والأعاجم.[4] وقد تحدث ابن خلدون عن توات ودورها في المبادلات التجارية وأهميته، وفي ذلك يقول "...وطن توات وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار إلى مالي..."[5] وأشار ابن بطوطة أثناء سفره إلى توات:" بأنه لايوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات،[6]وإنما يوجد اللحم واللبن والسمن يشترى بالأثواب.وذكر تسابيت ووصف بودة: بأنها أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ، وتمرها كثير ليس بطيب..."

ذكر حسن الوزان أيضا إحدى مناطق توات، وهي تسابيت ويشير إلى أنه يضم أربعة قصور وقرى عديدة.ويقول عن تينجورارين أن بها أراضي كثيرة صالحة للزراعة إلا أنها تحتاج إلى

---

[1]-A.G.P.Martin: op, cit, p, p 25-29.

[2]- مبروك(مقدم)، مدخل مينوغرافي، في المجتمع التواتي، دار هومة، الجزائر، ص22.

[3]- A.G.P.Martin: op, cit, p 25.

[4]- ام الخير(مقدم)،كيال الماء والتقمان حرفتان قديمتان بقصور توات تصارعان من أجل البقاء، مجلة رفوف، مج(11) العدد:01 جانفي 2023، ص-ص933-934.

[5]- ابن خلدون، كتاب العبر، مصدر سابق، ص، 118

[6]-ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1،ط1، تح وتق، الشيخ محمد عبد المنعم العريان دار إحياء العلوم، بيروت،1407هـ/1987م، ص-ص، 712-713.

السماد، ويقول:"...أن سكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعا.[1]

عرفت حواضر توات توافد العديد من القبائل، والأجناس خلال فترات زمنية مختلفة من مختلف الجهات مما أدى إلى التنوع في التركيبة البشرية للمجتمع. فكيف تشكلت هذه التركيبة ؟ وماهي مظاهرها وخصائصها خلال القرن التاسع عشر(13هـ/19م).

المبحث الثاني:المكونات البشرية للمجتمع التواتي وتشكلها

أولا- التركيبة البشرية للمجتمع التواتي

إن الحديث عن عناصر السكان للمجتمع التواتي بحواضره الثلاث، لا يمكن فصلها عن عناصر السكان في المغرب العربي الكبير، فهي تنحدر من أصول ثلاث وهي الأماريغ (البربر) والعرب، والزنوج، وقد تم بين هؤلاء السكان عبر التاريخ تمازج، واختلاط وانصهرت هذه العناصر في بوتقة واحدة مكونة بذلك سكان الجنوب الغربي الجزائري،كما يصنف السكان، إلى بدو وهم الذين يقومون بالتنقل والهجرة الموسمية(العشابة)، والحضر الذين يعيشون داخل القصور، أو القرى حيث يعتبران الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي والسياسي.[2]

1- البربر[3](الأمازيغ):تشير العديد من المصادر التاريخية إلى أن السكان الأصليين في شمال إفريقيا هم البربر وأن الصحراء كانت موطن ترحالهم، وبذلك كانوا هم أول من وفد إليها، وعلى رأس هذه القبائل قبائل زناتة، وكان ذلك قبل مجيء الإسلام بكثير ومن هذه القبائل:[4]

أ- قبائل صنهاجة: بكسر الصاد وذكر ابن خلدون:"أنهم أكثر أهل المغرب في عهده بحيث لايكاد يخلوا قطراً من أقطاره من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط إلى درجة أن الكثير من الناس اعتبروا أنهم يشكلون ثلث البربر."وكانوا بين زناتة وزواوة، وقد نزحت مجموعة منهم إلى الصحراء

---

[1]- الحسن(الوزان) بن محمد، وصف افريقيا :(ط2)، ج2 ،تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983، ص 133

[2]- ابراهيم (مياسي)، مرجع سابق، ص 23

[3]- البربر في العربية: هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنه يقال :بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة، والبربر قسمان برنس ومادغيس: ويقال لشعوب برنس البرانس ويقال لشعوب مادغيس البتر، لأنه يلقب بالأبتر، ينظر، ابن خلدون، مصدر سابق، ص176-177

[4]- نفسه، ص 185

جنوب المغرب، واستوطنوا بها، وعمروا المناطق الممتدة بين غدامس شرقاً ونول غرباً والسودان جنوباً، وانقسمت إلى شعبين عظيمين أحدهما بقي في الجزائر، والآخر نزح إلى الصحراء واستوطن بها.[1] ومن صنهاجة هناك صنهاجة اللثامية، وتتفرع منها عدة قبائل أشهرها قبائل لمتونة ومسوفة وقدالة، وأشار ابن خلدون إلى أن الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الذين سكنوا بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب منذ فترات طويلة قبل الفتح ولايعرف أولها. ويقول :"... وصاروا مابين بلاد البربر، وبلاد السودان حجزاً واتخذوا اللثام خطاماً وتميزوا بشعاره بين الأمم ... وتعددت قبائلهم من كدالة، ولمتونة ومسوفة، وتريكة، نكاوا وزغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة"[2] ذكر أيضا البكري بعض ما تميزت به قبائل الصحراء من ارتدائهم للثام وقال:" أن جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب لاتبدوا منه إلا محاجر العينين."كما أنهم لاينزعونه في أي حال من الأحوال، ويقول":...ولايفارقونه في حال من الأحوال حتى أن الرجل لايعرف حميمه إلا إذا تنقب ..."[3]

قبيلة لمتونة إحدى فروع صنهاجة اللثامية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولها بطون عديدة منها: بنوصولات، وبنوناسجة، بنو ورتنطق، وبنورمال، وأن مواطنهم في الصحراء كأكدم، وكانوا قبل الاسلام يتبعون الديانة الماجوسية مثلهم مثل برابرة المغرب، واستوطنوا بالصحراء إلى مجيء الاسلام بعد فتح الأندلس، وكانت اللمتونة هي التي تتولى رئاستهم.[4] ويقول ابن خلدون أنه كانت لهم أملاك كثيرة في عهد عبد الرحمان بن معاوية الداخل، وورثها ملوكهم ومنها: تلاكاكين، ورتكا أوراكن بن ورتنطق، جد أبي بكر بن عمر أمير لمتونة في بداية دولتهم وكانت بينهم وبين أمم السودان حروب وعملوا على دعوتهم و إدخالهم إلى الاسلام وبعد وفاة ملكهم خلفه ابنه ثبولتان وقال ابن أبي زرع «:أن أول من سكن الصحراء لمتونة ثبولتان دوخ بلاد الصحراء واقتضى مغارم السودان وتوفي 221هـ وآخرهم تميم سنة 306هـ وقتلته صنهاجة »[5].

---

[1]- مبارك (الميلي)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تح، محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر،2004 ، ص 215.

[2]- ابن خلدون، كتاب العبر، مصدر سابق ص- ص 370-.371.

[3]- مبارك (الميلي)، المرجع السابق، ص 216

[4]- ابن خلدون، كتاب العبر، مصدر سابق، ص 371

[5] - نفسه، ص 371-372

جاء في القول البسيط في أخبار تمنطيط لإبن بابا حيدة أن أول من نزل بالإقليم هم الملثمون وذلك بعد سقوط دولة المرابطين في المغرب على يد الموحدين سنة 541هـ/1147م وأنهم جاؤا هاربين، فوجدوا أن توات أرض جذب وأمان وبعيدة وليس بإمكان الجنود الإقامة فيها فنزلوا بها وعمروا بها وشيدوا البناء وحفروا الماء، واستوطنوا بها وبنوا بها أول قصر، وهو قصر تيلوت[1]، ثم وسعوا عمارتهم بعد ذلك وأنشئوا قصراً آخراً، وهو قصر أَتعالى يوسف بفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه وضم خامسه، وبالقرب منه يوجد مسجد تزنكيت نسبة إلى زناتة، ويطلق على المكان ككل أولاد يعقوب، وتوجد بالقصر فقارة تسمى يهنوا موجهة للشرب، وسقي البساتين وغيرها من الأعمال، ومن قبائل المتونة نجد أتنعمان الصالح، أتيوسف، أتعالى، بموسى، أتموسى أمحمد، أتبكر .[2]

ب- قبائل زناتة:[3]ولزناتة بطون عديدة اتخذت من توات موطن لها ومنها:بنو مرين، وبنوومان، وبنويالدس وورتطغير، ومصاب، وبنو عبد الواد ويقول في ذلك ابن خلدون:" ...ومن بطون بني ومانوا هؤلاء قبائل بني يالدس...مواطنهم متصلة قبلة المغرب الأقصى، والأوسط ووراء العرق المحيط بعمرانهم ... اختطوا في تلك المناطق القصور والأطم.." ويضيف قائلا:"واتخذوا بها الجنات من النخيل والأعناب وفيه قصور متعددة فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة وتسمى وطن توات..." ويذكر هذه القبائل فيقول:"ومعهم سائر قبائل زناتة والبربر مثل ورتطغير ومصاب وبني عبد الواد وبني مرين ،وهم أهل عديد وعدة، وبعد عن هضيمة الحكام وذل المغارم[4]."

---

[1]- تيلوت: بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره ، معناه بالعربية المزود، محمد الطيب (ابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص187

[2]- المرجع نفسه، ص 187

[3]- أصل كلمة زناتة : هذه اللفظة من صيغة جانا وهي إسم لأبي الجيل كله أي أب زناتة وهو جانا بن يحي، وإذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالإسم المفرد تاء فقالو جانات، وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ،ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل إلى السين، وقرب للسمع منها بعض السفير فأبدلوها زايا، ينظر ابن خلدون ، العبر ج7، ص 14. أما عن نسبهم من بين البربر فإنهم من ولد شانا الذي قال عنه أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة قال بعضهم :هو جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضوي بن زحيك بن مادغيس بن بربر، وهناك قول أخر: يحي بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبو بن فروال بن يملابن مادغيس بن زحيك بن همرجق، بن كراد بن مازيغ بن هرك بن بربر بن كنعان بن حام، ابن خلدون، المرجع نفسه، ص-ص 4-5

[4] - نفسه، ج7، ص 117-119

أشار أيضا إلى المناطق التي نزلت بها قبائل زناتة بتوات فقد استقرت بالقرب من الوديان فتواجدوا في تمنطيط بالقرب من نهر كير وبودة وتسابيت وتبلكوزة، هذه الأماكن كانت ملائمة للعيش والإنشاء والتعمير والزراعة والرعي وغير ذلك، وذكر أن هذه القصور كان عددها حوالي ثلاثمائة أو أكثر، وأن هذا الواد كان ينحدر من المغرب إلى المشرق، وفيه أمم كثيرة من قبائل زناتة وكان توافدهم لعدد من الأسباب.[1]

2- **العرب**: يعتبر العرب الفئة الثانية التي استوطنت إقليم توات بعد البربر، وقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى نزوحهم من مناطق الشمال لعدة أسباب، وكان ذلك إما عن طريق الرحلة أو الهجرة الجماعية أو الفردية خلال فترات تاريخية مختلفة، وتذكر هذه المصادر أن عددها سبعة عشر (17)قبيلة عربية وصلت مابين 501هـ/1107م و698هـ/1298م وهذا ما ذكره محمد بن عبد الكريم في مخطوطه نقل الرواة، وكان أولها قبيلة أولاد عبد الجليل سنة 501هـ/1107م وآخرها قبيلة أولاد أحرازم سنة 698هـ/ 1298م، ومن بين الهجرات الجماعية ما أشار إليه إبن خلدون والذي أعطى من خلاله صورة واضحة عن تواجد القبائل العربية بمناطق مختلفة من بلاد المغرب وإشارته في أكثر من موضع إلى نزوح هذه القبائل إلى الصحراء ومنها:

أ- قبائل بني هلال:

نزلت بطون كثيرة منهم بتوات إلا أن الآراء مختلفة حول بداية نزولهم فيرى غوتييه أن وصولهم كان سنة 655هـ/1266م أي خلال القرن(13م)، ونزلوا بقصور تمنطيط ورقان وتسابيت فيما يري (Martin)أن دخولهم كان قبل هذا التاريخ أي في القرن(12م) وبالتحديد سنة 514هـ/1120م ويضيف أن فرقة أخرى من بني هلال دخلت قبل هذا التاريخ بكثير وهي قبيلة السنانبة القادمين من العراق في فترة ولاية عقبة بن نافع قادمين من العراق.[2]

فيما يذهب رأي آخر إلى أن أول من دخل قرية مقيدن هم الهلاليين فرقة المحارزة القادمين من القليعة وبدؤا بالرعي في منطقة أودغاغ فبنوا قصر مقيدن، وقصر المبروك، وهو الموقع الرئيسي للهلاليين وقد وصلوا إليه في القرن(12م)وهم قبائل عديدة منها: أولاد امحمد نزلوا بمقيدن ثم انتقلوا إلى دلدول، وأولاد يعيش بأوقروت، وأولاد علي الذين نزلوا بأولاد محمود، وأولاد علي بن

[1] -ابن خلدون المرجع نفسه، ج6 ، ص202-203.

[2] -A.G.P. Martin, Les Oasis : op.cit, pp 75-76

حريز إنتقلت فرقة منهم إلى كابرتن ثم إلى توات السفلى، وأولاد معمر الذين إنتقلوا إلى باعمر بتامست، أما أولاد محبوب فسيطروا على المكان حتى مجيئ البرامكة من واد الحنة، أولاد جرير وهم من بني هلال الأثبج، ومن القبائل التي نقلها يغمراسن مؤسس دولة بني زيان إلى الصحراء عام 684هـ/1285م ومنهم حميان[1]، والمحارزة. وارتبطت هذه القبيلة بإسم علي بن مسعود الذي قدم إلى الجزائر من بلاد تونس رفقة الشيخ معمر بن سليمان المعراج إبن العالية خلال القرن السابع والثامن الهجريين، ونزلوا بتنركوك وأسسوا بها عدة قصور منها: تازليزة، زاوية الدباغ، فاتيس عام 1012هـ/ وتنتشر أيضا بسالي وتسابيت.

الخنافسة ينتشرون بين أوقروت وكابرتن منذ القرن 12م إضافة إلى العديد من القبائل الذين جاؤوا من جهات مختلفة، كأولاد خير الله من الساحل 1123م، وعرش دكنوس من غدامس 1124م، والشرفة الحمودية 1155م، وأولاد الصابون من غات بليبيا، وأولاد عليش من فاس، والأتواج من الساحل الساقية الحمراء.[2]

ب- قبائل المعقل

نزحت هذه القبائل من الشمال وانتشرت في الصحراء ومنهم بطون مختلفة، وقيل أن أول من دخل توات عرب المعقل في القرن السابع هجري. فمن قبائل ذوي عبيد الله جعوان (الجعاونة)وبنوا عثمان (العثامنة) وغاسل (غسل)، والمطارفة (مطرف) نجدهم بتمنطيط، وتسابيت وتينكورارين، وأولاد طلحة جاءوا من سهل أنجاد بالمغرب الأقصى ونزلوا بقورارة، وحصلوا على أراضي في قبائل زناتة ماينو، ومن ذوي منصور أولاد حسين، وأولاد أبي حسن ويطلق عليهما أولاد عمر الأحلاف يوجدون بتوات وتينكورارين، وذوي حسان، وأولاد داود بن عمر وغيرهم ومنهم قبائل عديدة نزلت بتمنطيط قبيلة أولاد نسلام، أولاد علي بن موسى، أولا دملوك، أولاد الحاج، أولادغنوم، قبائل قدوعة من العرب الرحل خلال القرن 11م، ونزلوا برقان وأولاد عباس والأمويون، وأولاد الشيخ دحو خلال القرن17م نزلت بقصر بوزان، والشعامبة استقر بعضهم يتنقورارين، وتدكلت خلال القرن 17 عن طريق التجارة، وقبيلة كنتة إستقرت بالصحراء حسب

---

[1] -A.G.P. Martin, Les Oasis : op.cit, pp78-90

[2] - محمد الصالح(حوتية)، ج1، مرجع سابق، ص 70.

الروايات الشفوية خلال القرنين 13م و14م. ولحقتهم قبائل عديدة منها أولاد بن سالم، أولاد بن صدوق، أولاد محمد.[1]

كما شهد الإقليم دخول العديد من العرب بشكل فردي، وليس ضمن قبائل منهم الأشراف الذين يتصل نسبهم بالحسن والحسين أبناء علي كرم الله وجهه، قدم معظمهم من المغرب بشكل فردي إنقسموا إلى طائفتين العلويين والأدارسة، وأرتبط بعضهم مع ملوك المغرب الأقصى بالقرابة، ولعلى أسباب قدومهم للإقليم تختلف وإن كانت في معظمها بسبب النزاعات الداخلية بين سلاطين المغرب، وكذلك لعدم إستقرار الأوضاع في المغرب الأوسط خاصة بعد دخول الأتراك إلى تلمسان بداية من القرن 19م كما أشار إلى ذلك Martin.[2]وهم متواجدون بمختلف قصور توات منهم على سبيل الذكر شريف سليمان بن علي الإدريسي نزيل أيت أوشن، ومولاي علي الشريف، الشريف محمد بن سالم، شريف علي بن محمد بن الزوين، والشريف مولاي حسان وغيرهم[3].

3- قبائل السودان :

بالإضافة إلى القبائل البربرية والعربية، عرف إقليم توات توافد أعداداً من قبائل السودان المجاورة، ذلك بحكم الموقع الجغرافي الذي يضع الإقليم على مقربة من حدود دول غرب إفريقيا، وقد دخلوا بطرق مختلفة، وعرفوا بمجلوبوا السودان، ودخل هؤلاء إلى توات وهم أناس ضعاف نال منهم الفقر والعوز، فمنهم من دخل مهاجراً بمحض إرادته باحثاً عن القوت بعدما أشتد القحط بأرض السودان، ومنهم من جلب، والمقصود أولئك الذين تمت سرقتهم من ديارهم ثم وجدوا أنفسهم في أسواق النخاسة للبيع وهم فئتين، الفئة الأولى من المسلمين، وقد حرم فقهاء توات بيعهم والتسري بنسائهم، لكونهم أناس أحرار، والفئة الثانية وهم الذين جيء بهم من بعض القبائل غير المسلمة وهم من شملهم حكم العبيد. وقد فصل في أمرهم الشيخ سيدي أحمد بابا التمبكتي في كتابه"معراج الصعود إلى نيل مجلَب السود".[2]

---

[1] - مبروك (مقدم)، مدخل مينوغرافي، في المجتمع التواتي(دط)، ج1، دار هومة، الجزائر، 2008م، ص 46.

[2] - Martin, Quatre siècles, op cit; pp 18-19.

[2] - عبد الحميد (بكري)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، (ب ط)، الطباعة العربية العصرية، 2010، ص 16.

يعود تواجدهم في إقليم توات إلى أزمنة بعيدة وهناك من يؤرخ لتواجدهم بقصة كنكان موسى سلطان مالي حسب القصة المشار إليها سابقا.والتي ذكر فيها أن الذين تخلفوا عنه توطنوا في المكان.[1]ولعل العامل الإقتصادي كان أحد أهم العوامل التي دفعت بالأعداد الهائلة للتوافد على إقليم توات، خاصة بعد تدهور الأوضاع الأمنية، والإقتصادية في السودان الغربي بعد سقوط مملكة سنغاي، فظهر نوع من الهجرة الإختيارية لسكان السودان الغربي نحو الشمال، بحثاً عن الأمن والإستقرار والقوت.[2]

4- اليهود:

لايمكن الحديث عن دخول اليهود إلى إقليم توات دون التعريج على دخول اليهود إلى شمال إفريقيا، ويشير البعض إلى أن دخولهم كان منذ 588ق.م أي في الفترة التي فتح فيها الملك البابلي (بختنصر) بيت المقدس، وطردهم من مدينة القدس، وطردهم من مدينة القدس وسمي بجلاء بابل، أما الخروج الثاني فكان عندما حاول اليهود الخروج عن طاعة الرومان فقضى عليهم الامبراطور طيطروش بن فسباسيان سنة 70م، وشتت شملهم فانتشروا في العالم واتجهوا إلى إفريقيا ثم توالت هذه الهجرات عبر فترات مختلفة في بداية القرن الرابع عشر(14م)، والسابع عشر (17م).[3]

أما عن دخولهم إلى توات فيرى البعض أنهم دخلوا سنة 50 ق.م، ويرى يعقوب أوليل الذي كانت له أبحاث حول يهود توات أن المنطقة عرفت ثلاث هجرات يهودية الأولى كانت في القرن الثاني الميلادي (2م) وانطلقت من ليبيا نحو توات والثانية كانت في القرن السادس الميلادي (6م)، وكانت من الموصل ثم انضمت إليها جالية من يهود خبير في الصحراء المصرية الليبية واتجهت نحو توات، وأما الثالثة فانطلقت في القرن السابع ميلادي (7م) من الأندلس إلى المغرب لتصل إلى توات في القرن العاشر الميلادي(10م).[4]

---

[1]- عبد الرحمن (بن عبد الله السعدي)، المصدر السابق، 1981، ص7.

[2]- مبارك (جعفري بن الصافي)، العلاقات بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص-ص 46-47.

[3]- مبروك (مقدم)، مرجع سابق، ص 81

[4]- مبارك (جعفري)، مرجع سابق، ص 48

يرى البعض أن توافد اليهود ازداد بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، هربا من قمع الإسبان لهم ونزلوا من أقصى الشمال إلى الصحراء، وقد تم طردهم بموجب مرسوم(03)مارس 1492م فهربوا إلى بلاد المغرب،[1]وقد شكل اليهود جالية كبيرة في توات واشتغلوا بالتجارة، وسيطروا على طريق القوافل التجارية، وكان لهم حضور قويا في المجتمع، إلى أن أظهروا الفساد فحاربهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.[2]فتراجع تواجدهم في توات، وقد ساعدتهم الطرق التي وجدوها بتوات على الإشتغال بالتجارة، لكون المنطقة تقع على طريق القوافل التجارية،كما استغلوا هشاشة القيادة المحلية لتفشي الصراع الداخلي بين القبائل على رئاسة القصور، التي بمرور الأيام تضاءلت مقدرتها على السيطرة على الأوضاع، واستحدثوا التعامل بالربا داخل المجتمع، وكانت لهم قصورا تختلف عن باقي القصور الأخرى حيث أدخلوا نمطا معماريا جديداً، يتميز بكونه يبنى في موقع عال ليسهل عملية المراقبة كما يحاط بخندق تصب فيه الفقارة توضع ثقوب للبندقية على جنبات الجدران وتُعلىّ الأسوار ويكون هناك باباً واحداً للدخول والخروج، ويضاف للجدار الخارجي جداراً ثانيا للمزيد من الحيطة، وتحتوي بيوتهم على دهاليس تحت الأرض للهروب، والإختباء فيها وأيضا لحفظ التمور والأغلال التي يفسدها الحر.[3]

وتوجد منهم فئة أخرى وتسمى المهاجرية، وهم المسلمانين من اليهود وهم الذين إعتنقوا الاسلام وكونوا طائفة خاصة، ويتواجدون في توات ومناطق أخرى وسموا بذلك الإسم لأنهم هاجروا دينهم إلى الإسلام أو هم اليهود الذين إعتنقوا الإسلام، ولم يختلطوا بالمسلمين وامتنعوا عن مصاهرة الأجناس الأخرى ربما كان اعتناقهم للاسلام من باب المحافظة على مصالحهم بحيث

---

[1]- مبروك (مقدم)، المرجع السابق، ص 82.

[2]- ولد سنة 813هـ/1428م، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاد المغيلي، وهو محمد بن محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني:بن عمر بن مخلوف، أخذ تعليمه الأول على يد والده ودرس عليه الموطأ، ثم درس على يد الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى الشهير بالجلاب التلمساني ومحمد بن أحمد بن علي بن يحي الحسن أبو يحي التلمساني، انتقل إلى بجاية فدرس على يد أحمد بن براهيم البجائي وعدد من علماء بجاية عاد بعدها إلى تلمسان ليعلم بحادثة الانقلاب على حاكمها التي اتهم بها العلماء ونصح بالهرب، فتوجه إلى الجزائر قاصدا عالمها الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، فدرس بالمدرسة الثعالبية، ولخصاله زوجه ابنته، وبعدها انتقل المغيلي الى أرض توات ونزل بأولاد سعيد بمنطقة قورارة حوالي 856هـ/1452م لينتقل بعدها إلى تمنطيط، ينظر مبروك (مقدم)، مدونة الفقه الجدلي- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وآثار، دار القدس، الجزائر،2011م، ص، ص 13-20

[3]- مبروك (مقدم)، مرجع سابق، ص 82.

يظهرون الإسلام ويؤدون طقوسهم اليهودية في السر.[1]غير أن هذه الفئة ليس هناك من دليل أو إشارات عن وجودهم أواخر القرن التاسع عشر في المجتمع التواتي، ولكن هناك بعض الآثار التي عثر عليها المستكشفون الفرنسيون مثل ماذكر غوتيي، أنه عثر في أحد قصور بودة، وهو قصر غرم أملال على نقش يهودي على حجر، والسكان لم يولوه أهمية لأنهم كانوا يستخدمونه في البئر، ولايعرفون تاريخه ولا أصله. وقد أشار جيراردرولف إلى أحفادهم الذين اندمجوا في المجتمع، ولم يعد لهم وجود خلال فترة زيارته لتوات خلال القرن التاسع عشر، وخاصة تمنطيط.[2]

ثانيا- التمايز[3]وظهور الطبقات في المجتمع: شكلت هذه المجموعات الوافدة إلى توات تركيبة اجتماعية لها خصوصياتها، ومميزاتها وذلك بعد اندماجهم في مجتمع واحد، لكن مع ذلك بقيت الفوارق واضحة بين السكان، الأمر الذي أدى إلى ظهور التراتبية الاجتماعية والتمايز، المتمثل في الفئات الاجتماعية أو الطبقية[4] وانقسم المجتمع إلى عدة طبقات بناء على مكونات مبنية على أسس مثل العرق أو اللون، أو اللغة، أو الدين أو بناء على الوضعية الاقتصادية،كانت له عدة انعكاسات على المجتمع التواتي سواء إيجابية أو سلبية.كما أن استخدام لفظ الطبقة في المجتمع الغربي تختلف عن المجتمع الإسلامي.

في اصطلاح علماء الاجتماع نجد معنى الطبقات الإجتماعية(classe socials) وطبقة (classe)المشتق من كلمة(classis) اللاتينية والتي تعني في الأصل مختلف فئات المواطنين، مع

---

[1]- مبارك (جعفري)، مرجع سابق، ص 49.

[2]- R.Gerhard, op.cit, p104

[3]- تَمَايَزَ (فِعل) يَتمايزُ ،تَمَايُزاً ،فهو مُتمايِزٌ، تمايزتِ الجماعَةُ: تفرقت وتخاصمت ،وتمايز في عمله على الآخرين :اختلف تفرد وتميز عنهم ونافسهم، وتمايَزَ القومُ :تحزّبوا وتفرقوا واختلف بعضهم عن بعض وتوزعوا بين عدة أحزاب، معجم المعاني الجامع ، ar-ar< https://www. almaany.com تاريخ الزيارة:2023/5/15.الساعة10:00 صباحا.

[4]- الطبقة لغة تحتمل عدة معاني فالطبق غطاء كل شيء نقول قد طابَقَهُ مطابقةً وطباقاً، وتطابَقَ الشيئانِ:تساويا والمطابقة المرافقة، والتطابق الاتفاق.ومنه قولهم: وافق شنٌ طبقة، والسموات الطِّباقُ سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضاً لأن بعضها فوق بعض.قال الليث: السموات الطِّباقُ بعضها على بعض وكل واحدة من الطباق طبقة ويذكَّر فيقال طبقٌ، وقال ابن الأعرابي: الطبقة الأمة بعد الأمة بمعنى الأمة التي تأتي بعد الأمة، وقال الأصمعي الطِّبقُ بالكسر، تعني الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم. ويقال عند العرب طبَّق الماء وجه الأرض أي غطاه، وطبقُ الأرض وجهها وطِباق الأرض ما علاها، وطبقات الناس في مراتبهم، وجاء في حديث لابن مسعود في أشراط الساعة: توصل الطبقات وتقطع الأرحام ويقصد بالأطباق البعداء والأجانب. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ص2636

تمييزهم على أساس الثروة أو الممتلكات، وهناك العديد ممن استخدم هذه الكلمة في معان متنوعة ،وغالبا ما تكون غامضة سواء كانوا من مؤسسي الاقتصاد السياسي أمثال آدم سميث ودافيد ريكاردو أو مؤرخين لبيراليين فرنسيين مثل أوغوستين تيريي وفرانسوا غويرو أو الاشتراكيين، ومنهم جوزيف ويدمر الذي شكره الشيوعيون إذ أعطى تصوراً واسعاً يرتكز على نظرية المادية الجدلية لقيمة العمل والأنماط الإنتاجية من خلال توضيح العلاقة بين الاستغلال والسيطرة، إن أخذ بعين الإعتبار الشرفاء(شريف روماني)والعاملين والأعيان والرق ومديري مجلس المحلفين(الأسياد) والرفاق البورجوازيين، والبروليتاريين، والصراعات والمعاداة بين القامعين والمقموعين.[1]

كل هذه الفئات تشكل لحمة العلاقات الاجتماعية ومحرك التاريخ، المحرك الأول يشكل فيه تفقير العامة مقابل إثراء الأقلية من المميزين. وأكثر المعاني شيوعا للطبقة أنه يشير إلى تقسيم أو نظام أو رتبة، أو درجة اجتماعية فتجد الطبقات الدنيا والوسطى والعليا، وهذه التقسيمات فجة عند المتأثرين بالتمايز الطبقي فكل مكون يمكن تقسيمه تقسيما فرعيا ليظهر مواقع الوسط، الأعلى وغير ذلك، وكان المجتمع البريطاني مهوسا بهذه التقسيمات الدقيقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.[2]

إن استخذام لفظ الطبقة قد طرح عدة إشكالات لدى الباحثين العرب حول استخدامه في الدراسات التاريخية بين مؤيد ومعارض، أما الطرف المعارض فلم يعطي تبريرات مقنعة سوى أن المصطلح معاصر وأوربي النشأة، ويختلف في تطوره عن مجتمعنا الاسلامي، وهذا راجع إلى خروج الدراسات عن طابعها العلمي، وقد يزول التعارض في حال كانت هناك دراسة علمية بقواعد منهجية.[3]

كانت هناك مثلا بعض الدراسات لبعض المجتمعات الإسلامية كالمجتمع المرابطي كنموذجا، في مسألة استخدامهم للفظ الطبقة، فيشار إلى أنهم استخدموه وإن لم يستعملو اللفظ بعينه فقد عبروا عنه بمقاييس أخرى أخلاقية أو نسَبية، فالقاضي عياض الذي كان قاضيا لدى

[1]– جيل (فيريول)، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر، انسام محمد الأسعد، دار الهلال، بيروت، ط،2011، ص 48

[2]– طوني (بينيت)ولورنس (غروبسبورغ)وآخرون، مفاتيح إصطلاحية جديدة– معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ،ترسعيد(الغانمي)، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت،2010، ص 445

[3]–ابراهيم(القادري بوتشيش)، تاريخ المغرب الاسلامي، قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط1، دار الطليعة، بيروت،1994م، ص8

المرابطين، قسم المجتمع إلى طبقتين الخاصة والعامة، وكذلك الحضرمي[1] قاضي المرابطين بمنطقة أكدر الذي حصر المجتمع وفق معيار أخلاقي في ثلاث طبقات طبقة ينتسب أهلها إلى الوجاهة والكرم والفضل، وطبقة عد أهلها من اللئام والسفلة، ثم طبقة ثالثة تتوسط بينهما، كما تحدث ابن باجة أحد كبار فلاسفة الأندلس في كتابه تدبير المتوحد أن المجتمع مقسم إلى أثرياء لا يهمهم سوى إشباع شهواتهم الحيوانية، وطبقة وسطى تهتم بالمظهر كوسيلة للتقرب والتزلف للأعيان، وأن المجتمع مقسم سياسياً إلى رؤساء ومرؤسين[2].إن التقسيم الطبقي متجدرا في المجتمعات المختلفة إلا أن هناك فروق واختلافات من مجتمع إلى آخر

أما محمد الغزالي فقد أشار إلى نوعين من الطبقات:"الطبقات المترفة والطبقات البائسة، وأن الترف له تاريخ يضرب في أغوار القدم، وله مظاهر مادية وأدبية، وآثار عرفها المتقدمون والمتأخرون من سكان الأرض.والبؤس أيضاً له تاريخه وجذوره، وصوره ومعالمه معروفة، ويرى أن البؤس والترف تواردا على البشرية ولكن ليس بالتساوي كما يختلف الليل والنهار اختلافاً منتظماً، بحيث يستوي فيه الأحياء كافة في الانتفاع بهنائه والهدوء في ظلامه." كما أن للتقاليد دور كبير في إيجاد هذه الطبقات وتقريرها.كما قسم أبو حامد الغزالي(ت505هـ/1111م) الذي عاصر المرابطين المجتمع المغربي إلى طبقين: منتجة تتكون من الفلاحين، وصناع، وطبقة مستهلكة لايهمها إلا التلذذ بالنعم، وطبقة تقوم بجمع المال وادخاره وأخرى تهتم بالتجمل في الملبس والمظهر وتسعى إلى الخطط والولايات.[3]

كما وردت في خزائن توات ومخطوطاتها عدة ووثائق تشير إلى الفئات المشكلة للمجتمع أومن خلال الإشارة إلى ببعض الألفاظ التشريفية الدالة على مرتبة أو مكانة الشخص داخل المجتمع التواتي، واستخدمت أيضا من طرف القضاة في سجلات المحاكم الشرعية مثل الشريف أو

[1]-محمد بن الحسن لقبه أبوبكر المُرادي الحضرمي عاش في القرن الخامس الهجري وتوفي سنة489هـ ودفن بآزوكي في صحراء موريتانيا، عالم بالاعتقاد والأصول والأدب من المرابطين، موقع إلكتروني إسلام أون لاين، islamonline.net، تاريخ الزيارة يوم 2023/05/10، الساعة 15:00زوالا.

[2]- ابراهيم (القادري بوتشيش) مرجع سابق، ص 8

[3]- نفسه، ص 9

سيدي مولاي، أو لفظ المرابط، الحرطاني[1]أو خراص مثلا في أحدى النزاعات الواردة في سجلات قضاء المحاكم الشرعية المتعلقة بحل نزاع بين مالك حول تقسيم غلة جنان.[2]

ما يستخلص من جملة التعريفات اللغوية السالفة الذكر أن ابن الأعرابي والأصمعي وما جاء أيضا في حديث ابن مسعود أقرب التعريفات إلى مصطلح الطبقية المقصود ، ذلك أنه قال: أن الطبقة تعني الأمة بعد الأمة، وابن الأصمعي قال: الطِّبق بالكسر تعني الجماعة،[3] والكل يصب في معنى واحد وهو مجموعة من الناس، وطبقات الناس مراتبهم، بمعنى أن هناك تراتبية بين الناس منهم من هو في المرتبة الأعلى ومنهم من هو في المرتبة الدنيا، فقد أوضح ابن مسعود أنه من علامات الساعة أن الناس يقطعون أرحامهم، ويصِلون منهم أجانب عنهم، أو كما قال البُعداء وهنا يمكننا أن نناقش لماذا يتخلى الناس عن أرحامهم، ويصلون من هم أبعد منهم أو أجانب عنهم، فقد يكون ذلك لمرتبتهم أو لعلو شأنهم أو لمالهم أو لمصلحة. أو خلوا عن أرحامهم أو عكس ذلك ربما لدنو المكانة أو الفقر أو العداوة،[4]وبالتالي هناك تمييز أو فرق بين الإثنين وهو ما تعنيه الطبقة.

I – عوامل التمايز الاجتماعي

أ- العوامل الاقتصادية: يعتبر العامل الاقتصادي أحد أبرز هذه العوامل التي ساهمت في خلق هذا النوع من التقسيم داخل المجتمعات ككل وليس في المجتمع التواتي فحسب، وفي مجتمعاتنا الإسلامية. وهذا العامل يرتكز في أساسه على أمرين مهمين هما: ملكية الأرض وملكية رأس المال ويضاف إليه عنصراً آخر في توات هو ملكية الماء، فكل من امتلك هذه الأشياء في معظم المجتمعات إلا وكانت له مصدرا للثراء الذي يحدد المكانة الاجتماعية، وإذا افتقر المرأ لهذه كان أقل مكانة في المجتمع، وهنا يمكننا الرجوع إلى قول:الشيخ محمد الغزالي حول البؤس والترف وكيف يكون لهما دورا في تحديد الطبقة التي ينتمي إليها الشخص فيقول:"...ونجد توارد آخر يختلف جعل ظلام البؤس قسمة لبعض الناس يعيشون فيه أبدا ويفقدون فيه أبصارهم، وجعل شعاع

---

[1]- ع.م.ش.ق.ب 1900-1935، ترتيب، بابا عبد الله.خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

[2]- عبد الله (بابا)، مرجع سابق، ص103

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ص2636

[4]- نفسه ، ص 2636

النعمة مشرقا على بعض آخر فهم يعيشون فيه أبدا ويعمون فيه أيضا."[1] وبالتالي ليس هناك مجتمع خال من الطبقات فهناك الغني والفقير ويقول:"وفي ظهور الترف والبؤس توجد الطبقات المترفة والطبقات البائسة، ويولد نظام الطبقات ويحدث التظالم الفردي والاجتماعي والسياسي، وتنشأ معاني السيادة والرق والقداسة والضعة ..."[2]

1-ملكية الأرض: تعتبر من العناصر الأساسية لهذا التحول في المجتمعات العربية وذلك بتحول ملكية الأرض من الملكية العامة إلى الملكية الخاصة وأصبحت مسألة توزيع الأراضي الأساس الأهم في تكون الطبقات، فما فعله الفاطميون في أواخر عهدهم، والمماليك والعثمانيون الذين أسندوا إدارة الأراضي إلى ملتزمين كان بإمكانهم تغييرهم، لكن بعض الملتزمين حصلوا في القرن السابع عشر على حق توريث التزاماتهم، وبدأ هذا الالتزام يتحول إلى ملكية خاصة في مطلع القرن التاسع عشر، وبتثبيت الملكية الخاصة جرى تحول تدريجي"لجماعات ذات مكانة اجتماعية" إلى "طبقات إجتماعية "تسيطر على إحدى أهم وسائل الإنتاج، وهي الأراضي الزراعية التي لم تعد متاحة للجميع.

طرحت ملكية الأرض وتأثيرها على المجتمع الجزائري والمغربي قبل الاستعمار عدة إشكالات تناولتها بعض الدراسات الفرنسية منها دراسة ل.غارودي (R.Garaud) وم.غودليي (M.Golelier) وغيرهم وحاول البعض دراسة ملكية الأرض في الجزائر قبل الاستعمار والإشارة إلى الملكية الجماعية (القبيلة والعروش والمشاع)،[3] وبعد دخول الاستعمار سيطر الأجانب على جل الأراضي الزراعية ومع مرور الوقت ظهر التمايز بين الملاك الجزائريين والمعمرين، ونسب التمايز الطبقي للاستعمار. ومناقشة إشكالية هل هذه المجتمعات طبقية إقطاعية على غرار الاقطاعية الأوربية، وما أحدثته من فوارق اجتماعية وطبقات داخل المجتمع الأوربي.[4]

---

[1]- محمد (الغزالي)، مرجع سابق، ص16

[2]- نفسه، ص 16

[3]- الطيب (شنتوف)، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،(دط)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دس، ص 47.

[4]- حليم (بركات)، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1884م، ص -ص 142-143.

فأشار ل. فالانسي إلى ما أطلق عليه النمط الإنتاجي القديم فكانت الجزائر مثلا قبل الاستعمار تعيش إثنية البربر والعرب وقبائل المخزن أو المرابطين، وكانت الفئة الأخيرة تستفيد من حصانة ضريبية ومزايا لكن هذه الاختلافات لم تغير البنية الاجتماعية العامة للمجتمع المكونة من خلايا تعيش منطوية على نفسها بالقاعدة، وتوجد تجمعات إثنية(القبيلة أو القرية)تضم عائلات تنحدر من نفس الأصل، وتسيطر على أراضي محددة.[1]وتستمر هذه البنية بفضل التعاون والتويزة[2].

ولكن تظهر هيمنة الجماعة على الجماعة، وليس هيمنة السيد على الجماعة بقرية مثل ما هو عليه الحال في الاقطاعية الغربية، وتحفظت حول وجود تعارضات اجتماعية في نمط عيش كبرى العائلات، واستغلال العامة من طرف الزعماء، وأنه خلافا للمجتمع الاقطاعي فإن الجزائر ما قبل الاستعمار لم يكن لا اللباس، ولا الأثاث، ولا أي من تجليات الرفاه الأخرى تميز بين أفراد المجتمع.وقال: أ.نوشي لمن اعتبر أن مصدر البؤس هو الإسلام والأتراك في الجزائر، أنه لا يعتقد بوجود ترتيب سُلَّمي بل تساوي بين أرباب العائلات لكون كل أسرة تمتلك منطقتها الزراعية سواء(كانت ملك أو عرش أو مشاع) ولكونها تشكل تنظيم هرمي نواته القبيلة.[3]

كما لا تشكل الأبراج، والقلاع والقصور تجليات معمارية للإقطاعية، وفي أحسن الأحوال كانت تمثل حصوناً للحكومة التركية وظيفتها عسكرية وبالتالي لا يجب الخلط بينها وبين السادة التي تدلل على الإقطاعية.[4]

أما الرأي الآخرل (روني غاليسو) الذي يرى أن المجتمع الجزائري قبل الاستعمار مجتمع إقطاعي طبقي يمتاز بإقطاعية من نوع خاص، ويجب فهم الآلية الداخلية للاستغلال واكتشاف وهْم النمط الجماعي في كامل صيغ الملكية، لأن الأساس يتمثل في ملكية منتج العمل الذي يقود

---

[1]- الطيب (شنتوف)، المرجع السابق، ص 46-49

[2]-وتعني التضامن، ولديها في توات إيقاع، وأصل الإيقاع مبني على فكرة العمل الجماعية، والهدف منه هو تنشيط العمال وتحفيزهم نحو العمل أكثر. ينظر، أحمد أبا (الصافي جعفري)، اللهجة التواتية الجزائرية، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، ص 401

[3]- الطيب (شنتوف)، المرجع السابق، ص-ص 46-47

[4]- نفسه، ص 50

إلى الملكية الخاصة التي"تخفي الصيغ الجماعية حتى الاستغلال يجرى داخلياً عن طريق الاستيلاء على منتج عمل أعضاء الجماعة."[1]

2.ملكية رأس المال:

تعتبر ملكية رأس المال خاصة في قطاعات التجارة، والمال والصناعة العامل الثاني بين العوامل الأساسية التي ساهمت في تكون الطبقات، وتقسيمها في المجتمع العربي التقليدي لقد أسهم هذا العامل في ظهور الطبقات البرجوازية القديمة، والجديدة في مختلف المدن العربية، ومما يزيد من أهمية ملكية رأس المال ارتباطه بالنظام الرأسمالي العالمي منذ منتصف القرن التاسع عشر على الأقل، وارتكازه قبل ذلك على التجارة البعيدة المدى بين القارات الثلاث، وازدياد أهميته منذ الخمسينات في تبلور وتكون الوعي الطبقيين.[2]

ب- العامل الاجتماعي(النسب والمكانة الاجتماعية):

توجد ظاهرة في المجتمعات العربية هي: أن الأفراد والجماعات يرثون انتماءهم الطبقي من العائلة وفيها يتعلمون القيم، والأصول الطبقية، وهذا بدوره يضمن انتقال الثروة ضمن العائلة وهذا جعل منها قوية، وقادرة على مواجهة الظروف المستجدة، وتستطيع المحافظة على مكانتها في ظل النظام القائم، ومن تم تكونت تقليدياً فكرة النسب، فأصبحت الوجاهة تنتقل من جيل إلى آخر مثل ما تورث الأشياء المادية الأخرى، وأصبح النسب سبباً في حصول العائلة عن الثروة، والنفوذ وهو ما أدى إلى بروز التقسيم الطبقي في المجتمع العربي، فقد كانت قريش مثلا تتشكل من طبقة التجار، وكانت تسيطر اقتصادياً وسياسياً ودينياً حتى الانتساب لقريش، ولعائلة النبي صلى الله عليه وسلم، يجلب معه فيما بعد ثروات طائلة عن طريق المتخصصات، والهدايا، وامتلاك الأراضي فنشأت الطبقة الأرستقراطية التي تقوم على الملكية، والنسب الرفيع.[3]

ج-العامل الجغرافي: والموقع الجغرافي للإقليم كونه وسط بين دول الشمال الإفريقي وبلدان الساحل الإفريقي، ومنطقة عبور للقوافل التجارية، وقوافل الحج عاملاً لاستقرار أجناس مختلفة فيه.

---

[1]- الطيب (شنتوف)،المرجع السابق، ص 54

[2]- حليم (بركات)، مرجع سابق، ص 143-144

[3]- نفسه، ص 146

د-العامل التاريخي: وقد يعود بنا هذا العامل إلى عصور وعهود سحيقة من التاريخ فعديد الدراسات التاريخية تتحدث عن إعمار المنطقة(الصحراء الكبرى)، والأجناس الأولى التي هجرت إليها منذ الألف السادسة قبل الميلاد، ما يطلق عليهم عائلة اللغات الحامية المختلطة بالعائلات السامية، وترجع أصلاً إلى منطقة اليمن، والصومال وشرقي إفريقيا، ويرى البعض أنهم ينتمون إلى ما يطلق عليهم الشعوب الحامية التي جاءت عن طريق شبه جزيرة سيناء، أو القرن الإفريقي موطنها الأصلي، وأن سبب السمرة الشديدة، والشقرة أن هؤلاء في رحلتهم اتجهوا نحو الجنوب مروراً بإفريقيا الشرقية باتجاه الصحراء فامتزجوا بالعنصر الزنجي، أما الذين مروا عبر الطريق الساحلي حافظوا على سماتهم الأصلية اللون الأبيض.[1] كما أن للعلاقات التاريخية بين إقليم وتوات والصحراء الشرقية للمغرب الأقصى، وسلاطينها كان لها دور كبيراً في ذلك، فيظهر انقسام المجتمع إلى طبقات اجتماعية بشكل واضح لدى سكان القصور المشكلين لهذه المنطقة أكثر منه عند البدو الرحل، ويمكن للزائر لأي واحة من تلك المنطقة أن يميز فيها بين ستة أصناف من الفئات الاجتماعية، وهي نفسها المتواجدة بقصور توات وهي: الأشراف، المرابطين، العوام، الحراطين العبيد، اليهود .[2]كما أن هناك عدة اعتبارات في تقسيم المجتمع التواتي .

ه.إعتبارات أخرى

1- **اللغة**: وجدناه ينقسم إلى عرب وبربر، وقد تمت الإشارة إلى نزول العرب والبربر في إقليم توات.

2- **اللون**:أبيض وأسود[3]ولعله بحكم الموقع الجغرافي للاقليم الواقع ضمن جغرافية الصحراء الكبرى الإفريقية وعلى مشارف بلدان إفريقيا الغربية دورا في اختلاف الأجناس.

3- **النسب**:شريف وعربي (وحر ومرابط وحرثان وعبد).

II-الطبقات الاجتماعية:

[1] -عيسى (محمد علي)، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط2، دار الكتب الوطنية ليبيا، 2012، ص68

[2] - روس(إ.دان)، المقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912م، (دط) تر، أحمد بوحسن، مراجعة، عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006،ص 45

[3] -Selka Abd Erahman, Notice sur le Touat :Bulletin de la société de géographie d´Alger: l´Frique de Nord,imprimerie Algérienne,1922,p325

1: طبقة الأشراف

يعرفها:(Martin) "بأنها تتشكل من أبناء فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم التي تزوجت بعلي ابن أبي طالب رضي الله عليه، وأنجبت منه الحسن والحسين، وهم المؤهلين ليكونوا أشرافا."[1]وهي أيضا الفئة التي ورثت هذا اللقب لانحدارها من أجدادها المنتسبين للأسرة العلوية، وشكلوا جماعة مستقلة تحظى بالاحترام لاستنادها على الإرث الديني والاقتصادي. وينطبق مفهوم الأشراف كما حدده (ل .بيك) على الإعتقاد في الأشراف حيث يقول: هو ظاهرة يطالب أناس عن طريقها التمتع بامتياز يستند إلى كونهم ينحدرون من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، وبفضلها يتصورون أنهم يمتلكون بعض الصفات أوحقوق معينة أو نفوذ ما، أو بفضلها يرون أنفسهم قد اكتسبوها."[2]

يصدق هذا على الأشراف في توات وقورارة، وهو نتيجة عمل قام به الرجال المسؤولين عن شؤون الدين اتجاه السكان حتى تتخذ وضعيتهم وجهة مؤسسة مهيمنة، وهذه الوضعية تعتمد في نفس الوقت على الإنتماء، وصلات النسب التي تربط الشرفاء بالبيت النبوي الشريف، وهذا ما يجعلهم يشكلون مجموعة نخبوية من حيث التضامن الذي يوحد بينهم بمنأى عن مراعاة المكان الذي يعيشون فيه، ومن العلاقة بالمخزن الشريفي بالمغرب فهم معفون من دفع ضرائب، كما أنهم معنيون بالهبات التي ترسل إليهم.[3]هذا الإعتقاد هو الذي منح لهذه الفئة المكانة داخل المجتمع التواتي وحتى الأولياء الصالحين أنفسهم كانت لهم هذه الرؤية أو الإستراتيجية لنشر هذا الإعتقاد من خلال الإحتفالات بالأولياء الصالحين، والتقديس.[4]

من الأمثلة التي استشهد بها(Martin) عن كيفية تشكل المكانة الإجتماعية للأشراف عندما تحدث عن قافلة للحجاج من ذراع في قورارة، والتي كان على رأسها سيدي الحاج بلقاسم

---

[1] -A.G.P. Martin, Quatre siècles, op cit; p17

[2]- رشيد (بليل)، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، تر عبد الحميد (بواير)، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ والأنتثربولوجيا والتاريخ، 2008، الجزائر،ص134

[3]- نفسه، ص134

[4]- نفسه، ص134

وفي طريقهم توقفوا عند أحد الأشراف يدعى الشريف مولاي حسن في بيته، ثم بعث سيد الحاج أبنائه يحملون بركاته إلى القبائل العربية المجاورة التي بعثت له بالهدايا.[1]

هنا نكون بصدد الحديث عن التبرك بالأشراف، والأولياء هذه الظاهرة التي أصبحت وكأنها أحد القوانين المسيرة للمجتمع التواتي، وأعطت مكانة كبيرة للأشراف، ومن بعدهم المرابطين تصل إلى درجة التقديس للأولياء، من خلال الطقوس التي تقام خاصة في الاحتفالات بالزيارت (الوعدات).وقد وردت نصوصاً عدة في عقود سجلات المحكمة الشرعية لتوات يتبين ويظهر من خلالها المكانة التي كانت للأشراف في توات، ودرجة التعظيم والتبجيل التي منحت لهم من لدن السكان، وأهل العلم والقضاء أيضا، ومنها استخدام ألفاظ التبجيل، والرفعة كلفظ "سيدي"، ولفظ"مولاي" مثل قوله: على يد الفقيه الأشرف مولاي اسماعيل بن سيدي جلول.. أو قوله:« لما كثر الخوض والنزاع بين الشريف مولاي عبد الرحمن بن سيدي محمد البرباعي القاطن بـ...»[2]وقد خُص الأشراف في توات بلقب مولاي تمييزاً لهم عن غيرهم.

2-طبقة المرابطون: يطلق هذا الإسم في منطقة السوس بالمغرب، والصحراء الشرقية المغربية على سلالة المرابطين أي سكان الرباطات الذين رابطوا في سبيل الله للجهاد، والعبادة، والاعتكاف وكانت المقاومة، في التعوذ والحدود.وينسب المرابطون عادة إلى جد مرابط أو سلالة علماء، ويكون قد اختص أجدادها بضريح، وهذا ما يشكل لهذه الفئة مصدراً للاعتزاز والافتخار، وهم معفين من الضرائب مثلهم مثل الأشراف، وهم من الفئة المرموقة في المجتمع.[3]

تتلقى كل سنة مبالغ مالية من بيت المال، وكان سلاطين المغرب يرسلون في طلب البيعة من أهل توات المرابطين ففي عام 1140ه-1727م أرسل السلطان عبد الملك إلى المرابطين أولاد سيدي بلكبير، وسيدي محمد وزاوية كنتة وعريان الرأس وأولاد شيخ عبد الكريم، والشيخ بلقاسم وأبناء الشيخ علي بن موسى في تمنطيط، طالبا منهم البيعة وحرروها له ووصفوه بأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وذكر(Martin)إن رتبة مرابط تأتي بعد الأشراف، وأنهم شخصيات أو عائلات منتشرة مثل العائلات الشريفة في مختلف القصور التي يمارسون فيها سلطة محلية، وفي

---

[1]- رشيد بليل، المرجع السابق، ص 135

[2]-ع.م.ش.ق.ب-1900م-1935م، در، 318-1923، ترتيب، عبد الله بابا، مرجع سابق، ص120

[3]- روس(إ.دان)، مرجع سابق، ص 45

نفس الوقت لفظة مرابط كانت تطلق على أصحاب الزوايا، كما كانت لهم أدواراً داخل المجتمع، فكانوا يقيمون مراكز للتعليم في القرى ومقرات للطرق الدينية، ويهيئون أماكن الزيارة ويقومون بالوساطة السياسية والتحكيم بين الناس، ويكون شيخ الزاوية من أبناء الولي الصالح أو شخص آخر، ويدعى المرابط[1] بلقب"السي".وهم لا يشكلون جنساً خاصاً لكنهم موجودون ببعض القصور، ودخل المرابطون توات بعد هزيمتهم أمام الموحدين،[2]وذكر (Voinot).عند حديثه عن سكان تيديكلت أن عدداً قليلاً من العرب أشرافاً، بينما هناك عدداً كبيراً من المرابطين.[3]

3.**طبقة الأحرار**:وهم المنحدرين من أباء وأمهات أحرار، سواء كانوا عرباً أو بربراً، وحسب ما ذكره(سلكة) أن الأحرار كانوا هم السادة، وكانوا يحتكرون الممتلكات التي يشغلها السود ويذهب إلى أنه يقسم طبقة الأحرار على ثلاث أقسام :الأشراف، المرابطين، والعرب، والزناتيون لأنه يرى أن المجتمع التواتي حسب العرف مقسم إلى أبيض وأسود، وأن الأحرار يمثلون الطبقة الأولى وهي البيض. والعبيد السود يشكلون الطبقة الثانية.والطبقة الأولى هي الأقل نشاطاً والأكثر خمولاً وكانوا يمثلون نهاية القرن(19) التاسع عشر حوالي(28%)من مجموع السكان.[4]

رابعا:طبقة الحراثين:[5]هذه التسمية أثيرت حولها العديد من الفرضيات، مبعثها أصل كتابتها بالثاء أو الطاء، ولكل منهما معنى فعند جل المؤرخين في المغرب الأقصى(الحرطاني)وقد أوردها صاحب

---

[1] -A.G.P. Martin, Quatre siècles, Op cit, pp 21-22

ينظر أيضا: روس(إ.دان)، نفسه، ص 45

[2] - A.G.P. Martin, op cit, p21-22

[3]-Louis.Voinot : Le Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire, les moeurs du pays :repord en fasion, L.voinot, 1909, pp, 28-29

[4] -A. Selka, op cit, p522

[5]- وقد وردت كلمة الحرث والحرثان في معاجم اللغة بعدة معاني منها الكسب وجمع المال، والجمع بين أربع نسوة، والزرع، وتحريك النار، وتهيئة الحراث، وهي الحُرثةُ بالضم أيضا، فعل الكل يحرِثُ، ويحرُثُ، وبنو حارثة: قبيلة والحارثيان منهم كثيرون وذو حرث،كزفر ابن حجر، وحُرثانُ بالضم إسم، والحارثان في باهلة هما:ابن قتيبة وابن سهم وسموا حارثة وحُوَيْرِثًا وحُرَيْثًا وحُرْثَان بالضم وحراثا، الفيروزآبادي، وأيضا حرث الرجل المال بمعنى جمعه فهو حارث وبه سمي الرجل و(حرث) الارض (حرثا)أثارها للزراعة فهو (حرّاث)ثم استعمل المصدر إسما وجمع على(حروث)واسم الموضع محرثٌ وقوله تعالى:نساؤكم حرث لكم مجاز على التشبيه بالمحارث فشبهت النطفة التي تلقى في أرحامهن للإستيلاد بالبذور التي تلقى في المحارث للإستنبات، وقيل (الحرث)، موضع النبت .ينظر الفيروزأبادي، مصدر سابق، ص344، وأيضا الفيومي أحمد(بن محمد بن علي الحموي) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط2، ج2، تح، عبد العظيم الشاوي، دار المعارف، القاهرة، 2016 م، ص127.

الاستقصاء حيث قال:« واعلم أنه وقع في هذه الأزمان لفظ الحرطان، ومعناه في عرف أهل المغرب العتيق، وأصله الحر الثاني كأن الحر الأصلي حر أول، وهذا العتيق حر ثان ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني.على ضرب من التحقيق».[1]وهذه الأخيرة لم أجد لها شرح في معاجم اللغة، أما التسمية الأخرى التي أوردها أيضا (الحُر الثّاني) إذا حذفت الألف واللام صارت (حرثاني) بمعنى أن هناك حر أول، وحرٌ ثانٍ، ووجد في المعاجم لفظ(حُرْثان) وهو إسم، ووجدت عند العرب تسمية الحُرِيْثَا والحُرثان، وكلها تعود في الأصل إلى الحرث بمعنى الكسب، وجمع المال، والعمل بالأرض.أما محمد أعفيف فيشير إلى أن الحرطاني ليس عبداً يباع ويشترى ويورث، وهو موجود في الواحات وعمله مرتبط بالأرض، ويقول في ذلك:«أن الحرطاني ليس عبداً يباع ويشترى ويورث، وفي نفس الوقت ليس شخصا يتمتع بكامل حقوق الحرية والمواطنة...»[2]وهي الفئة التي يسند إليها العمل اليدوي في الواحات الجنوبية لشرق المغرب الأقصى، ولهم وضعية اجتماعية دنيا مقارنة مع الطبقتين السابقتين.[3]

يتساءل البعض عن تاريخ دخولهم إلى المنطقة، ويعتقد أنهم دخلوا المنطقة قديما في العصور الحجرية، وآخر يرجع أصلهم إلى عبيد غرب افريقيا الذين تزاوجوا مع السكان العرب الأمازيغ ويرى السكان المغاربة البيض أنهم مغاربة من الذين يجمعون الحطب، ويجلبون الماء وليسوا عبيدا وهذا ما يظهر ارتباط التسمية بالعمل.[4]

أما سلكة فيرى:"أنها نتاج تزاوج الأحرار بالجواري."ويرى أنهم أبناء السود الذين اعتقهم أسيادهم لكبر سنهم، حيث لم يعد هؤلاء الأسياد يستفيدون منهم فيعتقونهم بدافع ديني لبلوغ الجنة.ويعتقون فقط من يستحق العتق، وإظهار الإفراط في الولاء، وكان أغلب هؤلاء المحررين لا يعرفون ماذا يفعلون بهذه الحرية فبقوا في خدمة أسيادهم في البساتين كخماسين أو خراصين، والخماس يأخد سدس ماتم جنيه وليس الخمس، وكان الخراس يعيش حياة صعبة لأن مقابل العمل

[1]– ابو العباس(احمد ابن خالد الناصري السلاوي)، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، (ب ط)،ج5، تح وتع الصافي جعفر، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص58

[2]– محمد (أعفيف)، توات مساهمة في دراسة مجتمع الواحات وتاريخها، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، (دس)، ص146

[3]–روس إ.دان، مرجع سابق، ص47

[4]– نفسه ، ص47

والجهد (المأكل والملبس) فحسب، وهذه الفئة نظراً لوضعها الاجتماعي أخدت في تكوين نمط معيشي خاص بها، فأصبح لها ملكيات اشترتها من الأشراف، والأحرار وستكون هي الأكثر ثراء نظراً لاجتهادها وعملها، على عكس الفئات الأخرى التي تعيش في الكسل والرتابة.[1]

ويرى مبروك مقدم: أن لفظ أحرضان في البربرية يعني اختلاط الأجناس، وتعني بالبربرية (أزغاغت)ومعناها الأحمر، ويوجد في تيميمون قصر قديم يسمى تزغاغت يقطنه الحرطان، والحرطان كلمة حورت من حرّاث على صيغة مبالغة لملازمته العمل في الفلاحة، بعد أن كان يقوم بالرعي، والبعض يرى في كلمة حرطاني (انحطاطا أو نقصا) وهي في الأساس غير ذلك لأن مقياس تحديد التمايز الفئوي ما بين الفئات الإجتماعية لا تعتمد على أساس موضوعي بقدر ما هو مبني على أسس لا أخلاقية عرفية، وعاداتية أستغلها البعض لإثارة الفرقة في المجتمع.[2]هذا وقد استخدم هذا اللفظ في توات، بنفس الطريقة التي استعملت في الجنوب الشرقي المغربي، وقد اختصت به واحات توات، على خلاف الواحات الشرقية من القطر الجزائري، ومدن الشمال، وبالتالي فهو صنيعة مغربية تم استغلاله من سلاطين المغرب للتميز بين السكان، والحفاظ على الولاء.وأصبح مصطلح(الخماس)الذي يطلق على الشخص الذي يشتغل على الأقل بخمس الغلة يستعمل كمرادف للحرطاني.[3]وقد وردت كلمة الحرطاني في سجلات المحاكم الشرعية، وفي كتب النوازل مثل الغنية للبلبالي ونوازل الجنتوري.

5. **طبقة العبيد**: العبد كما جاء في لسان العرب حراً أو رقيقا، يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه، جل وعز والعبد: المملوك، خلاف الحر، قال سيبويه هو في الأصل صفة، قالوا رجل عَبدٌ، لكنه استعمل استعمال الأسماء والجمع أَعْبد وعبيد.يقال: فلانٌ عبدٌ بيِّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل، وفي حديث لأبي هريرة:لايقل أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي هذا على نفي الاستكبار عليهم، وأن ينسب عبوديتهم إليه فإن المستحق لذلك الله تعالى:هو رب العباد كلهم والعبيد.قال الأزهري: اجتمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك، فقالوا هذا

[1] -A. Selka, op. cit, p 523

ينظر أيضا، Martin, Quatre siècles , op cit, pp22-23

[2] - مبروك(مقدم)، مرجع سابق، ص-ص 123-124

[3] - روس إ.دان، مرجع سابق، ص47

عبد من عباد الله وهؤلاء عبيد مماليك.[1] والعبد خلاف الحر أي المملوك وهو أعم من القن،وأيضا من يعبد ربه ويطيع أمره عبداً كان أو رقيقا.[2]

والعبد في الإسلام هو ذلك الأسير الذي يقع في يد المسلمين أثناء الجهاد الإسلامي أو الذي يحمل على دار الإسلام على كفره، و يباع في سوق النخاسة، وبما أن إقليم توات هو مجاور لأفريقيا الغربية، وطريق التجارة فأنه لم يسلم من تجارة الرقيق حيث أصبحت هي الرئسية إلى جانب تجارة الذهب، وكانت بلاد السودان هي المصدر الرئيسي لجلب العبيد إلى توات. ويقول (سلكة) في هذا السود:«كانوا العبيد المستقدمون من السودان، وكانوا يباعون بأسواق توات ثم يستغلون لدى الأسياد، وكان مأكلهم، وملبسهم لايكفيهم فيضطروا للسرقة كما كان أسيادهم يزوجونهم لسوداوات يملكونهن ليصبحن ملكهن، وخادمات لهم.»، وكانت النساء تشتغلن كما يشتغل الرجال، وفي هذا إشارة إلى الوضعية الاجتماعية الصعبة لهذه الفئات، فيظهر أنها كانت مشغلة بطريقة قاسية، على الرغم من أن الإسلام قد حرم الاستعباد، ومع ذلك كانت هناك أسواقاً رائجة لتجارة الرقيق في المنطقة، ومن القبائل التي جلبت منها: النبرا- مانيغو- بوبو، وموشي، وهؤلاء لم يكن عليهم الطلب بكثرة لأنهم أقل قوة، وعمل بينما كان الطلب كثيراً على:الهوسا، سارغو، فوتا.[3]

ويمكن أن نستخلص بعض الآثار السلبية والإيجابية لهذه التركيبة البشرية على النحو التالي:

1-السلبية: تتمثل في بعض المظاهر المتعلقة الزواج بين الطبقات حيث مرفوضا خاصة من طبقة الأشراف،والطبقات الأدنى منها، وكانت هناك أسئلة حول الزواج بالحرثانيات في نوازل الغنية، من الأمثلة أيضا: الإمامة التي كانت تقتصر، على الطبقات الأولى من المجتمع، وظاهرة الوصم ، أو التنمر،[4]وهناك أعمالا لا يقوم بها إلا من كان من طبقة الحراثين أو العبيد، وبعضها يقتصر على الأشراف أو الأحرار أو المرابطين، ومن المظاهر السلبية اتخاذ الإيماء وقد وتولد عنه أبناء محرومين من حقوقهم، أيضا توزيع السكان داخل القصر قد تجد في بعض القصور تقسيمات، زقاق العبيد قصبة المرابطين أو قصبة مولاي علي مثلا.

---

[1]-ابن منظور لسان العرب، حرف العين، ص2776.

[2]- محمد عميم الإحسان (المجددي البركتي)، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ/2003م، ص 142

[3]-A. Selka ,op. cit, pp 523-524

[4]- مبروك (مقدم)، مدخل مينوغرافي، مرجع سابق، ص 92

2- الإيجابية:

- على الرغم من بعض السلبيات السالفة الذكر إلا أن التعايش والتعاون ظل موجودا حتى وإن كان البعض يخالف تعاليم الشرع الإسلامي في المعاملات فالأمر ليس معمما، ورغم هذه التقسيمات مثلا: قصبة الأحرار، قصبة المرابطين، قصبة العرب، وهكذا أو الشرفاء فهذا لا يعني بالضرورة أن هناك عداء بين السكان، وأن الفوارق لم تؤدي إلى صراعات، لربما عامل الرضا والحاجة والعوز، والعرف والتقاليد، جعلت كل واحدة من هذه الطبقات متقبل لوضعه الاجتماعي، إلى أن بدأت تظهر مظاهر التغيير مع دخول الاستعمار، بتغير أنماط العمل التي فرضها المستعمر.

- إن الأراضي ومياه الفقارة التي تمتلكها الطبقات الأولى في هرم التقسيم كانت مصدر رزق للفئات الأخرى التي لا تمتلكها، فلم يكن أمامهم سوى العمل في هذه الأراضي بمختلف الصيغ والأنماط سواء خماسين أو خراصين، أو مزارعة أو مساقاة، وكانت وسيلة لكسب أرزاقهم وقوت عيالهم.

ثالثا. التمازج الاجتماعي:

بعد نزوح هذه الأعداد الهائلة من القبائل العربية، والبربرية من قبائل بني يالدس اختلطت القبائل في القصور، وتمكنوا من ترويض الطبيعة القاسية، وظهرت البساتين وواحات النخيل وأصبحت هذه البقعة عامرة، وظاهرة في العمارة والبنيان، وقد وصفها ابن خلدون بذلك حينما ذكر وطن توات الذي واصفاً قصوره بالمتوردة، وأنها بلد مستبحر في العمران، ومركز تجاري، وأشار إلى أنها غصت بالسكان من بنو يالدس، وقبائل زناتة، والبربر كمصاب من بني عبد الواد، وبني مرين وذكر أن معيشتهم كانت تعتمد على النخيل،[1] بالإضافة إلى أن قصور هذه القبائل كانت متجاورة، والمثال على ذلك تمنطيط التي كانت بها قصور للبربر وأخرى للعرب، لقد أدخل العرب إلى الإقليم طابعا معماريا متميزا اندمج بعد مدة مع الطابع المحلي المهجن هو الآخر بالأنماط المعمارية التي دخلت للإقليم نتيجة احتكاكه بأفريقيا الغربية، وقد انعكس ذلك على الحياة الثقافية والاجتماعية، والفلكلورية، والمعمارية، وما يمكن أن نستنتجه هنا هو أن هذه القبائل العربية الوافدة

[1]- ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص-ص 117-119

قد اندمجت مع القبائل الأخرى، وأن هذه الطبقية أو الفئوية رغم تأثيرها الكبير على العلاقات الاجتماعية سواء بالإيجاب أو بالسلب إلا أنها لم تمنع من الاندماج، والتعاون، والعيش في مجتمع واحد متماسك في مواجهة الاعتداءات والغارات الخارجية التي تتعرض لها القصور.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية والأمنية لإقليم توات خلال ق(13هـ/19م):

أولاً- الإدارة المحلية للإقليم خلال القرن(م19):

يعتبر التنظيم الإداري من العوامل الأساسية، والضرورية لاستقرار أي رقعة جغرافية أو إقليم ما. وشكلت حواضر توات مجموعة مترابطة بسلسلة من القصور، والمدن الكبرى الصحراوية التي لها خصائصها، خاصة في القرن التاسع عشر (13هـ/19م)،حيث استمرت الصراعات القبلية إلى غاية دخول الاستعمار الفرنسي.فهل عرف إقليم توات فعلا تنظيماً إدارياً؟ وكيف كان وضعه السياسي والأمني؟

أ- التنظيم والسلطة الإدارية:

بالرغم من الموقع الجغرافي لاقليم توات، وكذا طبيعته باعتباره مجموعة من الواحات الصحراوية المتباعدة، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يتمتع الاقليم بحواضره الثلاث توات، تيدكلت وقورارة، بتنظيم، وسلطة إدارية لتدبير وتسيير شؤون السكان، وضمان أمنهم واستقرارهم وهيكل إداري من صلب المجتمع، ويتماشى مع عاداته وتقاليدته، وفي نفس الوقت نظاماً محكماً يرتكز على وحدات إدارية متناسقة لكل وحدة منها مهامها وأدوارها، وقد وصفه أحد المستكشفين الفرنسيين بالغامض.يأخذ شكل الهرم من وجهة نظري من الناحية الجغرافية، والهيكلية يبدأ من القمة وينتهي إلى القاعدة فنجد في القمة الإقليم ككل، ثم ياتي بعد ذلك المناطق أو الحواضر الكبرى المذكورة سالفا، ثم يأتي بعد ذلك المقاطعات.على النحو التالي: مقاطعة قورارة، ومقاطعة تيدكلت، ومقاطعة توات الأصلية، وكل منطقة منه تحتوي على عدد من القصور يختلف عددها من منطقة لأخرى.أشار(ديبورتر) [1] إلى عدد سكان توات، وتيديكلت، وقورارة حيث بلغ أواخر القرن التاسع عشر ثلاثمائة ألف نسمة (300000)نسمة، وقدر عدد النخيل بثمانية ملايين نخلة (8ملايين) ، أما عدد القصور فقد بلغ حوالي ثلاثمائة وخمسين قصرا(350)، وهم منقسمون

---

[1]- Deporter.victor Benjamin : Sahara Algérien : Gourara, Touat, Tidikelt, caravanes et transsaharien, 1891, p75.

سياسيا، إلى صفين أحدهما يدعى أحمد والآخر سفيان، وفي نفس الوقت كل صف متحد ضد الآخر،كما أن الواحات تمتلك جميع الموارد التي توفرها الأرض، والتجارة التي استغلت من طرف بعض الفئات التي تعتبر أن العمل مهينا، بينما يعمل الزنوج بجهدهم من أجل الإنتاج.[1]وهذه الواحات مهيكلة على النحو التالي:

1-**منطقة قورارة:** وتنطق تيجورارين، وتيكورارين، وكلها ألفاظاً تطلق على منطقة فسيحة، وحسب بعض التقارير الفرنسية فإن قورارة كانت مأهولة، وبها العديد من القرى.[2] وتتشكل من إثنتي عشر مقاطعة، وحسب المجلة الجغرافية بلغ عدد قصورها حوالي 114قصرا، وينقسم السكان إلى عرب وأمازيغ، ويعيشون في الخيام، أو في القصور،[3]على النحو التالي :

أ- مقاطعة أقروت: وهي مجموعة من الواحات الواقعة في الطريق بين أدرار وتيميمون.[4]

تقع في منخفض وادي مقيدن على خط واحد، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، وبها ثمانية وعشرون قصراً (28 قصرا)، منها: بوكمة، الشارف، الزاوية، أقبور، أعبود...[5]

ب- مقاطعة تينركوك:وبها ثمانية قصور وهي: إيمزلان، تيلغمين، سيدي منصو، تقانت، أنجلو، بني عيسي، قصر قدور.[6] أول من قدم تعداداً كاملا لقصور تينركوك هو المقدم دو كلومب (De colomb)، عام 1276هـ /1860م وعدد قصورها بـ 12قصرا، وأضاف إلى ماذكر تازليزة تاعنطاس، تبلكوزة[7]، إن حمو، فاتيس، ودغة، وذكر (بلات) عام1302هـ/1885م، أنه كان

---

[1] -V. Deporter: op .cit, p75.

[2] -Crouzet,Tidikilt-Touat-Gourara et L´Algérie, l´ibraire, Militaire, De .Lbaudoin imprémeur-éditeure, paris, 1893, p282

[3] - Reve du géographie/dirigée,par M.Ludovic, Drapeyron 1901/07-1901/12 exploration-colonisation.Etécnomique, Juillet-Décombre1901, paris librairie .ch.Delagrar, p3

[4]- كناش تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات من الايالة السعيدة من القصور ووثائق اخرى، (دط) المطبعة الملكية الرباط،1321هـ -1962م، ص 6

[5] - محمد (باي بلعالم)، مرجع سابق، ص 16

[6]- نفسه، ص17.

[7]- تسمى أيضا زاوية لكبيرة، سكانها عرب وبعض المرابطين من أولاد سيد الحاج وعرب المحارزة من البدو الرحل، والحراثين، وعدد قليل من الشعانبة، مزارعهم منازلهم في الحدائق، 1893، وذكر فالكونتي أن عدد النخيل بها نحو ألفين(2000) نخلة، تسقى عن طريق آبار تسمى الكركازة (الخطارة).بيوتها مبنية من الطوب الترابي ينظر أيضا

يوجدبها 14قصراً، و(ديبورت) سنة1307هـ/1890م أن بها 15 قصراً، وذكر القائد (godron) أنه في سنة 1310هـ/1893م كان بها حوالي ثلاثة عشرة قصراً مأهولا، وخمسة عشرة واحة، وكان بتبلكوزة قاضي يدعى"السي محمد بن الحاج عمر عمره حوالي 50سنة،كان قاضيا متواضعاً، لا يملك ثروة ولا تأثير، وكان يؤدي مهام القاضي.[1]

ج-مقاطعة الجريفات (أجريفت): تقع في سبخة تينجورارين، وتضم خمسة عشر قصراً متقاربة المسافات فيما بينها، ويعتبر قصر الحاج قلمان أهم قصورها من حيث عدد السكان، والنشاط التجاري، ويقع على بعد ستة وثلاثين كيلومترا (36كم) جنوب غرب تبلكوزة.[2]

د-مقاطعة تيميمون: وهي أهم مقاطعات قورارة تقع على بعد أكثر من مائة وثمانية وأربعون كيلومترا (148كم)من أدرار إلى الشمال، وعلى الطريق التي تربط مقاطعة غرداية بإقليم توات، مساحتها على ثمانية ملايين هكتار(8مليون هكتار) وبُنِيت في السفح الشمالي على الطريقة السودانية، وتضم سبعة وعشرين كيلومترا، وهي جنوب قصر الحاج قلمان، وتنطلق منها العديد من المسالك باتجاه المنيعة، وتبلكوزة، وتسابيت.[3]وكانت مدينتها الرئيسية هي تيميمون بها 500منزل إلى600منزل فقط، محاطة بسور ترابي صلب، وخندق بدون ماء يبلغ عمقه عشرة أقدام، وعرضه سبعة أوثمانية، مقسمة إلى أربعة أقسام ثلاثة منها لها مسجدها الخاص.[4]

هـ-مقاطعة زوا الدلدول: تقع في الجنوب الشرقي من السبخة، وجنوب مقاطعة شروين تتألف من مجموعة قصور منها:أولاد عبد الصمد-توكي—البركة—الحرجان-المنصور- أولادعب- أورير، أقبور-الساهلا- ومران- أولاد محمود.[5]

و- مقاطعة أولاد سعيد: وهي واحات واقعة في بمنطقة قورارة قريبة من تيميمون، وتضم ثلاثة قصور أهمها القصر الكبير.

---

de la Martiniére(H.M.P) la croix : Documents pour servir â l´étude du nord -ouest A fricain les oasis de l´extrême sud Algerie : service des Affaires indigées IV gouvernement général de l´Agérie, p 306

[1] -ibid, pp303-304-306

[2]- محمد الصالح(حوتية)، مرجع سابق، ص29.

[3]- نفسه، ص30.

[4] -Crouzet, op.cit, p282

[5]- كناش تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات من الأيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى، مصدر سابق، ص 6

ز- مقاطعة حيحة: تقع على الضفة الشمالية للسبخة، وتضم خمسة قصور أهمها قصر الحيحة الذي يقع وسط الكثبان الرملية.

ح- مقاطعة أغنات: تقع على الضفة الشمالية لسبخة تينجورارين، وتضم سبعة قصور أهمها طلمين.

ي- مقاطعة شروين: وتقع في الضفة الغربية لسبخة الإقليم، وتضم قصور متقاربة منها: شروين تاوريرت -قصر تينكرام - تاكلزم - بني سليم - قصر باكو - تاسفاوت - قصر تبو.

خ- مقاطعة الدغامشة: تقع غرب دلدول، ومن قصورها أولاد راشد-أولاد علي القراشة-السهلا-المطارفة.

ت- مقاطعة تسابيت: تقع جنوب غرب مقاطعة الدغامشة، ومن قصورها برينكان والمعيز ...الخ

ث- مقاطعة السبع: تقع جنوب شرق قصر الهبلة من تسابيت، وبها قصرين:السبع والقرارة .

2- **منطقة تيديكلت**: وقال عنها دوماس(Daumas)هي:"أكبر المقاطعات في توات مدينتها الرئيسية هي إن صالح، وليس عين صالح كما كتب جميع المؤلفين كما أنه لا توجد مدينة، تسمى تيديكلت، ولا يمكن استخدام اسم الدائرة أو المقاطعة كإسم لمدينة وهذا خطأ[1]"وبها ثمانية وثلاثين قصراً. وبها ستة مقاطعات.[2]وحسب المجلة الجغرافية يبلغ عدد قصورها 51 قصرا.[3] كالتالي:

أ-مقاطعة فقارة الزوى: واقسطن وبها خمسة عشر(15) قصرا.

ب-مقاطعة إن صالح: من أهم مقاطعات تديكلت تضم إثنتا عشرة قصراً (12)، أهمها القصر الكبير. تعتبر عين صالح مركز تجاري هام، ومحطة للقوافل التجارية القادمة من جهات متعددة منها فزان، غات، غدامس، والهقار والمزاب،[4]تبعد عن الهقار بـ 700كم، وعلى بعد ثلاثمائة وثمانين كيلومتر جنوب غرب المنيعة (380)وستمائة وثلاثين كيلومترا من ورجلان. وقال عنها دوماس (Daumas) أنها بلدة تتكون من خمسمائة(500)أو ستمائة(600)منزل، وبشكل إستثنائي

[1] - Eugéne.Daumas: le grand désert, oultinéraire d´une carvane du Sahara au pays des Négres (royaume deh aossa)/par Eugéne,… et Ausone de chancel, imprimerie et librairie, centrales de Napoléon chaix et cie, paris, 1848 p291

[2]- كناش تقييد، مصدر سابق، ص 9.

[3]- Reve du géographie, op.cit,p 4

[4]- A.G.P. Martin, op.cit, p 34-44

لايحيط بها سور، ويقطنها بعض العرب، يرجع سبب عدم وجود السور إلى علاقتها الجيدة والمستمرة مع الطوارق، فهم أقوياء بما فيه الكفاية بهذا التحالف، وبالتالي لاخوف من الأعداء.[1]

ج-مقاطعة إينغر: ومن قصورها: قصبة أولاد جلول، قصبة أولاد حادكة، مليانة .

د-مقاطعة تيط: ومن قصورها: قصبة الشرفاء، تيط.

هـ-مقاطعة أقبلي

6-مقاطعة أولف: مقاطعة أولف، تقع في نهاية منخفض تادميت على بعد حوالي ثمانين كيلو متر شمال شرق رقان، وتنقسم إلى قسمين أولف الشرفة وأولف العرب، من قصورها: زاوية حينون قصبة بلال، عمنات، قصبة ميخاف، الركينة. قال عنها دوماس(Daumas) أنها تقع على بعد حوالي عشرون فرسخا غرب عين صالح، وهي عاصمة ثابتة للمنطقة، بها بضع مئات من المنازل، ومحل إقامة زعيمها مولاي هيبة.[2]

3- منطقة توات الأصلية(تسوات)"[3]

أشار إلى لفظ "تسوات" لامارتينيار وقال: أنه يقصد به جميع الواحات المنتشرة على طول الضفة اليسرى لوادي مسعود، و أولى واحاتها بودة، وتيمي وتمنطيط، وتمتد إلى غاية رقان مروراً بعدة قصور.[4] تعتبر مركز الرئاسة منذ القرن الثامن عشر بعد ما تفوقت على تمنطيط التي سيطرت على رآسة الإقليم لعدة سنوات. وتضم المنطقة عشر مقاطعات رئيسية وهي: بودة – تيمي – تمنطيط- بوفادي – فنوغيل –تامست –زاوية كنتة –سالي –أنزجمير-رقان –وكل مقاطعة تحتوي على عدد كبير من القصور. وقد أشار واتين إلى القصور المنضوية تحت هذه المقاطعات، وإلى القبائل التي نزلت بها وسكنتها، أو غادرتها وذكر من بين قصور تيمي أولاد على، أولاد أونقال أدغاغ، تنيلان، أولاد أحمد، تاريدالت، وأولاد ابراهيم، أولاداوشن، ملوكة وبوزان..."ومن مقاطعات بودة نجد مراقن-ودرارأفار، أقدم قصر بها بني سنة600هـ/1203م، زاوية سيدي حيدة، بني اللو-زاوية الشيخ بنعومر..."[5]وبلغ عدد السكان حسب القائد(Godron):العرب

[1] -E. Daumas, op.cit, p292

[2] - ibid, p292.

[3]- تعود التسمية إلى مولاي سليمان بن علي الذي حل بالمنطقة ،حوتية محمد الصالح، مرجع سابق، ص32

[4]- de la Martiniére, op.ci, pp120-121

[5] -O.I . Watin: Op.cit, pp218-219

المستقرون (3400)، حراثين(2700)، والزنوج(1900) والشرفاء(1500). وبالتالي كان مجموع السكان حوالي 9500 ساكن.

ب. الهيكل الإداري (الإدارة المحلية)

رغم بعد إقليم توات على المناطق الشمالية، وعدم ارتباطه خاصة خلال القرن التاسع عشر بأي سلطة سياسية خارجية، إلا أنه كان يتمتع بنظام تسييير إداري محكم اعتبره الفرنسيون نظاما معقدا، وهو نظام مستمد من النظام القبلي القديم، ويتلاءم مع طبيعة المنطقة، وقد عمد الفرنسيون باعترافاتهم إلى إدخال تغييرات على التقسيم الإداري للإقليم، والذي كانوا يرون فيه نوعا من الغموض، وكان مبنيا على العادات والتقاليد، وأشاروا إلى أن الإدارة المحلية كانت غير مستقرة، وكانت تتغير من تينركوك إلى عين صالح قبل وصولهم إلى المنطقة، أي خلال ق(19م) وبالتالي كانت تتغير حسب العنصر المهيمن أو المسيطر في القصر سواءاً كان عربيا أوبربريا.[1]

السلطة والإدارة المحلية للإقليم كانت تعتمد على مايسمى(بالجماعة)،[2] وذكر(ديبورتر)أن سلطة الجماعة تمتد إلى كل ما يهم القرية من وضع للقوانين، والأنظمة التي تسير القصر عند الحاجة كما يناط بها تعديل أو إلغاء هذه القوانين المعمول بها أو القديمة،كما تقرر الحرب أو السلم وتحديد الضرائب،كما تمارس السلطة القضائية، وتعلن عن الجرائم والجنح والمخالفات، والنطق بالأحكام والغرامات، فتعلن عن الإعدام في حالة القتل، والغرامات في حالة مخالفة الأنظمة والقوانين.[3]

ترتّب عن هذه السلطة المحلية ظهور بعض الوظائف الإدارية، تأخذ شكلا هرميا من أعلى سلطة، وهي سلطة شيخ الإقليم إلى أبسط وظيفة في الهرم البراح. وبالموازات مع الجهاز الإداري

---

[1]- Guillaume.de Champeaux, Atravers Oasis Sahariennes : Les spahis Saharien/ Premiere, Chaplot, Paris, 1903, p33

[2]-ويقصد بها مجموعة من الأشخاص في القصور والمجتمعات الصحراوية يتولى أمرهم أحد كبار القصر، وهم أشخاص كبار في السن ومعروفين بإخلاصهم، وأملاكهم ودينهم، وكبير القصر لم يكن ينتخب، ونجده يجيد النصح، والمصالحة وفي أغلب الأحيان يفرضون أنفسهم ككبار للقصر، ومجموعة كبار المقاطعات سميو بـ الجماعة، وهي تختص بجميع المسائل ذات المصلحة العامة، إنما المسائل الخاصة فهي من اختصاص كبير القصر.ينظر محمد الصالح (حوتية)، مرجع سابق،ج2، ص-ص362-363

[3] - V. Deporter, op.cit, p45

نجد الجهاز القضائي، وذكر ديبورتر (Deporter) أن القرارات الصادرة عن سلطة القضاء أو قاضي الجماعة، وقرارات الجماعة سيادية، وغير قابلة للإستئناف، ويعين لكل قصر أو قرية، أو واحة من الواحات مندوبين هم: الدوهمان الذين يلتقون ويعينون رئيسا، الشيخ(رئيس الجماعة) والأمين، وهم أعوانه ومسؤولون أمامه عن كل ما يجري في نواحيهم[1]كما أن الفرنسيين أقروا بأنهم أدخلوا تعديلات، وتغييرات على نمط التسيير المحلي ففي كل واحة قاموا باختيار شخصيات موالية لهم في كل القصور، من الشخصيات البارزة من قادة الجماعة دون منح لقب قائد مقابل الحصول على امتيازات وحقوق، مع الإحتفاظ بالقضاة، وذوي الخبرة في حل النزاعات وتطبيق القانون والعدالة، ومن القضاة الأكثر شهرة: قضاة القصر الكبير بعين صالح، والساهلة (أقبلي) أدرار(تيمي) في برينكان (تسابيت)، و تيميمون (قورارة).[2]

يتكون هذا الهيكل الإداري من وظائف قليلة هي: شيخ الإقليم- شيخ المقاطعة – المساعدين أو الموظفين اللازمين لتسيير الشؤون اليومية والحياة العامة للسكان: وهم الأعضاء المشكلين لمجلس جماعة البلدة والمتكون من: الوقاف -الدهمان-البراح-الشاوش– الخوجة.[3] وسنفصل في مهامهم في الفصل الثاني.

ثانيا.خطة القضاء:

القضاء كما عرفه الجنتوري (ت1160هـ/1747م)في نوازله هو:"عبارة عن النيابة من الإمام الأعظم أو نائبه في تنفيذ الأحكام الشرعية، والقضاء هو الإخبار بالحكم على سبيل الإلزام، ويختلف القاضي عن المحكم الذي تقيمه جماعة من الناس لبعض الأعوام لانعدام القضاة فلا يلزم حكمه إلا من أقامه."[4] وتغيرت خطة القضاء في توات الأصلية منذ القرن السابع حيث

---

[1]- V. Deporter, op.cit, p46

[2] -G. Champeaux, Op.cit, pp32-33

[3]-فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص، ص32، 39

[4]- أحمد (بوسعيد)، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ-18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، إشراف محمد حوتية،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة أحمد دراية، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م، ص204

تم أستحداث مجلس إستشاري يتكون من أربع أشخاص،[1] من طرف القاضي عبد الحق بن عبد الكريم.[2]

يعتبر القاضي أعلى سلطة في المجتمع التواتي، فالعمل يكون بما يقضي به قاضي الجماعة وهو كبير قضاة الإقليم مثلا: قاضي تينجورارين أو قاضي تيدكلت أو قاضي توات، و هذا من بين العوامل التي ساعدت السكان على الإستقرار وتثبيت نظام إجتماعي واضح. فالقضاء هو الذي يفصل في النزاعات، والخلافات التي تحدث بين الأشخاص، في مختلف المعاملات سواء المتعلقة بالأحوال الشخصية،كالزواج والطلاق النفقة والمواريث، أو التجارة كالبيع والشراء ومراقبة المكاييل والموازين، ومعاقبة المجرمين وتسليط العقوبات عليهم، وكان القاضي يعين من طرف السلطان المغربي.[3] فماهي ملامح هذا النظام في توات؟

1.خصائص القضاء في توات:

يستند القاضي التواتي مثل غيره من القضاة المسلمين إلى تعاليم الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية،كما يعتمد أيضا على القوانين المستمدة من عادات، وتقاليد المجتمع وأعرافه، متبعين في ذلك المذهب المالكي.ويظهر ذلك من خلال تمسك جماعة توات بعرفهم في فرض الضرائب على أصحاب المياه دون غيرهم، وهي من العادات القديمة التي استمرت إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي .[4]

القضاء عبارة جهاز شبه متكامل يضم القاضي كأعلى هيئة في الجهاز القضائي، الذي يتولى الفصل في النزاعات والخصومات، وبالتالي هذه المهمة ليست منوطة بأي كان إنما هناك شروط لابد أن تتوفر في القاضي، وقد ذكر الشيخ الجنتوري في نوازله بعض الشروط التي ينبغي

[1]- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص60

[2]- هو السيد عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري، كان رحمه الله بالحق قائلا وللحقيقة مالا، استخلفه والده وكتب له وصية في ذلك تولى القضاء الجماعة، بعد وفاة والده، وكانت عقود سجلاته مرتبة على مشورة أربعة مشايخ وهم محمد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني، والشيخ محمد بن العالم الزجلاوي، والشيخ عبد الكريم الحاجب ابن محمد الصالح الصالح، والشيخ محمد بن الحاج عبد الله بن عمر،كان يحسن خمس ألسن العربية، الزناتية، التكرورية، التركية، والبربرية، توفي عام 1210هـ/1795م، ينظر محمد عبد العزيز (سيد عمر)، قطف الزهرات من اخبار علماء توات، ادرار 2002ص 125ينظر أيضا: عبد القادر(بن عومر التنلاني) الدرة الفاخرة، خزانة ابن الوليد، باعبد الله، ادرار، ورقة 13.

[3]- فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص58

[4]- نفسه، ص 61

توفرها في القاضي حيث قال:"وينوب عن السكان في عقد ولاية القضاء لمن هو من ذوي الرأي والمشورة، وأهل العلم والمعرفة والعدالة، وفي حالة عدم وجود قاض عدل مجتهد في فترة من الفترات يرجع الحكم إلى جماعة المسلمين فيجتمع أهل الفضل، والدين ويقومون مقام القاضي.[1]وقد ذكر دوماس (Daumas)في المعلومات التي نشرت، في عام 1848م أن الجماعة هي التي تفرض الغرامات، وتطرد الجناة، ولا تطبق الإعدام بأي حال من الأحوال."[2] بمعنى هي التي كانت تتولى القضاء والفصل في النزاعات خلال تلك الفترة. وبالتالي يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:

- أن يكون عالما بالمسائل الدينية في الفقه والتشريع والمذهب المالكي
- أن يكون من أهل الرأي المشورة
- الإلمام بعادات وتقاليد البلد.
- الحرص على الإلمام باللغات التي يتحدث بها السكان من الزناتية والتارقية والتكرورية، والبربرية وهذا ما روي عن القاضي عبد الحق بن عبد الكريم، وذلك الحرصه على الإستماع للمتخاصمين وفهم أقوالهم. وليكون عادلا في حكمه.[3]

تميز القضاء في توات بمجموعة من الخصائص والمميزات وهي :

-من خلال استعراض قائمة القضاة في توات تقريبا من القرون السابقة، وحتى القرن التاسع عشر يظهر جليا توارث منصب القاضي بين أفراد العائلة الواحدة مثلا عائلة البكري والبلبالي وهي عائلات كبيرة ذات نفوذ وعلم .[4]

- لم يكن هناك تحديد لجهة قضائية معينة أو إرغام الناس على قصد قاض معين، بل يحق للمتقاضي اختيار القاضي.[5]لكن هناك إشارة إلى أن الجماعة هي التي كانت تتولى القضاء من خلال بعض المصادر الفرنسية حتى قبل النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وقد أشار إلى ذلك دوماس وكذلك فوينو(voinot) الذي تحدث عن تيديكلت أواخر القرن التاسع عشر.[6]

---

[1] - أحمد (بوسعيد)، مرجع سابق ،ص 104، ينظر أيضا عبد الرحمان بعثمان القضاء في توات، مرجع سابق، ص 197

[2] - E .Daumas: op.cit, p71

[3] -فرج(محمود فرج)، مرجع سابق، ص- ص 58-59

[4] - المرجع نفسه، ص 59

[5] -أحمد (بوسعيد)، مرجع سابق، ص 106

[6] - L.voinot: op.cit, p125

-حق الطعن والإستئناف للمتقاضي، فالأحكام التي يصدرها القاضي قابلة للطعن والاستئناف وكان ذلك يتم في حالات فردية يقوم بها بعض المتقاضين الميسورين الذين لهم القدرة على التوجه إلى محاكم تافيلالت بالمغرب الأقصى للإستئناف أمام محاكمها.[1]

- أن الجلسات القضائية تعقد في مجالس خاصة وأحيانا في المساجد، ويلزم الخصوم بالحضور ومن يمتنع يهدد بالحكم الغيابي إلا إذا تساهل القاضي في ذلك.

-كان القاضي أحيانا يعزل نفسه عن القضاء اختيارا لا لعجز ولا لعذر ظاهر.

-تمزيق الأرسام المتعلقة بالأحكام القضائية من طرف معظم القضاة مخافة إحياء النعرات والفتن والخصومات القديمة.[2]

2.مجلس الشورى :

هو مجلس إستشاري تأسس لأول مرة في توات الأصلية على يد القاضي عبد الحق بن عبد الكريم خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي، تنفيذا لوصية والده لما ولاه القضاء والتي قاله فيها:"إني وليتك هذا الأمر الذي يضاعف فيه للمحسن ثوابا وللمسيء عقابا ولم يكن الباعث لذلك حب الوالد لولده، وإنما هو تبين من ظاهر أمرك والله أعلم بسرايرك ...الزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق يوم لايقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون، وطهر يديك من أضرار المسلمين، وبطنك من أموالهم ولسانك من أعراضهم ...اليوم في الدور وغدا في القبور."[3] ثم أوصاه بالابتعاد عن مصاحبة أهل السوء ومشاورة أهل الرأي والدين، فقال:"أياك وبطانة السوء وحسن ظنك بالمسلمين ...وشاور ذا العقل والدين يقل خطأك، واصبر على ما تكره تصل لما تحب."[4] تكوّن هذا المجلس من أربعة فقهاء وهم:(الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني (ت1189هـ/1775م)[5] والشيخ محمد بن محمد العالم الزجلاوي (ت 1212هـ/م1798)[1]

[1]- فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص58

[2]- أحمد بوسعيد، مرجع سابق، ص106

[3]- نفسه، ص 245

[4]- فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص60

[5]- الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني: هو الشيخ ابو زيد عبد الرحمان التنلاني التواتي قرأ القرأن على الشيخ الأديب أحمد الحبيب السجلماسي اللمطي وتفقه عن اكابر من توات منهم : العالم الأكبر القاضي الشيخ عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني، الشيخ عبد الرحمان الجنتوري، الشيخ محمد بن اب المزمري، والشيخ عمر بن مصطفى الرقادي وغيرهم، ومن أشهر تلامذته الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي، والسيد عبد الحق بن عبد الكريم البكري، والسيد عبد الكريم بن محمد

والشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت 1192هـ/1778م)[2] والشيخ (عبد الكريم الحاجب بن محمد الصالح البكري(ت1261هـ/1845م)[3].ومهمته تقديم الرأي والمشورة للقاضي عبد الحق والتشاور معه في الأحكام التي يصدرها، وبعد وفاة القاضي عبد الحق (ت1210هـ/1795م) تولى منصب القضاء محمد بن عبد الرحمن البلبالي،[4]واستخلفه ابنه لداعي المرض الشيخ عبد العزيز سنة (1245هـ/1828م) وبقي فيه إلى غاية (1261هـ/1845م) تاريخ وفاته، بعدها بقي منصب قاضي الجماعة شاغرا لمدة تتعدى الأربعين سنة. ثم آل أمر القضاء إلى مجالس المدن ومشايخها للنظر في الخصومات السكان، وبقي الحال على ذلك إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري.[5]ولقد رصدت التقارير العسكرية الفرنسية بعض الإجراءات العقابية التي كانت تطبقها الجماعة، ففي حالة القتل يدفع الجاني (القاتل) الدية لأهل الضحية،كما يطرد الجاني لمدة عام، وإن كان غير صالح فيطرد مدى الحياة،كما يعاقب اللص بعرضه في أحد الأماكن العامة

والشيخ محمد بن المبروك البداوي وغيرهم توفي عام 1189ودفن في القرافة بمصر الصغرى أثناء عودته من الحج، ينظر محمد عبد العزيز (سيد عمر)، مرجع سابق، ص99، ينظر أيضا: عبد القادر(بن عومر التنلاني) الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ورقة 9، 10

[1]- الشيخ الزجلاوي: هو الشيخ محمد بن العالم الزجلاوي من أل سيدي علي بن حنيني الأنصاري، نسبا التواتي منشأً ودارا، وقيل هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن بلقاسم ،أخد عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني من تأليفه شرحه لأبي المودة خليل ثم تأليفه في غريب القرآن، أختلف في تاريخ وفاته بين1152هـ، 1158هـ، 1212هـ، وقيل كان حيا عام 1174هـ، ينظر، محمد عبد العزيز (سيد عمر)، المرجع نفسه،ص113، ينظر أيضا:محمد (جرادي)، نوازل الزجلاوي، دراسة وتحقيق، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، في الفقه وأصوله، إشراف سعاد سطحي، كلية أصول الدين والشريعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسم الفقه وأصوله، السنة الجامعية، 1431هـ/1432هـ-2010م/2011م، ص-ص90-91.

[2]- السيد محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الأمريني: هو الشيخ النحرير كان رحمه الله شيخا ماهرا في فنون العلم أخد عن الشيوخ الأربعة، وعن قاضي الجماعة السيد عمر بن عبد القادر التنلاني والشيخ محمد العالم الزجلاوي ولد في 1123هـ/1711م وتوفي عام 1192هـ/1778م، ينظر محمد عبد العزيز سيد عمر، مرجع سابق، ص133

[3]- ولد بقصر ملوكة من قرى تيمي ونشأ بها، وتفقه على يد والده، وكان من آيات الله في النحو، وكان والده يلقبه بسيبويه، تولى القضاء بعد والده سيد الحاج المذكور آنفا. ينظر محمد عبد العزيز سيد عمر، مرجع سابق، ص55

[4]- هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف بسيد الحاج البلبالي، ولد بملوكة عام 1155هـ/1742قرأ القرآن على يد الشيخ عبد الله ابن براهيم بن الحاج علي بن أحمد ابن أبي زيد عبد الرحمان بن عمر التنلاني، وشيخ الشيوخ محمد فتحا بن عبد الله الونقالي، تولى القضاء عام 1210هـ/ 1795م وتوفي عام 1244هـ/1828م، المرجع نفسه، ينظر أيضا الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ورقة 10 -11

[5]- فرج (محمود فرج) مرجع سابق، ص61

بحيث توضح فتحتين في الحائط، ويربط ويضربه المارة بعدد معين من الضربات، ويضرب على باطن قدميه حتى يعترف بجريمته، ويعاقب الزناة بالعصا، وفي حالة تعرض شخص إلى الجرح بآلة حادة فتُعيِّن الجماعة أحد الأشخاص لتقييم الإصابة، وتحديد الغرامة التي يدفعها الجاني للضحية وقال أن عملية تقييم الجرح تتم بقياس الجرح وطوله وعمقه، ويتم الفحص يتم بآلة تسمى"قياس الدم". كما يتولى مجلس الجماعة التعامل مع إعلان الحرب وحمل السلاح، شروط الأمن والسلم، وجميع الأمور ذات الإهتمام العام.[1]

قد أشار (voinot) إلى بعض العقوبات التي كانت تطبق في تيديكلت ضد بعض الجرائم المرتكبة، ففي حالة القتل تدفع الدية، فالدية كما قال تُخلي المجرم من المسؤولية، وإذا اشتبه بالمتهم فإنه يلزم على خمسين شخصا من عشيرته القسم معه (يحلف) في المسجد محل إقامته.[2] إذا لم يتم دفع الدية، فإن عائلة الضحية لن تقبل ببقائه في القبيلة فيطرد، لأن القتل كان نادراً.

أما في حال السرقة فيتلقى الجاني عدد من الضربات. تتناسب مع المخالفة التي ارتكبها ويمنح للص فرصة لتبرئة نفسه من خلال أداء اليمين على المصحف، أو أن يقسم على القبة وذكر مثالاً عن عين صالح حيث توجد "قبة السبعين صالح" فيؤخذ الجاني إلى هذه القبة، ويقسم بترديد هذه الكلمات ثلاث مرات:"إذا قمت بالسرقة مرة واحدة في حياتي، فإن هؤلاء الأولياء الصالحين السبعين من آدم سيأخذون رأسي وجسدي."[3] وحاولت السلطة المغربية إعادة التنظيم وتعيين قاضي على رأس كل منطقة، وتزامن ذلك مع الإستعدادات الفرنسية لاحتلال المنطقة. يساعد القاضي في عمله عدد من فقهاء الشورى وهم القضاة المشكلين لمجلس الشورى السالف الذكر والعدول ومستخلف القاضي.

ثالثا: الأوضاع الأمنية في إقليم توات خلال ق(13هـ/19م):

لم يكن إقليم توات بعيدا عن الأحداث التاريخية المحيطة التي كانت تعيشها بلاد المغرب بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة، فمنذ القرن السادس عشر كان محط أنظار، وأطماع الدولة المغربية والدولة العثمانية، وتجسدت في محاولات للأتراك، وحملات عسكرية لسلاطين المغرب.

---

[1]-E. Daumas: op.cit, p71

[2]- L.Voinot: op.cit, p125

[3] -ibid,p 125

أ- إقليم توات خلال الحكم العثماني للجزائر

تشير بعض الدراسات إلى أنه كان هناك صراعاً خفياً بين العثمانيين، والسعديين في جنوب الصحراء كان كل منهما يريد التوسع على حساب الصحراء، خاصة وأن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت إحدى أقوى قوتين لابد لها أن تتابع ما يحدث في منطقة البحر الأبيض المتوسط وأيضا ما يحدث في ما وراء الصحراء، وكذلك بحكم أن أهم الطرق التجارية والمسالك المؤدية إلى الحج والمشرق كانت تحت سيطرة ونفوذ العثمانيين إنطلاقا من دول الشمال الإفريقي بداية بالجزائر مرورا بتونس، وطرابلس ومصر، فكان لابد لسكان ما وراء الصحراء التعامل مع السلطات العثمانية، وهناك بعض المؤشرات التي تدل على هذا الطموح في التوسع في إفريقيا الوسطى وإفريقيا الغربية من خلال رسالة سلطانية سجلتها الدفاتر المهمة أي سجلات الدولة المركزية في استانبول التركية، وهي عبارة عن جواب على طلب تقدم به جند الجزائر يطلبون من خلاله الترقية، فارتبطت الترقية بفتوحات جديدة وكان ذلك في سنة985هـ/1577مأي بعد استلام عبد المالك الحكم في المغرب بدعم ومساعدة من العثمانيين وحمايتهم.[1]

وبالتالي أن ما يستنتج أن الفتوحات المطلوبة من جند الجزائر كانت التوجه نحو الصحراء وبالأخص الحملة على توات سنة987هـ/1579م، ووقع صراعاً بين باشا الجزائر حسن باشا وأحمد المنصور حول واحة فقيق. والحقيقة أن بعض المصادر لا تشير إلى حملة العثمانيين على توات وإنما كان هناك استنجاد من سكان توات بالعثمانيين من همجية جيوش المنصور التي غزت إقليم توات كما سبق ذكره.إلا أن جيوش المنصور احتلت في أواخر992هـ/1583م بلاد توات وقتلوا عاملها.[2]

ب- الأطماع المغربية في إقليم توات: وتعود جذورها إلى فترة حكم السعديون حيث تم إرسال عدة حملات منها الحملة التي كانت في 960هـ/1552م والتي وجهت من طرف أبناء السلطان أحمد الأعرج زيدان، وأخوه الناصر وانتهت بهزيمة جيوشهم في كبرتن. أما الحملة الثانية فوجهها محمد الشيخ المهدي السعدي سنة985هـ/1557م بقيادة والي سجلماسة القائد محمد بن عبد

---

[1]- عبد الرحمن (المؤذن) ، تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعدي للسودان، المغرب وافريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، سلسلة ندوات ومناظرات، الرباط، من 23-25 أكتوبر1992م، ص 14

[2]-عبد العزيز (الفشتالي)، مناهل الصفا ومآثر موالينا الشرفا، تح عبد الكريم كريم، طبعة، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط 2005م، ص 75

الله لإخضاع السكان لسلطته لكن السكان رفضوا الخضوع والاستسلام، وقاوموا فأضطر القائد للإنسحاب بجيشه.

أما حملة المنصور السعدي (الذهبي)[1] فقد جاءت بعد نشوة انتصار السعديين على الحملة الصليبية في معركة وادي المخازن سنة 986هـ–1578م التي تم على إثرها مبايعة المولى أحمد خليفة ولقب بإسم المنصور تخليدا لهذا الانتصار، وأستغل هذا الظرف لتقوية نفوذه الداخل وبدأت أحلامه تكبر في الإمبراطورية الواسعة في غربي أفريقيا، ولتحقيق هذا الهدف كان لابد له أن يمر على أقرب نقطة توصله إلى هذا الهدف فوجه أنظاره نحو إقليم توات ليكون الفاتحة الأولى لذلك. وجهوا حملة سنة 986هـ–1578م، وألحقت اضراراً كبيرة بالمنطقة خلفت أكثر من 1300ضحية من سكان الإقليم، وعدد من الأسرى، وسبيت فيها النساء، والأطفال ما دفع بالسكان إلى الإستنجاد بالحاكم العثماني بالجزائر البايلر باي حسن فينزبانو،[2] ثم أرسل بعد ذلك بسنة حملة إستطلاعية لمساعدة الأهالي ضد العدوان.

استمرت حملاتهم إلى غاية،991هـ/1583م، وتمت محاصرة تمنطيط من قبل جيوش السعدي ووجهت للشيخ عمر حاكمها، أوامر الطاعة، ومنحوه مهلة ثلاثة أيام وخوفا من الشيخ على قومه أبدى طاعته خائفا ووجه رسائل إلى جهات مختلفة من توات يدعوهم إلى الطاعة، وعدم المقاومة فرفض أبناء قصبة أولاد عبد الله الدعوة فقتلتهم عساكر المنصور شر تقتيل، ولم يبقى منهم ولا من حيواناتهم من يدب أو يمشي على الأرض، وأصبحت تمنطيط خرابا مروعا وهي التي كانت عاصمة العلم والعلماء،[3]وواصل العلويون مسيرتهم، حين وجهوا في حملة 22جمادى الثانية 1055هـ/1645م.

لم تتوقف الأطماع مع الدولة السعدية، وإنما استمر الأمر مع الدولة العلوية حيث أظهر الأمير مولاي امحمد الشريف اهتمامه بتوات من خلال زيارته للإقليم مرتين، وما ميز وهذه

[1]- أبو العباس أحمد المنصور ولد بفاس سنة 956 هـ/1549 م بويع بالخلاقة بعد أخيه عبد الملك المعتصم توفي 1603 م/1012هـ بمحلته بظهر الزاوية، موضع بفاس، وكانت وفاته بسبب الوباء. ينظر:محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الإفراني نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح عبد اللطيف الشادلي، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1998 ص، ص 146–279 .

[2]– مبارك (جعفري)، مرجع سابق، ص ص 76–77

[3]–عبد العزيز(الفشتالي) مرجع سابق، ص ص 115–117

الزيارات أنها لم تكن للإطلاع على أحوال سكان الإقليم وأوضاعهم بقدر ما كانت محاولة لإخضاع الإقليم، وفرض الضرائب، وبالفعل ففي الزيارة الأولى جاء على رأس حملة عسكرية بجيش كبير ونزل بتمنطيط، وكان ذلك في 22جمادى الثانية 1055هـ/1645م وبقي بتوات مدة أربعة.أشهر عمل على تحديد مقدار صرف مثقال من الذهب بالفضة، وحدده بمثقالا واحداً من الذهب يساوي تسعة مثاقيل من الفضة، وكأنه جاء ليبسط نفوذه على الإقليم، فبعد ذلك أصبح يرسل قياده إلى الإقليم وأولهم كان القائد علي، الذي يقال أنه واجه أحد مدعي إمامة المسلمين، وهو المدعو:عبد الله الذي جاء من وادي سوف، إلا أنه وقع في الأسر وتم إقتياده إلى الأمير مولاي محمد الشريف وجاء بعد ذلك القائد أحمد بن عبو، وانتهت بضمها إلى سجلماسة سنة 1055هـ /1645م.[1]

في سنة 1062هـ/ 1652م جاء، على رأس قوة كبيرة، تزامنت مع مجيء القافلة الكبرى لعرب الشمال، محملة بالأغنام والزبدة، والصوف، وبقي مدة سبعة أشهر مبقيا على مقدار صرف المثقال من الذهب بسعر تسعة مثاقيل من الفضة، واستمر الأمر كذلك مع الأمير مولاي رشيد. الذي أرسل القائد الناصر ليعيد تنظيم توات وأقام بها مدة سنتين، وفي سنة1081هـ/1671م، قام باحصاء المياه وبناء على المعطيات التي وصل إليها أسس الضرائب. كما تم إخضاع الإقليم في عهد السلطان هارون، على يد أخيه أحمد وهو الذي حدد قيمة المثقال من الذهب بـ 30 أوقية موزونة.[2]

ج.رد فعل سكان توات: ولطالما اشتكى سكان توات من الضرائب المجحفة التي كانت تفرض عليهم من سلاطين المغرب، دون مقابل سوى لإظهار الولاء والطاعة عنوة،كما عانوا من سوء معاملة القياد الذين تم تعيينهم من قبلهم وما لحق أملاكهم من خراب، وتدمير ورفع قيمة صرف الذهب مقابل الفضة ليصل إلى ثلاثة وسبعين مثقال من الفضة سنة 1099هـ/ 1688م، وهو الأمر الذي دفع بأهل تيميمون إلى الثورة على القائد المدعوا عبد العزيز الذي تم دعمه بالقوة من الأمير وتمت محاصرة تيميمون وقطع نخيلهم وإرغامهم على الإستسلام.[3]

---

[1]- A.G.P.Martin: Quatre sièclees, op, cit, pp 51-52

[2]- ibid, pp60-64

[3] - ibid, pp65-68

لم يكن القرن الثامن عشر يختلف عن سابقه فيبدوا أن العلاقة بين سلاطين المغرب وسكان توات لا تعدوا أن تكون مسألة جباية للضرائب لا غير.رغم محاولاتهم إظهار نوع من الاهتمام ببعض الجوانب الأمنية كما حدث سنة 1186هـ/1772م حين تدخل السلطان محمد بن عبد الله بعد استنجاد السكان به، ضد قبيلة مقيدن، التي كانت تهاجم قصور توات، بإرساله قوة عسكرية لتأديبها، فوقعت معركة في زاوية سيدي البكري وأولاد محمود وهزم عرب مقيدن. كما أرسل السلطان قياداً إلى الإقليم إلا أن معاملتهم للسكان كانت سيئة، ومنهم الباشا الطاهر، فقرر السلطان إعفاء سكان توات من ضريبة الماء والرجوع إلى الدين، والإحتكام إلى القرآن وطلب منهم فقط دفع الضريبة على التمر، والشعير والمقدرة بعشر المحصول .[1]

1.ثورة الخنافسة والمحارزة وأولاد محمود:

شهدت نهاية القرن الثامن عشر رد فعل قوي من أهل تيميمون على الأوضاع، فوقعت ثورة الخنافسة والمحارزة وأولاد محمود وهو الشيء الذي دفع سلطان المغرب إلى إرسال رسالة لأهل قورارة وتوات وتديكلت يصفهم فيها بأنهم يغذون الفوضى، ويدعمونها، ويدعوهم إلى عدم الخروج عن الطاعة، والرسالة موجهة باسم القاضي مولاي هاشم ومؤرخة بتاريخ جوان1211هـ /1797م.[2]ويظهر من خلال الرسالة مدى رفض سكان توات للقياد المعينين من طرف سلطان المغرب، وكذا الدعم والتعاون بين مناطق توات المختلفة من تديكلت إلى قورارة إلى توات من أجل الثورة على هؤلاء القياد واتحادهم من أجل ذلك، أيضا شمل الجميع واتهم الجميع بتغذية الفوضى ودعمها .

2.الاستقلال الذاتي لإقليم توات :

أما القرن التاسع عشر فقد تميز عن غيره من القرون الأخرى فكان إقليم توات أكثر صراعات ومعاهدات صلح، واتفاقات، وإتحادات، أما في المغرب فقد اعتلى الحكم فيه السلطان سليمان بن محمد في أواخر القرن الثامن عشر، وكان ذلك في شهر رجب من عام 1206هـ /1791م، ونظراً للعلاقة السيئة بين القياد، والسكان وكثرة الشكاوى منهم قرر السلطان عزل

---

[1] – A.G.P.Martin: Quatre sièclees, op, cit, p68

[2]– ibid, p110.

القائد محمد بن الحاج العباس لسوء قيادته وقلة عدله.[1] وإلغاء وظيفة الوالي والقائد ومنح الاستقلالية للإقليم وللسكان في تدبير شؤونهم وشؤون عروشهم مستعينين بالقضاة، وجاء ذلك في رسالة[2] مؤرخة بذلك مؤرخة بتاريخ 22صفر1215هـ الموافق لـ 5جويلية 1800م. واختيار بعض الأشخاص لتسيير الأمور في رسالة مؤرخة بتاريخ 28صفر 1215هـ/الموافق لـ 21جويلية 1800م.[3]

كما عرفت سنة 1219هـ/1805م استحداث الشرطة لأول مرة في توات، ويبدوا أن هذا جاء تماشيا مع الإستقلالية التي خص بها سكان توات لإدارة شؤونهم وحفظ أمنهم، وظل إقليم توات طيلة القرن التاسع هكذا إلى غاية دخول الاستعمار الفرنسي.[4]

حاولت السلطات المغربية عدة مرات إخضاع منطقة توات لحكمها دون جدوى، فأرادت فرنسا أن تسبقها، ووجهت تحذيرا لسلطان فاس بأنها لن تسمح بأي عمل من شأنه أن يجعل توات تحت سلطة العرش المغربي، وصرح في ذلك السيد ريبو(Ribo)وزير الشؤون الخارجية في 26أكتوبر1891م قائلا:"أن توات لم تعد قضية مغربية أكثر منها قضية أوربية، والحوادث الجديدة تبرهن على أن السيد "فلامون"قد حسم هذه العقدة العويصة، وسوف يجعل هذه الأرض فرنسية."[5] كما تشير العديد من المصادر الفرنسية، إلى محاولة المغرب إخضاع الإقليم بالقوة، ورفض السكان دفع الضرائب، وقد رصدت هذا الأمر آخر الرحلات الإستكشافية سنة 1223هـ/ 1808م، ومن هذا التاريخ أصبح للإقليم استقلالا كاملا لدرجة أن معاهدة 1261هـ/1845م تم تجاوزها من طرف المغرب في صمت، وكأن لم توجد أي روابط أو سلطة بين الإقليم والمغرب، وأظهروا قلقهم من التوغل الفرنسي،واكتفى بتعيين بعض القادة، واقتناعا بعجزه لم يرفع أي شكوى.[6]

---

[1]- A.G.P.Martin: Quatre sièclees, op, cit, pp 118-119.

[2]- ibid, p 119

[3] -ibid, p 120

[4] - ibid, p 120.

[5]- ابراهيم(مياسي)، مرجع سابق، ص 107

[6] - Reve du géographie, op,cit, p1

د. صراع ياحمد وسفيان خلال القرن التاسع عشر (13هـ/ 19م)

كما سبقت الإشارة إلى أن إقليم توات قد توافدت عليه قبائل عربية وبربرية متعددة شكلت في مجملها تركيبته البشرية،كما ضم الإقليم عائلات من النسب الشريف سواء الأدارسة أو العلويين، والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: كيف كانت العلاقة بين هذه الأطراف المشكلة للمجتمع، ومما هو معروف عن المجتمعات القبيلية التعصب والتشدد، والمجتمع التواتي بدوره لم يكن بعيدا عن هذه السلوكات والتعصب القبلي بشكل خاص وهو الأمر الذي نتج عنه الصراعات قبلية في أقصى صورها وتجلياتها، فتارة تكون بين القبائل العربية فيما بينها، وأحيانا تكون بين القبائل العربية والبربرية، فلم تكد تمر فترة زمنية حتى تظهر الاعتداءات بين هذه القبائل. أما عن أسبابها وأهدافها فهي مختلفة فبعض الصراعات كانت من أجل الزعامة والقيادة وبعضها هدفه النهب والاستيلاء على خيرات القبائل من البساتين من تمور وحبوب، وأموال وماشية والبعض الآخر بسبب مياه الفقارة، ولعل من أبرز هذه الصراعات صراع يا أحمد وسفيان.

ماتم التطرق إليه في معظم المؤلفات التي تحدثت عن إقليم توات الصراعات القبلية وأشهرها وأكثرها ذكرا ماعرف بـ (ياحمد وسفيان) أو الصف، ويعتبر هذا الصراع من الأحداث الغامضة التي عرفها إقليم توات كاملا، والتي لم يتم البحث فيها بشكل مستفيض ومعرفة أسبابها الحقيقية والفترة التي ظهرت فيها، وقد أشارت لها بعض الكتاباب الفرنسية مثل ماكتبه مارتان (Martin) من كتب عنه، واتين(watin) و شامبو (G.Champeaux).[1]

أما عن هذا الصراع وطبيعته وزمنه فقد تم استخلاصها من خلال الإنقسام الواضح بين القبائل التي كانت تقطن القصور المنتشرة في توات فقد قسموا إلى قسمين أو صفين، صف يسمى ياحمد وصف يسمى سفيان فعدد من القصور ينتمي إلى ياحمد، والبعض الآخر إلى سفيان في شكل تحالفات يقف بعضهما ضد الآخر.

أما عن التسمية(الصف) وياحمد وسفيان فإن هناك من يعود بها إلى الأحداث التاريخية التي عرفتها البلاد الإسلامية وبالتحديد إلى موقعة صفين، التي وقعت بين على ابن أبي طالب ومعاوية ابن سفيان، لذلك سمى طرفا الصراع واحدٌ باسم ياحمد والطرف الآخر سفيان وهذه

[1] - G. Champeaux, op.cit, p37

الموقعة التي عرفها التاريخ الإسلامي بعد مقتل عثمان بن عفان في أحداث موقعة الجمل، وقد بدأ الصراع يلوح بين الجيشين أوائل ذي الحجة من عام 36هـ/657م.

يقول: سلكة الذي كانت هناك عداوة وكراهية شديدة بين الفريقين دفعت كلا الفريقين إلى البحث عن الدعم والمساعدة من أعدائهما المشتركين، فقام يحمد بالإستعانة بالبرابر واستعان فريق سفيان بذوي منيع والشعانبة، وحجتهم الدفاع، ويقومون بمهاجمة القصور المعزولة مثل قصر تارحمونت، قرب تنيلان والقصور التي لا تكتسي أهمية مثل قصر سيدي يوسف، وهو قصر يسكنه الحراثين الغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم.وكانوا يتركون خلفه البكاء والنواح.[1]

يرى مبروك مقدم: أن المجتمع التواتي منذ نهاية القرن السابع عشر، إلى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي كان يعيش مرحلة اللامعيارية الإثنوية، واتفق على تسميتها بمناوشات(ياحمد وسفيان) ويقصد بـ ياحمد أتباع علي بن أبي طالب، وسفيان أتباع معاوية ابن أبي سفيان، فتكتلت الجماعات، و تفرقت على أساس المعتقد الديني من جهة، وبحسب فرض الرأي على الآخرين من جهة أخرى، وبين أهل السنة والشيعة، وفي نفس الوقت لكل فريق جماعته، وجيشه من الأهالي والمرتزقة القادمين من(حميان —وواد الناموس-واد الساورة) لتقوية العصائب، فدامت الحروب ثلاثة قرون بين السكان يغيرون على بعضهم البعض، ويستولون على الأرزاق، ويأخذون الأطفال والنساء والشيوخ كرهائن، ومع محاولات الصلح بين المتحاربين كانت تخمد لفترة ثم تظهر مرة أخرى، وتندلع الحروب تارة بين السكان المحليين، وتارة مع القادمين، فكان الذي يملك القوة يسيطر على القصور وسكانها وممتلاكاتهم، ومن المظاهر العدوانية تلك الأعمال المتمثلة في سلب الأطفال والنساء، وتحطيم الفقاقير والإستيلاء على المقدرات الخاصة، وقطع طرق القوافل التجارية وحجزها والإستيلاء على بضائعها، وقتل الشباب القادرين على الحرب وكسر السواقي، والمواجن، وقطع النخيل والإستيلاء على ثمارها.[2]وقد أشار جيراردرولف إلى آخر حرب وقعت بين أحمد وسفيان سنة 1264هـ / 1848م.

---

[1] - A. Salka, op.cit, p528 ينظر

[2]- مبروك(مقدم)، البنيات الإجتماعية وإكراهات الوصم مجتمع أدرار أنموذجا، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع العنف وعلم العقاب، اشراف جمال معتوق، جامعة البليدة لونيسي علي،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2019-2020،ص 171

هـ.التوغل الفرنسي في إقليم توات:

1- مرحلة الإستكشاف :

إن الرحلات التي قام بها المستكشفون الأوربيون في الصحراء في القرن التاسع عشر كانت رحلات لطلائع الاستعمار الأوربي، وتستهدف التعرف على طرق القوافل ومراكز العبور الصحراوية، ودراسة إمكانيات التجارة الصحراوية، وما يمكن أن تحققه من فوائد كانت تطمح إليها الدول الاستعمارية المتنافسة، وقد أنفقت هذه الدول مبالغ مالية معتبرة للمستكشفين بغية الحصول على معلومات توصلهم لتحقيق أهدافهم،كما أن الاهتمام الأوربي لم يقتصر على فرنسا بل أن الإنجليز أيضا وضعوا المنطقة صوب أعينهم، وقد اهتم الإنجليز بالمنطقة منذ القديم، وحاولوا التوغل في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء، ولأجل ذلك أسسوا الجمعية الإفريقية(African association)عام 1294هـ/1788م،[1] لإعطاء عملهم صبغة علمية إنسانية، وقد ذهب بهم التدليس والتضليل إلى إعتبار أن العمل، والهدف الذي تقوم هذه الجمعية هو الإستكشاف ومحاربة الرق والتجارة بلحم البشر، بينما كان هدفها الحقيقي جمع المعلومات عنها وعن سكانها للتوغل والاستكشاف داخل القارة[2].

وبداية من سنة 1835م كانت أروبا قد تمكنت من معرفة المنطقة الممتدة بين العاصمة والأغواط حتى الأوراس، وهذا بفضل المغامرين والرحالة (روني كاييه) الذي مر بتوات قاصدا تومبكتو في زي تاجر متظاهر بأنه مسلم بين عامي1824- 1828م، وأيضا الرائد كولونيو Colonieo سنة1277هـ/م والملازم Borin لاكتشاف منطقة توات وقورارة، وانطلقت هذه البعثة من البيض وصولاً إلى تيميمون، وقوبلت بالرفض والمواجهة من قبل سكان القصور، ثم اتجهت نحو تيمي بتوات.[3]

ومن الرحلات أيضا رحلة هنري دوفيريه (Duveyrier) 1858م التي وصلت إلى المنيعة. والذي مر إلى غدامس عام 1860م تحت رعاية نابليون الثالث، وترك كتاباً بعنوان les

---

[1] – احميدة (عميراوي)، مرجع سابق، ص30

[2]– اسماعيل (العربي)، مرجع سابق، ص 64

[3]– الصافي (ختير)، النضال السياسي والثوري في إقليم توات مابين 1956–1962، تخصص، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،كلية الآداب واللغات والعلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة بشار، 2011–2012، ص 20.

tauareg du nord، وقد استغل الفرنسيون المعلومات التي توصل إليها، وفي عام 1864م وصل الرحالة الألماني إلى توات جيرارد رولف عبر الجنوب المغربي، وفي 1303/1885ه وصل الملازم مارسال بلات (Mercel palet) إلى عين صالح عن طريق المنيعة، وانطلق إلى قورارة ووصل تنركوك من تعنطاس، وتفطن له السكان لكونه لا يتقن اللغة العربية توجه نحو سموطة في سبخة قورارة وفي 22/1/ 1886م توجه إلى دلدول والتقى الشيخ بوعمامة ثم عاد إلى عين صالح اين قتل من طرف أولاد زنان بحاسي لاتو بين عين صالح وعين بلبال في 21 /12/ 1886م، ثم مجيء المكتشف كاميل دولس الذي اكتشف أمره هو الآخر، وقتل في توات على يد الطوارق في إيباتناتن بحاسي إيليغن بين أولف وأقبلي، ووضع له الفرنسيون تمثالاً في المكان الذي قتل فيه عام 1888م.[1]

2- بداية الاحتلال:

على الرغم من أن الاستعمار الفرنسي قد قدسيطر على معظم المدن الشمالية للجزائر إلا أنه لم يصل إلى إقليم توات إلا أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وذلك بعد العمليات الاشتكشافية التي بدأت منذ ثمانينات القرن13ه /19م، وقد تعرضت لمقاومة شرسة من طرف السكان رغم قلة عدتهم وعتادهم.إن السيطرة على قليم توات تعد البوابة الرئيسية لفرنسا للتوغل في الصحراء الكبرى،كما أن فرنسا وضعت المنطقة كأحد أهدافها لعدة أسباب منها :

-الموقع المهم والاستراتيجي الذي يحتله الإقليم سواء من ناحية تيديكلت، والتي كانت تبدوا أكثر أهمية للفرنسيين من الناحية التجارية خاصة عين صالح، وهذا ما أشار إليه المستكشفين في تقاريرهم،[2]وكذلك توات الوسطى، وقورارة اللتان تعتبران همزتا وصل بين الجهة الشرقية والغربية للصحراء، ومعبرا إستراتيجيا للقوافل التجارية الصحراوية العابرة لكل الاتجاهات.بما فيها بلدان غرب إفريقيا. وخاصة أنها تخدم طموح فرنسا في التوسع إلى نهر النيجر ومشروعها الكبير الذي

---

[1]- الصافي (ختير)، المرجع السابق، ص13

[2] -P. Soleillet : Op.cit, pp 251-252 . أنظر أيضا

P. Soleillet: exploration du Sahara central, voyage, De paul. Soleillet:D´in-Salah: Rapport, chambre de commerce .D´Alger .Alger : Typographie. Et lithugraphie.Ajordan, 1875, pp 144-147

كانت تحلم بانجازه والمتمثل في انجاز خط سكة الحديد جنوب عين الصفراء 1308هـ /1891م.[1]

-أن الاقليم يتمتع بالأمن والاستقرار، وصعوبة وصول الفرنسيين إليه، فأصبح بذلك ملجأ للثوار وأسرهم، ومنهم محمد بن عبد الله خليفة الأمير عبد القادر على تلمسان، والشيخ بوعمامة الذي احتمى بقصر دلدول الذي لم تصله قوات الاحتلال.[2] وكان يشكل قاعدة خلفية لأولاد سيدي الشيخ ومنهم السي الزبير بن بوبكر والسي قدور بن حمزة والسي النعيمي والسي الدين الذين شنوا هجومات بين (1855-1874م).أما السي الزبير فقد كان نزوله بتوات وعين صالح سنة (1285هـ/ 1869م) حيث بدأ يخطط لمقاومة فرنسا في ورقلة رفقة احمد بن التومي المعروف بـ (بوشوشة) ومولاي العباس الرقاني -شيخ الزاوية الرقانية – وكذا محاولة قدور بن حمزة وبوشوشة التعاون مع قبائل الجنوب الوهراني، وتوات والتحالف مع ثورة المقراني عام1287هـ/ 1871م وذلك بتدبير من السيد لعلى بن بوبكر وعلاقاته، واتصالاته مع جهة ورقلة والجريد التونسي.[3]

---

[1] -Morice. Honore : Le Train Saharienne et la penetration Francaise en Afrique: Paris, 1901, p 19

[2] - مولاي التهامي(غيتاوي)، لفت الأنظار فيما وقع من النهب والتخريب لولاية أدرار إبان الإحتلال والاستعمار، منشورات العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر،2013 ، ص 47

[3] - دحمان (تواتي وآخرون)، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956-1962، (دن)، ادرار، الجزائر، ص10

خلاصة الفصل :

يتميز إقليم توات بخصائص، ومميزات طبيعية وبشرية فهو إقليم صحراوي يغلب عليه المناخ الصحراوي ذو الحرارة المرتفعة، ويتميز بتركيبته البشرية المتنوعة، ورغم الظروف المناخية الصعبة إلا أن السكان تأقلموا معه، وامتزجت كل مكوناته البشرية، وشكلت مجتمعا ظل متماسكاً إلى غاية اليوم، وقد مر هذا الإقليم بظروف سياسية وصراعات داخلية صعبة، خلال القرن التاسع عشر(13هـ/19م) منها صراع ياحمد وسفيان والإعتداءات من القبائل المعادية، والتدخلات والتحرشات المغربية، وفرض الضرائب على السكان، وانعدام سلطة سياسية قوية، ومتمكنة، لينصدم السكان مع مطلع القرن العشرين بدخول الإستعمار الفرنسي إلى واحات توات بداية من إن صالح، وتيديكلت، وصولا وتوات، إلا أن ذلك كله لم يثن من عزيمة أهل توات وجماعاتهم، وجعلت الجميع متحدا لطرد العدوان الغاشم عن الإقليم بكل ما أوتوا من قوة.

الفصل الأول

الحرف والمهن طبيعتها وتصنيفاتها

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول الحرف والمهن ومرادفاتها

المبحث الثاني: مهن ووظائف إداريـــة

المبحث الثالث:مهن ووظائف مسجدية

المبحث الرابع: مهن إجتماعية ضرورية

تمهيد:

عادة ما يبدأ البحث في أي علم من العلوم بقضية التعريف، وذلك من أجل إيضاح المفاهيم، والمصطلحات وتحديد المعاني، للوصولا إلى مفاهيم عامة واضحة، كما يشير إلى أهمية المصطلحات كضمانات في بناء المفاهيم الإجتماعية، لأنها تقوم بمهمة تكييف الوقائع، والفروض العلمية وبلورتها، ولدراسة موضوع الحرف والمهن، كان لابد من تحديد المفاهيم وبشكل دقيق المصطلحات، لوجود مفاهيم متداخلة معها، ولا تكاد تنفك عنها، ومنها مثلا مصطلح الصناعة والذي بدوره يأخذ عدة أشكال،كالصناعة التقليدية، والصناعة اليدوية وارتباطه في نفس الوقت مع الحرفة، وأيضا مصطلح العمل. والوظيفة لهذا سنقوم بتحديد هذه المصطلحات، حتى نقف بدقة على أهم الحرف والمهن التي تواجدت خلال هذه الفترة بتوات، وأهم التصنيفات، التي توصل إليها، بعض العلماء، على النحو الآتي.

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول الحرف والمهن ومرادفاتها

أولا: تحديد المفاهيم

1.تعريف الحرفة لغة واصطلاحا:

1.1.الحرفة لغة:الحِرفَةُ بالكسر: الطُّعْمة والصِّناعة يُرتَزقُ منها، وكل ما اشتغل الإنسان به وضَرِيَ يسمى صَنعَةً وحِرْفةً لأنه يَنحَرفُ إليها.[1]وجاء في المحكم:حَرَفَ لأَهلِهِ يحْرِفُ: طلبَ وكَسَب واحْتَال.والإسم الحِرفة.[2] الحِرفَة هو إسم من الإحْتِراف وهو الاكْتسَابُ، يُقالُ: يَحرِفُ لعياله ويحْترِفُ ويَقرشُ ويقترشُ بمعنى يكسِبُ من هُناَ وهُنَا وقيل المحَارَف بفتح الرّاء هو المحروم المحدود الذي إذا طَلَبَ فلا يرْزقُ أو يكون لا يسعى في الكسب.والمُحتَرفُ: الصّانع، فلان حَرِيفيٌ أي معاملي، والمُحرِف الذي نما ماله وصَلُحَ والإسم الحِرفَة ويقال جاء فلان بالحِلق والإحْرَاف إذا جاء بالمال الكثير، والحِرفة: الصناعة، وحِرفَة الرجل ضَيعَته وصَنعَته وقيل الإحْترَاف الإكْتسَاب أياً كان، وقال الأزهري وأحْرَف: إذا اسْتغنى بعد فَقر، وأحرَف الرّجل إذا كَدّ على عياله،[3]وقد وردت عدة

[1] – الفيروزأبادي)، القاموس المحيط، ص351

[2] – علي (ابن محمد بن مسعود الخزاعي)، تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ،تح إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي ،ط1، بيروت، 1405هـ/1985م، ص 775

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص 893.

أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تحث على الكسب الحلال، وفي حديث عائشة: لما استخلف أبو بكر رضي الله عنهما قال: لقد علم قومي أن حِرفتي لم تكن تُعجِزُ عن مؤنة أهلي، وشُغِلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المالَ، ويحْترف للمسلمين فيه"[1]والحِرفة نعني بها الصناعة وجهة الكسب، ويقصد باحترافه للمسلمين، نظره في أمورهم ومكاسبهم، وأرزاقهم.

2.1.الحرفة إصطلاحا:كل ما اشتغل به الإنسان فإنه يسمى عند العرب صنعة، وحرفة فالحرفة إذن تطلق على كل عمل الإنسان فهي طريقة للكسب ووسيلة للمعاش. وتدل الحرفة على المهارة في الصناعة والعمل باليد، وغالبا ما يتم تأكيد دور اليد بالقول الحرف اليدوية،[2] وهي العمل المرتبط بالاستعانة بأداة لإنتاج شيء محدد أو القيام بتحويل أو إجراء تغيير من مثل: النجارة الحدادة، الخياطة، الصياغة والحلاقة، والتحطيب والنسيج، والغزل والحياكة وصنعة الفران والجزار وغير ذلك،[3] وتعرف الحرفة أيضاً على أنها عملية يمارسها الإنسان سواء لمصلحته أو لدى آخر، ويحصل منها على عائد مادي معين، وهذه الحرفة لا تتطلب دراسة نظرية، ولا تدريب طويل، وإنما تحتاج إلى تدريب قصير يكتسبه العامل بمجرد النظر إلى عمل الآخرين.[4] تتلاقى الحرفة مع مفاهيم أخرى كالحرفة كالصناعة، العمل وعدة مرادفات لها.

2.تعريف المهنة لغة واصطلاحا

1.2.المهنة لـغة:المِهنة بالكسر الحذق بالخدمة والعمل، ومَهن الإبل حلبها، ومَهن الثُّوب جذبه وامتَهَنه:استعمله للمِهنة والماهن:العبد الخادم.[5]

2.2.المهنة اصطلاحاً:هي العمل الذي يقوم به الشخص طوال حياته لتلبية احتياجاته الأساسية نتيجة تلقيه نوع من التعليم والممارسة، وتأتي كلمة مهنة من الكلمة اللاتينية professo والتي تعني

---

[1] – صحيح البخاري (15. 2070. 34)، ص499

[2] – عبد المعطي (بن محمد المعطي سمسم) المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الأساسية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل 2016، ع(26)،ص–ص 71-70

[3] – أحمد (زياد محبك)، الحرف اليدوية في الحكايات الشعبية،موقع ديوان العرب https://www.diuanalarab.com/#panel1-2

[4] – السيد (حنفي عوض)، العمل وقضايا الصناعة في الإسلام، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الشاطبي الاسكندرية، (دس)، ص27

[5]– الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص1562

المهنة وتشمل المهنة جميع الخطوات التي يجب اتخاذها لإتمام عملية النمو على المهنة التي يمتهنها الشخص ويختارها ولا تؤثر على نمط حياته،[1] ويخضع المهني لمدونات سلوكية حازمة وذلك حتى تزرع داخلهم التزامات أخلاقية، ومعنوية صارمة مثل مهنة الصيدلي والصحفي والطب والضابط ...الخ

تعريف آخر يرى أن هذا المصطلح فيه نوع من الغموض، فقد كان يقصد به في بداية القرن العشرين مجموعة المهن الليبرالية، أي الوظائف ذات الطابع الفكري التي تكتسب قيمة إجتماعية حسب نموذج الطبيب أو المحامي، والتي يتنافى فيها الأجر الذي يكسب فيها مع فكرة الربح، ثم ظهرت معان أخرى تعتبر المهنة وظيفة متخصصة ومتعارف عليها ومنظمة، كما تركز في نفس الوقت على مستوى النشاط، ونمط العمل المنفذ، ومجموعة مصالح جماعة معينة يمارس الجميع فيها الحرفة عينها. وبالتالي فإن المهنة قد تتداخل مع مفهوم الحرفة لكن يمكن أن نميزها في بعض الحالات مثل ما سبق كمهنة الطبيب، والمعلم، والسائس، والشحاذ، والزراع، والقاضي، والوزير والأمير، والملك، وغير ذلك من المهن، وإن كان هذا التصنيف مؤقتا وليس قاطعا، ولا يعني الفصل الكلي بين النوعين .[2]

3.مفهوم الصناعة لغة واصطلاحاً

1.3. الصناعة لغة: حِرفة الصانع وعَمَله الصَّنعة والصّنَاعة ما تَستصْنِع من أمر. الصناعة ملكة نفسانية يصدر عنها الأفعال الإختيارية من غير روي، وقيل: العلم المتعلق بكيفية العمل، والصناعة حرفة الصانع وعمله، وصَنَع الشَّيء يَصْنعُه صنعاً، فهو مصنوع وصَنِيع عمِله.والصُّنَّاع: الذين يصنعون بأيديهم.[3]كلمة صَنَعَ:صَنَعهُ يَصنعهُ صنعاً فهو مصنوعٌ وصُنْعَ: بمعنى عَمَله وقوله تعالى:﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[4]ومنها الصَّنعة قال أبو إسحاق":القراءة بالنصب ويجوز الرفع، فمن نصب فعلى المصدر." لأن قوله تعالى﴿ وَتَرَى الجِبَالَ تـحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[5].دليل على الصَّنعة كأنه يقول صَنَع الله ذلك صنعاً واصْطَنَعهُ اتخذه،

[1] – سامر ابراهيم، الفرق بين الحرفة والمهنة، مجلة سيدتي، sayidaty.net،2022/02/15

[2] – أحمد (زياد محبك) ،مرجع سابق، (دص)

[3] – أحمد (الشرباصي)، المعجم الإقتصادي الإسلامي، دار الجيل، دب، 1401-1981، ص 257

[4] – سورة النمل آية 88

[5] – سورة النمل آية 88.

وقال: ابن سيده والصِّناعة حِرفة الصَّانع، وعَمَلُهُ الصَّنعة والصِّناعة ما تَسْتَصْنِع من أمرٍ. وَرُجلٌ صُنعُ اليد وصِناع اليد من قوم صَنعَى الأيد، وقال: سيبويه رجل صَنيع اليَدين وصِنع اليَدين بكسر الصاد بمعنى صَانعٌ حاذق."[1] والصِّناعة ككتابة:حِرفة الصَّانع، وعمله الصِّنعة، وصنعة الفرس القيام عليه والصَّنعة جمعها صَنائع وهو صنِيعي وصنيعتي، أي اصْطنعته وربيته وخرجته، والصُّنع العمل ولا ينسب إلى حيوان أو جماد.[2] قال تعالى:﴿وهم يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنعاً ﴾[3]

2.3. الصناعة اصطلاحا

الصناعة: هي كل ماشتغل به الإنسان ومارسه حتى صار ملكةً فيه، فالصناعة هي العلم المتعلق بكيفية العمل، والملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن، ومن أسمائها الحرفة لأن الإنسان ينحرف إليها أي يميل.[4]

أما في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى نجد"لكلمة صناعة معانٍ متعددة وهي في معناها الواسع مرادفة إلى":العلم بالعمل savoifaire روح الإختراع والإتقان، والمهارة في عمل شيء معين والرجل الصانع industrieux هو رجل ذكي، وقادر وماهر في تحصيله معاشه في كل الظروف."[5] habile a tirer partie des circonstances أو "أنه خبير فقط في ممارسة مهنته، أو فنه أو حرفته وأن هذه الكلمة تعني جميع الفعاليات البشرية التي غايتها الحصول على المنفعة من جميع العمليات التي تتصل في إنتاج الثروة ."[6]

مما نقل أيضا عن علماء الأخلاق والإجتماع: أن الصناعة هي كل عمل شريف يؤدي فيه الفرد خدمة للمجتمع. ويقصد بالشريف كل ما لم تحظره الآداب والأخلاق العامة والنظام العام، ولم يقصدوا بهم أكان مُهينا في نظر فئة من الناس.[7]وهي كل عمل يقتضي استعمال الأيدي وتسمى"الأعمال اليدوية، إذن هي عبارة عن عمل يدوي يقوم به الصانع في صنعته، ويكون مما

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص2508.

[2] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 951.

[3] – سورة الكهف، الآية 104.

[4]– محمد سعيد (القاسمي)، وآخرون قاموس الصناعات الشامية،ط1، تح، ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسة والترجمة والنشر، 1988، ص 14.

[5]– دائرة المعارف الفونسية، نقلا عن محمد سعيد (القاسمي)، نفسه، ص 14.

[6]– نفسه، ص14

[7]– محمد (سعيد القاسمي)، نفسه ص 14

يغير في ذات المصنوع مثل الحدادة، والصياغة، وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته،[2]ويعتمد الصانع على يديه، ويستعملها في صنع الأشياء، ويعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى، وهي محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية.[1].

4- العمل لغة واصطلاحا :

1.4.العمل لغة: عمل: قال الله تعالى في آية الصدقات:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمسَاكِينِ والْعَامِلِينَ عَلَيْهَا والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] والعَامِلِينَ هم السُّعَاة الذين يأخذون الصدقات من أربابها وأحَدُهُم عامِلٌ وساعٍ

والعَامِلُ: هو الذي يَتولى أمور الرّجلِ في ماله وملكه وعمله ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عَامِل.

والعمل: المهْنة والفعلِ و الجمعَ أعْمَالُ عَمِلَ، عَمَلاً و أَعْمَلَهُ غَيْرُهُ واستَعمَله و اعْتَمَلَ الرَّجُلُ عَمَلَ بِنفسه.[3]

2.4.العمل إصطلاحا:

يعرف العمل في اصطلاح علم الاجتماع على أنه:"ظاهرة إنسانية واجتماعية شاملة على حد عبارة عالم الاجتماع، والأنثربولوجيا مارسال موسMarcelmouss (1872-1950) ذات أبعاد متعددة منها: البيولوجي المتمثل فيما يبذله الإنسان من طاقة جسدية عند ممارسته للعمل، ومنها النفسي ذو الصلة الوثيقة بشخصية العامل، ومختلف إنفعالاته الكامنة، وتفاعلها مع مكان عمله ومحيطه، ومنها الإجتماعي ذو الصلة بشبكة العلاقات الإجتماعية التي تنسج بين الأفراد الموجودين داخل مجالات العمل."[4]ويعرفه ماركس حسب وجهة نظره على أنه:فعالية غرضية تهدف إلى إنتاج القيم الإستعمالية"وتملك ما يوجد في الطبيعة من أجل إشباع مطالب الإنسان فلم يكن العمل إلا مظهراً من مظاهر الشغل[5].

---

[1]- أحمد (زياد محبك)، مرجع سابق، (دص)

[2] -سورة التوبة، آية 60

[3] - ابن منظور، لسان العرب، ص-ص3107-3108

[4]- عائشة (التايب)، النوع وعلم اجتماع العمل والمؤسسة، ط1، منظمة المرأة العربية، مصر،2011، ص 15

[5]- طوني (بينيت)، وآخرون، مرجع سابق، ص-ص 509-510

أما التعريف الأوربي لمصطلح العمل حسب ما يشير إليه معجم المصطلحات الدولي ويبستر الذي يتضمن أزيد من عشرين تعريفا للمصطلح، وينعكس تعدد الدلالات لمفهوم العمل ليشمل الحرف الصناعية التي تعتمد على المهارات اليدوية، والأعمال المهنية التي تستند على التأهيل الذهني، لإعداد مهن تخصصية كالطب والهندسة والتعليم .....الخ .[1]وقد تعددت المفاهيم التي تتناول العمل بشكل عام من دون قيد فمنها من ينظر إليه باعتباره فعالية إنسانية مهما كان شكلها أو نوعها .

كما يعرف بأنه الوسيلة الطبيعية التي نحصل بواسطتها على ما نحتاج إليه في حياتنا المادية والمعنوية.[2] ومن هذا يكون العمل نوعا من أفعال النشاط الاقتصادي الذي يتم في المكتب أو في السوق أو في المصنع أو في أي مكان يخرج عن نطاق السكن الشخصي للعامل.[3]

أما المفهوم الإسلامي الشرعي للعمل فهناك تعريفات متعددة كلها تصب في الجانب الديني ومنها:" أن العمل هو كل جهد مشروع يبذله الإنسان ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة والمنفعة، سواء أكان هذا الجهد جسميا كالحرف اليدوية، أو فكريا كالتعليم والقضاء." وعلى ذلك فالعمل في الإسلام يتميز بالشمول والتنوع في كل الفعاليات شريطة مشروعيته وهناك تعريفا آخراً مشابها يقرر بأنه :"شامل لكل فاعلية اقتصادية مشروعة مقابل أجرة أو مال يؤخذ سواء أكان هذا العمل جسميا ماديا كالحرف اليدوية أم فكريا كالولاية، أو الإمارة كتولي وظيفة القضاء، أو سائر الوظائف كمهنة الطب.[4]

العمل هو أيضا:"العنصر الثاني للإنتاج، وهو وسيلة استخراج منافع الأرض، ويضم كل مجهود بدني أو ذهني مقصود، ومنظم يبذله الانسان لإيجاد زيادة مادية أومنفعة."وعلى هذا الأساس فإن عقود التمليك كان الهدف منها هو الوصول إلى تنمية الإنتاج، وقد وشرع الإسلام لذلك شروط وهي: سلامة العقل للتمكن من تدبير طرق الإثراء، والصحة الجسمية ليقوم بتنفيذ

---

[1]- السيد (حنفي عوض)،كتاب العمل وقضايا الصناعة في الإسلام، المكتب العلمي للكومبيوتر والنشر والتوزيع الشاطبي الإسكندرية، ص ص 11-12

[2]- حميد (ناصر الزري)، مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية، ط1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، 1998، ص 16

[3]- السيد (حنفي عوض)، مرجع سابق، ص 14

[4]- حميد (ناصر الزري)، مرجع سابق، ص 17

الخطة العملية لذلك، واستعمال الأدوات اللازمة، من آلات أو حيوان ثم تحقيق الغرض منه بالغرس والزرع، لجلب القوت والسلع.[1]

التعريفان يعكسان ما جاء في النصوص الأصلية التي استعمل فيها لفظ العمل بالمعنى الاقتصادي، حيث نجد أن بعضها يدل على معنى العمل الجسمي أو اليدوي كالحديث الصحيح القائل:"ما أكل أحدا طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده."وكذلك ما جاء في حديث آخر قيل فيه:"يارسول الله أي الكسب أفضل؟ قال عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور."كما استعمل لفظ العمل للولايات أي لوظائف الدولة.[2]

5.الفروق بين الحرفة والمهنة والصناعة

الصناعة هي: عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى للاستفادة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من محاصيل زراعية ومعادن، وأخشاب وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة،كاستغلال القطن والكتان والحرير في صناعة المنسوجات، واستغلال المعادن كذلك في العديد من الصناعات نذكر منها: الفضة والذهب في الصياغة، والحديد مثلا في الحدادة، وهي حاليا تعرف بالصناعات التحويلية، ويمكن أن يطلق عليها الحرف الصناعية، والتالي هناك تقاطع كبير بين الحرفة والصناعة. ويبدوا أن مفهوم الحرفة أوسع وأعم من مفهوم الصناعة، فيدخل في الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان، فالحرفة هي الصناعة التي يرتزق منها، وهي أداة الكسب. وتدل الحرفة على المهارة في الصناعة والعمل باليد، وغالبا ما يتم تأكيد دور اليد بالقول: الحرف اليدوية وهي العمل المرتبط بالاستعانة باليد، وبأداة لإنتاج شيء محدد أو القيام بتحويل أو إجراء تغيير مثل النجارة الحدادة، الخياطة، الصياغة، الفران، والنسج والغزل والحياكة وغير ذلك.[3]

كثيرا ما يقع الخلط بين المهنة والحرفة وتظهر أهم الفروق في أن الحرفة هي نوع خاص من المهارات، وغالبا ما تكون في الأصل مدفوعة الأجر، وقد تتطلب من الشخص الخضوع للتدريب ومستوى عالي من المهارة، أما المهنة فهي نشاط يتمتع فيه الفرد بخبرة في مجال معين، ويحصل فيه

---

[1] – محمد (الطاهر بن عاشور)، بين علمي أصول الفقه والمقاصد،ج2، تأليف محمد الحبيب(ابن الخوجة) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1435هـ/2004م، ص 392

[2]– حميد (ناصر الرزي)، مرجع سابق، ص18

[3]– أحمد (زياد محبك) مرجع سابق، أحمد (زياد محبك)، الحرف اليدوية في الحكايات الشعبية، موقع ديوان العرب https://www.diuanalarab.com/#panel1-2

على وظيفة تتطلب مستوى عالي من المهارة والتدريب، وهناك ملاحظة مهمة بهذا الخصوص.أن ليست كل وظيفة في العالم تنتج سلعا قابلة للتسويق، وهذا هو الغرض من المهنة، فالمهنة تتعلق بإدارة الحرفة لكن الحرفة ينتج عنها سلع ومنتجات يمكن تسويقها.[1]

أما الصناعة التقليدية فتاريخها مرتبط بالعصور الأولى من تاريخ الإنسانية، الذي استطاع بدافع الحاجة استخدام يديه وخلق الوسائل التي يشبع بها رغباته سواء في الدفاع عن نفسة، أو في المأكل أو الملبس وغيرها، وبالتالي فإن هذا الإنسان الأول ما هو إلا حرفي مزج بين ذكائه ونعمة يديه ليوفر الشروط اللاَّزمة لعيشه.[2]ويشير الباحث المغربي عمر أمين بن عبد الله إلى أن الحرف اليدوية أو الصناعات التقليدية هي جزء لا يتجزأ من التراث العربي الإسلامي و الحرف التقليدية تشمل معظم المنشآت المعمارية النفعية وصناعة السلاسل والفخار والحياكة وغيرها. [3]

ثانيا: تصنيف والحرف والمهن

من أصعب النقاط في هذه الدراسة هي تصنيف المهن، والحرف الموجودة في توات، وذلك للتداخل الكبير بين الحرف والمهن والمصطلحات المتعددة التي ذكرناها سالفا، والتي تصب في نفس الاتجاه، لذلك كان من الضروري الوقوف على أبرز التصنيفات على النحو التالي:

1- تصنيف ابن خلدون: يقول ابن خلدون أن الصناعة هي ملكة في أمر علمي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشر أوعب لها وأكمل لأن المباشر في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته."[4]ويقسم الصنائع إلى أقسام: البسيط والمركب، وما يختص بأمر المعاش ضروري وغير ضروري.

---

[1] – سامر (ابراهيم)، الفرق بين الحرفة والمهنة ، مجلة سيدتي، sayidaty.net، 2022/02/15، (دص)

[2] –جلية (ابن العمودي)، إستراتيجية تنمية قطاع الصناعات التقليدية والحرف بالجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،تخصص اقتصاد وتسيير، جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان –2012،ص3

[3] – محمود (شاهين): الحرف اليدوية في العالم الإسلامي، فنون تغازل المادي والروحي (20يونيو 2014) البيان:صحيفة الكترونية الموقع:http//www.albayan.ae تاريخ الدخول للموقع 2018/10/60، 18:53سا

[4] – ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون، إعتناء، هيثم جمعة هلال، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2015، مصدر سابق، ص ص 435-436

أ- البسيط: وهو الذي يختص بالضروريات وهو المتقدم في التعليم لبساطته أولا، ولأنه كذلك متعلق بالضروريات، إلا أن تعليمه يكون ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافا ومركباتها من القوة إلى الفعل بالإستنباط شيئا فشيئا وبالتدريج حتى تكتمل، لأن ذلك لا يحصل دفعة واحدة، خاصة في الأمور الصناعية لذلك تكون الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى إستعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل، ومن الصنائع البسيطة حسبه والتي نجدها في العمران البدوي النجار، الحداد ، الخياط ، الحائك، الجزار وقد لا توجد كلها.[1]

ب- المركب: هو الذي يكون للكماليات ويرى أن ظهور هذه الكمالات يكون إذا زخر العمران وتزايد فيزداد معه الترف، وإذا زاد الطلب على الكمالات، وبالتالي تدفع إلى التأنق في الصنائع واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها منها: الدباغ، والخراز، وتصبح مصدر رزق لمن يعمل بها وتكون لها فائدة عظيمة. ويذكر أيضا أنه يظهر مع الترف مهنا وحرفا أخرى كالدهّان والصَّفار، الحمّامي والطباخ والشَّمَّاع، والهَرَّاس،[2]ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول والوراقين، وإذا خرج العمران عن الحد هي أيضا ستخرج عن هذا الحد ويقول في ذلك:"كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العُجْم والحُمُرَ الإنسية، ويتخيل أشياء من العجائب بإيهام قلب الأعيان وتعليم الحُداءِ[3]، والرقص والمشي على الخيوط في الهواء،[4]ورفع الأثقال من الحيوان والحجارة، وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب."[5]لأن عمرانه لم يبلغ العمران الذي وصلت إليه مصر.

ج- ما يختص بأمر المعاش ويقسمه إلى ضروري وغير ضروري، وما يختص بالأفكار.

-ضروري وغير ضروري: مثل الحياكة والجزارة والنجارة والحدادة وأمثالها. - ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الانسان من العلوم والصنائع والسياسة: مثل الوراقة والغناء والشعر، وتعليم العلم،

[1]- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 436

[2] - هو الذي يستخدم المهراس الذي يدق فيه الحَب وهو الذي يقوم بالطحن . نفسه، ص437

[3] - غناء الإبل أثناء السير، حيث يقودها الحادي مغنيا أثناء السير، نفسه، ص 437

[4] - يقصد به الحركات البهلوانية بالسير على الحبال، نفسه، ص 437

[5] - نفسه، ص 437

والجندية وأمثال ذلك. ويتحدث ابن خلدون في موضع آخر عن أمهات الصنائع ويصنفها إلى ماهو ضروري في العمران، والشريف بالموضع .

فأما الضروري، كالفلاحة، والبناء، والخياطة، والنجارة، والحياكة، وأما الشريفة بالموضع كالتوليد والكتابة، والوراقة، والغناء، والطب.[1]

2-تصنيف إخوان الصفا: تشير رسائل إخوان الصفا في الرسالة الثامنة إلى ما يطلق عليه لصنائع البشرية، ويصنفها إلى صنفين صنائع علمية وصنائع عملية.

أ-الصناعة العملية:[2]هي:"إخراج الصانع العالم الصورة التي في فكره ووضعها في الهَيولَى[3] والمصنوع هو جملة مصنوعة من الهيولَ والصورة جميعا وابتداء ذلك من تأثير النفس الكلية فيها بقوة تأكيد العقل الكلي بأمر الله جل ثناؤه، ويصنف المصنوعات إلى أربعة أجناس بشرية طبيعية، نفسانية، وإلهية."

البشرية: مثل ما يعمل الصناع من الأشكال، والنقوش والأصباغ في الأجسام الطبيعية في أسواق المدن وغيرها.

الطبيعية: هي صور هياكل الحيوانات وفنون وأشكال النبات وألوان جواهر المعدن.

النفسانية:[4]مثل نظام مراكز الأركان الأربعة التي هي تحت الفلك، القمر، النار و الهواء، الماء والأرض مثل تركيب الأفلاك ونظام صورة العالم بالجملة .

الإلهية:وهي الصورة المجردة من الهيولات المخترعات من مبدع المبدعات تعالى وجودا من العدم ليس من ليس، وشيء من لا شيء لأنها كلها مبدعات الخالق ومصنوعاته.وموضوعات الصناع البشريين في صناعتهم نوعان مركب وبسيط، البسيط أربعة أنواع: النار الهواء والماء والأرض والمركب

[1] – ابن خلدون، المرجع السابق، ص 441

[2]– إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ،ج1،تح خيرالدين الزركلي، مؤسسة هنداوي، سي آي سي، ص 232

[3] –جاء في معجم المعاني الجامع، هيُولي إسم والهيولي: مادة الشيء التي يصنع منها كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار والقطن للملابس القطنية، والهيولي(عند القدماء): مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور، وهي أيضا التخطيط المبدئي للصورة أو التمثال .ينظر معجم المعاني الجامع almaany.com

[4]– نفسانية: اسم مؤنث منسوب إلى نفس (علوم النفس) نظرية تحاول رد الفلسفة إلى علم النفس، أو نظرية تحاول تغليب وجهة النظر النفسية على وجهة نظر علم آخر. ينظر معجم المعاني الجامع almaany.com

ثلاث أنواع: الأجسام المعدنية والنباتية والحيوانية، وهي كلها مصنوعات طبيعية والطبيعية كلها مصنوعات نفسانية والنفسانية كلها مصنوعات إلاهية .

ب–الصناعة العلمية: لابد لكل صنعة من موضوع لعمل الصانع منه وفيه صنعته، فمن الصنائع ما يكون الموضوع فيها الماء: مثل صناعة الملاحين والسقائين والروائين والشرابين والسباحين ومن شاكلهم.[1]

– ما موضوعها: التراب: كحفار الآبار، والأنهار، والقبور، والمعادن وكل ما ينقل من التراب، ويقلع الحجارة.

– ما موضوعها النار: كالنفاطين والوقادين والمشعلين

– ما موضوعها الهواء: الزمارين البواقين والنفاخين

– ما موضوعها الماء والتراب: الفخارين العطارين القدوريين وضرابي اللَّبِن وكل من يبل التراب

– موضوعها أحد الاجسام المعدنية: الحدادين الصفارين،[2]الرصاصين،الزجاجين.

– ما موضوعها أصول النبات من الأشجار والقضبان كالنجارين والخراطين والدوارين والحصريين والأقفاصيين.[3]

– ما موضوعها لحاء النبات كالكتانين ومن يعمل الكاغد

– ما موضوعها ثمر الأشجار وحب النبات كالدقاقين والرزَّازين والنوائين،[4]والعصارين ومن يخرج الأدهان من ثمر الشجر وحب النبات.

–ما موضوعها الحيوان: الصيادين ورعاة الغنم والبقر وساسة الدواب والبياطرة وأصحاب الطيور وما شاكلهم .

–ما موضوعها الاجسام الحيوانية: اللحم، العظم، الجلد، والشعر والصوف كصناعة القصابين والشوائين والطباخين والدباغين، والأساكفة والخرازين والحذائين ومن شاكلهم

–ما موضوعها مقادير الأجسام: الوزانين والكيالين والذراعين.

– ما موضوعها أجساد الناس: كالطب والمزينين.[1]

---

[1] - إخوان الصفا المرجع سابق، ص–ص 234-235

[2] – الصفار في المعجم الوسيط، صانع النحاس الأصفر. ينظر almaany.com

[3]– إخوان الصفا، نفسه، ص 235

[4] – النواء بائع النوى، ينظر معجم المعاني الجامع almaany.com،.

– ومنها ما موضوعها: نفوس الناس كالمعلمين وهي نوعان: عملية وعلمية.
أما مراتب الصناعة عندهم: فهم يذهبون إلى ما ذهب إليه ابن خلدون فمن الصناعة مادعت إليه الضرورة، ومنها ماهي تابعة لها وخادمة، ومنها ماهي متممة لها ومكملة، ومن الصنائع ما هي جمال وزينة، فأما ما يقصد بالأول ثلاثة وهي: الحراثة والحياكة والبناء ومنها تابعة وخادمة ومتممة لأن الإنسان لما خلق دعته الضرورة إلى اتخاذ اللباس بصناعة الحياكة، ولما كانت الحياكة لا تتم إلا بصناعة الغزل والغزل لايتم إلا بصناعة الحلج، فصارت هذه الثلاث تابعة لها ومتممة.[2]

3-**تصنيف لجرجي زيدان:** تقسيم آخر جاء في كتاب التمدن لجرجي زيدان في أطار الحديث عن عامة سكان المدن، حيث أشار إلى أنهم:"نفر يؤَمِّنون المدن من أهل المطامع وطلاب المكاسب بالتجارة أو الجندية والأدب والشعر، ويضطرون إلى احتراف ما يعيشون به مما لا يحتاج أمنة ولا رأي".[3] وقسم عامة سكان المدن إلى طبقتين:

–الطبقة الأولى: المرتزقون بالصناعة والتجارة وهم طائفتان هما:

الطائفة1: الصناع أصحاب الصناعات اليدوية كالحدادين والحياكين والخياطين، والحلاقين والنجارين والصيادين، والخبازين والطحانين، ومن جرى مجراهم .[4]

الطائفة 2: الباعة الذين يبيعون البقل واللحم وغيرهما من أصناف المأكولات على أنواعها وبعض المنسوجات والسلع الصغيرة وهم طوائف كالزياتين والبقالين والجزارين، وباعة الأقمشة والطحين والخضر ونحوها.

الطبقة الثانية: الرعاع[5] يرتزقون من النهب واللصوصة وهم أصناف كثيرة ويعرفون بأسماء كالزعران[6] والعيارين والشطار والصعاليك والزواقيل..."

---

[1]– إخوان الصفا، مرجع سابق، ص236

[2] – نفسه، ص 237

[3]– زيدان (جورجي)، تاريخ التمدن الإسلامي،ج5، دار الهلال، القاهرة، 1972، ص –ص 51

[4] – نفسه، ص52

[5] – رَعاع، رُعاع، رِعاع (إسم) مفرد رعاعة ورِعاعة: سفلة الناس وغوغاؤهم اختلط بالرِّعاع فتعلم منهم أسوأ الألفاظ، معجم المعاني مرجع سابق .

[6] – الأزعرُ في المعجم الوسيط السيء الخلق ، والزُّعر: الشطار والعيارون، معجم المعاني مرجع سابق.

المبحث الثاني: مهن ووظائف إدارية

رغم بعد إقليم توات على المناطق الشمالية، وعدم ارتباطه خاصة خلال القرن التاسع عشر بأي سلطة سياسية خارجية، إلا أنه كان يتمتع بنظام تسيير إداري مستمد من النظام القبلي القديم، ويتلائم مع طبيعة المنطقة، وقد عمل الفرنسيون على إدخال تغييرات عليه لما رأو فيه من غموض كونه مبنياً على العادات والتقاليد، وأشاروا إلى أن الإدارة المحلية كانت غير مستقرة. وتتغير من تنركوك إلى عين صالح قبل وصولهم إلى المنطقة: أي خلال القرن التاسع عشر، حسب العنصر المهيمن أو المسيطر في القصر سواء كان عربيا أو بربريا.[1] فالإدارة المحلية للإقليم كانت تعتمد على مايسمى بنظام (الجماعة).

حتى التقسيم المكاني لواحات توات يأخذ شكلاً هرميا، ففي القمة نجد الإقليم ثم الواحات أو المناطق، وهي توات تيديكلت وقورارة،[2] ثم في المستوى الثالث نجد القصور المشكلة لها، ثم أخيراً القصر وما يضم منازل وقصبات.[3]ويقول محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي(ت1374هـ-1955)في حديثه عن توات هي:"صحراء...وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مأتان فمن أوسطهما بودة وتيمي وتمنطيط فهذه القصور قاعدة توات لم يزل سكنى قضاة الجماعات بإحدى هذه القصور الثلاثة ...ورؤساء هذه الواسطة أهل سياسة وقوة جأش، وذكاء ورؤساء تدكلت قبلة توات أهل فخر وخيلاء وقوة توات وكثرتها في جرارة تيميمون، وقاعدة قورارة تيميمون وقد اتفق المؤرخون على أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه..."[4]

والملاحظ أنه أشار إلى قضاة الجماعة نظراً لأهميتهم وتحملهم مسؤولية الإقليم، ولم يشر إلى قياد أوسلطان أو حاكم معين.ورؤساء، أي أن لكل قصر رؤساؤه وهم أهل سياسة وقوة وعلى قدر كبير من الذكاء.كما أشار ديبورتر إلى أن عدد قصور توات وتيدكلت وقورارة بلغ أواخر القرن التاسع عشر(350 قصر). قد يتطلب هذا النمط عدد من الوظائف والمهن بهدف التنظيم والتسيير المحكم حسب طبيعة الواحات و قصورها، ومدنها، والقصر يضم أفرادا لقبيلة واحدة، وهو أيضا

---

[1] -G. Champeaux : op.cit, p 32

[2] -وقد بلغ عددها خلال القرنين 18م و19م حوالي ثمانية وعشرون مقاطعة.فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص32

[3] - H-M-P.-de la Martiniére : op.cit. p297.

[4] - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، مصدر سابق، ورقة 1

يشكل وحدة إدارية مستقلة له خصوصيات وله ما يشبه إدارة مستقلة تقوم بالإشراف عليه وتسيير أموره الاقتصادية والإدارية، والدفاعية، ومجموعة من المدن والقصور تشكل في نفس الوقت المقاطعة.[1] كما أشار مارتن(Martin)إلى أن هذه الواحات مقسمة إلى ثلاثة أجزاء قورارة، وجمعها تيقورارين، وتعني"المعسكرات،"وتوات، ثم تيديكلت وتعني:"كف اليد"،[2] واعتبر غوتييه (Goutier) أن توات وقورارة تشكل مجموعة من الواحات التي لا جدال في وحدتها الجغرافية، وفي نفس الوقت لا تحمل إسماً واحداً، لأن إسم توات هو لمقاطعة واحدة من المقاطعات الثلاث، لكن هناك فرق بين هذه الواحات والصحراء في الجهة الشرقية من الجزائر ناحية ورقلة الأخيرة مرتبطة بوادي أغرغار، وتعتمد على أبار ارتوازية، والأخرى مرتبطة بوادي مسعود، وتعتمد على الفقارات علاوة على أن الوحات الغربية مرتبطة مع بعضها البعض، ويعيشون حياة مشتركة، وأن جميع الواحات من القليعة إلى عين صالح مروراً بتميمون، وأدرار تشكل نصف دائرة أو هلال. وهذ لا يمنع من أن يكون لكل واحة أسما مميزاً، وجمع في دراسته بين توات وقورارة، ورأى أن تيديكلت يجب أن تكون لها دراسة مستقلة، وبشكل منفصل لأسباب جيولوجية وإثنوغرافية.[3]

أولا: وظيفة شيخ الإقليم:

أما السلطة المركزية للإقليم فقد انتقلت من مقاطعة تمنطيط التي كانت أكبر مقاطعة اقتصادية إلى غاية القرن السابع عشر، إلى أكثر مقاطعات الإقليم نشاطاً وحيوية خلال القرن الثامن عشر، وهي مقاطعة تيمي التي أصبحت فيما بعد تسمى بأدرار المأخوذة حسب بعض المصادر المحلية من تسمية أكبر قصور تيمي وهو قصر أدغاغ، وبذلك أصبحت تيمي عاصمة لإقليم توات وحسب العرف أصبح شيخ أكبر مقاطعة هو شيخ الإقليم ككل والمقر الرئيسي لقاضي الجماعة التواتية.[4] ولعله يقصد هنا إقليم توات الأصلية، فلم نعثر على دليل يشير إلى أن الحواضر الثلاث توات، تيديكلت، قورارة كان لها شيخا واحدا. حتى القياد المعينين من طرف سلاطين المغرب كان لكل إقليم قائد.

[1] – فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص32

[2]- A.G.P. Martin: Quatre siècles. O.pcit, p2

[3] – E.-F. Goutier : Mission au Sahara, O.pcit, p219

[4] – فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 31-32

أما عن صلاحيات شيخ الإقليم فبحكم أنه يتولى أهم إقليم، ومركز العاصمة، وأقوى القبائل فإنه كان يتمتع بنفوذ قوي لدى القبائل، ويعمل الجميع على الأخذ برأيه بما يحدث من القضايا، والمشاكل المتعلقة بأمن الإقليم ومهامه هي:

- يستقبل الوفود والمبعوثين في مهام رسمية وغير رسمية من داخل وخارج الإقليم.
- استلام الرسائل من السلطان والرد عليها .
- هو الحاكم الفعلي وصاحب السلطة المطلقة على المقاطعة
- له سلطة في التصرف في الأمور الإدارية والإقتصادية
- يشرف على أكبر قصور المقاطعة
- له السلطة في تعقب اللصوص داخل مقاطعته وتقديمهم للقاضي لمحاكمتهم
- توزيع الضرائب السنوية التي تفرض على المقاطعة من طرف ممثل السلطان على شيوخ مدنه وقصوره بالتساوي وبقدر إمكانيات سكانها المائية والزراعية.
- إرسال ماتم جمعه من الضرائب إلى ممثل السلطان
- تحويل جزء معين من الضرائب إلى بيت مال المقاطعة.
- ومن أبرز مهام شيخ المقاطعة أيضا التدخل في حالة الحرب بحيث يتولى قيادة الفرسان والجمال لرد الخطر المداهم للمقاطعة.

ثانيا: وظيفة شيخ المقاطعة وشيخ البلدة:

1.شيخ المقاطعة

تعتبر المقاطعة أكبر وحدة إدارية في الإقليم من الناحية الجغرافية وعددها ثمانية وعشرون مقاطعة موزعة على المناطق الثلاث، تضم عدد من المدن والقصور معتبرة، فحسب ما يوجد في التقييد وتقاييد مخطوطة في خزائن توات، فإن منطقة قورارة لوحدها ضمت خلال القرن التاسع عشر إثنا عشر مقاطعة وعاصمتها تيميمون.[1] وتحتوي على(115قصرا) حسب القائد (Godron)، [2]وقد أشار(ديبورتر) إلى عدد سكان المقاطعات الثلاث توات تيديكلت توات وقورارة أواخر القرن التاسع عشر إلى (300ألف نسمة) و(350قصرا)

---

[1] – كناش تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات، مصدر سابق، ص6

[2]- H-M-P.-de la Martiniére, N.Lacroix, op.cit, p298

أما منطقة تديكلت فهي تضم ستة مقاطعات، وحاضرة توات الأصلية فهي تحوي عشر مقاطعات،[1] وكان شيخ المقاطعة هو الذي يدير شؤونها، ويكون مقره دائما في أكبر أهم قصورها من حيث المكانة الإقتصادية، والعمرانية والسكانية.وعادة ما تكون هذه المقاطعات غير بعيدة عن بعضها البعض فقد لا تتعدى المسافة بين مقاطعة، ومقاطعة أخرى أكثر من عشرين أو ثلاثين كيلومتر لذلك كان لزاما عليهم التعاون فيما بينهم في مختلف الظروف، وذكر شامبو كذلك أن قورارة كانت تمتلك نظام الجماعة،[2] أما توات فكان لها جماعات بسيطة، أما في تديكلت فلم يكن في واحاتها أي تجمع دائما، أو جماعة دائمة.

2.شيخ البلدة[3]:

وهنا نقصد شيخ البلدة أو القصر، وهو الشخص الذي يشرف على شؤون القصر وللشيخ الحرية المطلقة في إدارة شؤون البلدة، ويساعده في عمله أشخاص آخرين، أو مساعدين، وهي من أقدم الوظائف لا في إقليم توات فحسب، وإنما في الجزائر أيضا إبان الحكم العثماني فقد كان في الهيكل الإدراي للحكم أنذاك وظيفة لشيخ البلد أو شيخ القبيلة أو الوطن، وهذا بحكم الطابع القبلي لبلدان المغرب، وإن كان الوضع والظرف يختلف عن إقليم توات، ويمارس شيخ الإقليم أوشيخ البلدة وظائفه، وسلطته إستناداً لعرف التقاليد الإجتماعية الموروثة، والمستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، ومن بين مساعديه رؤساء الأحياء، ومجلس الجماعة، وهو الذي يشرف على أعمال موظفي البلدة المسؤولين أمامه في كافة تصرفاتهم أما مهامه فهي:[4]

- يشرف على أعمال موظفي البلدة .
- السهر على مصالح سكان البلدة.
- يتشاور مع مجلس جماعة القصر حول تنظيم وتوزيع الضرائب
- يشرف رفقة مجلس الجماعة عند اصدار الأحكام على المتهمين .

---

[1] - كناش تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات، مصدر سابق، ص9

[2] - G.Champeaux : op.cit, p32

[3] - فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص37

[4] - نفسه، ص 38-39

ثالثا: مجلس جماعة البلدة وما يتبع المهام المنوطة به:[1]

يساعد شيخ البلدة في تسييره لشؤون البلدة مجلس يسمى بمجلس الجماعة، وهو يتكون من أعيان القصر، وكباره ومساعديه أو الأعوان، ويطلق عليهم الدهمان بالإضافة إلى وظائف أخرى استدعتها ظروف الحماية، وحفظ الأمن والإستقرار في الإقليم والبلدة، وهذه الوظائف مرتبطة بالحياة اليومية لسكان القصور للحفاظ على حياتهم وأملاكهم، وقد وردت كثيراً كلمة جماعة البلد، أوجماعة القرية في النوازل منها نوازل الغنية، فنجد مثلا:" فهل لجماعة القرية أن..."، أو فإنه":لا كلام لجماعة القرية."[2]وقال:"(ديبورتر)أن عدد العاملين قليل ويتشكل من أربعة أو خمسة موظفين وهم (الوقاف، البراح،كيال الماء، و كيل المسجد، والإمام)[3]وهذه الوظائف مهن شرفية يكلف بها الشخص من باب التشريف، وليس من أجل الكسب، والبعض الآخر يكون مأجوراً، وبالتالي: فهي مهنة يكسب منها الشخص رزقه ويكون الأجر حسبما اتفق عليه مجلس الجماعة، فما هي هذه الوظائف والمهن.

أ- الوقاف :

ويقصد به الشخص المكلف بدار الضيافة، وعمله هو استقبال الضيوف والقيام بشؤونهم لمدة ثلاثة أيام.سواء كان غنياً أو فقيراً يتقدم لدار الضيافة، ومصاريف الضيافة هي مقسمة حسب الدور ما بين العائلات التي تشارك حسب إمكانياتها،[4]وذكر (ديبورتر)أن الوقاف له مهام متعددة أما عن أجرته فهي ما يسمى(العدة) أي له في كل جنان مجموعة من التمور والقمح والشعير وقطعة لحم من كل شاة مذبوحة في البلدة.[5]ومن مهامه:

-حراسة الأبواب واستقبال الأجانب.

-استقبال الضيوف ومرافقتهم إلى بيت الضيافة، وإخبار العائلة الملزمة بضيافتهم وإطعامهم ويحصي عدد الضيوف ويقسم المضيفين حسب مستواهم، وبناء عليه يقدم لهم الطعام.

-يخبر الأسرة التي عليها الدور لتحضير الطعام، وتقديمه للضيوف.

---

[1]- فرج (محمود فرج)، المرجع نفسه، ص 38

[2] - محمد (بن عبد الرحمن البلبالي)، الغنية، مصدر سابق، ورقة13

[3]- V. Deporter: op.cit, p46

[4]- G.Champeaux: op.cit, p 33

[5] -V. Deporter: op.cit, p47

- يكلف شخصا(عبدا) ليقوم برعايتهم واحتياجاتهم وإحضار الطعام، وهذا في عموم توات وتديكلت وقورارة .

- ويخبر باقتراب العدو، بواسطة الضرب على الطبل.

- بمثابة قائد الشرطة المسؤول عن مراقبة تحركات القبائل المعادية، مثل ذوي منيع وأولاد المولات.

وقد أشار(مارتان)إلى أن السكان قد استحدثوا نظام الشرطة منذ القرن التاسع عشر، وكان ذلك سنة 1219هـ/ 1805م لحماية بلداهم وأرواحهم من الهجمات المعادية.[1]

ب- الدهمان

هم أعوان الشيخ أو رئيس الجماعة في تنفيذ كل الأوامر الصادرة عنه وملزمون أيضا بطاعته، وهم مسؤولون أمامه في كل ما يحدث في وسطهم.[2]يقومون بنقل وتبليغ الشيخ بكل ما يجري، وكل الأحداث التي تقع داخل القصر، وكذلك تطبيق التعليمات الصادرة عنه [3].

ج- البراح (المنادي)

كانت هذه الحرفة تعد من الحرف الدونية التي لا يمارسها كل الأشخاص، وبالنظر إلى هذه الوحدة الإدارية الصغيرة "القصر"، والذي تنتظم بداخله شؤون الساكنة اعتمدت الجماعة براحا يقوم بإعلام سكان القصر بما يستجد في القصر.وهو المنادي الذي ينادي في شوارع البلدة بأمر من الشيخ أو القائد أو الجماعة.[4]و يعلن عن الأوامر الصادرة عن السلطة، والمبيعات، وينفذ الأعمال بالضرب، وعادة ما يكون من طبقة الحراثين.[5]ويعلم السكان بما يجري، وما سيجري من أحداث فينادي في الأماكن العامة التي يتواجد بها السكان كالأسواق، والساحات العامة بصوته قائلا": لاإله إلا الله يا سامعين ما تسمعوا إلا الخير، والعافية يعلمكم شيخ البلاد بكذا ...وكذا .."حسب الموضوع المراد إيصاله لأهل البلدة، فقد يكون من شيخ البلدة، ويتعلق بأمن البلد أو من أجل صفقات البيع، أو قد يكون من أحد سكان البلدة للعلان عن الأفراح كعقد الزواج أو الختان أي مناسبة أخرى، أو متعلق بوفاة.

---

[1]-A.G.P. (Martin) : Quatre siècles, Op.cit, p120

[2]- V. Deporter: Op.cit, p-46

[3] -محمد بن عبد الرحمن البلبالي، غنية المقتصد، مصدر سابق، ورقة 20

[4]- G.Champeaux: Op.cit, p33

[5]-V. Deporter: Op.cit, p47.

أما عن أجرته فحسب العرف، والعادة السائدة في البلدة فإن العائلات الغنية هي التي تدفع له المقابل أما إذا كانت التبريح يخص شخص معين كعقد القران مثلا، أو متعلق بالسلكة فأن أجرته تكون على عاتق الشخص صاحب التبريحة، وهناك أجرة تدفعها له الجماعة بمناسبة عيد الأضحى فيقدم له من كل أضحية في القصر(فرسن)وهي قدم الشاة.[1] وقال(ديبورتر)، أن أجرته حفنة من التمور لكل حديقة، وكمية من القمح والشعير.[2]

د–الشاوش: وهو الشخص المكلف بحراسة المساجين، ومكلف أيضا بدور الشرطة الداخلية والخارجية،[3] وقد توكل إليه وظيفة أخرى وهي إيصال الرسائل، وقد أشار مارتان (Martin) في كتابه المغرب في أربع قرون إلى إنشاء الشرطة، وقال بأن هذا النظام نجح في القضاء على الهجومات التي كانت تشنها بعض القبائل على القصور، وأشار إلى وثيقة وجدها سنة 1805م، وتحدث عن الهجوم الذي شنته قبائل الخنافسة في أواخر القرن الثامن عشر سنة 1797م على جيرانهم ونهبوا خيراتهم.[4]

هـ–الخوجة(الكاتب): وهي مهنة أو وظيفة الكاتب التابع للقائد أو السكرتير حاليا، وفي بعض الحالات يتم تعويضه بأي مدرس(معلم)وممكن أن يكون من(ذوي البشرة السوداء) باستثناء البراح والشاوش. ولا توجد وظيفة مجانية، وإنما يتلقى أصحابها هدايا، ومقابل يمنح إجباريا لكبار القادة ولأعضاء الجماعة، وأجور ثابتة تمنح للموظفين التابعين، والوسطاء وكل الموظفين الآخرين الذين يتم اختيارهم من البيض.[5]

أشار العسكري الفرنسي"دو شامبو"(Champeaux) أن هناك اختلاف بين القصور العربية، أي التي كان يقطنها العرب، والأخرى التي يقطنها البربر، فالتي تخضع للتأثير العربي لا يوجد فيها قائد بعينه، بل أنه في حالات الخطر أو الظروف الاستثنائية فإن الأشخاص أو أعيان، وكباره يجتمعون من أجل التداول حول العمل الواجب القيام به لمواجهة هذه الظروف الصعبة التي

[1] – مبروك (مقدم)، بنائية التقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2016، مرجع سابق، ص57

[2] – V.Deporter: Op.cit, p47

[3]– G.Champeaux: Op.cit, p33

[4] – A.G.P. Martin: Op.cit, p120

[5] – G.Champeaux, Op.cit, p33

تواجه القصر، وكذا دراسة الوسائل التي يجب اتباعها واللازمة لحل المشكل، أما في الحالات العادية فإنه يتم اللجوء إلى شخصية بارزة في القصور لها قبول عند الناس وليس بشكل دائم.[1]

أما بالنسبة للقصور التي يقطنها البربر فإن سلطة القائد ليست مؤقتة، وإنما هي دائمة ومستمرة في يد مايسمى الجماعة، التي تضم الرجال المسيطرين في القصر، والذين لهم مكانة بين سكانه، والأشخاص المشكلين للجماعة ينتمون للعائلات النبيلة، أولهم أكثر تأثيراً في المجتمع، إما بسبب معرفتهم وحكمتهم، أو بسبب سمعتهم كأولياء صالحين أو بسبب ثرواتهم،كما أن القائد أو شيخ الجماعة مثله مثل باقي أعضاء الجماعة.

كما لا يمكن أن نغفل بعض الوظائف الإدارية العليا التي أشارت إليها الكتب والمصادر المحلية، خاصة تلك المتعلقة بالسلط الحاكمة خاصة خلال القرن التاسع عشر منها: وظيفة الباشا والقايد التي كانت مرتبطة بشكل كبير بسلطة المخزن، إذ خلال فترات تاريخية عين سلاطين المغرب هؤلاء القياد على إقليم توات، وكلفوهم خاصة خلال القرن التاسع بجمع الضرائب، وكتب دو شامبو(Champeaux) يقول:"كان من واجبنا ذكر حضور الباشاوات المبعوثين سنة 1892م من طرف سلطان المغرب إلى تيميمون وأدرار في الواحات الصحراوية بسبب الاحترام الديني الذي كان يتمتع به، وليس بسبب الحكم الذي كان يملكه، ليس من شأننا التدخل في القادة الذين لم يحصلوا من السلطان سوى على مسؤولية شرفية في الوقت الحالي".

وبهدف مساعدتنا في المعلومات خاصة المتعلقة بأمننا الشخصي في الواحات قمنا بتعيين موالين لنا في كل القصور."[2]وكانت هذه الوظائف مستحدثة نهاية القرن التاسع عشر من طرف السلطان المغربي رغبة منه في السيطرة على المنطقة نتيجة اشتراك السكان مع مناطق الشمال ضد التوغل الفرنسي."وخوفه من أن تستولي فرنسا على الإقليم، لذلك فإن السلطان المغربي قسم الإقليم إلى مناطق جديدة وعين على كل إقليم واليا، وقائدا عاما على أتباع سفيان وهو الشيخ الحاج ومركزه في مدينة تيميمون، وقائدا على اتباع أحمد وهو الشيخ إدريس بن الكوري[3]ومركزه في

---

[1] - G.Champeaux, Op.cit, p32

[2] - ibid, p32

[3]- ويطلق عليه (باشا تيمي)حكم توات لمدة أربع سنوات نيابة عن سلطان المغرب، وكان مقر إقامته أدرار قضاء تيمي.ينظر

مدينة أدرار. كما عين نقيبا للأشراف في كل منطقة يوجد بها أشراف لتولي الإشراف على شؤونهم وحل خلافاتهم ونزاعاتهم، غير أن هذا لم يتم بسبب دخول الإحتلال الفرنسي إلى الإقليم مطلع القرن العشرين.[1]

المبحث الثالث: مهن ووظائف مسجدية

لقد توافد على حواضر توات على مر التاريخ العديد من العلماء من مختلف الجهات وقد أشارت إلى ذلك العديد من الكتب، والمخطوطات الموجودة في خزائن المنطقة، ومن خلال تصفح هذه الكتب نجد أنها تتناول علوم، وفنون مختلفة، منها الدينية في الفقه والتفسير، والحديث والتاريخ، والقواميس، والأدب، والطب، منها ماهو منسوخ بأيادي نساخين محليين، ومنها ماتم تأليفه من قبل علماء توات.[2]وبالتالي فإن الحديث على المهن والحرف المرتبطة بالمسجد فهي قديمة قدم تواجد هذه المساجد، ومنذ دخول الإسلام لإقليم توات وبناء المساجد، وتشييدها وهنا يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي: ماهي المهن التي إرتبطت بالمسجد؟ وهل ثمة دور للموقع الجغرافي في تواجد العديد من الخزائن والكتب؟ وما طبيعة هذه المهن ؟ لقد إرتبطت بالمسجد عدة وظائف ومهن في حواضر توات ومنها:

أولا– وكيل المسجد والإمام ومعلم القرءان والمؤذن

1. وكيل المسجد

والمسجد والمساجد هي: مواضع سجود، الجبهة والأنف، واليدان، والقدمان، والركبتان وهو المكان الذي تؤدى فيه الصلوات الخمس.[3]ويقول":(ديبورتر)هو مبني في كل قصر يصان بشكل جيد أوسع من المساكن له مأذنة، تستخدم المساجد كأماكن للصلاة، والبعض يتخذ منه مكانا للقيلولة، وتمتلك معظم المساجد ممتلكات من تبرعات دينية يديرها وكيل المسجد تحت

D´EU : In-Salah et le Tidikelt: l´ibrairie militaire, R.chapélot et G^e imprimeurs, éditeurs, 1903, p48

[1] – فرج (محمود فرج) ،مرجع سابق ، ص 40

[2] – قويدر(بشار) ومختار (حساني)، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، 1999، ص،ص 1-199

[3] –السيد محمد(عميم الإحسان المجددي)، مصدر سابق،ص203

إشراف الجماعة."[1]وتعتبر إحدى الوظائف الدينية التي عرفها إقليم توات حيث عين لكل مسجد مشرف على أمور الدين والتعليم، وتوجد هذه الوظيفة خاصة في المساجد المتواجدة في القصور والمدن الكبرى، ومهمته الإشراف على أملاك المسجد، وأوقافه وهو الذي يسيرها، ويقوم بتوزيعها سواء على التعليم أو على الفقراء، وكذلك من بين وظائفه أيضاً الإشراف على مراسيم الزواج والطلاق، وهي من الوظائف التي يقوم بها القائمون على أمور الدين[2]. وفي هذا يذكر (Champeaux) الذين زارو المنطقة في 1902 أنه يوجد في المناطق الصحراوية بعض الموظفين الضروريين لتسيير الشؤون اليومية، وتسيير الحياة العامة وهذه الوظائف تكون كلها أو بعضها. حسب أهمية القصور ومن هذه الوظائف :

2.إمام المسجد:

هي ثاني وظيفة دينية، وتعليمية فهو الذي يتولى القيام بالشعائر الدينية، وبإمامة المصليين في الأوقات الخمس للصلوات، وهو أيضا الشخص المكلف بتوفير الخدمة الدينيةكالتزويج والتطليق وتسجيل عقود البيع،وتسجيل الأحداث البارزة التي تخص الجماعات السكانية لذلك أطلق عليه إسم الشاهد،[3]وتظهر بعض النوازل الموجودة في الغنية أن هذه الوظيفة قد تتداخل مع وظيفة الطالب(معلم القرآن) فهو أيضا يمكنه أن يتولى الإمامة،كما أن سكان القصر كان بإمكانهم استئجار إمام للصلاة وكذلك لتعليم الأولاد القرآن الكريم، ومثل ما عليه واجبات فله حقوق.ويذكر ديبورتر (Deporte):"أن الإمام هو المسؤول عن خدمة العبادة فهو يؤدي الصلوات الواجبة ويترأس جميع مراسيم الدفن، ويعلم الشباب التواتيين. أما عن أجرته فهي عبارة عن مبلغ من المال، أو حصة من التمور عن كل حديقة، له الحق في السكن، وله الحصانة وجميع الامتيازات.[4] تبين النوازل أيضا طريقة، وكيفية منح أجرة الإمام، ومدرس القرآن المستأجران حسب

[1]-V.Deporter: Op.cit, p47

[2] – فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص 39

[3] – G.Champeaux, Op.cit, p 32

[4]-V.Deporter: Op.cit, p48

العرف الموجود في القصر، وحسب ما تم الإتفاق عليه بين الإمام وجماعة القصر.[1]حيث تظهر النازلة التالية أنهم استأجروه بأحباس المسجد.وجاء فيها:"وسئل عن من استأجره أهل قرية بأحباس مسجدهم على أن يصلي بهم ويقرىء صبيانهم، وسمو له عند العقد نهاية كراء الأحباس، من الزرع ونهاية ما يقطع منها من التمر، ثم لما شرع فيما استؤجر عليه بنحو من أربعة أشهر أراد أهل القرية إخراج الإمام قبل تمام العام، فهل لهم ذلك أم لا، إلا برضاه، وهل للإمام والمعلم أيام معلومة يجوز تخلفه فيها، لقضاء بعض المآرب أم لا"؟

فأجاب: أما إخراج الجماعة الإمام من غير إثبات جرحه (عليه)، فليس ذلك لهم قال: في التوضيح المتيطي: وليس لأهل المسجد، ولابعضهم بعد الإتفاق على الرضا بالإمام أن يخرجوه ولايتأخروا عن الصلاة خلفه، إلا أن يثبتوا عليه عند الحاكم ما يجرحه، لكن يكره للإمام إذا كره الأكثر من الجيران الصلاة خلفه أن يصلي بهم وهم يكرهونه، لكن لا يقضى عليه."ابن مغيث في وثائقه: وذلك إذا استأجره صاحب الأحباس، وإما إن استأجرته الجماعة فلهم تأخيره من غير إثبات جرحه."[2]

3. معلم القرءان (الطالب):

هو الشخص الذي يتولى التعليم في المدارس القرآنية أوما يصطلح عليه الكتاتيب وهي مدارس تكون دائما قرب السكنات داخل القصور لديها العديد من طلبة العلم الذين يتعلمون القرآن وأن التدريس في هذه المدارس يكون ديني محض ويدور حول سور القرآن،[3] وقد تتداخل هذه الوظيفة مع الوظائف السابقة، فقد يتولى الإمام تعليم أبناء البلدة فيجتمع بهم بعد كل صلاة في المسجد ويلقنهم دروسا في النحو، والصرف، وقواعد الدين والحساب وغيرها.[4] أما عن التعليم فيلتحق الصبيان في سن مبكرة، تقريبا منذ السِّن الرابعة إلى المدرسة القرآنية، التي لا يخلوا قصراً منها، طلباً للعلم، وعند دخوله لأول مرة للكتاب، فإن لعامة سكان توات عادات في ذلك،

[1] – محمد عبد العزيز (البلبالي)، غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من قضايا ومسائل لمحمد عبد العزيز البلبالي من بداية باب البيوع إلى باب الإستحقاق، دراسة، وتح فاطمة حموني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص فقه وأصول،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م، ص 220

[2] – نفسه، ص، ص 220-224

[3] – G.Champeaux, Op.cit, p 33

[4] – باي بلعالم (محمد)، ج1، مرجع سابق، ص 298

حيث يقام حفل بالمناسبة، وتحضر مائدة بها التمر، واللبن والخبز التقليدي المحلي، ويدعى للوليمة رجال الحي وتلاميذ الكتاب، ثم يقدم لوح الصبي لمعلمه فيكتب فيه بعد البسملة والآيات الأخيرة من سورة الإسراء:﴿قُلْ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾[1]إلى آخر السورة، لأن هذه الآيات تدعوا إلى عبادة الله عز وجل، وتصحيح العقيدة، وبعدها تكتب له الحروف الهجائية:أ،ب،ت،ث، ثم يمرر اللوح على الحاضرين ليكتب كل منهم حرفا من الحروف الهجائية تبركا بهم.[2]وتمر عملية التعليم الأولي، وتعليم الكتابة بثلاث مراحل :- يكتب للمتعلم بقلم الرصاص أو ما يظهر تأثيره في اللوح ليعيد الصبي الكتابة عليه بالحبر حتى يتمرن على الكتابة.

-عندما يتقن الحروف تكتب له في أسفل اللوحة آيات ليعيد كتابتها.

-وعند تحسن خطه وتمكنه من الإملاء تملى عليه الآيات ليكتبها، ويشكلها ويقوم المعلم بمراقبتها، وعندما يصل المتعلم لأحدى هذه السور تقام له وليمة مع زملائه فقط وهي:(لم يكن الذين كفروا، الأعلى، النبأ، الجن، الملك، الرحمن، الفتح، يسن، الفرقان، طه، التوبة)، أما إذا وصل الطالب المتعلم إلى حزب يستبشرون من سورة آل عمرن عندها تقام له وليمة كبيرة يدعى لها سكان القرية، ومعلمي القرآن، والأئمة من القرى المجاورة، ويأخذ معلم القرآن لوح الطالب ويكتب فية: بعد البسملة سطراً من حزب يستبشرون ثم يمرر اللوحة على الأئمة والمعلمين، ليكتب كل منهم كلمة تبركا إلى نهاية الثمن، ثم يقوم الحاضرين بتلاوة ذلك الثمن، وتقدم له الهديا، فهناك من يهديه النخل أو الماء، أو الثياب، أو المال، أو الشاة، ثم يمنح للطلبة عطلة، ويكمل الطالب سورة آل عمران ثم البقرة، ليبدأ الختم الثاني للقرآن الكريم من سورة البقرة، بحيث يكتب في كل يوم ثمنا ويحفظه على شيخه، وهو أيضا مطالب بأن يراجع يوميا قسطا من القرآن بعد صلاة العصر على شيخه إلى أن يتم القرآن، ثم يعيد القراءة للمرة الثالثة ويحفظ فيها في كل يوم نصف حزب من القرآن إلى أن يحفظ القرآن كله حفظا متقنا.[3] و يحظى معلم القرآن بمكانة واحترام كبير داخل المجتمع فبالإضافة إلى التدريس فهو يساعد في الصلح بين المتخاصمين، وعلاج بعض الأمراض من خلال الرقية أو ما يسمى "التسبيب"، ونزع سموم العقارب، ويسكن ألآم الأضراس.أما عن أجرته

[1]- سورة الإسراء، آية 110

[2]- باي بلعالم (محمد)، مرجع سابق، ص293

[3] - نفسه، ص، ص 294-295

فلها مصادر متعددة سواء من الأحباس والأوقاف والهبات، أومن كراء المنازل التابع للمساجد،[1]مثل ما ورد في النازلة السابقة، ومن الأوقاف مثلا:كأن توقف بساتين، ونخيل أو حبات من مياه الفقارة لبيوت الله، فيعطى المعلم من بيت دار الضمانة، ويمنح له أفستوح، أو منحة عطاء المسبلين الذين يقدمون حصة الشعير أو القمح، فيخصص للطالب إثني عشر شرطة أي نصف قيراط، والقيراط يحتوي على أربعة وعشرين قيراط القيراط، أما الإثني عشرة شرطة تعني نصف قيراط أو يخصص له نخلة أو نخلتين أو أكثر من نخيل التمر في كل بستان، وله الحق في السكن المجاني، وكثيرا ما يتضامن سكان القصر مع الإمام أو الطالب معلم القرءآن يمنحه مايسمى "التحريرة"،[2]حيث يحضر كل متعلم أو متعلمة مبلغ من المال يسلمه له قبل أخذ العطل الدراسية، وقد يمنح له أيضا البيض وغيره من المواد الغذائية المتوفرة.

أشار(voinot) إلى المساعدات والتبرعات التي تقدم للطالب(مدرس القرآن) في تيديكلت، حيث تقدم له مساعدات مرتين في السنة، واحدة في موسم الحج ما يجمع عن طريق(العورفات)، والثانية تكون في اليوم الخامس والعشرون من شهر رمضان، ثم بعد ذلك تمنح عطلة للمتعلمين لمدة سبعة أيام يلبسون فيها أجمل الملابس، وتقدم هدايا للمعلمين، وفي وقت الحصاد يجلبون كمية من الحبوب، والحطب والمياه، وقدم إحصائية عن عدد المدارس في تيديكلت سنة 1902 حيث بلغ ثلاثة وأربعون (43) مدرسة، منها أربعة عشرة (14) مدرسة مختلطة، بها مائة وستة وستون ذكور وثلاثة وثمانون(83) إناث.[3]

4. وظيفة المؤذن:وهو الشخص الذي يعلن عن أوقات الصلاة أو دخول وقت الصلاة من فوق مأذنة المسجد، أومن فوق السطح.[4]وهي ثالث وظيفة من الوظائف الدينية حيث يقوم المؤذن بآذان الصلوات الخمس، وهو بالإضافة إلى ذلك يتولى الحرس على نظافة المسجد، وكل ما يلزم

---

[1] – مبروك (مقدم)، بنائية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2016 ص –ص 35-36

[2] – مبروك (مقدم)، نفسه، ص–ص 35-36 ، أنظر أيضا باي بلعالم (محمد)، ج1، مرجع سابق، ص 346-347

ينظر أيضا: V.Deporter: op.cit, p48

[3]- L.(Voinot) ,op.cit, 83

[4]- G.Champeaux : Op.cit, p 33

المصليين من تزويده بماء الوضوء، والوقوف على احترام وقت فتح أبواب المسجد للمصليين، ومقابل هذا العمل الذي يقوم به تمنح له حصة من التمر سنوية من الأغنياء في القصر.[1]

ثانيا- حرفة النسخ[2]وصناعة المخطوط:

I.حرفة النسخ: أما حرفة النسخ التي عرفها التواتيون حسب بعض الكتابات التاريخية أنها جاءت بعد القرن 15م لأنه قبل هذا القرن عرفت حواضر توات بالاعتماد، على المخطوطات المجلوبة، ومن خلال الكم الهائل للمخطوطات الموجودة بالخزائن يشير بعضها إلى الناسخ، والكثير منها مجهول ناسخه وبالتالي وهناك صعوبة في حصر عدد من الناسخين المحليين للكتب خلال القرن التاسع عشر، وحسب ما استقيناه من بعض أصحاب هذه الخزائن فقد كان هناك نساخين، ولم تكن هذه حرفة بالنسبة لهم يتقاضون عنها أجراً، بل كانت عملاً مكملاً لعملهم خاصة العلماء.[3]وقد ربطت هذه الحرفة بالعمل الديني، والحركة العلمية التي عرفها الإقليم في الفترة الممتدة بين القرنين الثامن الهجري والعاشر الهجري(14م-16م) حيث تأسست المساجد التي استقطبت العلماء وآلآف الطلاب، وامتلأت الخزائن بالكتب وكثر التأليف، والرسائل في شتى العلوم وخاصة العلوم الدينية وانتشرت معها المخطوطات[4].

أ. أدوات النسخ ووسائله: أما عن خصائص ومميزات النسخ فيمكن أن نستخلصها من خلال المخطوطات المنسوخة محلياً، وكذلك استعمالها للحبر بألوانه المختلفة والتي كانت تصنع محليا منها: الأسود والأحمر والأخضر والأصفر،[5] وأنواع مختلفة من الأوراق، وقدمها.

1.الورق المستعمل:أما عن أدوات الكتابة المستعملة فقد استخدمت في الكتابة حسب ما عثر عليه في خزائن توات الألواح، والورق الصيني، وأوراق فولاذية خضراء،[1]كما استعمل ورق مصنوع

---

[1] - فرج(محمود فرج)، مرجع سابق، ص 40

[2] - نسخ الكتاب:كتبه عن معارضة كانتسَخَهُ واسْتَنْسخهُ، والمنقول منه النُّسخة بالضم، ابن منظور، لسان العرب، حرف النون (9221)، ص1604

[3]- عبد العزيز (محجوبي)، أمام مسجد عمر بن عبد الرحمان، لمحة عن الخزانة، تمنطيط، مقابلة بتاريخ 2020/03/12

[4]-كرزيكة (علي)أثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بأقليم توات، مجلة آفاق علمية مجلد (9) ع (14)، المركز الجامعي تامسغت الجزائر، ص164

[5]- يوسف (بن عبد الحفيظ التنلاني)، التقييد المجموع لمن هو هذا الفن مولوع، مخطوط بخزانة كوسام، شاري الطيب، الورقة 1، ينظر أيضا محمد الصافي (بن سيد البركة)، نيل المراد في كيفية عقد الوان المداد، مخطوط بخزانة سليماني أدغاغ، ورقة1

من جلد الماعز لا يعرف مصدره.[2]وقد أظهر أهل الحرفة عنايتهم بالورق، خاصة في التجارة حيث كان الكاغد جزء لايتجزأ من البضاعة التي يحملها التجار عبر القوافل التجارية شمالا وجنوبا، وكان أهل الحرفة من الكتاب، والنساخ وطلبة العلم عموما يخصصون له جزء من ميزانيهم السنوية.[3]

2.الدواة (الدواية) والأقلام:

وهي المحبرة التي يضع فيها الناسخ الحبر الذي يكتب به، وتستعمل أيضاً من طرف طلبة العلم في المدارس القرآنية لكتابة القرءان على الألواح خلال مرحلة حفظ القرءان، إلا أن المحبرة التي يستعملها النساخ تختلف عن تلك المستعملة لكتابة الألواح، فحبر الألواح يمحى بالماء والصلصال والنسّاخ يستعمل الورق بدلاً من اللوح، ويستعمل أيضاً الألوان بشكل كبير، وهذا من خلال ما تمت ملاحظته في مختلف المخطوطات، وقد برع أهل العلم في صنع الدواة بمختلف أحجامها، وأشكالها، فمنها الفردية للمداد الواحد هو الأسود، والمحبرة التي يستعملها النساخ تسمى بالمجمع ومنها الخماسية، التي بها خمس ألون، السداسية، والعشارية لتتلاءم مع أكبر عدد ممكن من الألوان والأحجام.[4] وسميت بالمجمع لكونها تضم أو تجمع مختلف ألوان الحبر المستعمل في الكتابة، ويتكون هذا المجمع من الدواة الكبيرة، ويوضع فيها الحبر الأسود، والثلاثة الأخرى واحدة للون الأحمر، والثانية للون الأزرق، والأخيرة للون الأصفر، ويستعمل اللون الأسود عادة لكتابة النصوص أو المتون، واللون الأحمر والأصفر، والأخضر لكتابة العناوين والزخرفة، وعادة ما يرش المخطوط بماء الذهب لقيمته العلمية.[5]

أما عن الأقلام المستعملة من طرف النساخ فهي أقلاما مصنوعة من القصب(يصطلح عليه محليا الجعب)وهي من النباتات التي تنموا محليا في البساتين ومتوفرة، حيث يؤخذ القصب ثم

---

[1]– الشيخ محمد(بن عبد الرحمان حسن الشيخ)، مخطوطات أدرار وخزائن التراث، حصة تلفيزيونية، مؤسسة التلفزيون العمومي، الجزائري فبراير2022.

[2]– عبد العزيز(محجوبي)، حول مخطوطات خزانة تمنطيط، مقابلة ، بتاريخ 15مارس 2021.ينظر الملحق رقم(06)، ص 397

[3]– أحمد (جعفري)، جهود علماء الجزائر قديما في مجال صناعة المداد والألوان دراسة وصفية في تقييدات ووثائق مخطوطة، مجلة رفوف، مجلد (8)، العدد(02)،2020، ص54

[4]– أحمد (جعفري)، المرجع نفسه، ص 54، ينظر الملحق: رقم(03)، ص 394

[5] – الطيب(شاري) ناسخ خزانة كوسام، مقابلة بتاريخ.2020/11/13

يجفف، وبعد ذلك يصنع منه القلم، وذلك باستخدام السكين جيث ينجر القلم من القصب ويستعمل للكتابة، وتستعمل أيضاً في الكتابة ريش الطيور، وأيضا أقلاماً مصنوعة من النحاس [1] .

ب.الخط المستعمل:

أما الخط المستعمل فكان الخط الرقعي، والنسخي والكوفي.وأكثر الخطوط إنتشاراً في حواضر توات هو الخط المغربي المحلي،كما تطورت الكتابة في المجتمع خلال القرن 15م، ظهرت المعارف التواتية خاصة ما تعلق بدراسة حلول للمشاكل الإجتماعية التي تعرض لها المجتمع، ولعل ما ساهم أكثر في انتشار النسخ هو تمكن أهل توات من صناعة الحبر بألوانه المختلفة، فقد اهتموا به كثيراً. وفي ذلك يقول الخطاط يوسف ابن عبد الحفيظ النتلاني في الخط وتعلمه:"واعلم أن الخط الحسن حكمة ومعرفته هذه الألوان تعين بحول الله وقوّته عليه."[2]وبه فسر قوله تعالى:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرً ومَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[3]قيل أن الحكمة هي الخط الحسن، وقال: ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فليبحث اللبيب على تعلمه وتعليمه ولقد أحسن القائل فيه حيث قال:[4]

تعلم قوام الخط ياذا التأدب	ولازم له التعليم في كل مكتب
فإن كنت ذا مال فخطك زينة	وإكنت محتاجا فأفضل مكسب

II.صناعة المخطوط: أما عن صناعة المخطوط فيطرح السؤال هل صنع المخطوط في توات والقصد هنا من حيث الورق والتجليد، أما عن صناعة الورق في الإقليم فلم تشر المصادر إلى ذلك، وبعض النماذج الموجودة من مخطوطات كتبت على الرق مثل: المخطوط الذي يتناول مواضيع في الفقه، وهو محفوظ في خزانه سيدي البكري بتمنطيط فهل صنع هذا المخطوط في توات أم هو مستورد، فالورق عكس الرق يمكن معرفة مكانه، بينما الرق فصعب. أما النماذج الموجودة فتدل على استخدام الورق.[5]

[1] – عبد العزيز(محجوبي)، الطيب (شاري)، مخطوطات أدرار وخزائن التراث، حصة تلفيزيونية مؤسسة التلفزيون العمومي الجزائري 2 فبراير2022. ينظر الملحق (04)، ص 395

[2]– يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، مصدر سابق، ورقة رقم8

[3]– سورة البقرة، أية 269

[4]– يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، مصدرسابق، ورقة رقم8

[5] –كرزيكة (علي)، مرجع سابق، ص 164

فيما يخص التجليد تشير بعض المخطوطات إلى وجود بعض الذين مارسوا هذه الحرفة، وأظهروا ولعهم واهتمامهم بإصلاح الكتب وتسفيرها، منهم الشيخ محمد الصافي بن محمد البركة الذي ذكر في مخطوطه أنه تنقل إلى أولف لتعلم التجليد، وتسفير الكتب وكتب عن كيفية التجليد، وقد نقل السيد ضيف الله بن محمد بن أب عن والده انه كان يتقن هذه الصنعة، ويقول في ذلك:"كان بارع الخط يسلَّم له فيه، متقناً لايتعقب، وأن أهل زمانه في هذا كله، مع الصنعة الحسنة في سفار الكتب وإصلاحها ..."[1]كما توجد إحدى الأدوات التي تستعمل في عملية التجليد مصنوعة من الخشب وتستعمل للضغط على الجلد.[2]

اهتم التواتيون بالخط الذي لعلاقته وارتباطه بالمساجد، والمدارس القرآنية والزوايا التعليمية[3] ما دفعهم للنسخ،كما يعد الموقع الجغرافي لتوات بوابة، ومعبر تاريخي لإفريقيا يربط بين حواضرها العلمية، وحواضر بلاد المغرب، هذا الموقع الإستراتيجي جعل المنطقة تحتل هذه المكانة، وتكون خزاناً وطنياً للمخطوط بحوالي عشرين ألف (20ألف) مخطوط في مطلع الستينات من القرن العشرين.[4]كما كان لقدوم بعض العلماء أمثال:الشيخ مولاي سليمان بن علي (580هـ/1184م) والشيخ عيسى البطيوي،[5](714هـ/1314م)، والشيخ يحي بن يدير ابن عتيق التدلسي(845هـ /1441م) والشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني[6](862هـ/1458) والشيخ محمد بن عبد الكريم

---

[1]- أحمد (جعفري)، جهود علماء، مرجع سابق، ص54

[2]- أنظر الملحق رقم(05)، ص396

[3] - محمد (باي بلعالم)، ج1، مرجع سابق، ص 437

[4] - أحمد(جعفري)، مخطوطات أدرار وخزائن التراث، حصة تلفيزيونية، التلفزيون الجزائري القناة الثالثة، 22فبراير2022

[5]- عيسى ابن محمد البطيوي (تق8هـ/14م) جاء الى أرض توات سنة 714هـ/1314م نزل بأولاد أمحمد بتمنطيط وبنا بها مسجدا، عرف بعلمه وأخلاقه. ينظر عبد الله مقلاتي، مرجع سابق، ص 277

[6]- عبد الله ابن أبي بكر العصنوني(ت914هـ/1508م)، من علماء توات أصله من تلمسان جاء مع عائلته إلى توات 862هـ/1458م من أجل نشر العلم، سكن ببني تامر لأول الأمر ثم انتقل إلى تمنطيط، حيث تولى القضاء بعد موت شيخه يحي بن بدير التدلسي 877هـ/1473م، خالف المغيلي في قضية يهود توات، توفي في 914هـ/1508م. ينظر، عبد الله مقلاتي، محفوظ(رموم)، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية–دراسة–،ط1، وزارة الثقافة الجزائر، 2009، ص224

المغيلي دور بارزا في دفع حركة التأليف.[1] فظهرت بذلك عدة مخطوطات، يمكن تصنيفها إلى قسمين: المخطوطات المجلوبة، والمخطوطات المحلية.

ا-المخطوطات المجلوبة: أو الواردة من خارج توات وهي التي جاء بها الرحل أو الحجاج أثناء رحلة الحج أو تلك التي استقدمها العلماء.الذين كانوا يرافقون القوافل التجارية. أو عن طريق طلبة العلم القادمين إلى توات للدراسة وتمتاز هذه الأخيرة أنها كانت تخلوا من الهوامش والحواشي.وعدم تكرار نسخها.

كان للعلاقات التجارية مع الحواضر المغرب الأوسط السودان سبباً في رواج الكتب والمخطوطات وخاصة قوافل الحجاج. والعلاقات التجارية مع البلدان الإفريقية مثل ليبيا وتونس والمغرب ومالي، والنيجر وبلدان أخرى، وكانت تجارة الكتب والمخطوطات من أنواع التجارة الرائجة حسب ما ذكره حسن الوزان ولأهميتها فكانت تأتي تقريبا كسلعة ثالثة بعد الذهب، والعبيد وهذا أيضاً أعطى دفعا آخر لتأليف ونسخ الكتب. وقد كانت توات على مر التاريخ موطناً للزوايا والكتاتيب التي أنجبت نخبة من العلماء في مختلف العلوم، والفنون من الفقه واللغة، وكانت ملتقا فكريا لتبادل الأفكار وإهداء المؤلفات، ونسخ الكتب، وثمرة ذلك وجود كماً هائلا من المخطوطات.

وارتباط أقاليم توات بالمخطوط هو ارتباطاً تاريخياً، وقد قدم لنا العياشي وصفاً عن الوضع، وأحوال توات العلمية نهاية القرن السابع عشر لما بدأت تتردى، وهو يتحدث عن إحدى القرى التي مر بها فيقول:"أن هذه القرية في مثل هذه المفازة ما حسن تسميتها قرية، إذ ليس فيها إلا نخلات معدودة قد يبس أكثرها وبقيت جدران تسفي عليها الرياح وجدنا في روضتها سفرا من نوازل البرزلي بخط الإمام بن مرزوق، قد أفسد الفطر جانبا منه ومعه الإجازات لبعض السادة القادرية بخط مشرقي، وكثر تعجبنا من وصول ذلك إلى هذه القرية، وما كنا نظنه إلا من كتب سيدي محمد بن اسماعيل".[2]وهي يعطينا صورة عن وجود المخطوط وكذلك نوعه، فهو قد استغرب وجود هذا المؤلف في تلك البلدة، وفي نفس الوقت يشير إلى أنه كان مهملا في الروضة لانشغال الناس بالتجارة، وهو أيضا من المخطوطات المجلوبة.

---

[1] - مبارك(جعفري)، مقالات وأبحاث حول تاريخ منطقة توات، دار الكتاب العربي، 2016، ص –ص 9-11

[2] -العياشي عبد الله(بن محمد)، مصدر سابق، ص108

كانت المخطوطات تجلب عن طريق القوافل التجارية والرحالة ومن أبناء المنطقة الذين كانوا يتنقلون بحثا عن العلم في الحواضر الكبرى،[1]وتعد الرحلة في طلب العلم من أهم وأبرز العوامل التي ساهمت في جلب الكتاب، وقد عرفت عند المسلمين منذ العهود الأولى للإسلام، وقد برز منهم الكثير من الذين ارتحلوا بحثا عن العلم ودونوا ما لقوا في طريقهم ومن التقوا من علماء منها رحلات الشيخ بن عبد الكريم المغيلي، إلى المغرب والسودان الغربي،[2] ورسائله ونذكر منها (مصباح الأرواح في أصول الفلاح)، ورحلة الشيخ بن عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التي دون فيها مروره بميزاب ومتليلي، والتطري والبليدة، وسجل فيها العديد من الوقائع التي شاهدها، ناهيك عن الكتب والرسائل والمناظرات والمحاورات لعلماء توات مع نظرائهم من البلدان الأخرى المدونة والمنسوخة التي توجد منها نسخ عديدة خارج الإقليم.

ب- مخطوطات محلية :

هي مخطوطات تواتية ظهرت بعد مرحلة المحاكاة والدراسة، وبعد تطور وانتشار دور النسخ للمخطوطات، والكتب ما يميز هذه المخطوطات أنها كانت قديمة، وتكثر فيها الهوامش.[3]كما وجدت مخطوطات قديمة جداً، منها المخطوط المتواجد بخزانة عبد العزيز محجوبي بقصر تمنطيط يعود تاريخه إلى القرن الثالث الهجري،(3هـ) ولاتزال كتابته واضحة وجيدة، وقيل أنه كتب على ورق من جلد الغزال، أما ثاني أقدم مصحف في حاضرة تيدكلت فهو متواجد بمسجد سعد بن معاذ بأقبلي، ويعود إلى القرن التاسع الهجري (9هـ)،انتهت كتابته في جمادى الأولى لسنة 872هـ وكتب برواية ورش وحفص ويسمى باللغة التارقية تينغ بويا بمعنى قاتل أبي،[4]ويقول صاحبه وهو إمام مسجد أقبلي الأمين منصوري :"أن معجزته لأنه عاش خمسة قرون وستون عاما ويستعمل كل عام بمناسبة المولد النبوي الشريف". كما يوجد بخزانة زاوية كنتة حزانة سيدي أحمد الرقادي الكنتي كتب في مختلف العلوم الفقه، الطب، والأدب وغيرها، غير أن مايشد الإنتباه هو كتاب للإمام البخاري في الحديث مكتوب بماء الذهب وأوراق فولاذية خضراء، وقد يعود عمره إلى سبع مائة سنة أي

[1] – مبروك (مقدم)، مدخل مينوغرافي، مرجع سابق، ص 75

[2]– عبد الله(مقلاتي)، مرجع سابق، ص–ص 100–101

[3] – مبروك(مقدم)، الإمام محمد بن عبد الكريم ، من خلال المصادر، ص133

[4] – الأمين (منصوري)،مخطوطات أدرار وخزائن التراث، حصة تلفيزيونية، مؤسسة التلفزيون العمومي الجزائري، 2 فبراير2022

حوالي القرن التاسع الهجري وهو تاريخ تأسيس الزاوية.[1] وبخزانة الشيخ عبد الرحمان بن امحمد الأنصاري، التي يعود تاريخ تأسيسها إلى ثلاثة قرون تحتوي على مخطوطات في مختلف الفنون منها من مؤلفات المؤسس، ومنها مانسخه هو بنفسه أو أبناؤه الخمس، أو ما تم شراؤه أو إعارته، ومن أبرز مؤلفات المؤسس عبد الرحمان بن امحمد العالم الأنصاري الزجلاوي، شبكة القناص على ذرة الغواص. وقصيدة من ألفين وسبع مائة بيت، في1785م/1200ه وهي عبارة عن أحكام فقهية في شكل ألغاز محلولة على وزن إن قلت قلت بمعنى لكل سؤال جواب.[2]

ثالثا:صناعة الحبر(المداد):

تعتبر صناعة المداد في توات مكملة لعمل ونشاط المدارس القرآنية و الزاويا التعليمية اذ يعد الحبر من أهم الوسائل التي تستخدم في تدريس فمن الحبر البسيط الذي يستعمل في الدواة (الدواية) إلى الحبر المستخدم في الكتابة على الورق، وتختلف طريقة صنع الأول لبساطته وبساطة المواد التي يصنع منها، لكونه سريع المسح والإزالة أو لأن المطلوب فيه أنه يُزال بسرعة بواسطة الماء.لأن اللوح يمحى ويكتب يوميا، وقد عرفت حواضر توات بأسلوبها الخاص في تدريس القرءان، والذي يتم في الكتاتيب(المحضرة أو أقربيش)[3] باستخدام اللوح للكتابة بالمداد، ويمحى بواسطة نوع من الطين الأبيض هو الصلصال، والماء وإضافة الصلصال للوحة يعطيها بياضاً ناصعاً وكذلك يغطي جميع الشوائب الموجودة باللوحة خاصة إذا كانت من نوعية رديئة، فيصبح سطحها أملس يساعد بشكل جيد على الكتابة. وقد أشار(voinot)إلى أن سكان تيديكلت يستخدمون اللوحة في التعليم، وتمسح بالطين الأبيض، أما القراءة فإن الأطفال يقومون بالترديد الجماعي لما يقوله الطالب(المدرس)، وأشار إلى وجود فتيات في المدارس القرآنية.[4]

[1] – سالم (كنتاوي)، مخطوطات أدرار وخزائن التراث، حصة تلفيزيونية، مؤسسة التلفزيون العمومي الجزائري ، 2 فبراير2022

[2] – الشيخ محمد (بن عبد الرحمان حسن الشيخ)، مخطوطات أدرار وخزائن التراث، حصة تليفيزيونية مؤسسة التلفزيون العمومي الجزائري، 2 فبراير2022.

[3] – وتعني المدرسة القرآنية، وأقربيش بالأمازيغية (الزناتية)

[4] - L.voinot: op.cit, p127

1.تعريف المِدَاد لغة واصطلاحا

أ.تعريف المداد لغة :مَا يُكْتَبُ بِهِ و(مَدَدْتُ) الدَّواةَ(مَداً)،جَعَلْت فِيهَا(المِدَادَ و(أَمْدَدْتُهَا) بالأَلِفِ لغةً و(الْمَدَّةُ) بالفَتْح غَمْسُ القَلَم في الدَّواةِ و(استمددتُ) مِنِها أَخَذْتُ مِنْهَا بِالْقَلَمِ لِلْكِتَابَةِ.[1]

ب.تعريف المِدَاد اصطلاحاً:فهو الذي يستعمل للكتابة على الورق ويستعمله المؤلفون و النساخ وتغير صناعة أكثر دقة إذ المطلوب أنه لا يمحى ويبقى لمدة طويلة. وقد برع في توات البعض في هذه الصناعة ومنهم الشيخ يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، ومحمد الصافي بن سيد البركة.وقد ترك كل منهما مخطوطا يتضمن كيفية عقد المداد.

2- مخطوط الشيخ يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني:[2]يقول عنه: سميته" التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع."[3]وقد قال في بداية جملة رائعة هي(الحمد الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحداً والصلاة والسلام على سيدنا محمد سر الوجود، وسيد الأحمر والأبيض، والأسود صلاة أنجو بها يوم لا ينفع والد ولا ولد)على نسق العنوان كما أشار إلى الدوافع التي جعلته يكتب هذا التقييد، وأنه تعلم الخط، وكان شغوفاً به، وشغل باله فأراد أن يقيد لنفسه تقييدا لعقد بعض ألوان المداد مما كتبه له بعض الطلبة ومما سمع من بعض الممارسين لذلك.وصنفهم إلى مسطراً ومبتكراً ومن هو مؤخرا.[4]ومن خلاله فإنه يعطي إحاطة لمن يعمل بصناعة المداد أو تعلم منهم وقال:"الموسط منهم ليس له غير أنه رواه عن شيخ ممارس له وهو السيد الطاهر وذكر حوالي ثمانية كيفيات لعقد المداد على النحو التالي:[5]

الكيفية الأولى:في صناعة المداد الأسود.

الكيفية الثانية: عقد لون من الحمرة

[1]- الفيومي أحمد(بن محمد بن علي الحموي)، المصباح المنير، ص566

[2] - يوسف بن عبد الحفيظ بن محمد بن عبد الحميد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التنلاني،ولد قبل سنة 1175هـ/1761م،كان شاعرا وفقيها محققا،من أثاره مرثية شهيرة احتوت على على خمسة وثمانين (85) بيتا رثى فيها مجموعة من أعلام المنطقة، توفي على الأرجح عام 1267هـ/1851م، وقد اختلف فيه. ينظر أحمد جعفري، جهود علماء توات، مرجع سابق، ص43.

[3] - يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، مصدر سابق، ورقة رقم01.ينظر الملحق رقم(08)، ص396

[4]-نفسه، الورقة 1

[5] - نفسه، الورقة 1-8

الكيفية الثالثة: عقد لون آخر من الحمرة (أحمر عكري)

الكيفية الخامسة:كيفية عقد الزرنيخ[1]

الكيفية السادسة:كيفية عقد الزنجار،[2]إطلاقه

الكيفية السابعة:عقد اللون الأزرق

الكيفية الثامنة:كيفية عقد الزعفران

ولأهمية هذه الصناعة فقد نُظمت فيه أشعاراً، وقد استعان ببعضها في صناعة المداد الأسود حيث قال: وقد جمع بعضهم أجزاء عقده في بيت شعري فقال:

جزءان من عصف وجزءان من سواد	أربعة من علك تصلح المداد

وقد عمل على إظهار الفروق بين الروايات التي حصل عليها، ويعطي الأجود منها فيقول مثلا:"في نسخة ثلاثة عن علك وهي عندي ضعيفة فالمراد المعقود ب ثلاثة أجزاء من العلك ليس كالمعقود بأربعة بل المعقود بأربعة أجزاء أجود، وأنصح وهو أضوء منه أي من المعقود بثلاثة."ويشير إلى ممارس آخر، وهو السيد الطيب ابن سيدي الحسن المراقني وهو المبتكر، وأن أكثر الألوان سمعها عنه.ويقول":أن السواد هو الزاج أو الطملة[3]،ويشير إلى طبيعة بعض الألوان فمنها ماهو أرضي وماهو نباتي،[4] ومن بين الأشخاص الذين لهم دراية أو روي عنهم أوسمع منهم،كما وصفهم بالموسط أي راوي، وليس ممارس للحرفة من أمثال عبد الكريم ابن السيد محمد بن خي الذي روى أنه رأى سيد الطاهر الأطرش القندوسي يعقد العلك بلا غاسول.[5]كذلك وجد بخط سيدي يوسف المذكور ما نصه من خط الأديب السيد العربي المبجل سيدي إدريس ما نصه: "صنعة نصف الصبغة للكتابة من تجارب العلماء الحكماء من الفلاسفة القدماء.صفة مداد خذ شيئا من

---

[1]- جاء في المحيط زِرنيخ بالكسر:حجر معروف أبيض وأحمر وأصفر، وقيل هو لفظ معرب، وهو حجر كثير الألوان يخلط بالكلس فيحلق الشعر، وقيل عنه مادة أرضية له بريق الصلب لونه ومركباته سامة يستخدم في الطب وفي قتل الحشرات.قاموس المعاني المعاني .almaany.com

[2]- ويعني صدأ الحديد والنحاس في المعجم الوسيط، وفي معجم الأعشاب، هو مادة خضراء، وهي حصيلة تفاعل حامض الخل مع النحاس.قاموس المعاني مرجع سابق.

[3]- وهي كبريتات الحديد تستعمل أيضا في الصباغة.

[4] - يوسف (بن عبد الحفيظ)، نفسه، ورقة، 2

[5] - يوسف (بن عبد الحفيظ)، مصدر سابق، ورقة2، ورقة 5

النيلة و اجعله مع شيء من الزرنيخ الأحمر يكون جيداً، صفة مدادَ أزرق خد شيئا من النيل و اجعل عليه شيئا من البيض يكون جيدا".[1]ومن خط جدنا أحمد بن يوسف رحمه الله ما نصه ويقول": لعود القمار عود الرطب"ويقال:"للفاسوخ الوسق" ومن خطه أيضا":وما أحسن الزنجار إذا جعل ثلثه شيئا بعد عقده بالخل وحبة علك بعد ذلك كله أعني بذلك القلة."[2]وذكر لي محمد الطيب بن الحسن المراقني"أن الزنجار إذا أطلق وجعل في الدواة وألقي عليه شيء قليل من الزعفران صار ربيعاً أي يشبه الربيع، وهو النبات."[3]

3-مخطوط محمد الصافي بن سيد البركة[4]:والذي عنونه بـ: نيل المراد في كيفية عقد ألوان المداد لصاحبه محمد الصافي بن سيد البركة،[5] وقد أشار إلى أنه طُلب منه التأليف في هذا الفن من أحد الأشخاص، ويقول":في ذلك فقد سألني بعض الإخوان أن أضع تقييداً على ألوان المداد فأجبته،"[6] ويحتوي على ستة وعشرون صفحة، و أزيد من عشرة أبواب، في عقد الألوان المختلفة منها:

---

[1] - يوسف (بن عبد الحفيظ)، مصدر سابق، روقة 9

[2] - نفسه، ورقة 9

[3] - نفسه، ورقة 10

[4] - محمد الصافي ولد (1224هـ/1809م)وصفه صاحب الذرة الفاخرة بقوله:سيدي محمد الصافي الفقيه الأديب الشريف الأريب عالم علامة في كل فن حاوي وفي الظرافة، والصناعة عجب في التصنيف أوفر نصيب فريد زمانه دخل محمد الصافي الكتاب وهو ابن أربع سنين لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرءان ومني خليل وهو ابن إثنا عشرة سنة على يد والده العقيد محمد البركة ارسله إلى قصر ملوكة اين تتلمذا على يد الشيخ القاضي سيد عبد العزيز ليتم دراسته على يد الشيخ أحمد الحبيب البلبالي الذي بقي معه مدة خمس سنوات ينهل من منبع العلم. وقد قال له شيخه ذات يوم "...يا سيدي العلم إليك ات وانت منه هارب..."ومنذ ذلك الوقت إلتزم محمد الصافي بحضور دروسه كانت له رحلتين علميتين:الأولى لمنطقة تيديكلت والثانية رافق فيها شيخ الطريقة الكرزازية الشيخ سيد الكبير بن علي توفي الشيخ محمد الصافي بن محمد البركة بن عبد الرحمن في اثنين وعشرين يوما حلت من ربيع الاول عام الف وثلاثمائة وخمسة عشرة(1315هـ/1897م) ودفن بمقبرة أدغاغ. المرجع:علي(بن محمد بن أحمد الحبيب بن محمد الصافي، شخصية العالم المؤلف سيد الصافي، أعمال الندوة السنوية الثامنة لإحياء مآثر الشيخ سليمان بن علي، أولاد أوشن، ادرار، 2013/5/14، ص37. ينظر أيضا الدرة الفاخرة، وأيضا محمد الصافي بن سيد محمد البركة بن عبد الرحمن، رحلة إلى تيديكلت، مخطوط بخزانة أدغاغ، ادرار ،الورقة 01

[5] -ينظر الملحق، رقم (07)، ص398

[6] - محمد الصافي (بن سيد البركة)، نيل المراد في كيفية عقد الوان المداد، مخطوط بخزانة سليماني أدغاغ ، ورقة،1، ينظر أيضا فاطمة(برماتي)، اهتمام علماء توات بالتأليف في صناعة ألوان المداد دراسة وصفية لمخطوط نيل المراد في كيفية عقد ألوان المداد للشيخ محمد الصافي بن محمد البركة أنموذجا، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، العدد(06) مارس 2015، ص94

-باب عقد اللون الأحمر

-باب عقد اللون الأخضر

-باب عقد اللون الأزرق

-باب عقد اللون الأصفر

-باب صنعة حل الذهب والصباغة، وحل جميع المعادن والباب الأخير خصصه للهندسة، والمهنة لا تتوقف على معرفتها رسوم التزوايق، والتماثيل التي لا يتم حسن الخط إلا بها ويوضح المخطوط كيفية استخراج الألوان، ويعطي أوجه مختلفة للصناعة ويشبه كثيراً المخطوط الأول، ومن المخطوطين يمكننا أن نستخلص المواد المستخدمه في صناعة المداد:

العلك: العفص السواد (الزاج) أو الطملة و يحدد لكل (المواد مقادير معينة حتى يكون اللون اللون جيدا و ذو نوعية)، والماء خرقة نظيفة يتم بها تنظيف الحبر أداة السحق العفص والعلك ثمر أكار(بعد طبخه مع الماء حتى تسقط قشوره)الفوة – الشب اليماني –ماء البيض (الماء الذي لين البياض والمح) الزرفطون[1] (زل) طين تيديكلت –اللك الأحمر العكري – الغاسول العشبي – البيض – الزنجفور –الزرنيخ –الخل –ماء للح العنب – الزنجار –الحجرة الزرقاء – شجرة عنب الذيب (الأوراق) الزرود – علك البرقوق – المحار –القطران –الغنج –اليطرون وقد قسمها إلى قسمين الأرضي(من معادن الأرض)، والنباتي(مواد نباتية).

فالمعادن منها :الزاج[2] –الطملة- الزنجفور –الزرنيخ –الحجرة الزرقاء –الرورد الأخضر –الشب وتستخدم هذه المواد حسب الألوان المراد استخراجه فهناك اللون الأسود له مواده – والأحمر- الأخضر-الأزرق و اللون الذهبي- والباقي نبات.[3]

استخدم محمد الصافي بن البركة أيضا الزنجفور(معدن حاصل من الزئبق والكبريت وبعض اللون الأخضر) يسحق غاية السحق وتركه يومين أو ثلاثة أيام، وتعاود سحقه ثم تجعله في آنية وتغمر فيها الماء وتغسله وتتركه حتى يجف ويضاف له أيضا ماء الرمان والصمغ.[4]

---

[1]- معدن لونه برتقالي كانت تستعمله العامة للزينة ويعرف باسم زلو، أحمد جعفري، جهود علماء، مرجع سابق، ص58

[2]- الزاج الأخضر، ويقصد به كبريتات الحديد، الزاج الأزرق، كبريتات النحاس، قاموس المعاني، موقع almaany.com

[3]- يوسف (بن عبد الحفيظ)، مصدر سابق، ورقة 2.

[4]- محمد الصافي (بن سيد البركة)، مصدر سابق، ورقة 2-4

المبحث الرابع: مهن إجتماعية ضرورية

أولا: مهنة أو حرفة التطبيب:

أ.مهنة الطب بين التعريف والممارسة :

1.تعريف الطب لغة :جاء في القاموس المحيط الطِّبُ مثلثة الطَّاء علاج الجسم والنفس يطُب ويطِب، الرفق والسحر وبالكسر الشهوة، والإرادة، والشأن والعادة وبالفتح الماهر الصادق بعمله كالطبيب وأطِبَّةٌ وأطِبَّاء، والمتَطَبِّبُ متعاطي علم الطِّب (إذا كنت ذا طِب فَطِبْ لِعَيْنيكَ).
الطَّبيبُ: العالم بالطب وجمع القلة أطبة والكثير أطباء وفلان يستطب لوجعه أي يستوصف الدواء أيه يصلح لدائه، والطب، السحر تقول منه:طَب الرجل فهو مَطْبُوب.وربما في تثليث طائه إشارة إلى التفنن المطلوب في العلاج:لأن الطبيب يتقلب مع المرض، ويعالجه بجميع أحواله.[1]
وقال الأصمعي: الطِّبَابَه الجَلْدة التي يغطى بها الخرز وهي معترضة كالأصبع مثنية على موضع الخرز والجمع الطَّباب والطِّبابة أيضا طريقة من رمل أو سحاب، وكذلك الطِّبة بالكسر والطُّبة أيضا الشقة المستطيلة من الثوب.[2]

كما جاء في التعريفات الفقهية أيضا أن الطِّب بالكسر السحر وعلاج الجسم، وعلم الطب:علم بقوانين تعرف منها أحوال البدن من جهة الصحة وعدمها، وصاحب هذا العلم طَبيبٌ. أما الصيدلاني فهو بيع الأدوية وجمعه الصيادلة.[3]

أما اسم الطّب عند اليونانيين « إيّاتْرِيكي » واسم الطبيب عندهم « إيَّاتْرُوس» واسم الطب عند اللاتينيين ميديكو أي:الدواء واسم الطبيب"دكتور"، إما من "دوتشبو" اللاتينية بمعنى أعلم، أما من اليونانية "ذي دكتور"بمعنى المنتسب إلى التعليم أي: المعلم والعالم وكلها من معاني المعرفة، ومما يتفق فيه اللغات في التسمية ، ومن هذه اشتقت الأسماء الإفرنجية.[4]

---

[1] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط،ص 989

[2] – اسماعيل (ابن حماد الجوهري)، مصدر سابق، ص171

[3]– السيد محمد(عميم الإحسان المجددي البركتي)، التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م ص135

[4]– عيسى(إسكندر المعلوف): تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص2014 ص39

وتجمع هذه التعريفات على أن الطب علاج الجسم، وبالتالي فهو مهنة لها ارتباطاً بالصحة وأن الشخص الذي يمارسها يسمى طبيباً وحكيماً، ومن المواد المستعملة أيضاً الطبة وهي قطعة من قماش يلف بها موضع الألم أو يغطى بها الجرح .

2.تعريف الطب إصطلاحا: وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى علم الطب واعتبره فرعا من فروع الطبيعيات[1]،ويعرفه بأنه:"صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض، ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية..."[2]

3.نبذة تاريخية عن الطب:

يعتبر الطب من المهن القديمة قدم العالم، وتركت كل حضارة قديمة دروسا ومعارف في هذا المجال،كما أن الطب العربي كان لعصور طويلة يعتبر من الطب المتطور بل أكثرها كمالا ومثالية واحتل العرب المكانة الأولى في الطب، وظلوا على رأس العلم الطبي في العالم على مدى أكثر من خمسمائة سنة، وتعود الاحاديث الطبية الموروثة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى ثلاثمائة سنة تقريبا،[3] وقد ظهر اهتمام العرب بالطب وعلم الشفاء من الحديث النبوي الشريف:"العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان " وكان علم الأبدان (هو الطب) بدائيا بسيطا للغاية عند عرب الجزيرة، واختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة، والطلاسم التي استعملت في مقاومة الإصابة بالعين.[4]وجمعت في كتاب الطب النبوي، كما أن الطب الفرنسي والأوربي عموما في العصور الوسطى اعتمد على الطب العربي واستوحى منه الكثير المرتبطة بحياة الإنسان، وقد عرف عند العرب حتى قبل الاسلام لكن معرفتهم كانت مبنية على الملاحظة والتجربة،فكانوا يعالجون بالسحر وتقديم النذور لأصنامهم، ويستخدمون العقاقير والأعشاب الصحراوية والفصد والكي

---

[1]– يقصد بها: العلوم التي تبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية، وما يتولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن.وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل في الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك.ابن خلدون المقدمة، مصدر سابق، ص 350

[2] – نفسه، ص 531

[3] – جاك (ريسلر)، الحضارة العربية ، تر خليل أحمد خليل ، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس،1993، ص 195

[4] – رحاب(خضر)،موسوعة عباقرة الآسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ، والفلسفة، ط1،ج2، دار الفكر العربي، بيروت، 1993 م،ص 12.

بالنار، واحتلت المعرفة الطبية مكانة كبيرة ومرموقة بعد الإسلام.[1]فقد اعتبر الإسلام في نصوصه وتعاليمه أن الجسم ضرورة لتحقيق سعادة الإنسان حسب قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" إن لجسدك عليك حقا."

كما لم يعرف العرب قبل الإسلام البيمارستانات (المستشفيات)،ولهذا يمكن اعتبار الخيمة التي نصبها الرسول صلى عليه وسلم في غزوة الخندق لعلاج الجرحى المسلمين أول مستشفى للمسلمين في الإسلام، وكانت روفيدة أول ممرضة تسعف الجرحى المسلمين فيها، وفي العهد الأموي كان الوليد بن عبد الملك بن مروان ت88هـ /707م أول من بنى بيمارستانا خاص بالمجذومين وحجزهم، وعين لهم الأطباء أما في زمن الخلافة العباسية فقد اهتموا بالطب وانشأ الرشيد بيمارستانا في بغداد سمي باسمه، وكذلك الخليفة المقتدر أنشأ بيمارستانا ببغداد عام 918هـ/1512م وأمر بانشاء مستشفيات خاصة بالمساجين، والمجانين وعين لهم الأطباء وزودهم بالأدوية والأطعمة والملابس، ولما زاد عدد الأطباء دعى المقتد بالله الى المسابقة.[2]

من أشهر الأطباء العرب المسلمين أبوبكر محمد بن زكرياء الرازي وهو من أشهر الأطباء الموسوعيين أول طبيب مسلم دون ملاحظاته على مرضاه وتطور المرض وألف أكثر من مائة كتاب وثلاثون بحثا في الطب والكيمياء وأظهر كتبه الحاوي، وأبوعلي الحسين بن عبد الله بن سينا(ت427هـ/1037م) له عدة مؤلفات أشهرها القانون في الطب وكانت كتبه تدرس في الجامعات الأوربية في القرن 17م، ونذكر أيضا خلف بن عباس الزهراوي من كبار الجراحين العرب وأستاذ علم الجراحة، ومن أشهر الأطباء الكحالين(أطباء العيون)أبو القاسم عمار بن علي الموصلي، وله كتاب المنتخب في علاج أمراض العيون وغيرهم من الأطباء، وخلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري أخذ تطور العواصم الكبرى دمشق والقاهرة وبغداد، تكدس الموارد والشروط المادية التي تسمح للعلم ولاسيما الطب بأن يرسي نظامه على الأسس المتينة، ومنذ ذلك العصر استطاعت الجامعات فتح كلية العلوم وكلية الطب ومختبرات تابعة لها.[3] أما عن هذا العلم في القطر الجزائري عموماً فإن الإهتمام به أيضاً كان لارتباطه بحاجة الإنسان للعلاج والتطبيب، رغم أن

---

[1] – رحيم (كاظم محمد الهاشمي)، عواطف (محمد العربي شنقارو)، الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ص 189

[2]– رحيم (كاظم محمد الهاشمي)، نفسه، ص190

[3] – رحيم (كاظم محمد الهاشمي)، نفسه، ص ص 190-191

الخرافة كان لها حضوراً مهما إذ ارتبطت بالطب فقد كان الإعتقاد والإيمان بأن مجرد الشرب من بئر معينة أو تعليق تميمة، أو زيارة ولي صالح سيشفى المريض من مرضه، ولقب الطبيب بالحكيم كما أن الجراحة كانت معدومة، وكانت الأدوية تتشكل من النباتاتن ويستعمل الكي، والحجامة ووضعوا مجموعة من الوصفات لعلاج مختلف الأمراض.[1]

عرف المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان خلال العهد الزياني بالاهتمام والعناية بمهنة الطب، وكان الأطباء والعلماء يدرسون العلوم الطبية والنظرية والعلمية للطلبة، في بعض مساجد تلمسان، ومدارسها، وكانوا يعتمدون على الكتب والرسائل المجلوبة للحصول على المادة لعلمية، وكانت هناك حوالي ثلاثمائة عنوان لمصنفات الطب والصيدلة في خزائن حواضر المغرب الأوسط، ومن أشهر أطبائها: أبوالقاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني، أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي، أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد التلمساني الثغري الطبيب،[2] كما كان العلاج يتم تحت إشراف الأطباء في بيمارستان تلمسان المجهز بالوسائل الطبية والبشرية من الحكماء والكتاب والممرضون والحراس والطباخون، وكانت هناك غرف مخصصة للحمقى، والمجانين، والمجذوبين.[3]

غير أن الدولة أيام الحكم العثماني لم تهتم بدراسة الطب في المدارس وإنشاء أكاديميات طبية للبحث فمعظم الحكام يحضرون أطباء أوربيين لعلاجهم وحتى شرائهم، ومما يذكر عن الباي محمد الكبير أنه اعتنى بالطب، وشجع العلماء على التأليف، وأنه كان هو شخصياً يصف الدواء للناس ووصف بطبيب الفقراء، وهو من شجع أحد الشيوخ يدعى عبد اللطيف للتأليف فوضع كتاباً سماه (المنهل الروي والمنهج السوي في الطب النبوي)، كما أمر كاتبه ابن سحنون يجمع طب القاموس وجمعه وزاد عليه من كلام الأطباء وصار تاليفا هاما،كما أن مصادر الطب العربي كانت متوفرة في الجزائر وحتى المكتبات كانت تحوي الكتب الطبية: تآليف ابن رشد، ابن سيناء داوود الأنطاكي، ابن البيطار مع وجود كتابات المدرسة التلمسانية. ومن أبرز وأهم المؤلفات الجزائرية معجم كشف الرموز لابن حمادوش ومؤلفات أحمد البوني، إلا أن العلماء الجزائريين ظلوا

---

[1] – أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 ص، ص 417-418

[2] – عبد العزيز (الفيلالي)، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، الجزائر، 2014م، ص ص119-120

[3] – نفسه، ص118

يؤمنون بأن الطب مقصور على الأوربيين بالرغم من اشتغال علماء مسلمين بالجراحة والصيدلة، وقد فصل ابن حمادوش[1] في معجمه كشف الرموز[2] الحديث عن أنواع النباتات، والعقاقير وكمياتها وطريقة استعمالها، وقد تحصلت على ورقات منه، من خزانة سليماني بقصر أدغاغ.[3]

4- التطبيب وخصائصه في توات

عرف الطب في إقليم توات منذ القديم واهتمام الخاصة به والعامة لارتباطه بصحتهم وحياتهم مثلهم مثل إخوانهم في القطر الجزائري، فمن المأثور عن أهل توات الطبيب هو ذلك الحكيم الشعبي التقليدي الذي يقوم بمداواة المرضى، واعترف له بالحكمة والتجربة الطويلة في مجال العلاج، وتختلف طرق العلاج من معالج إلى آخر، وأيضاً حسب نوع المرض فيعتمد بعضهم على الطب النبوي، والذي يعتمد على الأحاديث النبوية والأدعية، وما استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم، والآيات القرآنية كالرقية، وكان الطب في توات يتماشى مع التقاليد، ويوجد أطباء لمختلف الفئات فمنهم طبيب الصبيان، وهذا يكون غالباً من النساء، والطبيب المتخصص في جميع الأمراض وطبيب الأسنان،[4] وطبيب الكسر، والطبيب البيطري، والولادة وهذا في الغالب من النساء والقابلة والختان والحجام، كما تختلف وسائل كل منهم، فمنهم من يستعمل المداواة بالأعشاب أي

---

[1] – عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري ولد في مدينة الجزائر سنة 1107، وعاش إلى أن تجاوز سن التسعين، وغالب الظن أنه توفي في المشرق بين 1198-1200 ولد في أسرة متواضعة تلقب بأسرة الدباغ لأن والده وعمه كان يشتغلان بها، تعلم عن طريق الدرس، والإجازه والرحلة،425ص وكل العلوم تلقاها بالدرس إلا الكمياء والسيمياء، والموسيقى تلقاها بالإجازة، ودرس في المغرب على أحمد الورززي، ومحمد البناني وغيرهم، وتتلمذ في الطب علي عبد الوهاب أدراق طبيب السلطان اسماعيل وأولاده، وعلي يد الشيخ محمد زيتونة التونسي، وهو نتاج القرن(18م) وكان ميالاً يطبعه إلى الكتب العلمية فدرس تآليف القلصادي في الحساب، وشرح السنوسي على الحباك، والأسطرلاب والقانون والنجاح والطلاسم لابن سينا، وتاريخ الدول للمطي، وهوى أخبار العلماء والأطباء، ينظر أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص427

[2] –وتوجد في خزانة مخطوطة،كتب عليه كشف الرموز لأبي الحسن، وحسب الورقات التي توفرت لدي، فيظهر أنه معجم للتعريف بأنواع الأعشاب الطبية، وقد يكون لابن حمادوش، الذي تحدث عنه أبو القاسم سعد الله، الذي قال: عنه أنه الكتاب الرابع من كتابه"الجوهر المكنون من بحر القانون"وهو عبارة عن قاموس طبي سار فيه ابن حمادوش على طريقة المعاجم الأبجدية، وضمنه، بعد مدخل في أنواع وأوصاف الأدوية،أسماء النباتات والعقاقير، والحيوانات،والمعادن.ينظر أبو القاسم (سعد الله)،ج2، مرجع سابق، ص432-433

[3] – ينظر الملحق رقم (11)، ص399

[4] – تقييد مخطوط، بخزانة ابن الوليد، باعبد الله، ادرار، ورقة126

الطب الشعبي، والكي(النار)وما يسمى محليا (الشراطة)، والحجامة، ومنهم من يستخدم الشعوذة والسحر والإحتيال،[1]وتستخدم في العلاج مواد مختلفة.

من خلال زيارتي لبعض الخزائن في حواضر توات عثرت على مخطوطات لها علاقة بالطب الشعبي، وتتحدث عن الطب عند العرب، بالإضافة إلى إجتهادات بعض علماء توات في جمع بعض الأدوية، والعقاقير المشهورة في كتب الطب والتأليف فيها، ومنها ما عثرنا عليه في خزانة أدغاغ وكتب بخزانة كوسام على مخطوط قديم في الطب[2] لأحد علماء الطب القديم اليونانيين منسوخ بخط يد الشاري الطيب، فيما توجد النسخة الأصلية في خزانة ملوكة، وكتب عليه جالينوس،[3]كما نجد بعض الوثائق في شكل جذاذات وهي الوثائق الأكثر انتشاراً في الخزائن، وهي ورقة صغيرة بمثابة وصفة طبية تتضمن الدواء المقترح ونوع المرض، والمقادير وكيفية استعماله يسلمها المعالج للمريض، ونجد بعض المعلومات المستقات من الرسائل التي كانت بين بعض العلماء وأصدقائهم ومنها رسائل محمد البكري بن عبد الرحمن لأحد أصدقائه في منطقة تيدكلت، يشرح له فيها أسباب المرض وعلاجه وبعض العادات السيئة التي تؤدي إلى المرض،[4]كما نجد أيضا الفوائد المدونة ضمن متون وطرر الكتب،[5]حيث تحتوي العديد من المخطوطات على وصفات علاجية لبعض الأمراض، وقد عثر على مثل ذلك في كتاب الجامع لفتاوى التنلاني. وما يدل على اهتمام علماء المنطقة بالطب والإستفادة من كتب الطب القديمة ،كما لاحظنا أنه في كثير من

---

[1] – محمد باي بلعالم، الرحلة،ج2، مرجع سابق، ص365

[2]– ينظر الملحق رقم(09)، ص397.

[3] – إسمه كلوديس جالينوس ولد في برغاموس من ميسية سنة 131م ومات في صقلية نحو سنة200، وتلقن فن الطب في السابعة عشرة من عمره واشتغل في الاسكندرية، ورحل وهو ابن عشرين في إتمام معارفه، وتوسيع تجاربه شأن أطباء اليوم، فوقف على مؤلفات من تقدمه، وجمع بعضها وطالعها، ووضع كثيراً من المؤلفات المفيدة بقيت مرجع الأطباء أكثر من عشرة قرون، وأشهرها الكتب الستة التي شرحها الأسكندريون، ولم يبقى منها إلا ثلاث وثمانون رسالة وخمسة عشر شرحاً على تأليف أبقراط وجمعت تأليفه الباقية في عشرين مجلداً، وطبعت في ليبسيك من سنة 1821-1833م ومما عربه العرب منها قديما "الأغدية"، ومسألة الطبيب للعليل، ينظر، عيسى اسكندر المعلوف، مرجع سابق، ص31 .

[4] –عبد الرحمن (باعثمان)، الصناعات الدوائية والطب الشعبي بمنطقة توات خلال القرنين 12و 13الهجريين–دراسة من خلال الوثائق المحلية المخطوطة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج16 ع(01) جوان 2020م، ص7-22

[5] – عبد الرحمن (باعثمان)، المرجع السابق، ص14

الأحيان ما يتولى معلم القرآن ممارسة التطبيب خاصة الرقية، وهي ظاهرة منتشرة بكثرة في المجتمع التواتي، إلى يومنا هذا .

قد أشارت بعض المخطوطات إلى بعض الأطباء الذين اشتهروا في زمانهم ومنهم الطبيب الذي كان يداوي بالتجربة والأعشاب، وهو سيد أحمد بن صالح بن ابراهيم بن عبد المومن الكنتاوي التواتي الذي له منظومة كبيرة في الطب ومما قال في الطب:"اعلم أن الطب علم شريف، وفي حسن ظريف ومن يشربه لا يستغني عنه عند الحاجة قوي، ولا ضعيف وحسبك أنه سنة نبوية ورحمة بدنية سماوية وأرضية."

ثم تحدث عن خطورة هذا العلم وما عرفه من الحكماء عن الأضرار التي يمكن أن تلحق بالمريض في حال الخطأ في وصف الدواء وقال:"وها أنا بحول الله وقوته أشير إلى قليل من كثير وإن كنت بالإدراة غير جدير إلى أن قال الأبدان التي غلبت الحرارة على طبعها لها أن تداوى بالأدوية الباردة والتي غلب عليها البرود لها أن تداوى بالأدوية الحارة وتداوى الطبيعة الرطبة بالأدوية اليابسة إلى أن قال ولهذا بين الحكماء من السلف والخلف طبائع الأغذية والنباتات والحبوب والمائعات والجمادات فمن جهل طبع الإنسان وطبع الأمراض، وطبع الأدوية فلا يحل له الانتظار إلى علاج الناس قولا وفعلا."[1] ثم قال:"إن اشتكى إنسان مثلا بحرارة جوفه فيقول له قائل كل الثوم، والقرنفل والسليط، ولحم الحمام، ونحوها من ذوات الحرارة، فهذا جاهل قطعاً قواعد الفن وإضافة طبع إلى مثله، وأنما يعالج هذا بنصوص يوافق الحكم بخلاف الطبع،كالبقلة المباركة وهي الرجلة والعدس ولبن المعز، والتمر الهندي وهو المعروف عندنا بتوات بـ بوصوصو المجلوب من أرض السودان ونحوه من أدوات البرودة ...الخ"، وله قصائد في العلاج:[2]

ومن الأطباء الحاذقين المشهورين في قورارة السيد محمد بن أحمد العالم لمطارفي الجوراري الذي نظم أرجوزة طبية مما قال فيها:[3]

ومن بعينه ظلام يكتحل	بماء فجل ينجلي كان أو كل
وعلف التمر يقوي البصر	حرقا وكحلا وهو يقضي الوهرا

[1] – تقييد في العلاج، خزانة بن الوليد، مصدر سابق، ص ورقة رقم 126

[2] – نفسه، ورقة 127

[3] – تقييد في العلاج، خزانة بن الوليد، مصدر سابق، ورقة 127

بالرجوع إلى بعض المصادر الفرنسية التي تحدثت بإسهاب حول التطبيب في قورارة وهو ما ينطبق على توات بصفة عامة، فقد قدمت ملاحظات، فيها نوعا من التحيز، والإيحاء بأن العرب أقل شأناً في الطب من غيرهم، حيث أشاروا إلى أن الطب الممارس في قورارة لدى السكان الأصليين معقد للغاية منها ما يعتمد على السحر، وقد أخذت أساساً من عند العرب واليهود، والخرافات كما أنهم قد تفاجؤا أحيانا من الطريقة التي وضعت كأساس للعلاج هناك، والتي إذا ما تمت مقارنتها بما ظهر في القرن العشرين من تطور فإنها تبدوا همجية ومتوحشة، وأحيانا عكس ذلك يستغربون من قوة الحدس، والملاحظة في اختيار بعض الأدوية لبعض الأمراض من طرف أهل المنطقة.[1]

يعد الطب من بين المهن الصعبة التي لا يمكن لأي شخص أن يحترفها لما لها من مخاطر على حياة المرضى عند وقوع أي خطأ، وقد تطرق الشيخ باي بلعالم إلى تفشي ظاهرة التطبب من بعض المتطفلين على الطب بالنباتات، والأشجار من دون معرفة بالمرض وأسبابه وذلك من خلال إعطاء وصفات نباتية للمرضى ضررها أكثر من نفعها، فيقوم بعض المتطفلين بخلط بعض النباتات وطبخها، وتوصف لبعض المرضى غير أنه مضراً كونه يسهل البطن بعنف، ويستخدم فيه الحنظل وهو سام ومحظور شربه،كما لا يمكن لأي شخص أن يقدم على التداوي بالأعشاب دون أن تكون له دراية بما تحويه العشبة، وما فيها من أضرار ومخاطر وأورد قصة توما الحكيم وفيها:[2]

قال حمار الحكيم توما	لو أنصفوني ما كنت أركب
لأني جاهل جهل بسيط	وراكبي جاهل جهل مركب

والقصة مفادها أن توما الحكيم وجد في أحد كتب الطب"الحبة السوداء شفاء لكل داء إلا السام، فجاءت ذبابة وألقت عليها فضلتها فأصبحت الحبة تقرأ الحية السوداء، وهي الأفعى فاستعملت في العلاج فمات الكثيرون من سمها، فصار مضرب مثل لكل متطفل على الطب من دون علم ومعرفة، ولهذا فإن علماء الطب عملوا الكثير من البحث، والتجارب ولمدة طويلة حتى أظهروا كتبهم، ومنهم أحمد بن قدامة الذي ألف قاموس الغذاء والتداوي بالنبات"وبين فيه ما في كل

[1] -G.Mercadier, R.Rondreux : L’Oasis rouge: Editions Robert et Rene chaix, Alger, 1946, pp 161-162

[2] - تقييد مخطوط بخزانة ابن الوليد، ورقة رقم 126، ينظر أيضا محمد(باي بلعالم)، مرجع سابق، ص565

عشبة من منافع و أضرار، وقدر شرح ذلك في مقدمته. بحيث كان يشرح الأمراض التي لا تداوى بالعشبة.فيقول:"هذا الدواء لا يمكن أن يستعمله من به مرض كذا وكذا..."[1]،وكل ذلك حرصاً على صحة المريض، وحفظا لحياته، فعلى المعالج أن لايصف لمريضه ما يضره من الدواء.[2]وهي الخصائص التي يجب أن يتحلى بها كل من احترف مهنة الطب.

1.4.أنواع الطب والحرف المرتبطة به

عرف الطب الشعبي العربي تطوراً في مختلف وسائله وتقنياته، فمن التداوي بالسحر والشعوذة، والأمور الروحانية المبنية على الجانب الديني الروحي إلى العلاج بالأعشاب والمواد العضوية المستخرجة من الطبيعة والجمادات أو من الكائنات الحية، والعلاج باستخدام تقنيات لإرجاع الجسم إلى حالته الطبيعية أو ما يسمى بجبر الكسور أو استخدم الحجامة أو الكي فقد استخدم السكان مختلف هذه الأنواع.

1.1.4. التداوي بالأعشاب:

يعتبر الطب ضرورياً في المدن، والأمصار لما له من فائدة فإن ثمرته حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى، وذلك بالمداواة، والعلاج حتى يحصل الشفاء من الأمراض. قال ابن خلدون:"واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال:صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب، وهو قوله:«المِعِدَّة بَيْتُ الداء والحمية رَأْسُ الدَّوَاْءِ، وَاَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبُرَدَةُ» ويقصد بالحمية الجوع، وهو الاحتماء من الطعام، بمعنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية، أما قوله:"أصل كل داء البردة" فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم هضم الأول.[3]ونتيجة لعدم احترام هذا السلوك الصحي من معظم الناس يصابون بأمراض شتى، وتبدأ رحلتهم في البحث عن الدواء، فيتجهون إلى الأعشاب لقربها، وتواجدها في معظم الأماكن وحتى في المنازل، وقد برز في توات العديد من الأشخاص الذين يمارسون التداوي بالأعشاب معظمهم توارثوها عن أجدادهم وآبائهم.

---

[1] – محمد (باي بلعالم)، مرجع سابق، ص566

[2] – عبد الرحمن (بن عبد الله بن نصر الشيرزي)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح محمد اسماعيل، (د.ط)، أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س)، ص 264

[3] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص451

كان للتداوي بالأعشاب تقنيات خاصة تتعلق بكيفية تحضير الدواء، ولأنه يتوسل كل ما ينبت في الطبيعة من أجل تحضير الأدوية النافعة للجسم حسب العلة التي تفقده توازنه، وبعد التجارب التي لاحصر لها على امتداد تاريخ العلاقة مع المرض والأعشاب، والنباتات التي تجود بها الطبيعة بالإضافة إلى حيواناتها التي استعملت هي ومنتوجاتها كأدوية للشفاء، فإن هذه المنتوجات النباتية، والحيوانية تستعمل بطرق مختلفة حسب نوع المرض، فمنها ما ينتج شرابا، أوما يطحن ليلصق بعد مزجه مع مواد مختلفة.[1] وبذلك نكون أمام مجموعة من التقنيات.

- الحصول على خلاصات النباتات بعد غلييها
- تحضير منقوع الأعشاب بعد إضافة الماء وبعد ذلك تصفيته
- تحضير الصبغات بإضافة الكحول على الأعشاب
- تحضير المراهم من خلال الغلي الخفيف والتصفية وعصر الاعشاب وحفظها
- تحضير الضمادات العشبية(اللبخة)، والكريمات، والشراب، والنقائع الزيتية المختلفة.[2] وهذه الكيفيات تحضر أيضا من طرف المعالجين في توات وبنفس الطرق تقريبا.

عرفت بعض العائلات بممارسة التطبيب الشعبي في توات وقورارة، وتيدكلت وعادة ما يكون متوارثا أبا عن جد، فلا يكاد قصراً من القصور يخلوا من طبيب شعبي، والأمر لا يقتصر على الرجال فحسب بل هناك نساء تتولى علاج النساء، والأطفال في مختلف الأمراض، فهناك من يتخصص في علاج الأمراض العضوية مثل: أمراض المعدة والأمراض الداخلية، ومنهم من يتولى علاج الكسور، ومن أشهر العائلات، عائلة حبيبي،[3] المعروفين بأولاد سيد الهواري.[4]ومن الذين

---

[1]- عاطف (عطية)، في الثقافة الشعبية العربية الرحمة والحكمة في الطب والأمثال، ط1، جرّوس برّس ناشرون، لبنان 2019م ص، ص 93-94 .

[2]- نفسه، ص94 .

[3]- عائلة تقطن بقصر أولاد أوشن، وقد عرفوا بالحكمة بدءً ب الأب الأكبر سيدي حبيبي وأخته مبروكة، أما السيد حبيبي هواري بن امحمد بن الحاج محمد فقد ولد عام 1904م، وتوفى سنة 1966م. المصدر: وثيقة رسمية بحوزة العائلة بقصر أولاد أوشن، مراسلة عن طريق حفيد العائلة، هواري محمد حبيب، يوم 2022/10/02م.

[4]-هو أبو عبد الله محمد بن اعمر الهواري-المغراوي، ولد سنة 751هـ/1350م، نسبة إلى قبيلة هوارة، ويحتمل أن يكون قد ولد في منطقة الشلف موطن قبيلة مغراوة، ثم انتقل إلى قلعة بني راشد،حفظ القرءان وهو في العاشرة من عمره ثم غادر قلعة هوارة إلى بلدة كلميتو شرق مستغانم، وهو أحد أقطاب التصوف المغاربة، وهو شيخ أولياء مدينة وهران، تنقل شرقا وغربا طلبا للعلم، توفي في 02ربيع الثاني 843هـ/1439م، وعمره 92سنة، المصدر:تقييد بخزانة الطيب شاري،كوسام، ادرار.

عرفوا واشتهروا من العائلة حتى أيامنا هذه المرحومة الحاجة مباركة ابنة محمد حبيبي، التي كانت مقصدا من كل الجهات.ولا يزال عدد من أبناء العائلة يمارسون هذه الحرفة إلى يومنا هذا.ويعالجون مختلف الأمراض الداخلية، والجبر، والحجامة، باستخدام الأعشاب الطبية المختلفة. وقد برز إهتمام بعض علماء المنطقة بالعلاج بالأعشابمن خلال وجود العديد من الأراجيز، والقصائد التي نظمت في الموضوع، ونتافات من مخطوطات ضائعة عن الأعشاب وفوائدها.[1]

2.1.4. الطب الشعبي الجراحي

أ-الكي:

- **الكي لغة:**كَيّ(إسم)، مصدر كوى.كَيُّ الجسد:إحراق الجلد بحديدة محمّاة للمعالجة أو غيرها يعالج الناس بالكي.أو إحراق الجلد في مواضع معينة بجسم حارق للتداوي.[2]

– **اصطلاحاً:** هذه تقنية تقوم على تحمية حديدة مخصوصة حسب الموضع، وهي المكواة حتى تصبح حمراء بلون الجمر وتوضع على الموضع المصاب من جسم المريض، أما طرق الكي، فهي الخبط أي وضع سيخ الوسم على المكان المقصود طوليا، أو وضعه طوليا وعرضيا في شكل صليب، ومنها ما يسمى الترقيش كي خفيف بواسطة عود ملتهب الرأس أو اللدغ وتكوى به الأظافر والأصابع.[3]

أشار النقيب والطبيب غوث(Guth)في جولة طبية لهم بقصر شروين حول وباء إلتهاب السحايا عام 1906م أن معظم المرضى المصابين عليهم أثار حروق في الرقبة، وأماكن أخرى ويبدوا أنها أثار عملية الكي استخدمها المرضى لعلاج تصلب الرقبة، وآلام العمود الفقري. وخلال هذه الجولة صادفوا أربعة مرضى أطفال بطونهم مغطاة ببثور كبيرة غير معروفة واعتقدوا أنها مرض جلدي، وبعد استفسارهم من أحد المترجمين أخبرهم يعانون من الإسهال، وقد زاروا طبيب محلي عالجهم بواسطة الكي باستخدام فضلات الإبل، بعد تثبيتها في نهاية سلك حديدي ووضعها على النار، الأمر الذي أدى إلى تقيح تلك الأماكن، وأنهم يستعملون الخدوش (الشراطة)و الندبات (الكي) لعلاج النوبات الرئوية الحادة والمزمنة والروماتيزم وغيرها.[4]

[1] – أنظر الملحق رقم(10)، ص398

[2] – معجم المعاني الجامع موقع almaany.com

[3] – عاطف (عطية)، مرجع سابق، ص، ص 118-119

[4]-G.Mercadier, op.cit, p167

يتطلب الكي تحديد المكان المصاب بدقة فهي الأصعب من بين كل التقنيات الطبية الأخرى كما قد تحتاج بعض العمليات للكي ويكون نافعا ويمنع من انتشار الدم الفاسد، ولحبس النزيف أفضل معدن للكي الذهب.وقد وردت مسائل في الكي في نوازل الونشريسي.[1]

ب- التجبير:

التجبير لغة: تجبير(إسم):مصدر جبَّر، جبَّر العظم:جبره، أصلح كسره، وضع عليه جبيرة.

- **اصطلاحا**:استعمل العرب هذه التقنية في تجبير كسور جسم الإنسان، خصوصاً ما يصيب القدمين واليدين، وهي أن يعيد العظم إلى مكانه في حال خروجه، أو ما يسمى الخلع فيعمل المجبر على إعادته وتثبيته في مكانه لمنع الحركة عنه تفاديا للإنفصال أو الفكاك، ويتم ذلك بوضع لصقة محضرة من الصابون الناعم، أو الطحين المخفوق مع زلال البيض، وتشد على مكان الكسر ثم توضع خشبتان تشدان مع بعضهم لمنع الحركة.وهي عملية صعبة جداً تحتاج المعالج لتحضير المريض نفسياً وجسدياً، مع ضرورة توفر الوسائل والأعشاب والمخدر.[2]يقول: الرّازي"واعلم أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقا بالناس، حفاظا لغيبتهم، كتوما لأسرارهم."[3]ويوجد في قصور توات قورارة وتيديكلت مجبرين معروفين، وقد لا يكون في كل قصر، فيتنقل المريض إلى مكان تواجده طلباً للعلاج.

في حال كانت إصابته تمنعه من الحركة فيستدعى المجبر إلى منزل المريض، ومن العائلات التواتية المشهورة في التجبير عائلة بالحوسين.[4]وقد عرف محمد بالحسين بجبر الكسور المختلفة للجسم.والشراطة والكي. أما عن الوسائل التي كان يستعملها فهي بسيطة : الموس(سكين خاص بفتح ويغلق يصنع عند المعلم)، وشوكة أيضاً من الحديد في فيها مقبض خشبي، ومجمر، فحم.أما المواد الطبية فكان يستعمل بياض البيض، مادة الحمِّيرة وهي تشبه الطين ولكنها ليست

---

[1]-أبي العباس أحمد (بن يحي الونشريسي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج8، (د.ط)، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1981م، ص287

[2]- عاطف(عطية)، نفسه، ص108

[3]-أبي بكر محمد (بن زكرياء الرازي) أخلاق الطبيب، ط1، تح، عبد اللطيف محمد العبد، دار التراث، القاهرة،1977، ص 27

[4]- القاطنة بزاوية الشيخ بقصر بوعلي، وأشهرهم المرحوم محمد بالحوسين، وحسب وثيقة ميلاده فقد ولد سنة 1946م، وورث هذه الحرفة عن والده المدعوا مبارك بلحوسين بن محمد.

طينا نوعا من الحجر يوجد في رق توات، قطعة كتان، وألواح خشبية يكون حجمها حسب الكسر ومكانه.[1]

فلما يأتيه المريض يتأكد أولا أن لديه كسراً، وذلك بدلك المكان بيده جيداً حتى يسخن ويحدد مكان الإصابة، إذا كان الكسر في الذراع تخلط المواد المذكورة مع بعضها، ثم يضع قطعة الكتان على الموضع ثم يضع شيء من خليط الحمّيرة عليها، ثم يرصها بتلك الألواح بعد أن يكون قد أرجع العظم إلى مكانه، ويعيد لف قطعة الكتان مرة أخرى، ويبقي على الذراع مستقيما، ويشده بخيط إلى الرقبة، ويتركه لمدة خمسة عشر يوما، وبعد عودته، يقوم بحركات رياضية للتأكد من البرء، ويعطيه توجيهات كيف يحرك يده.أما إذا كان الكسر في الكتف فيحتاج لمساعد حيث يوضع قطعة كتان كبيرة لرفعه، أما إذا كان الكسر في الرجل أو الظهر، ويتطلب عدم الحركة لعدة لمدة طويلة، فيبقى عنده هذه المدة أو يتم علاجه في منزله، ويقوم بمتابعة المرضى حتى الشفاء.[2]

ج– التخريم (الشراط):

1– التخريم لغة: في لسان العرب التخرّم والإنخرام: التشقق وانخرم ثَقْبُهُ فإذا لم ينشق فهو أخرم.

2–اصطلاحا: وهو الوخز بالإبر، وليس بالطريقة الصينية فإذا تم تشخيص المرض على أنه يعيق الدورة الدموية، فيقوم المعالج بعلاج الأماكن بعد تحديدها، حيث يقوم بدهن جسم المريض بالزيت وتعريضه للشمس وقت الضحى، قبل أتشتد حرارتها فتظهر بعد ذلك نقاط سوداء كالنمش فيدهنها بالثوم والملح ثم يبدأ المعالج بالوخز بالإبر فنخرج منها مادة صفراء تكون سبب البلاء، ويشفى بعدها المريض، دون أن يشعر بألم كبير. وتستعمل لعلاج التهاب اللوزتين واليرقان وهو الهزال، وفي حالة الإلتهابات الخارجية والجروح، فينظف المعالج الجرح بالكحول أو الملح المذاب ويضع عليه ماء مستخلص من الأعشاب، وفي حالة الأورام والانتفاخ والتقيح فيقوم بالشق(الشراطة)واستخراج الدم الفاسد المتقيح والتطهير والربط.[3]

وهي نفس الطرق المستعملة في توات وقورارة وتيديكلت، وكتب أحد الفرنسيين عن الطب عند السكان الأصليين لقورارة قائلا":أنه غير مقنن حيث يتم تناقله وتوارثه شفويا بحكم

---

[1]– خديجة (بالحوسين)، الطب الشعبي، مقابلة شخصية بمنزلها، قصر أولاد أوشن أدرار، يوم 2022/08/20

[2] – نفسه.

[3] – عاطف (عطية)، مرجع سابق، ص–ص111-114

العادة..."كما يوجد في عدة أشكال تختلف من قبيلة إلى أخرى، ومن واحة إلى واحة، ومع ذلك فإن بعض المبادئ غير قابلة للتغيير، وتستخدم في كل مكان:وهي النار والخدوش والنباتات الصحراوية أو السودانية، فالنار هي الدواء الشامل، والشافي لكل داء، يتم استخدامه مع مكونات على الجلد في جميع اجزاء الجسم."[1]وحسب ما قالته إبنة المجبر محمد بن الحسين":أن والدها كان يعالج (بالشراطة) الأطفال الصغار الذين يعانون من التأخر في المشي بواسطة(الشراطة في أماكن متفرقة في الجسم وبدقة لامنتناهية)، وبعده وبقدرة الله عز وجل يمشي الطفل، كذلك الأطفال الذين يعانون من الهزال، وفقدان الشهية يتم كييهم في البطن، وحالات الأورام البسيطة بعد أن يتأكد أنها ليست خطيرة، ومرتبطة بالكسور وذلك باستخدام(الطوب المحلي القديم المصنوع من الطين، بحيث يسخن على النار بدرجة عالية جداً، ثم يأتي المريض ويقرب المكان المصاب من الطوبة، ويصب عليها الماء العادي، ويتصاعد البخار للموضع المصاب، ويغطى ويبقى لمدة، ثم يأخذ قليل من ذلك الطوب، ويضعه على موضع الإصابة، ويربطه ليلة كاملة، وفي الصباح يشفى بقدرة الله.[2]

د- حرفة الحجامة(الحجام):

1- الحجامة لغة:حَجَمه(الحَاجِم)حَجْماً من باب شرطه وهو(حَجَّام)أيضا مبالغة واسم الصناعة (حجامة) بالكسر والمُحجَمُ موضع الحجامة.المداواة بالمحجم والمعالجة به، استخراج دم المريض فصده بواسطة آلة تشبه كأسا مقوسة.

2- اصطلاحا:وهي من العلاجات الطبية الشعبية التي ظهرت قبل الإسلام، وهي ما يقوم به الحجام في معالجة الجسم العليل، وهي حرفة وعمل طبي شعبي لكونها سهلة التعليم وبسيطة التقنية والحجامة هي امتصاص الدم من العضو المريض عن طريق المص أو المحجم(المشرط) الذي بواسطته يستخرج الحجام الدم من مكان محدد من جسم المصاب، وهي أربعة أنواع، الفصد الحجامة الجافة، والحجامة الرطبة والحجامة بدودة العلقة.[3]

-الفصد:يقوم بجرح الجسم بطريقة معينة للوصول إلى العرق لا خراج الدم الفاسد

---

[1]- G.Mercadier, op.cit, p167

[2]- خديجة (بالحوسين)، الطب الشعبي، مقابلة شخصية بمنزلها، قصر أولاد أوشن أدرار، يوم 2022/08/20

[3] - عاطف (عطية)، مرجع سابق، ص،ص115-117

-أو باستعمال المحاجم (كاسات الهواء) بطريقتين الولى تليين العضل مكان التحجيم وهي الحجامة الجافة.

- أما الثانية بتشطيب المكان لإخراج الدم ثم سحبه مرات متتالية في جلسة واحدة .

- باستعمال دودة العلق بعد تجويعها توضع مكان الألم فتمتص الدم من الجلد.

ذكر الشيخ باي بلعالم أنه قد تمت الإشارة إلى عملية الحقنة، أو الجراحة واستخراج الأمراض من البطن، في توات وذلك في زاوية الشيخ البكري، وفي أنزجمير وبعض القصور الأخرى.[1] ومن المشايخ الذين عملوا بالطب وبرعوا فيه الشيخ بن سيد محمد بن البكري بن عبد الكريم الأمريني المتوفي يوم الأحد عشرة ربيع الثاني1221هـ/1806م بزاوية سيد البكري، قيل عنه أنه كان طبيباً حكيماً، له دقة نظر في الطب، وقيل أنه أول من أجرى عملية جراحية في توات، وقيل أنه أجرى عملية جراحية لرجل شرب "فكرونا"في الماء وقد أشرف على الهلاك، ومن دقة نظره وبصيرته سقاه سكراناً أي مخدر، وشق على كبده، واستعمل واستعمل في ذلك الجمر والإبرة المحمية على النار، وقطعة من الحرير، وبعد أن شق على كبده وجد قوائم الفكرون ملتصقة بالكبد، وعلم أنه إذا جذبه بجاذب أخذت قوائمه من لحم الكبد، فيهلك الرجل فغمز بإحدى الإبر المحمية بالنار إحدى قوائمه فرفعها، وجعل مكانها شيئاً من الحرير، ثم غمز بإبرة أخرى هكذا حتى تمت القوائم وصارت تحت كل قائمة قطعة حرير فجذبه بملقاط عند ذلك خاط الشق فعوفي الرجل وشفي.[2]

ومن بين الشخصيات التي مارست الطب والتداوي الفقيه الإمام محمد الصافي بن السيد محمد البركة(1315هـ/1897م)، فكان يختن الصغار ويجبر الكسور، ومختلف الأمراض العضوية ويروى عنه أنه أجرى عمليات جراحية إحداهما لأمرأة من قصر أدغاغ، اتهمت بالتبرج بسبب أنها تزينت بوضع خط حَمَّني على أنفها وحَبِّيَات على وجنتيها وارتدت أجمل ما عندها من لباس وتوجهت إلى قصر أوقديم القريب من قصر أدغاغ، لزيارة أقاربها، وعند مدخل القصر تعرضت لاعتداء بسكين من طرف أحد أعيان القصر، أدى إلى قطع أنفها فتدلى على شفتيها، فتوجهت

---

[1] - محمد (باي بلعالم)، ج2، مرجع سابق، ص 254

[2] -تقييد حول الطب، بخزانة ابن الوليد، باعبد الله، ادرار، ورقة رقم127

للطبيب محمد الصافي فأجرى لها عملية جراحية بحيث أنه أخاط الجرح بخيط من الحرير وأعاد أنفها إلى مكانه.[1]

كما أجرى عملية أخرى لمحمد بن عبد الرحمن ابن القايد الحاج امحمد قايد تيمي الذي ركلة الفرس على حجره فجرحت أحد خصيتيه جرحاً خطيراً فقام محمد الصافي الطبيب بإجراء عملية وأرجع الخصية إلى مكانها، وأخاط الجرح، ولكنه لن يتمكن من الإنجاب غير أنه عاش بعد العملية وأصبح قائداً على تيمي.[2] كما كان راقياً يعالج بالرقية أمراض المس والأمراض النفسية، ومن بين المعالجين أيضا نجد ابنه السيد محمد الحبيب (ت1382هـ/1963م)، ومن النساء السيدة مباركة بنت السيد امحمد بن السيد محمد بن السيد امحمد الطالب المعروفة لالة عائشة أبا سيدي (ت1886هـ/1967م).[3]

بالنسبة للعمليات الجراحية تطرح عدة تساؤلات حول مدى تمكن ممارسي الطب الشعبي حقيقية من إجراء العمليات الجراحية سواء كانت بسيطة أو معقدة لكونها تحتاج إلى شروط دقيقة وأدوات ووسائل متخصصة، وظروف النظافة وخاصة التعقيم، وقد أشار أحد الفرنسيين إلى انعدام شروط النظافة، والتعقيم التي لاحظها مثلا لدى النساء القابلات اللواتي تقمن بتوليد النساء.[4] فيكف يكون الحال في إجراء مثل هذه العمليات الدقيقة مثل الشق على الكبد، أو جراحة الخصية فهذا الأمر يحتاج إلى الكثير من التحقيق، ولاندري ما يقصد بالفكرون، أهو نوع من الديدان أم ماذا؟ إذ هو لفظ متتداول في توات، ويقصد به السلحفاة الصغيرة، فكيف للرجل أن يشربها في الماء، اللهم إن وقع غلط في الرواية، ولربما كان يقصد العلق، وهو الدود الصغير الذي يوجد في الماء، وفي السواقي، والله أعلم.

---

[1] – حليمة(سليماني)، قصر أدغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية وثقافية من القرن 12هـ/18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ/20م، مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ، تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف عبد الكريم بوالصفصاف،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، 1436 هـ-1437هـ-2015م-2016م، ص 283

[2] – نفسه، ص284

[3] –نفسه، ص 284

[4] -G.Mercadier, Op.cit, p164

2.4. العلاج الروحي

1.2.4.الرقاة:

أ.الرقية في اللغة:َرقيتُه(أَرقَيتُه)(رقياً)من باب رمى عوّذ به بالله والإسم (الرُّقيَا)،(رُقيةٌ) والجمع رُقًى.[1]

ب.الرقية في الإصطلاح: وهي الرقية القراءة والنفث على المريض والمصروع، وهي من أنواع العلاج الروحاني التي تناولها الطب النبوي، وتعالج الرقية الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان نتيجة ضغوطات الحياة الناشئة عن الفشل والخيبة والصدمات التي يمكن أن تلحق بالإنسان في مجريات حياته اليومية، وهذه الظروف هي التي طرقا متعددة للعلاج منها ما هو مشروع دينيا كالرقية ومنها غير ذلك كالسحر والشعوذة.[2]والرقية تكون بالتعوذ وقراءة آيات من القرآن الكريم، بالإضافة إلى ماتيسر من الدعاء بالشفاء والتخلص من المرض مصداقا لقوله تعالى:﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[3]ومن بين الرقى الموجودة في الخزائن مثلا رقية العقرب ومما جاء فيها:"سلام على نوح في العالمين وعلى محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين كذلك يجزي المحسنين..."وتتضمن أيضا كيفية القيام بها.[4]

ولما كثر في هذه الحرفة الدجالون والمتكهنون، والجهلة، أصبحوا يستغلون الناس لقلة دينهم وتقواهم ويأكلون أموال الناس بالباطل الذي ما أنزل الله به من سلطان، من خلال منحهم تمائم أو ما يسمى الحجاب مقابل أموال معتبرة، ومحترفوها كثيرون ولبعضهم شعبية أكثر من غيرهم وأكثر وزبائنهم النساء، وأكثر ما يشتكي منه المرضى الوسواس والأحلام المخيفة، والسرقة ويطلبون تمائم لتعليقها.[5]

2.2.4.السحر والشعوذة(السحرة والمشعوذين):

هي حرفة تنتشر في كل المجتمعات وبدرجات متفاوتة، مع أن الدين يحذر منه، ويتوعد أصحابها إلا أنهم يمارسونها لكون الناس يقبلون عليها، ويلجأ إليها المرضى بحثا عن العلاج من الأمراض التي

---

[1] – الفيومي أحمد(بن محمد بن علي الحموي) المصباح، ص236

[2]– عاطف عطية، مرجع سابق، ص-ص، 74-75

[3] – سورة الإسراء، آية 82

[4] – تقييد، رقية العقرب، خزانة الطيب شاري،كوسام، ادرار

[5] – محمد (سعيد القاسمي) قاموس الصناعات الشامية،ج2، مرجع سابق، ص 232

تصيبهم ولايجدون لها علاجا، ويبدوا أنها كانت شائعةفي توات، وتشير العديد من الكتابات الفرنسية إلى لجوء بعض السكان إلى هذا النوع من المعالجين لمعالجة الأمراض النفسية ومما قيل في ذلك:"يبدوا أن الأدوية المحلية لا تعالج الأمراض النفسية، الأمراض العصبية فيترك علاج للطولبة(الطالب) أو السحرة، فهذه الأمراض من أصل شيطاني..."[1] الذين يعالجونهم بمساعدة التمائم التي تحتوي على آيات من القرءان، وقد نبه إليها بعض العلماء وحذروا من العمل بها، حتى أن الشيخ السيد عبد الحق البكري اعتبر فاعلها مجرح الشهادة، ولايصلى خلفه، ومكسبه حرام، وأن كل من صدق كاهن فقد عصى الله ودينه فاسد ولا يعلم الغيب إلا الله ونظم في ذلك يقول:

و[ ] النساء والرجــــــال	وحل مصحف لأجل الفال
والخط والجزم الكبير والصغير	من الكـــــــهانة ووزرها كبير
فاعلها مجرح الشهـــــــادة	ولا يؤمم على السجـــــــادة
وما به كسب حـــــــرام	نص على ذا كله الأعـــــلا
وكل من يصدق كاهن فقد	عصى إلهه ودينه فســـــــــد
لا يعلم الغيب سوى الله العظيم	سبحانه جل إلآهنا العليـــــم

كما أشار إلى الموضوع أيضاً الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن التنلاني متوعداً العاملين به قائلا:

يـاويل طالب يتمعش	بحل كتاب إهـــترش
يحسب للغيب ينبـــش	لا لغيب الله أعلمـا
يحل لا يروج يعمر	كذلك بالكذب يخبر

[1] - G.Mercadier, op.cit, p 168

5- بعض الأمراض المنتشرة بحواضر توات وعلاجها:

أ- أمراض الجهاز الهضمي: هناك العديد من هذه الأمراض التي سجلها فريق طبي فرنسي عام1323هـ/ 1906م في تيميمون، وتتم معالجتها بطرق شعبية محلية من طرف السكان منها الأمراض المتعلقة بالأسنان والتي تشير إلى أن أسنانهم سيئة، لنقص الكالسيوم وانعدام النظافة، وهو ما يؤدي إلى التسوس المبكر، وأنهم أثناء العلاج وجدوا أن هذه الأسنان محشوة بمسحوق التبغ الذي يحتوي على 8%من النيكوتين، أو الصيد أو الحنتيت، وهناك حشوة تصنع من بدهن الإبل، حيث يتم إدخال سلك محمي على النار في عمق اللب ويتم قتل عصب الأسنان، وإذا كان هناك انتفاخ للأسنان يتم خدش اللثة، ثم لاينسى المريض شراء التميمة الملائمة لذلك، ومن العوائد غير الطبية المبنية على بعض المعتقدات يستعمل لعلاج الإلتهاب طريقة غريبة، حيث يجلب الماء بالقلة الجديدة من بئر لم يشرب منها الطفل أبدا، وتقوم الأم بملأ فمها بهذا الماء وتفرغه في فم ابنها ليشفى.[1]

وجاء في أرجوزة مطولة موجودة للشيخ البكري بن عبد الرحمن(ت/1339هـ-1921م) لصفرة الأسنان:[2]

لصفرة الأسنان من هذا المرام	ملح وفحم سكر في ذا انتظام
[ ]بعد السحق فالدلك بها	مبيض الأسنان صـــاح دابها
[]اضفت مع ذاك عسلا	بلغت منها غـــــاية وأملا

وقال الحاج معروف لعلاج الأسنان أيضا:

فصل وإن بدت لنا قروح	بفـــــم من يجنبنا يصيـح
قلنا له فقط مضمض بالحليب	تجدله نفعا بذاك عن قريب
وثقبة إن ظهرت بها فجد	بقطران أو بعفص تستفـــد

[1]- G.Mercadier, Op.cit, p170

[2] – البكري (بن عبد الرحمن)، من مخطوط الديوان بـ خزانة غوزي زاوية سيد البكري، ولاية ادرار.

أما الشيخ المعالج أحمد بن الصالح بن ابراهيم بن عبد المومن الكنتاوي المذكور سابقا فنضم يقول:[1]

واحفظ رعاك الله حوض البدن تجد حلاوة نزول الموطن

ويهضم الطعام بعد الأكل خمسة أشياء بهذا الفضل

كروية أو زعطرا وزنجبيــــل كزبرة خضرا قرنفل جليـل

ب– أمراض المعدة: رصد الفريق الطبي استخدام السكان "الكالبو(كربونات الجير الرطب المبلل) أو شاي الشيح، أو مغلي القرطوفة (النعناع البري)، شاي الأعشاب من الحناء وبذور البقدونس أو السرفيل التي تستعمل لتدليك البطن، وتهدئة المغص.[2]

ج– في حالة الإسهال: يتم تناول حليب الماعز، الجبن الجاف مع الفلفل الحار وللقيء يؤخذ محلول الشب لمدة ثلاث أيام متتالية، وتمثل بذور الجرجير ومسحوق شندقور أكثر الأدوية والمسكنات شيوعا.من الوسائل المستخدمة لعلاج القولون والمستقيم، بواسطة الحقنة الشرجية الزيتية، وهي يؤخذ عظم الفخذ للغزال، وتتم إزالة النخاع منه، ويعمل كأنبوب أوفوهة، يملأها الطبيب بالزيت ليتم إدخاله، ليصل إلى المستقيم والقولون، وكتحميلة يتم تحضير كورة صغيرة من دهون الإبل تعمل كمادة لتنزلق داخل القولون.[3]

2– أمراض الجهاز التنفسي: في حالة الزكام تتم معالجته بسرعة عن طريق إدخال قطعة من ورق البصل في كل منخر من الأنف.بينما يفضل البعض الآخر استنشاق التبغ. أما بالنسبة لأمراض الصدر بشكل عام فتعتبر القهوة مع إضافة الفلفل هي الدواء المناسب. أما إذا كان السعال متكرر، فيتم وصف مستحضر من الفول المحمص، والفلفل الأسود وشحم الإبل، ويضيف الميسورين الحال العسل السوداني.وإن لم يحدث أي تحسن ينصح بالدجاج لأن لحمه متعدد العلاجات، ولايشك في ذاك أحد.[4]

ويقول الشيخ أحمد بن الصالح المذكور في الزكام:

ويسكن العطاس بالتين الطري أو لبن أو الحليب يانعم السرى

[1] – تقييد، الطب الشعبي في توات، خزانة ابن الوليد، باعبد الله ،أدرار، ورقة رقم 126

[2]- G.Mercadier, Op.cit, p170

[3] -ibid, Op. cit, p171

[4]- G.Mercadier, Op. cit, p169

وهناك بعض الفوائد الموجودة في خزائن منه:

جاء في مطلعها: لم يعرف صاحبها ويقول:(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وءآله وصحبه ويسلم تسليما ... هو الكحل الأسود أجوده الأصفهاني، وهو بارد يابس ينفع العين إكتحاله، ويقوي أعصابها ويمنع عنها كثير من الآفات، والأوجاع سيد الشيوخ والعجايز إن جعل معه شيء من المسك كان غاية في النفع."[1]

ثانيا: حرفة التوليد (الوَلّادة) :

أ.تعريف التوليد لغة:الوِلاَدَةُ وَضْعُ الوَالِدةَ وَلَدَهَا والوِلادُ بغير هاءٍ الحملُ، يقال شاة(وَالِدٌ)أي حامل بيِّنةُ الولادة، ومنهم من يجعلها بمعنى الوضع وأَوْلَدَتِ المرأة إيلاداً باسناد الفعل اليها إذا حان ولادها كما يقال أحصد الزرع إذا حان حصاده (وَلَّدَتْهَا) القابلة توليداً تولت ولادتها، ويقال للصغير مولود لقرب عهده من الولادة.[2]

ب.تعريف التوليد اصطلاحا:هي التي تقوم بعملية التوليد والعناية بالطفل والأم المرضع خلال الأربعين يوم التي تلي الولادة وخاصة خلال عشرة أيام الأولى، وتقوم الولادة خلال هذه الفترة بتنظيف الطفل، وتمهيد و إرشاد الأم إلى كيفية العناية بالطفل، والمحافظة على صحته وقد تنام الولادة عدة ليال مع الأم الجديدة للعناية بالطفل، والسهر معها لرعايته في حالة حدوث أي طارئ، تسمى في بعض البلاد العربية بالداية والقابلة، وهي المرأة التي لها معرفة ومهارة في صنعة التوليد.[3]

وعرّفها إبن خلدون: على أنها صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه بالرفق في إخراجه من رحمها، وتهيئة أسباب ذلك:ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما نذكر وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض، وتسمى القائمة على ذلك القابلة، وهذه التسمية وهي القابلة وكأنها إستعارة، حيث استعير معنى الإعطاء والقبول وكأن النفساء تعطي الجنين وكأنها تقبله، ونظراً للمخاطر الصحية المتعددة التي قد تصيب الأم أثناء الولادة من عسر في الفرج، وتمزق في أغشية الرحم، وما تحس به من أوجاع شديدة، فتكون القابلة

---

[1] – تقييد في فوائد النبات والفواكه، خزانة سليماني، أدغاغ، أدرار.

[2]– الفيومي أحمد(بن محمد بن علي الحمويالمصباح، كتاب الواو، ص 671

[3] – محمد (سعيد القاسمي) وآخرون، مرجع سابق، ص134

معينة ومساعدة في التوليد.[1] وفي بعض البلدان العربية تسمى الداية، وهي التي تقوم بالخدمات المختلفة في المنازل كغسل الملابس للعائلات، وخدمة العروس، والإعتناء بالأطفال الصغار، ورضاعتهم وتنظيفهم مقابل أجرة.

تعتبر الوِلادة على الرغم من الآلم التي تسببها للمرأة، والتعب الذي تواجهه، بمثابة الفرحة والبهجة بقدوم المولود الجديد، حيث تتبعها إحتفالية كبيرة، بهذه المناسبة، وهي ليست وليدة المجتمع التواتي فحسب، وإنما هي نتيجة لتراكم مجموعة من الأعراف خلال مدة زمنية معينة، فمنذ ظهور الإنسان على وجه الأرض إلى يومنا هذا تعم الفرحة البيوت بمناسبة ازدياد مولود جديد، ولكن مع التغير الحضاري، والثقافي تغيرت ممارسات الأفراد داخل المجتمع.[2]

لقد عرف المجتمع التواتي خلال القرن التاسع عشر(19م)ونظراً للأوضاع الإجتماعية البسيطة التي كان يعيشها السكان أنذاك انتشرت حرفة التوليد التقليدية، التي تقوم بها سيدة لها إلمام كبير بها ومعرفة، ولا يكاد يخلو قصراً من قصور توات من ولاَّدة محترفة بمثابة قابلة حالياً وحسب ما ذكرته لي السيدة هندي الزهرة[3] أحد أكبر الذين عايشوا في الفترة القريبة جداً من القرن التاسع عشر، وهي تمتهن هذه لحرفة منذ زمن طويل بقصر أولاد علي تقول:"أنها أخذت هذه الحرفة عن السيدة المدعوة "لالة مريم" من العائلة الشريفة المعروفة بقصر أولاد علي عائلة بن عابد، وهذه الأخيرة أخذت الحرفة عن عمتها السيدة عبيدة جدة الشيخ والإمام مولاي إدريس رحمهم الله جميعا، وكذلك السيدة لالة والدة السيد العابد ابن مولاي عبد الواحد.ونفس ما وجدناه في قصور توات الوسطى، وجدناه أيضا بقصور قورارة، وعلى سبيل الذكر بمقاطعة أوقروت من خلال زيارة إلى قصر تنقلين أحد أقدم قصور المنطقة، في مقابلة أجريتها مع السيدة براكو فاطنة، وهي سيدة مسنة والتي قالت:أنه لا يوجد قصراً بدون ولاّدة تقوم بعملية التوليد وتشرف عليها، وهي عاصرت العديد منهن.[1] وكانت الولاّدات تقومن بعملهن بطرق بسيطة ووسائل بدائية.

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص448

[2]– محمد(عباس ابراهيم)، التحديث والتغيير في المجتمع القروي(دراسة في مكونات القيم الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص88

[3]– الزهرة(هندي) أكبر الحرفيات في التوليد معروفة باسم" **اما حموية**" من مواليد قصر أولاد علي ادرار معروفة على مستوى ادرار، من مواليد 1927م، مقابلة شخصية، بمنزلها بقصر أولاد علي، أدرار، بتاريخ2019/11/11.

[1] – براكو فاطنة، حرفة التوليد، مقابلة شخصية بمنزلها، بقصر تنقلين أوقروت، تيميمون، بتاريخ 2019/12/5

ج- عملية التوليد ووسائلها: وقد ذكر ابن خلدون مهام الولادة ومنها:[1]

-تقوم بغمر الظهر والوركين وما يحادي الرحم من الأسفل فتدفع الجنين إلى الخارج وتسهيل ما يصعب.

- تقوم بقطع الوصلة التي كان يتغذى منها الجنين ومتصلة من سرته بمعاه ثم تدمل مكان الجراحة بالكي أو بما تراه مناسبا.

- ثم أثناء خروج الجنين قد تتعرض أحد أعصابه الرطبة السهلة للإنعطاف، وقد تغير من شكلها فتقوم القابلة بإصلاحه حتى يرجع العضو إلى شكله الطبيعي .

-كما تساعد النفساء على خروج أغشية الجنين لأنها لما تتأخر وهي فضلات وتعفن قد يصل إلى الرحم ويؤدي إلى الهلاك فتعمل القابلة على إعانة الدفع إلى إخراجه.

- تقوم بدهن أعضاء المولود بالأدهان .

- وتحنك الطفل بمعنى أن يلاك شيء ثم يوضع في فم الطفل لترفع لهاته.

- وتسعطه بمعنى أن يوضع في أنفه شيء ليعطس ويستفرغ نطوفة دماغه.[2]

- ثم تعالج ما بالنفساء من أوجاع جراء الولادة. وجدت أن هذه الوظائف أقرب ما يكون مما كانت تقوم به الولادة في توات عامة. فهي تشرف على عملية التوليد، وكذلك ما أصطلح عليه محليا قطع "السرة": هذه التي تتم عادة في المنازل، وفي هذا تقول السيدة الزهراء أنها كانت ترافق السيدة مريم، وهي من أشراف القصر لمساعدتها في توليد نساء القصر، وهي من أشرفت على تعليمها أول عملية توليد قامت بها، وكانت بمثابة اختبار لها حيث دعتها لتوليد سيدة من سيدات القصر، وبعدها واصلت عملها بالقصر بعد وفاة السيدة مريم إلى يومنا هذا أطال الله في عمرها"وتكاد تكون الوحيدة في الجهة، فبعد أن تضع المرأة الحامل مولودها بمساعدة الولاّدة تقوم بقطع الحبل السُّري بواسطة سكين صغير خاص، ثم تقوم بوضع الملح في فمها ثم تنفث مكان القطع من السُّرة، وتقول:"اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد ثلاث مرات "ثم تربط الصرة بخيط من الصوف وتقول: "أنه بقدرة الله عز وجل بعد أسبوع تسقط السرة."[3]

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 449

[2] - نفسه، ص 449

[3] - الزهرة (هندي): المقابلة نفسها

ويعتنى بالمرأة بعد الولادة فيمنح لها بعض الأعشاب الطبية مثل: لازير[1]بعدما يغلى ويصفى لتشربه، أما المرأة التي تحدث لها مشكلة أثناء الولادة كمشكل خروج المشيمة، أو التأخر في الولادة فلها طقوس خاصة حيث تطلب منها الولادة أن تنفخ في ذراعها، ويوضع لها أيضاً عقداً من العقيق الأسود في فمها" فتخلص"بمعنى تلد."[2]

حسب دراسة للفرنسيين بقورارة عن التوليد الشعبي فإنه في حالة عسر في الولادة أو القصور في الرحم، أو تعثر الولادة بالتوقف تقوم الولادة باستخدام وسائل معينة لإعادة الإحساس للمرأة بإعطائها جرعة أولى من الزعفران المطحون، والنيلي بعد مزجه بكمية معينة من الماء ومحددة، وإذا تبين أن هذا المشروب غير كافي وغير فعال، تنقل المرأة على صحن خشبي كبير يستخدم في تحضير الكسكس، مستلقية القدمين ممدودة الساقين، وتقوم بحركات رياضية حيث تقوم القابلة بامساك الكاحلين، وتحرك القدمين بعيداً وتجمعهما عدة مرات، ثم تتبع بسلسلة من التدليك القوي للبطن.أما في حالة حدوث نزيف أثناء الولادة، أوبعدها فتقوم الولاّدة بسرعة بتحضير نبات محلي وهو القرطوفة، أو الإسم العلمي الذي تتناوله مع الزبدة، أما إذا كان المولود في حالة موت ظاهر أو تأخر في التنفس لايتم قطع الحبل السُرِّي، ولكن يتم عصره وإخراج ما فيه من إفرازات من جسم الأم إلى السُرَّة مرتين أو ثلاث مرات لجعل الدم يتدفق، ثم القيام بقرص أنف الطفل وسحبه بقوة كافية .[3]

في حالة ظهور حمى النفاس بعد الولادة يتم علاجها في قورارة باستخدام مزيج من لحاء الرمان ونبات يسمى أزير والماء والملح، ويتم تناوله عن طريق الفم، لتنشيط وزيادة الحليب للرضاعة فهناك علاج لايمكن الاستغناء عنه، وهو حبوب رحيق النخل يطحن مع بذور الجزر ويمتص مع القليل من الماء.ومما لاحظه الفرنسيون في قورارة أنه لا يمكن تصور أماً لا ترضع طفلها، وأن الرضاعة الطبيعية تستمر لمدة عامين، وهناك عاملاً واحداً فقط يمنع إتمام العامين وهو الحمل الجديد الذي يوقف الرضاعة.وقدم الفرنسيين هدية للقابلة تتمثل في كماشة قديمة لقطع الحبل

[1] – الزهرة (هندي)، السابقة

[2] – المقابلة، نفسها

[3]- G.Mercadier, Op.cit, pp 164-165

الصري، وقالت أنها تقوم بتقطير نترات الفضة في العين، وأنها تزيل بأصبعها المخاط البلعومي للطفل الذي لا يتنفس بشكل جيد.[1]

يشير أحد الفرنسيين إلى أن الولادة تبدوا أمراً طبيعيا عادياً للغاية لدرجة أن لا يجعل الرجل يصرف انتباهه عن أعماله، وانشغالاته المعتادة، وحتى الأم حيث لا تشعر بالقلق حيال ذلك إلا قبل حدوثه بقليل،كما أن هناك بعض المحاذير مستمدة من العادات التقاليد تنصح بها النساء الحوامل، وأزواجهن كالإمتناع عن الجماع، وعندما يحين وقت الولادة يتم أخبار القابلة الأصلية ويقصد الولاّدة ويشبهها برئيسة ممرضات الفلاحين في فرنسا، وتتم طريقة التوليد من خلال استلقاء المرأة الحامل على سجاد أو حصيرة وتستعد الولاّدة لاستقبال المولود، ثم تضع خيطين على الحبل السري قبل قطعه، ويتم ربط خيط الجذع السري بقطع طرفيه، ويتم تثبيت خيط المشيمة مع الأصبع الكبير لقدم الولاّدة، ويحاط جدع الحبل الصري بأي قطعة قماش صغيرة ويحاول الإشارة إلى أن العملية تفتقد للنظافة، ويؤكد ذلك بقوله:"ولا داعي هنا للتنبيه أو القول أنه لا يتم أخذ تعقيم لا على يدي القابلة، ولا على الخيط المستخدم أو الخرقة أو قطعة القماش، ومع ذلك كل شيء يسير على ما يرام."[2]

2- غسل وتنظيف المولود: أوما يصطلح عليه في توات غسيل التركة، ونعني به تنظيف جسم المولود بعد ولادته مباشرة وهذا ايضا يدخل في صلب عمل الولادة، حيث تستدعى للقيام بهذا العمل بحضور أهل المولود، وتقوم بتنظيفه وتلبسه ثوباً جديداً، وتضع له الكحل في عينيه سواء كان صبياً أوصبية.[3]

3- السبوع (اليوم السابع من الولادة):ويصطلح عليه في المنطقة بلباس الشركة،[4]كذلك تستدعى الولاّدة في اليوم السابع من الولادة لتواصل متابعتها للمرأة أو النفساء وللطفل، حيث تقوم هذه المرة أيضا بالإغتسال للطفل المولود، وتضع له مسحوق خاص تقوم بصناعته من مادة تسمى محليا أرضيض"، وهي حسب قول السيدة الزهراء نوع من الحجارة لها لون أحمر قليلة جداً تأتي بها من قصر سالي تقوم بسحقها، وتمزجها مع السمن البلدي، ويدهن بها جسم المولود في يوم السبوع، ثم

[1]- G.Mercadier, Op.cit, p166

[2] - ibid,p164

[3]- الزهراء (حليفي)، حول طقوس الولادة في توات، مقابلة شخصية، بمنزلها يوم 201/11/02

[4] – الثرْكة بتسكين الراء محليا يقصد بها الطفل الصغير. الزهرة هندي، المقابلة نفسها

تلبسه لباسا جديداً،كما يوضع هذا المسحوق مكان مادة الزعفران فقط بقصر أولاد علي، ولهذا اليوم أيضاً طقوسه بحيث تأخذ الولادة من الشعر من ثلاث أماكن من رأسه، وكذلك من رأس أمه ويوضع مع شيء من مادة دوائية، تسمى"أم الناس"وتوضع في كيس وتعلق للطفل وتلازمه وتبخر.[1]

4- اليوم الأربعين من الولادة:يستمر عمل الولادة إلى غاية اليوم الأربعين من عمر المولود ويصطلح عليه في توات"النواض"من النهوض أي أن المرأة نهضت بمعنى أنهت مدة النفاس، وتسمى أيضا بالوفاية. وآخر عمل تقوم به الولادة بإلباس المولود لباسا جديدا، ذكرا كان أو أنثى ويوضع له الزعفران، وتوضع له خمس حجابات(حروز)حيث يذهب أحد أفراد العائلة إلى الإمام في اليوم الثامن والثلاثين ومعه أربع حبات بيض، ويطلب منه تحصين للمولود فيكتب له خمس حروز واحداً للام وأربعة للمولود، بالنسبة للذكر يضاف له المحار، ويعلق للمولود في رقبته.

5- أجرة الولاَّدة:لا تشترط عادة الولادة ثمنا لعملها حسب قول السيدة الزهراء أنها لم ترى ممن سبقوها أنهم كانوا يشترطون مقابلاً لعملهم، خاصة ممن تعلمت عليهم كن من عائلة ميسورة وليسو بحاجة إلى مقابل فكل ما جاد به أهل المرأة التي قامت بتوليدها فهي تقبل به، ومن ليس لديه شيء فلا تأخذ منه شيئا.[2]

مع مطلع القرن العشرين ودخول الاستعمار الفرنسي لإقليم توات ظهر الطبيب الفرنسي وبدأ حديث الفرنسيين عن صعوبة العلاج عندما يتعلق الأمر بالمرأة، والزوجات خاصة، فكانت الإشارة إلى أنهم وجدوا صعوبة، إلا من بعض المتحضرين حسبهم الذين قبلوا بعلاج نسائهم عند الطبيب الفرنسي،كما تعتبر حرفة الولادة ملكية غير قابلة للتفاوض، وهي خاصة بالقابلات، وتوصلوا إلى أن الوِلادة حسب الأعراف المحلية هي عمل عادي هو سبب وجود المرأة، وبالتالي لم يكن بإمكان الطبيب الفرنسي التدخل في بعض الحالات الخطيرة التي قد تواجهها المرأة أثناء الحمل، فبدأ التفكير للمستقبل، وذلك باستحداث مناصب في مناطق الجنوب في ما يخص

[1] - مباركة (زهواني) ،حول طقوس الولادة في قصور توات، مقابلة شخصية بمنزلها، يوم 2019/11/13

[2]- الزهرة، (هندي) حول طقوس الولادة في قصور توات، المقابلة نفسها

القابلات والممرضات، وبالتالي العمل على القضاء على العمل التقليدي للقابلة بشكل دائم وإزالة جميع صلاحياتها.[1]

[1] - G.Mercadier, Op.cit, p166

خلاصة الفصل:

رغم التصنيفات التي توصل إليها الباحثين المتعلقة بالحرف، والمهن فإن الباحث تعترضه عدة صعوبات في اختيار إحدى هذه التصنيفات، وتطبيقها على مجتمع معين وذلك للإختلافات الكثيرة فيضطر إلى المزج بينهما واختيار تصنيف مناسب للمجتمع محل الدراسة.

أن المجتمع التواتي رغم بساطته قد اتخذ له وظائف، ومهن، وحرف تتماشى مع بيئته الصحراوية وحسب ما تحتاجه ظروف الحياة اليومية لضبط السلوك الأفراد داخل المجتمع، وفق مبادى الدين الإسلامي ووفق العادات، والتقاليد والعرف السائد في البلد فظهرت بعض الوظائف مثل وظيفة الإمام والمؤذن، ووكيل المسجد، ومدرس القران، وكانت بارزة، وشدت إليها المستكشفين الفرنسيين، والعسكرين على الخصوص، كما أفرزت كذلك وظائف مثل: المعالجين الشعبيين بمختلف اختصاصاتهم فكان الطبيب، والمجبر، والراقي وغيرهم، وقد ساهمت هذه الحرف والمهن في الحفاظ على صيرورة المجتمع التواتي وتماسكه.

الفصل الثاني

النسيج والخياطة والدباغة

المبحث الأول:حرفة النسيج

المبحث الثاني: حرفة الخياطة

المبحث الثالث: حرفة الدباغة

تمهيد

تعتبر حرفة النسيج من الحرف القديمة التي عرفتها شعوب المعمورة منذ القدم، لارتباطها بحياة الإنسان، وتعتبر من الضروريات، إذ لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، والأمر كذلك بالنسبة للخياطة، التي تعد مكملة للنسيج فبواسطتها تمكنت شعوب المجتمعات لبس المخيط من الملابس لحماية أنفسهم، وأجسادهم من حر الشمس، وبرد الشتاء، ولاتبتعد عنهما حرفة الدباغة، فقد تمكن الإنسان من خلالها صناعة العديد من اللوازم الجلدية، منها الأحذية، والملابس الجلدية، والخيم وغيرها. وقد عرفتها المجتمعات البدائية وتطورت مع الزمن، وتغيرت أساليب العمل، ووسائله تدريجيا، إلى غاية القرن الثامن عشر والتاسع عشر حينما ظهرت الثورة الصناعية، وبرزت العديد من الآلات والإختراعات منها، آلات النسيج الحديثة والممكننة، وبروز آلة الخياطة، لكن ما يتبادر إلى أذهاننا من أسئلة، هل عرفت المجتمعات الصحراوية ومنها مجتمع توات من قورارة، إلى تيدكلت، هذا النوع من الحرف؟ ماهي طبيعتها ومامدى تطورها خلال القرن التاسع عشر (13هـ/19م)؟ وما وسائلها، وأبرز منتجاتها؟ وما مدى انعكاسها على المجتمع التواتي؟

المبحث الأول: حرفة النسيج

أولا: مفهوم النسيج لغة واصطلاحا

أ- تعريف النسيج في اللغة:

جاء في الصحاح نَسَجَ الثَّوبَ يَنسُجُه نَسجٌ والصَّنعَة:نَسَاجَة والموضِعُ: منسَج ومِنسِج والمِنسِج بكسر الميم الأداة التي يمد عليها الثُّوب لينسَج، وفي المحكم أصل النَّسِيج ضمُّ الشيء اللُّحْمَة[1]، وهو النسّاج وحرفته النّساجة.[2]و النساج كما جاء في التعريفات الفقهية هو الذي ينسُج الثيَاب وهو الحائِك.[3]

[1]-اللُّحمة: بالضم وتفتح ما سدِّي به بين سدى الثوب، أي ما ينسج عرضا وهو خلاف سداه. الجوهري، الصحاح، ص187.

[2]- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1604

[3] - عميم الإحسان المجددي (محمد)، مرجع سابق، ص 227.

فنقول نَسَجتِ الريح التُّراب:بمعنى سحبت بعضه إلى بعض، والوَرقُ والهشيم جَمَعَت بعضه إلى بعض، والمَاَء ضربته فانتسجت فيه طرائق، ونَسَجَ الحَّائك الثُّوب من ذلك لأنه ضم السَّدى[1] إلى عند ابن منظور من حيك بمعنى حائك الثوب يحيك حيكا وحَيَكاً وحِياكةٌ: نسجه والحياكة حرفته، قال الازهري: الحَائِك يحُوك الثوب، وجمع الحائك حَوَكة والحيْك النسج، ولها عدة معاني فيقال وحاك في مشيته يحيك حيكا وحيكانا، فهو حائِك وحياكٌ تبختر واختال وحاك يحوك إذا نسج، وقيل الحيكان أن يحرك منكبيه وجسده حين يمشي مع كثرة لحم، والمرأة حياكة تتحيك في مشيتها وحكى.[2]

جاء في المعجم العربي لأسماء الملابس:النِّساجة بالكسر نوع من الملاحف منسوجة،كأنما سميت بالمصدر، وفي حديث جابر فَقَام في نِساجةٍ مُلْتَحِفاً بها.وَنَسَجَ الحَائِكُ الثَّوبَ يَنسِجُهُ ويَنْسُجُهُ نَسْجاً: بمعنى ضم السدى إلى اللحمة، وهو النساج، وحرفته النِّساجة وقال:ابن الأعرابي النُّسْجُ: السجادات.[3]

ب- تعريف النسيج في الإصطلاح:

أشار ابن خلدون اليها في معرض حديثه عن صناعة الحياكة والخياطة، ويرى أنها ضرورية في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرّفه، وهي:"لنسج الغزل من الصوف، والكتان والقطن إسداء في الطول وإلحاما في العرض لذلك النسج بالإلتحام الشديد فيتم، منها قطع مقدرة فمنها الأكسية من الصوف للإشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس ."[4]

إسم لمن ينسج خيوطا من غزل أو حرير أو صوف أو كتان في الطول ولحمة في العرض ،على هيئة مخصوصة معلومة ،وصانعها يقال له "حائك والصنعة الحياكة" وآلتها يقال لها "النول "والمنوال"وهي من ضروريات البشر كالخياطة، فمنها الأكسية، ومنها الألبسة ومنها غير ذلك وحيث أن الله تعالى كسا الحيوان بالشعر والطير بالريش، ألهم البشر أن يصنعوا لأنفسهم سرابيل تقيهم الحر والبرد، والسرابيل جمع سربال والسربال هو القميص، أو كل ملبس والحياكة تنتج

---

[1] – سدى الثوب: ما مُدَّ من خيوطه وهو خلاف اللُّحمة. ينظر محمد (عميم الإحسان المجددي)، مرجع سابق، ص112

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ص 1027

[3] – رجب (عبد الجواد ابراهيم) ، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الافاق العربية، القاهرة، ص 176.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص447

أكسية تصنع سرابيل أي ألبسة على حسب حال اللابسين، والملابس تختلف بين الشتاء والصيف والأمكنة كالقطر الحار والبارد.[1]والنسيج أيضا هو عملية تشابك مجموعتين من الخيوط ببعضها البعض وفقا لزوايا محددة، وهي خيوط السدى مع اللحمة، ويقصد بخيوط السدى الخيوط التي تمتد طولا، أما اللحمة فتلك التي تمتد عرضا، والتي يتم نسجها معا باستخدام النول.[2]

تعد صناعة النسيج من أكثر الحرف القديمة انتشاراً إذ ما زال الكثير من الناس يعتمدون على النسيج اليدوي في صناعة ملابسهم، أو العمل على نسج الصوف الذي اهتمت السيدات قديماً بحياكتهِ لصناعة بعض الملبوسات الشتوية البسيطة، تعتمد صناعة النسيج على العديد من المكونات الإضافية الأخرى، مثل: الألوان، وأدوات الخياطة، وإضافة بعض المجوهرات التقليدية على أنواع من الملابس، حتى يصبح القماش المنسوج ذا تصميم جميل، ومميز.[3]أما صناعة النسيج فهي المهنة التي تشمل كل عمليات الحياكة ودمج نوعين من الخيوط معا، وأحيانا دمج أكثر من نوعين لإنتاج الأقمشة مختلفة الألوان والتصاميم والإستخدامات، وهناك أنواع متعددة من النسيج أهمها:

-الأصبهاني :هي من الأقمشة التي اشتهرت في العصور الوسطى في العالم الإسلامي وسمي كذلك نسبة لإصبهان إحدى المدن المعروفة في ايران.[4]الدمشقي، نسبة إلى دمشق التي كانت مركزا للتجارة الإسلامية ويعرف لدى الإوربيون بـ بقماش.Damasks .

– الإفريقي:وقد عرف هذا القماش بتونس التي كانت تقوم بزراعة القطن والعصفي وكان يصنع من القطن أو من الكتان أو من الاثنين معا .

---

[1] – محمد (سعيد القاسمي) وآخرون، مرجع سابق، ص 86

[2] – مجد (خضر)، موقع موضوع كوم ، https://mawdoo3.com 23ديسمبر2019 يوم 2019/7/6، الساعة :11:00 زوالا.(دص)

[3] – المرجع نفسه.(دص)

[4] – مرزوق(محمد عبد العزيز)، الفنون والزخرفة في بلاد المغرب والأندلس(ب.ت)، ص 124

- الديباج: وهو قماش عرف في الشرق قبل الإسلام وهو من خيوط الحرير ويضاف إليه خيوط من الذهب أو الفضة ويعرف في الكتب الغربية باسم البروكاد Brocade ، وهناك العديد من الأقمشة كذلك كالقطيفة، والجرجاني، والجراينادين والإفريقي.[1]

ثانيا:حرفة النسيج في حواضرتوات

تعتبر حرفة النسيج من أقدم الحرف، وأكثرها أنتشارا في واحات توات كلها وهي: حرف نسائية بامتياز، إذ بواسطتها تتمكن العائلة من تحقيق أكتفائها الذاتي من الغطاء والأفرشة، والأبسطة والألبسة الشتوية التي تنسج من الصوف، والقطن الذي يقتنى معظمه من القوافل التجارية منها: الجلابة والسلهام (البرنوس)، والسجاد، الشال، والجندورة،[2]وتعتبر صناعة الدوكالي أهم صناعة في المنطقة ويكثر عليه الطلب من طرف الطوارق، وتحملها القوافل الكبرى إلى سوق عين صالح وتلقى رواجا كبيراً هناك وفي مناطق أخرى،[3]وتعد حرفة بسيطة لبساطة الوسائل المستعملة فيها، وهي كلها وسائل محلية الصنع مصنوعة من طرف النجارين، وبمواد معظمها من مكونات النخلة، وبعض الأشجار، ونقصد هنا المنسج حيث يستعمل المنسج العمودي على عكس بعض مدن الشمال التي تستعمل المنسج الأفقي،كما أشارت كثيراً من الكتابات الفرنسية إلى إنتشار هذه الحرفة في معظم قصور توات، واستخدام السكان لمواد محلية أحيانا ومستجلبة أحيانا أخرى مثل: الصوف الذي كان يستخدم فبعضه محلي، والبعض يشترى من القوافل التجارية القادمة من الشمال.

I- خصائص ومميزات صناعة النسيج التقليدي في توات

أشارت إحدى الدراسات الفرنسية،[4]في أحد تقاريرها حول صناعة النسيج في توات، إلى أهمية هذه الحرفة، واشتغال النساء بها وهي الأكثر انتشاراً في البيوت، وتظهر التقنيات القديمة جدا المستعملة من طرف الحرفيات، والتي بقيت محافظة على صورتها القديمة، وتشير أيضاً إلى أنها ليست متقنة بها نقائص لقدمها إلا أنها ذات أصالة، وقيمة بالنظر للمواد المستعملة فيها.

[1] - مرزوق(محمد عبد العزيز)، المرجع نفسه، ص-ص 121-124

[2]- A.Selka, Op.cit, p103

[3]- F. E.(Gautier :)L industrie des tentures dites Dokkali: au Gourara et au touat . M.ch.lutaud, E.S.G.T.S. G. imprimeur-libiraire- éditeur ,Alger,1913,pp 98.

[4] - ibid,p 96

كما تبين هذه الدراسة العمل على تحسين الصناعة المحلية التي أصبحت محل منافسة للصناعات الأوربية التي تتميز باستخدام بمواد صناعية أوروبية غير تقليدية، وبالتالي قد تؤدي إلى اختفاء الصناعة التقليدية المحلية في المستقبل، وفي نفس الوقت يجب المحافظة على الخصوصية وأصالة هذه الصناعة، وتشير إلى أن صناعة النسيج في قورارة بدائية، والصوف نادرة لأن مصدره يعتمد على ما يقوم به سكان القصور من تربية للمواشي القليلة وصوفهم أيضا قليل، وعلى ما تأتي به القوافل التجارية، كما أن استخدام القطن قليل رغم أن التواتيون يزرعونه، ولكن بكميات قليلة، ولم يعملوا على استغلاله في النسيج.[1]كما نجد أن بعض المناطق احتفظت بهذا النشاط فنجد نسيج البرانس في تينركوك، والكسي في أولاد سعيد، والجلابة في شروين بالصوف، وكانت تباع وتأتي بها القوافل الشتوية إلى سوق عين صالح، وتشير الدراسة إلى أن شهرة هذه الألبسة تعود إلى متانتها ورخص ثمنها أكثر من أناقتها.[2]

إلى جانب هذه الأنسجة نجد في بعض قصور توات، وقورارة صناعة نوع من الأبسطة تسمى ب"دوكالي"(تاريدة)، أو تريدادين أو تسمى أيضا أريداج، وحسب ما لاحظه الفرنسيون من ضباط وغيرهم أن هذا النوع من الزرابي يجلب النظر بسبب أصالته ونوعيته. وعرف به الفرنسيين عرفوا به في الشمال، وكان عليه الاقبال خلال سنة واحدة أو سنتين، وتضاعف الطلب عليه. وقد عملوا على تسويق هذا المنتوج داخل الجزائر، وفي فرنسا. وذلك من خلال دراسة الطرق القديمة والتقنية التي يصنع بها، وتوضيح قيمته المادية، وتقدير الإنتاج السنوي، وتطويره.[3]

تعتبر صناعة الغزل، والنسيج بمثابة النشاط الأول الذي تمارسه المرأة التواتية ونفننت فيه وأتقنته وأظهرت براعتها فيه، وأكثر ما يميز هذا النسيج تلك الألوان المتناسقة التي زادته جمالا ورونقا، مما جعله محل طلب في الأسواق.

---

[1] -M.G.P. Martin, Oasis, op.cit p.310. Deccolomb, op .cit,p 42

[2] -F.E. Gautier, L industrie, op.cit, p98

[3] - ibid, p96

رغم نقص الصوف المادة الرئيسية في هذه الصناعة، مع ذلك يسعى الصناع إلى طلبها من القوافل القادمة من الشمال، أو من المناطق المجاورة. للاقليم.[1]وتنتج المرأة التواتية الأفرشة والأبسطة منها الدوكالي بأحجام مختلفة المتوسطة منها والصغيرة.[2]

1. أدوات المنسج (أزطا)[3]:

1.1.تعريف المنسج: تستعمل في عملية النسيج التقليدية في توات آلة معروفة باسم المنسد وهي تحريف لكلمة منسج هو: النول وتسمى باللسان الزناتي"أزطا"وهو: آلة تقليدية تستعملها النسوة في البيت مصنوعة من خشب النخيل تتكون من خشبتين وأعمدة، تستعملها لصناعة الزرابي والأبسطة، والأكسية الصوفية المختلفة.[4]وقد استخدمت في المدن المغاربية نوعان من الأنوال النول العمودي، والنول الأفقي، فالنول العمودي البسيط هو المستعمل في توات، وهو من الأنواع القديمة التي كانت منتشرة، وأطلق عليها النول أو النير وهو: عبارة عن منسج من خشبتين أفقيتين يلف على أحدهما السدى، وتشدهما دعامتان عموديتان(التيمضوين) وتمر الخيوط بواسطة اليد من خلالهما، ويوضع في أي مكان من المنزل أو البستان، ومن خلال المواد المصنوع منها يظهر النول التواتي محلي الصنع، أما النوع الثاني فهو الأفقي والمخصص للرجال، ومعقد جدا ويعمل باستخدام اليدين والقدمين.[5]وهذا لم يستعمل في توات حسب ما سمعنا ورأينا.

---

[1] – زربية فاتيس، لقاء مع المرحوم برنو محمد الرئيس السابق لجمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية لقصر فاتيس، قناة جنة الحرية، متاح على اليوتيوب. https//youtu.be/t66xggviw2a

[2] - F.E.Gautier, L industrie, op.cit, p 98

أيضا، جامعي زينب، حرفية بجمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، لقصر فاتيس، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2021/11/30م.

[3]– بنوة فاطيمة، أستاذة مساعدة في الصناعة التقليدية، مقابلة شخصية، بمركز التكوين المهني بأقروت، تاريخ 03/20/ 2018، ينظر الملحق رقم(13)، ص401

[4]– برنو (الزهرة)، نائب رئيس جمعية الجنوب الكبير لقصر فاتيس، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم2021/11/30

[5] – محمود (هدية)، مرجع سابق ، ص-ص 130-131

2.1.مكوناته[1]:يتكون صناعة الزرابي والدوكالي أو الحنبل من عدة أدوات تقليدية وهي:

أ–الخشبتين(القشبتين): الوقافات وتسمى لوحة النشر، وتسمى باللغة الأمازيغية الزناتية بتسرسالت. وهي في الأصل كانت تصنع من خشب النخلة، أو الأشجار المحلية حيث يصنع من طرف النجار وبأحجام مختلفة فمنه ذو الحجم الكبير والحجم الصغير، وهو عبارة عن خشبة طويلة الشكل، يبلغ طولها حوالي مترين، ويستعمل الكبير لصنع الزرابي ذات الحجم الكبير، بينما يستعمل الصغير لصنع الزرابي ذات الحجم الصغير، وتستعمل خشبتين اثنتين واحدة علوية(أفجاج إن جنة) ويلف عليها السدى، أما السفلية(إفجاج إنياداي) فيلف عليها ما تم نسجه. وتشد الخشبة السفلية بحبل تم تثبيته مع التمضوين في الأرض، وتربط به بشكل جيد، ويفتخ في كل مرة يراد لف النسيج، ثم تربط من جديد، وهكذا حتى يكتمل النسيج.أما الخشبة العلوية فتشد هي الأخرى بحبل في كل جهة يكون معلق بالتمضوين من الأعلى،وبما أنها مخصصة للسدى فتفتح في كل مرة بعد عملية النسيج وطي المنسوج في الخشبة السفلية في عملية طردية.[2]

ب– التمضوين:[3](تيمضونت، وجمها تيمضوين)وهي عبارة خشبة بمثابة ماسك مصنوعة من عصي من أربعة، أو خمس عصي من عصي جريد النخلة مستقيمة طولها حوالي مترين أو أقل، وتُضم أو تشد مع بعضها بشكل مسطح بعرض عشرون سنتيم تقريبا، توضع بشكل عمودي بعد أن يحفر لها واحدة على اليمين، والثانية على اليسار، وتثبت جيدا في الأرض بعد أن تحفر لها حفرة لتثبت بشكل جيد بحيث تحمل عليها الخشبة العلوية، وكذلك تثبت الخشبة السفلية، وتحمل بذلك ثقل المنسج، ويفصل بينهما مسافة 2.5م تقريبا، ومسافة تفصلها عن الحائط المثبت أمامه المنسج، يمكن الحرفية من إيجاد مكان في المساحة الفارغة لتجلس فيه لتقم بعملية النسج، وقد يعمل فيه شخصين وليبقى الجزء العلوي بعيدا عن الحائط توضع عصا من الجهتين اليمنى واليسرى

---

[1] -F.E.Gautier, L industrie, op .cit ;p 108-109

[2] – الزهراء (حليفي)،حرفية سابقا،حول مكونات المنسج، مقابلة شخصية بالمنزل، بقصر أولا دعلي، ادرار. يوم 15 /07/ 2021

F.E. Gautier, L industrie, op .cit,p110

[3]– الزهراء (حليفي)،حرفية سابقا، حول مكونات المنسج، مقابلة شخصية، بالمنزل، بقصر أولا دعلي، ادرار. يوم15 /07 /2021

ينظر أيضا،F.E. Gautier , op .cit, pp108-109

بينهما تسمى(تسنكيت) ليرتكز عليها حتى لا يرجع إلى الخلف.توضع الخشبة السفلى(أفجاج) على الأرض[1]

ج– القصبة:[2]يؤخذ من نبات القصب مترين أو أكثر، أو أقل على حسب نوع المنسج وحجمه ويستعمل بين خيوط المنسج حتى يساعد في أن تكون متماسكة، ومتعاكسة لشد الصوف الذي يوضع بينهما.[3]

د–عصا النيرة:[4]وهذه توضع بعد مرحلة السدى، وتركيب المنسج في مكانه، توضع من الجهة الأمامية، وتقوم الحرفية صاحبة المنسج بعمل النيرة في خيوط السدى، حتى تكون الخيوط متعاكسة مع بعضها البعض بعد رفع القصبة وتنزيلها، وتسمى الرفعة عندما ترف إلى الأعلى، والحطة عند انزالها ويوضع الصوف أو الطعمة بينهما تم تدق بالمدرة [5].

ه– جبادة النيرة:[6]وهي التي تشد عصا النيرة إلى الأمام .

و– جبادة العرض: وهي عبارة عن شوكة تؤخذ من جريد النخلة، وتمسك بها الزربية من الحاشية الموجودة في الجانبين، وتمسك من الخلف بالجدران لتحافظ على عرض الزربية لبيقى مستقيما. وقد أصبح هناك جباد تقليدي (العضاضة)هو آلة تقليدية تستعملها المرأة في الصناعة التقليدية للنسيج التقليدي الرقيق، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء ملتحمة مع بعضها البعض.[7]

- الصفيحة الحديدية: وهي على شكل فم مثقوبة بالوسط
- سلك حديدي: وهو معكوف على شكل حرف الواو في رأس السلك
- القطعة الخشبية: وهي مربعة الشكل مثقوبة بالوسط .

---

[1] - F.E. Gautier op .cit,p109

[2] – فاطيمة (بنوة)، مكونات المنسج التقليدي، مقابلة شخصية، بالمنزل، يوم2018/03/21

[3] –الزهراء حليفي، المقابلة نفسها.

[4] – فاطيمة (بنوة)، مكونات المنسج التقليدي، مقابلة شخصية، بالمنزل، يوم 2018/03/22

[5] – حليفي الزهراء، المقابلة نفسها.

[6] – محمد(برنو)، زربية فاتيس، قناة جنة الحرية، متاح على اليوتيوب بتاريخ 20سبتمبر 2014 . https//youtu.be/t66xggviw2a.

[7] – فاطيمة (بنوة)، حول مكونات المنسج، مقابلة شخصية بالمنزل، يوم2018/03/22 .

- أهميتها: تجعل شكل النسيج متساوي الحاشيتين، وتمسك العرض غالبا ما يكون في الجلابة(القشابية) والبرانيس، وليس لها أسنان مثل الجباد العصري.[1]

-طريقة تركيبها: تدخل الصحيفة الحديدية في حاشية النسيج ثم تربط الحبل في رأس السلك على شكل حرف الواو ثم تسحب الحبل، وتربط في الركيزة كلما سحبنا الحبل تدخل القطعة الخشبية داخل الصحيفة الحديدية، وهكذا تحافظ على العرض المحدد للبرنوس أو القشابة عموما للنسيج الرقيق.[2]

ز– الحبل: يستعمل الحبل لشد الخشبة التي تلف عليها الزربية من الأسفل، وكذلك يلف عليه السدى[3].

ح– تاغدا:وهي العصا التي تشد نهاية السدا وبدايته، وتوضع مكان الأوتاد التي استعملت في بداية التسدية بحيث عندما ينزع الوتد توضع مكانه العصا، لكي يربط السدى مع الخشبة العلوية والسفلية بواسطة السفراسة [4].

ط– السرفاسة: الخيط الذي يشد تاغدا

ويمكن تصنيفها كمايلي:

أدوات التسدية: وهي الأوتاد، المطرقة، القيام (السدى)، السحاحة. [5]

أدوات الطي:الجريدتين، القصبة، آلة النسيج، لوحة الطي، الحبل.[6]

أدوات النسيج: الصوف الخلالة الجباد.

تبلغ تكلفة الحصول على آلة النسيج(المنسج) بملحقاته حوالي 4.95 فرنك فرنسي على النحو التالي:[7]

---

[1]– قاطيمة (بنوة)، المقابلة نفسها.

[2]– نفسه.

[3]– ويقال له: القيام وهو عبارة عن قطن مغزول عندما تكون خيوطه مستقيمة ومتوازنة ولها نهاية محدودة.مقابلة :الانسة بونوة فاطيمة ،المقابلة نفسها.

[4] – محمد (برنو)، زربية فاتيس، https//youtu.be/t66xggviw2a.

[5] – فاطيمة (بنوة)، المقابلة، نفسها،2018/03/22

[6]– نفسه.

[7] -F.E.Gautier, L industrie, op.cit ; p112

مكونات المنسج	المبلغ/فرنك فرنسي
-الخشبة(إفجاجن)	3 فرنك
-تيمضوين	0.50
تيراين، كنكيلو، ارانيم ، ترافلا	0.25
حبل من وبر الجمل	0.20
حبل من الليف	0.20
حكاكة لصق القماش	0.10
ايسودا	0.10
جبادة	0.10
ايسنلي	0.5
المجموع	**4.95 فرنك**

يبلغ متوسط عمر هذه الآلات المستعملة في النسيج التقليدي حوالي أربعة سنوات(4سنوات) وهي مرتبطة بمدى جودة الخشب والمدة التي يستغرقها، والأجزاء الأساسية التي يمكن يجب استبدالها بعد التلف لأنها مصنوعة فقط من مكونات النخلة، بينما تكون تلك الأجزاء المصنوعة من نوعية جيدة من لخشب كأشجار الرتم القوية والنادرة في قورارة وتوات.[1]

2. المواد الأولية للنسيج التقليدي ومصادرها

يعتمد الصناع في الحصول على النسيج في على مصدرين رئيسيين وهما:الألياف الطبيعية التي مصدرها النباتات الطبيعية، وهي المصدر الأول، التي استخدمها الإنسان كأول وسيلة لصناعة النسيج، ويعد القطن من أكثر النباتات استخداماً في النسيج، لأن ألياقه تنتج أنسجة ممتازة، تستخدم في صناعة الملابس، وغيرها من المنسوجات الأخرى. يستخدم أيضاً الكتان كنوع من أنواع الألياف النباتية الطبيعية، ويعتبر أكثر متانة من القطن، ويتميز بأنه يحافظ على تصميمه لفترة زمنية طويلة، وتوجد العديد من الألياف النباتية الأخرى، التي تستخدم في الكثير من المنسوجات المعروفة.[2]

---

[1] - F.E.Gautier, L industrie, op.cit, p113

[2] - خضر (مجد)صناعة النسيج، موقع mawdoo3.com بتاريخ23 /2018/12م

الألياف النباتية الثانوية ومنها القنب الهندي، والحلفاء والنخيل والقسطل،[1] والتوريري،[2] والتوت،[3] وهناك أيضا الآلياف الحيوانية الأولية (الصوف) والألياف الحيوانية الثانوية مثل:صوف البحر،[4] الأوبار والأشعار والفراء، وقداشتهرت بلاد المغرب الإسلامي بالصناعات النسيجية لتوفر هذه المواد النسيجية.

النوع الثاني من الألياف هي الألياف الصناعية، وتعرف باسم(الألياف التركيبية)، وهي مجموعة من الألياف التي تصنع بالإعتماد على خليط من مكونات طبيعية مثل، عجينة الخشب وبقايا القطن وغيرها من المواد الكيميائية، ومنها: البوليستر، النايلون[5]...إلخ

تحتاج صناعة النسيج التقليدية للمواد الأولية وتعتبر هي الأساس إذ لا تتم هذه العملية دون هذه المواد، والمادة الأساسية في النسيج هي ما يسمى بالسدى(الْقْيَامْ)، والقيام هي المادة التي تستعمل لنسج الزرابي التقليدية ولها عدة مصادر وهي:

- الصوف ويقصد به الصوف الأصلي الذي مصدره شعر الماعز، والكباش وغيرها من الحيوانات.
- الحلفاء والقطن
- الحشرات مثل دودة القز.
- مصدر اصطناعي.

---

[1] - شجرة تنبت في بعض بلدان الغرب الاسلامي ،في جوفها ألياف تستخدم في صنع الثياب، وقد وجدت هذه الأشجار بصفة خاصة في الاندلس، ذكر المقري عنها "ومن غرائب الأندلس أن شجرتين من شجر القسطل، وهما عظيمتان جدا أحداهما يسند وادي آش، والأخرى ببشرة غرناطة ،في جوف كل واحدة منها حائك ينسج الثياب وهذا أمر مشهور.محمود هدية، مرجع سابق، ص41 .

[2]- هو نبات ينمو ببلاد السودان وخاصة في الرمال، له ساق طويل ودقيق ثماره كبيرة وعند النضج تنتفخ ويؤخذ منها ألياف تشبه"الصوف الأبيض"كانت تستخدم في صنع الثياب والأكسية الخاصة التي لا تتأثر بالنار.نفسه، ص41

[3] - تعتبر ورقة التوت الغذاء الرئيسي لدودة القز التي تعد مصدرا مهما لصناعة الحرير حيث يستخرج من شرانقها الحرير الخام نفسه ص42

[4]- هو عبارة عن ألياف نسيجية تستخلص من أحد الحيوانات الرخوية Pinna Marina ، تواجدت بكثرة على سواحل الغرب الإسلامي ويختلف لونها بين الأخضر والأسود.ص 48

[5]- خضر (مجد)صناعة النسيج، موقع http: // mawdoo3.com تاريخ الزيارة 2018/12/23

1.2.القطن:[1]وهو مادة أصلها نباتي تستخلص من شعيرات صغيرة يتراوح طولها بين 1م إلى 1.5م وهو يتطلب حرارة مرتفعة ورطوبة عالية حوالي 30 درجة مئوية، يوجد القطن في ثمرة تدعى الجوزة وهي مقسمة إلى غرف ونجد في كل غرفة من5 إلى 7 حبيبات سوداء ملتفة بشعيرات طويلة، أو قصيرة أو متوسطة، ويكون غالبا أبيض أو أصفر أشقر نسبيا، وتسمى هذه الألياف بالقطن.[2]والقطن من النباتات ذات الأصل الهندي، تنمو شمال الهند أو جنوبها هو نبات قديم نقله الآشوريون من السند، وزرعوه في بلادهم شمال العراق، ثم انتشرت زراعته في أرجاء متعددة في بلاد الشرق الأوسط وكانت مناسج القطن في العالم الإسلامي تعتمد على ما تستورده من القطن من جنوب الهند ومن السند. وتصنع من القطن عدة أنواع من المنسوجات تختلف في دقة نسيجها وخيوطها وتطريزها.وذكر الماوردي من المنسوجات القطن الأصبهاني والنيسبوري والبصري.[3]

أدخل إلى بلاد المغرب الإسلامي على يد الفاتحين العرب في القرن الثاني الهجري (2هـ/8م) وتشير بعض المصادر إلى أن بداية زراعته في الأندلس كانت في القرن الخامس الهجري (5هـ/11م) وزرع القطن في بلدان الغرب الإسلامي وازدهر، وكثر مع تطور الأساليب الفلاحية لزراعته فانتشر ببلدان المغرب، وبخاصة المناطق المنخفضة وكذلك الأطراف الشمالية للصحراء، والسهول الساحلية، والسهول العليا بالمغرب الأقصى واشتهرت بزراعته فاس، وسجلماسة، ومدينة البصرة ووداي، وتادلة وغيرها، وانتشرت زراعته في بعض مدن المغرب الأدنى والأوسط كقرطاجنة، وقفصة وتونس، وشرق بجاية ومناطق الزاب، وخاصة المسيلة فكانت كثيرة القطن، وطبنة التي اشتهرت به. ومن أنواع القطن الأبيض والأصفر، وأن أكثر البلاد إنتاجا للمنسوجات القطنية في العهود الزاهرة للبلاد الإسلامية كانت خرسان والعراق واليمن .[4]

[1]- يسمى القطن عند العرب بمسميات عدة منها الكرفس والبرس، والعطب، والخرفع، والطوط، وظل لفظ القطن Algodon مستخدما من سكان إسبانيا لفترات طويلة، ويسمى القطن حديث الزراعة بالقور، والقديم والعتيق يسمى القسم أو القضم، وتعمر غلة القطن في بعض الأحيان نحو عشرين سنة ، ينظر محمود (هدية) مرجع سابق ، ص ص 33-34

[2] -(فاطيمة) بنوة المقابلة نفسها،22 /2018/03

[3]- صالح (أحمد العلي) المنسوجات والألبسة العربية في العهود الاسلامية الأولى، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003، ص22-23

[4] - صالح (أحمد العلي)، مرجع سابق، ص 25

أما عن زراعة القطن في واحات توات فقد أشار(Martin)أن شجرة القطن تأتي في المرتبة الثانية بعد النخلة، وتلفت الانتباه في واحات توات، وأنها تقريبا تزرع في جل مقاطعات توات وغالبا ما يصل ارتفاعها إلى مترين، وتنموا على حواف السواقي، وتحتوي على كبسولات بحجم الجوزة الصغيرة بها بذور ومغطاة بقطعة قطن بيضاء صغيرة إلا أن زراعته لا تحظى بالاهتمام وليست هناك ثقافة بضرورة الإهتمام بزراعته ويبدوا مهملا، ولا تلقى هذه الشجيرات العناية كباقي الأشجار فلا يوضع لها السماد، ولا تقلم، ولا يهتم بزيادة الإنتاج، وتترك لتنموا بنفسها مثل بعض النباتات الصحراوية، وإلا كان بإمكانهم استغلاله في النسيج، وتخفيض تكلفة نقله من الشمال.[1] وأشار(Bissuel)إلى المزروعات التي تزرع في بساتين قورارة وذكر منها الأشجار المثمرة والخضروات والتبغ والقطن والحناء وغيرها،[2]وكذلك في التقرير المقدم للحاكم العام الفرنسي من طرف M.ch.LTaud عن إنتاج التبغ وتصديره للسودان، تحدث عن تجربة زراعة القطن،[3]ويذكر كثيراً ضمن المواد المجلوبة من الشمال، وأنه يستعمل مثل الصوف في صناعة الأقمشة في مقاطعة تيمي وسالي ورقان.[4]غير أن استعماله أقل من استخدام الصوف.

2.2 الصوف:

هي عبارة عن ألياف حيوانية تمثل الطبقة الواقية للثيديات الشعرية مثل الأغنام، والماعز والإبل، وقد استخدمها الانسان منذ القدم ليكسوا نفسه، فصنع نسجا ووظفه في صناعة الملابس والسجاد والبطانيات، وغيرها، وما يميز هذه المنتوجات أنها تحافظ على جمالها ورونقها، فهي تقاوم الانكماش، وأيضا سهلة التنظيف، وقادرة على امتصاص الرطوبة، وعازلة للحرارة والبرودة لذلك استخدمت في صناعة السترات والمعاطف وغيرها تعتبر الصوف مادة أساسية ومهمة في النسيج وتستعمل منذ القديم وتعتبر المفضلة لدى النساجون، لما تتمتع به من خصائص طبيعية.[5]

---

[1] - A.G.P.Martin; Oasis, Op .cit .pp309-310.

[2]- H .Bissuel : le Sahar Français conférence sur le question Sahariennes : Ed Adolph. Jourdan, librairie, Alger, 1891, p31

[3]- M.CH.Lutaud, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l´Algérie, imprimeur-libiraire- éditeur, Alger, 1913, pp 80,82

[4] - H. Bissuel, ibid, pp32, 48

[5] – موقع المعرفة، صوف، m.marefa.org

كانت بلاد المغرب الإسلامي وبالأخص المغرب الأوسط من أكثر المناطق توفرا على هذه الصوف وذلك لانتشار النشاط الرعوي في المجتمع المغربي، وهو الأمر الذي جعله مركز القوة في إنتاج الألياف النسيجية من تربية الماشية بأنواعها المختلفة وبخاصة الغنم، ويذكر صاحب الاستبصار في هذا الأمر أن بلاد المغرب الأوسط"كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي، وفيها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها."[1]وهنا إشارة إلى أن بلاد المغرب الإسلامي قد زودت بلاد الأندلس بالأغنام بمختلف أنواعها سواء الغنم أو الماعز أو البقر، ويذكر الادريسي أيضا أن منها"تحمل الغنم أيضا والمعز والبقر"خاصة المغرب الأوسط حيث أشار إلى أن أكثر أموال أهلها من المواشي والأبقار، وأن الفواكه واللحوم بهاكثيرة وتباع بثمن يسير،ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق.[2]

هذا دليل على أن مناخ المغرب الأوسط "الجزائر ومدنها ساهم في نمو الثروة الحيوانية ووجود غطاء نباتي متعدد وكذلك التنوع الواضح في البيئات الجغرافية، وهو الأمر الذي انعكس إيجابا على الصناعات النسيجية في المنطقة،[3]وبالتالي كانت هذه المناطق هي مصادر التزود بالصوف بالنسبة للمدن الصحراوية، وكان الصوف الخام(تادوت) يستقدم إلى توات وقورارة عبر القوافل التجارية الكبرى، حيث لاتنتج هذه الواحات خرفانا بالعدد الكافي لسد حاجياتهم المختلفة، من الصوف خاصة، وتأتي قوافل التل بحوالي 3000 قطعة سنويا، وإذا أخذ بعين الإعتبار قطع صوف الخرفان التي يبيعونها، فيمكن أن تصل إلى 5000 قطعة في العدد الإجمالي المتوسط للقطع المستعملة سنويا في الإقليم، والسعر غير ثابت[4].

1.2.2. تجهيز الصوف

يعد الصوف أساس عملية النسيج وللحصول عليه لابد من الرجوع إلى مصدره الأصلي وهي المواشي، وبالتالي يجب العمل كأول خطوة على إنمائه، وذلك بتربية المواشي من أغنام وماعز

[1] – محمود (هدية)، مرجع سابق، ص، 179

[2] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ج1 ، مكتبة الثقافة الدينية، نسخة إلكترونية، 2008، ص–ص258–260

[3] – محمود (هدية)، مرجع سابق، ص44

[4]- F. E.Gautier, Op .cit, pp100-101

وجمال، ويحصل عليه من جزة[1] الفروة التي تغطي جسم الضأن من الخرفان أو الكباش، وتقص بالمقراض لتكون مناسبة ثم تضرب بالقضيب لتفرد وتلين، وبضربها يظهر نوعها هل هي من الخرفان أو الكباش لأن صوف الخروف يكون أطول من صوف الكباش، وبعده ينظف الصوف وكل ما يعلق به من أبعار وبول الغنم والتبن.[2] وتتم طريقة الجز عن طريق توقيف البهيمة ثم تربط من رجلها بشكل محكم، وتكون عملية الجز بداية من القوائم وتنتهي بالظهر،كما يستحسن جز صوف كل بهيمة مرة واحدة، وبدون انقطاع، وأن تكون بصفة دورية، كما يجب أن لا يخلط الصوف ببعضه البعض لتباع كل جزية وحدها ويحتوي الصوف على مادة دسمة تنزع المادة بالماء الساخن والصابون خاص به، يمتص الصوف الماء بكمية كبيرة.وتأتي عملية الغسل، وتتبع بالغزل، ليصل لمرحلة النسيج أو الحياكة والتصنيع كما سنوضحه لاحقا وتتم عملية الجز في فصل الربيع وفي الصيف وتتم بالتعاون مع أصحاب المواشي.[3]

2.2.2.– تنظيف الصوف وتحضيرها :

يغسل الصوف بالماء الدافئ والصابون الخاص به، و يحزم في قطعة قماش ويترك ليقطر منه الماء وتستعمل مواد طبيعية كالكافور والفلفل الأسود،ويعرض كل أسبوع للأشعة الشمس حتى لا يتعرض للحشرات هذا في بعض البلدان،أما في قصور توات، وقورارة فقد كان غسل الصوف يتم عادة في السواقي الرئيسية للفقارات التي يتم سدها من الأعلى باستخدام جريد النخيل، ويتم غسل كميات من الصوف فيدفع الماء المتدفق الرمال، والمواد الدسمة الموجودة في القطع الصوفية وهذه العملية تستلزم تقريبا ساعة لكل قطعة صوف كبيرة، ولتجفيف الصوف توضع في مكان مفروش بالرمال الناعمة النظيفة لكي تجف بسرعة دون أن تتسخ، ثم يتم نشرها على قماش أبيض موضوع على أرضية صلبة أو على حجرة مسطحة بواسطة عصى من الجريد أو من"رتم[4] "دقيقة

---

[1] – الجَزّ مصدر جزَّ،قطع العشب والشعر والصوف والثمر ،جزَّصوف الخرفان بمعنى قطعها.انظر معجم المعاني الجامع.

[2] – محمود هدية، مرجع سابق، ص124

[3] – بنوة فاطمة، المقابلة نفسها، 2018/03/22

[4] – نبات الرتم(بالإنجليزية: RETAMA)شجيرة صغيرة، طويلة ورفيعة لها فروع متدلية قليلا، تحمل هذه الفروع العديد من الأوراق والأزهار صفراء اللون، ويمكن أن يكون لنبات الرتم جذع واحد أوعدة جذوع، عادة ماتنموا في التربة الجيرية في المناطق الرطبة وتتحمل الجفاف، وهي من عائلة البازيلاء، ومن نباتات الزينة، وهناك النوع الصحراوي. ينظر موقع موضوع mawdoo3.com

ومصقولة ويتم ضرب الصوف ضربات خفيفة حتى تزول منها الشوائب والأوساخ، وتستكمل عملية التنظيف باستخدام اليد، وبعد ذلك يتم فرزها في شكل رقائق صغيرة وتجمع في سلة من أوراق النخيل(قفة).[1]

3.2.2.صباغة الصوف

قبل ظهور الصباغات الحالية الجاهزة أستخدمت الشعوب منذ القدم موادا طبيعية للصباغة منها النباتات ولم يكن إقليم توات بعيدا عن ذلك، فقد استخدمت بلاد المغرب الإسلامي أنواعا من النباتات في الصباغة، وتعتبر عماد صناعة الصباغة والتي شكلت الضلع الثالث في استكمال صناعة النسيج، وهذا يفسر مدى اهتمام فلاحوا المنطقة بزراعة نباتات الصباغة للحصول على الأفضل لاستخدامها في أمور الصباغة ومن أبرز تلك النباتات، القِرمز،[2]القُرطم،[3]النيلة.[4]والحناء والزعفران.[5] وقد استعمل بعضها لصباغة الصوف في توات، وذلك للحصول على ألوان مختلفة باستخدام مواد طبيعية وأعشاب محلية أخرى بالإضافة لبعض ما ذكر، ومنها كبريتات الحديد التي تسمى في توات "الطملة"، وتسحق مع قشور الرمان فتعطي صبغة سوداء جميلة كما تستخدم أيضا في صناعة الحبر الذي لا يمحى، ويستخرج من منطقة رقان وسالي مادة تسمى "الونكل،[6]"تستخدم أيضا للصباغة وعدة أشياء أخرى لاستخراج اللون الأزرق.[7]

---

[1]-F.E.Gautier, L industrie, Op .cit ; p 101

[2] – وهو حشرة وليس نبات ولكنها صغيرة الحجم تنمو على شجر البلوط تجمع في شهر مارس حتى شهر ماي يجمع في الصباح قبل طلوع الشمس ويكدس في آنية وينقع في الخل لمدة اثنتي عشرة ساعة ،ثم يجفف في الشمس حتى يصبح حبوبا حمراء وبعدها تكون صالحة للصباغة، ينظر، محمود (هدية)، مرجع سابق، ص 52

[3] – ويسمى الهرمان أو الإخريج أو الإحريض والمرِّيق وهو نبات زهره العصفر أو حب العصفر يستخدم في الصباغة وهو على نوعين يزرع في شهر فبراير وشهر مارس.،المرجع نفسه،ص52

[4] – النيلة أو النيلج نبات أدخلت زراعته من الهند إلى بلاد الغرب الاسلامي على يد الفاتحين العرب فزعت في منطقة السوس وهسكورة بالمغرب. المرجع، نفسه، ص54

[5] – محمود هدية ، المرجع سابق، ص،ص 51-54

[6]- الونكل بفتح الواو وتسكين النون وفتح الكاف نوع من المعادن الطينية مائل للاصفرار في لونه تشتهر به منطقة بودة غرب مدينة ادرار جنوب الجزائر وإلى الآن هناك حي في هذه المنطقة معروف بأسم (حدب الونكل)نسبة للمكان فيه هذا المعدن.كانت العامة ولاتزال تستعمله لإبعاد الخلعة وهو الفزع الذي يبقى في الفؤاد. ينظر أحمد جعفري جهود علماء الجزائر مرجع سابق، ص 61

[7] – H. Bissuel, Op, cit, p32

-اللون الأحمر:من نبات الحناء والشاي، وجذور نبتة الفوة والرمان والزعفران،[1] وتزرع في بعض القصور بقورارة منها قصر طلمين، وتقلزي، أجدير وأولاد عيسى وشروين، ولمعرفة ما إن كانت العملية قد انتهت بشكل جيد،يتم غمس قطعة من قماش بيضاء في السائل، إذا لم تكن ملونة، فيمكننا إزالة الصوف، والتي يجب أن تجف بعيدا عن الضوء.[2]

-أما اللون الأخضر:وللصبغ باللون الأخضر يتم استخدام الصوف الأبيض فقط، وكثيرا ما استعمل حرفيو قورارة بتوات اللون النيلي لصبغ الكسي، والملحفة التي يرتدونها، وللحصول عليه يعتمدون على النيلة لذلك لن يكون لونه أخضر كالأخضر المعروف، لكن حسب إحدى الحرفيات في المنطقة فإن اللون الأخضر في عالم الزربية الفاتيسية هو اللون اللأزرق النيلي.[3]

للحصول عليه يؤتى بقِدر سعته من50 إلى 60 لتر يسمى الخابية (تافندا) وتوضع به النيلة بمقدار 1.5كغ و1كغ من تمر تلمسو بعد نزع النوى منه، و30 إلى 40 من مياه الرماد المستخرج من شجر البلبال (تاخانيمت) ثم تملأ بالماء، ويتم وضعه على النار بدرجة عالية لمدة 18 ساعة عن طريق فرن موصول بخرطوم مع القدر الموضوع فيما يشبه القفص المبني في الهواء، والذي لا تصله النار إلا من جانب واحد فقط ثم يملأ الفرن بحطب النخيل، وعندما يصبح الحطب جمراً يسد الفرن من الخارج، ويتم تقليب الخليط الساخن باستخدام عصي ثقيلة لمدة 5 أو6 ساعات، وتظل درجة الحرارة ثابتة تقريبا وتقترب من 8 درجة.وتكون الصبغة النيلية الناتجة داكنة جداً ثابتة بشكل كبير.حيث تسمح كمية المكونات المذكورة بصبغ نحو10كليوغرامات من الصوف.[4]وللصبغ باللون الأخضر يقوم الحرفي بإدخال الصوف عند طهيه بشكل متوسط، ثم يقوم بإزالته على الفور تقريبا ويتركه يجف ينتج عن ذلك درجة لون قريبة من اللون الأزرق الفاتح كلون السماء، ثم تتبع نفس الطريقة كما في صباغة الصوف الأبيض باللون الأصفر،[5] فهناك الأصفر الكناري(المائل إلى

---

[1] – زينب(جامعي)، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية ، يوم 2022/03/23

[2] - F.Gautier, L industrie, p .cit, pp105-106

[3] – زينب (جامعي)، المقابلة نفسها، يوم 2022/03/23م

ينظر أيضا F. E. Gautier, L industrie, op .cit, p106

[4] - ibid, p106.

[5]- ibid, p106

الخضرة) والأصفر البرتقالي ويسمى محليا البوعلي(أصفر فاتح).[1]ويتم الحصول عليهما، باستعمال قشور الرمان والأزهار الصفراء، والبصل والشب، وأعشاب أخرى.[2]بعد طهي الصوف في حمام الشب، بعد شطفها وبعد جفافها يوضع في القدر مع الخليط من الإثلاية"(تابركات) (أوراق الأثل المطحونة) المعروفة بتوات(بالتلاية)،نفس التسمية، وقشر البصل: وتكون حجم 5 أجزاء من الأثل لكل جزء من قشر البصل تسخن على نار متوسطة وتقلب حتى تكتسي الصوف لونا أصفرا موحدا، يضيف بعض الأهالي لهذا الخليط زهور القطن الصفراء أو لحاء الرمان الجاف (تيغشيرين) حسب اللون الذي يريدون الحصول عليه.[3]

لون الإنيلين[4]:إن دقة وطول العمليات المتتالية التي يجب أن تخضع لها الصوف ليتم صبغها بهذه المكونات، وارتفاع سعرها، جعلت ألوان الإنيلين ناجحة.وحسب الدراسة الفرنسية دائما لم يكن الحرفيين مجهزين لصبغ كميات كبيرة من الصوف دفعة واحدة.مما جعلهم يهرعون للصباغين الذين استقروا في توات قورارة، وخاصة تيميمون ومع ذلك فقد قطع سكان تينركوك البعيدين جداً، علاقاتهم مع جريفيل، وميزاب وتعلموا الصباغة بالأنيلين. وبالموازاة مع زيادة الطلب على«الدوكالي» فقد تم التخلي عن الأصباغ النباتية التي تفتقد إلى تناسق الألوان وتدرجاتها اللونية، وفي نفس الوقت لا يكسب منها الحرفيين شيئا وبالتالي فقد تخلصوا من مشكلة تحسين أدوات العمل غير الكافية، وكذا الملل من عملية الصباغة.و يشير غوتيي (Gautier)إلى أن الأساليب المستخدمة في قورارة، وتوات من قبل السكان الأصليين لصبغ الصوف بألوان الإنيلين لا تثير الإهتمام، فمن المعروف أنها غير كافية لإعطاء نتائج مقبولة، ومع ذلك، لايمكن اتهام الصباغين الحاليين بالحماقة، أو عدم الإكتراث فوحدها رداءة نوعية الألوان المستخدمة، والظروف المزرية هي ما يبرر رداءة الأصباغ التي تم الحصول عليها، ويتقاضى صباغوا تيميمون 1.50فرنك

[1] – زينب (جامعي)، المقابلة نفسها، 2022/03/23م

[2] -F. E. Gautier, L industrie, op .cit; p107

[3] – ibid, p107.

[4] – هو مركب عضوي له صيغة .C6H7N وهو أبسط وأهم الأمينات العطرية، الإنيلين النقي له لون تقريبا (سائل زيتي مصفر)، يتحول الى اللون البني عند تعرضه للهواء ويؤكسد الى مادة راتنجية، مادة سامة وقابلة للإشتعال، وهو مركب أولي في صناعة الألوان، وأصبحت له قيمة تجارية لاستخدامه في صناعة الأصبغة.موقع إسألني كيمياء ask-chemistry.com بتاريخ/2022/0/24 الساعة، 13:00 زوال.

عن صبغ 1 كيلوغرام من الصوف المغزول بالإنيليين ومن جهة أخرى، فإن هذا الصوف المغزول يرتفع سعره إلى5.30 فرنك للكيلوغرام، وبالتالي فإن الصوف المصبوغة، والجاهزة للاستخدام في النسيج يصل سعره إلى 6.80 فرنك للكيلوغرام.[1]

للحصول على الألوان المناسبة للنسيج فإن أهل تينركوك كانوا يرسلون أصوافهم إلى البيض أو غرداية لتلون بلون نباتي يميل إلى الحمرة أي قرمزي، أما في توات وقورارة فتتم الصباغة محليا إلا أن هذه الألوان لم تكن لامعة أو براقة، وفي نفس الوقت تتطلب الكثير من الجهد والعمل والعناية للحصول عليها من المواد السالفة الذكر، وتتم عملية التلوين بتحضير الصبغة حيث يتم وضع الماء في آنية كبيرة على النار، وكل لون يوضع له إناء، ولما يغلي الماء توضع فيه الصوف ويضاف له الشب، لتثبيت اللون في الصوف، وتتم الصباغة بعدة ألوان منها الأحمر، والأخضر، والأسود والأصفر،[2] أما اللون الأبيض فكل الصوف (طومة) التي تستعمل بيضاء فقد بيضت بحليب الجص (مادة الجبس) وتسمى"التبشنت"، قبل أن تستعمل في الحياكة، التي تستعمل في السدى.[3]وحجبه عن الضوء، فيعطي للصوف بياضا ناصعا.[4]

يستعمل اللون الأخضر من طرف النساء لصبغ الأكسية، والملاحف الخاصة بهم خاصة في تيميمون،

ويستخلص اللون الأخضر من مزج النيلة مع تمر تيليمسو ورماد شجرة البلبال ويحصلون اللون الأصفر باستخدام قشور الرمان والأزهار الصفراء والشب والبصل وغيرها.[5]

---

[1] - F.E.Gautier, L industrie, Op.cit, pp107-108

[2]- محمد(برنو)، زربية فاتيس، قناة جنة الحرية، متاح على اليوتيوب بتاريخ 20سبتمبر 2014 .مرجع سابق الرابط https//youtu.be/t66xggviw2a

[3]- جامعي زينب، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2022/03/23

[4]- فاطنة (كريكرة)حرفية ، مقابلة شخصية ، بمنزلها بقصر تسابيت، بتاريخ 2021/07/18

ينظر أيضا - F.E.Gautier, Op, cit ; p103

[5]- ibid, p106. أنظر أيضا

(j). Bisson : le Gourara etude de geographie humaine universite´d´Alger, institut de recherche Sahariennes, mémoire3°, 1995, p15-21

3. الغزل:

1.3.تعريف الغزل لغة:من غزْل:غَزَلَتِ المرأة القطن والكتان وغيرهما تَغزُله غزلاً، وكذلك اغْتزلته وهي تَغزِل بالمِغْزَل، ونسوة غُزَّل.واسم ما تغزل به النساء المِغْزَل، وقال ابن سيده: وسمى سيبويه مانتسجه العنكبوت غزلا فقال في قول العجاج:كأن نسج العنكبوت المرْمل[1].ويقال أيضا غَزَلتِ المرأة القطن تَغْزِله غَزلاً واغْتزَلته والغزل أيضا المغزول، والمِغْزَلُ والمغزَلُ:ما يغزل به، قال الفراء والأصل الضم هو من أُغْزِلَ، أي أدير وفتل وأغْزَلت المرأة: أدارت المغزل.[2]

.2.3.تعريف الغزل إصطلاحا: وقد عرفت هذه الحرفة في بلاد المغرب الإسلامي، وتعرف في توات بالغزل وتتم يدويا، وتعني تحويل الصوف إلى خيوط، وغالبا ما تقوم بها النساء، لما تتطلبه عملية الغزل من المهارة، والدقة وهو ما يتناسب وطبيعة التوافق الجسمي للمرأة.[3]بعد مرحلة التجفيف للصوف تأتي عملية الغزل والتي تبدأ بالتمشيط وتسريح الصوف باستخدام أدوات بسيطة وهي المشط، القرداش، المغزل، ويسمح تمشيط الصوف بتسهيل عملية الغزل والحصول على السدى (أوسو) والطومة (أوتمان) بمعنى كميات الصوف التي يتم استخدامها لصنع خيوط اللحمة والسدى وهناك نوعين من الصوف الخشن والناعم، والصوف القادم من البيض أحسن من ذلك الذي يؤتى به من المشرية.[4]

3.3.طريقة الاستعمال وأهميته: وتتم عملية الغزل عن طريق المغزل التقليدي: هو آلة تقليدية مصنوعة من خشب وهناك نوعان من المغازل حيث يتكون كل من المغزلين من عجلة مثقوبة في الوسط ويد المغزل التي تكون حادة في الأعلى وغليظة في الأسفل، إلا أن هناك اختلاف بسيط بين المغزلين ففي مغزل اليد يكون مسمار حديدي مغلوق ومفتوح من جهة كما تكون العجلة أخف من عجلة المغزل الآخر، والمغزل المنتشر في توات والجاري العمل به لا يوجد فيه مسمارا ويجب على الحرفية التي تريد أن تستعمل مغزل الساق أن تكون جالسة على الأرض، وتضع ركبتها الأولى على الأرض والثانية واقفة حتى تستطيع أن تغزل على ساقها.بعد ذلك تحضر الصوف

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص 3252

[2]- اسماعيل الجوهري (ابن حماد)، مصدر سابق، ص 1781

[3] - محمود هدية، مرجع سابق، ص124

[4] - Deporter, Op. cit ,p 292 ينظر أيضا ,Bisson, Op ,cit , p144 أيضا F.E. L industrie, Gautier, Op .cit, p103

وتقوم بغزله حتى يصبح بعد ذلك طعمة.أما مغزل اليد تستطيع المرأة أن تجلس في وضعية القرفصاء – متربعة – وتغزل حيث تمسك يد المغزل بيدها اليمنى، ثم تضع الصوف بيدها الأخرى وتقوم بالغزل إلى أن يصبح خيط.[1]

تكمن أهمية المغزل أننا نستطيع بواسطته أن نجعل من الصوف خيطا بعد أن تمت قردشته على شكل خيط القيام و الطعمة قابلة للاستعمال وبفضلها نستطيع أن ننسج زرابي وبرانيس ويمكن أن نستعمل المغزلين معا.

لم يعتمد سكان المنطقة على المنتوج المحلي كثيراً لأن المنطقة لا تنتج خرفانا وأغناما بالشكل الكافي، وبالتالي كانت القوافل القادمة من التل هي المصدر الرئيسي للصوف محملة بحوالي 3000 قطعة سنويا، وقد اعتَمدتُ بعض الإحصائيات الخاصة بالسنوات العشر من مطلع القرن العشرين، وذلك لشح المعلومات الإحصائية عن القرن التاسع عشر فتعتبر هذه أقرب لتلك الفترة وسعر القطعة من الصوف ثابت فهو يتغير من حين لآخر، إلا أنه يبقى مرتفع، ففي 1910م بلغ سعر القطعة التي توفر 750غرام من الصوف النظيف 3فرنك، بينما لم يتجاوز سعره بين 1908و1909م 2 إلى 50 فرنك، وعادة مايتم الحصول على الصوف عن طريق المقايضة البدو وأهل القصور، وتجار تيميون وأدرار يخزنون كل سنة كميات لابأس بها من الصوف التي يدفعون ثمنها نقدا لاهل البدو ويعيدون بيعها للربح،كما استخدم الفرنسيون 3فرنك لحساب سعر التكلفة للدوكالي المصنوع في توات وقورارة .وللحصول على الصوف في وقتها يجد السكان أنفسهم مجبرون على اللجوء للتجار كوسطاء في وقت البيع، والدفع بالنقود كان أولى في المنطقة.[2]

4.النيرة والتسدية:

1.4.النيرة: وهي حرفة تقليدية تستعمل في نسيج الزرابي التقليدية والأبسطة، وهي عبارة عن خيط يحضر من القيام (السدى) بحيث إذا كان الخيط رقيقا يثنى على اثنين أو يستعمل خيطين من لونين مختلفين، وإن كان غليظا فلا يثنى.[3]وتعتبر النيرة من أهم العمليات الأساسية في النسيج

[1]–جمعة(كريكرة)، حول تحضير الصوف، مقابلة شخصية، بمنزلها في قصر الهبلة بتسابيت، يوم 2021/07/18.

[2]- F. E.Gautier, L industrie, Op .cit, p101

[3] – جمعة(كريكرة)، حرفية، حول التسدية، المقابلة نفسها، بتاريخ 2021/07/18

بفضلها يمكن أن تتعاكس أو تتخالف كما يعطينا ما يسمى بالروح للنسيج.[1] وقبل البدء في عملية التسدية يتم لف (خيوط السدى) في بكرات.

2.4.التسدية: ويستخدم فيها القيام (السدا):هو عبارة عن قطن مغزول عندما تكون خيوطه مستقيمة ومتوازنة ولها نهاية محدودة.[2] و يركب القيام (السدى)[3] عن طريق التكبيب على اليد أو باستخدام آلة تقليدية ويكون التكبيب على شكل حلقات مستقيمة لكي يساعد في عملية التسدية[4].ويجب مسك المغزل جيدا لكي لا تتشابك الخيوط، وعدم تقطيع القيام (السدى).كما يجب أن يكون التكبيب على شكل كورة لها رؤوس.ونحتاج لوتدين يكون طولهما حوالي 30إلى 40سنتيم، ويغرسان في الأرض وتكون المسافة بينهما هي طول الحنبل أو الزربية المراد نسجها،فإذا أرادت الحرفية نسج حنبل طوله 5 أمتار تترك مسافة بهذا الطول وهكذا، ثم نربط السد في الوتد مع خيط النيرة، ونحتاج أيضا إلى ثلاث نسوة، واحدة تجلس في جهة الوتد الأيمن والأخرى في جهة الوتد الايسر، بينما تقوم المرأة الثالثة تمرير خيط السدى(القيام) للجهتين ذهابا وأياباً، بينما تقوم كل واحدة من الجالستين بإدراة خيط النيرة على الوتد لشد السدى، بعد الانتهاء من لف جميع السدى يؤتى بعصا رقيقة تسمى(كنكيلو) [5] ويدخل بها السدى.

ثم تدخل بعد ذلك عصا مصقولة من جريد النخلة، ويدخل بها السدى مرة ايضا مع الحفاظ على ما يسمى الروح وهي التشابك الموجود بين الخيوط ، ويدخل عصا أخرى في الجهة العليا للسدى، ثم يتم إحضار الخشبة العلوية ويلف عليه السدى بطريقة جدا، لايمكن فيه الخطأ حيث يمسك السدى من طرف أربع نساء اثنين في كل جهة كل واحدة تمسك في جهة من العصا التي أدخل فيها السدى، وتوضع الخشبة على السدى الخاص بالجهة العليا، وتبدءان بلف السدى

[1] – جمعة(كريكرة) حرفية، حول التسدية، مقابلة شخصية، بمنزلها، بتاريخ 2021/07/18

[2] –فاطمة (محفوظي)، مقابلة شخصية، بقصر فاتيس، بتاريخ 2022/03/23

[3] – زينب (جامعي) جامعي زينب، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2022/03/23

[4] – فاطمة (بنوة)، مقابلة شخصية ، بمركز التكوين المهني اوقروت، بتاريخ بنوة فاطمة، المقابلة نفسها، 2018/03/22

[5] -F.E. Gautier, L industrie, Op .cit, p110

بشيئا فشيئا على هذه الخشبة، وهن جالسات، وتكون إمرأة أخرى واقفة وتراقب حتى لا يفقد السدى استقامته فتتدخل وأحياناً تضربه بعصا.[1]

بعد هذه المرحلة تأتي عملية تركيب السدى في المنسج، ويتم إحضار التمضوين(الوقافات) ويتم تركيبهما في الأرض بحيث تكونان بعيدتان عن الحائط، بما يقرب 50سم أو أكثر بما يسمح للحرفية بحرية التحرك ووضع وسائل عملها، ويتم ذلك بالحفر في الأرض وإدخالهما واحدة في جهة اليمين والأخرى في اليسار، وتوضع لهما الحجارة والتراب لتثبيتهما بشكل جيد حتى لا تتحركان عند تعليق السدى للأنهما ستتحملان ثقل النسيج فيما بعد، ثم يؤتى بالخشبتين المخصصتين للف السدى والنسيج، حيث تقوم الحرفية بشد السدى من الجهة التي وجد بها الكنكيلو والعصا التي أدخل بها السدا على الخشبة، وتوضع بين التمضوين وتربط على الأرض بشكل جيد من الجهتين، ثم ترفع الخشبة العلوية التي تحمل السدى، وتعلق هي الأخرى بالتمضوين في الأعلى وتمسك وتثبت جيد من خلال ربطها بحبل من الجهتين حتى لا تسقط.[2]

3.4 .تركيب النيرة في المنسج:بعد الإنتهاء من تركيب المنسج وتعليق السدى به تبدأ عملية وضع النيرة بعصا النيرة ونحيطها بخيط من الجانبين يسمى ب"حمارة"ثم تربط النيرة معه ونبدأ في العمل، الخيوط الموجودة بين العصا والقصبة تدعى بخيوط الحاير، أما الخيوط الموجودة خلف القصبة فتدعى بخيوط الناير، ندخل النيرة باليد اليمنى في النسيج حيث تنير الخيوط الخارجية، أما الخيوط الداخلية فتترك حيث نقوم بأخذ الخيط من الأمام وإشباك الخيط المقابل من وراء، حيث يمرر خيط النيرة عليه من الأعلى إلى الأسفل، ثم بعد الإنتهاء من النيرة ندخل على القصبة قصبة أخرى ثم نقوم بنزع القصبة الأولى، ويجب أن يكون مقياس البعد بين عصا النيرة، والقصبة قياس علبة كبريت[3].ثم يتم تركيب الجبادة في الوسط وتربط في الحائط بشكل جيد لتسحب النيرة للخلف حتى يظهر الفاصل بين الخيط (الحاير) و(الناير)، وبعد هذه العملية تستطيع الحرفية البدء في النسيج، وذلك بإدخال خيوط الصوف حسب اللون الذي تريده بين خيط (الحاير) و(الناير)، تسمى الأولى الطرحة، ثم تقوم بدق الصوف ب(المدرة) وتضرب جيداً حتى تنزل، ثم ترفع القصبة

[1] – الزهرة (حليفي)، حول التسدية، مقابلة شخصية، بالمنزل، بتاريخ، 2021/07/15

وأيضا فاطنة (كريكرة)حرفية، مقابلة شخصية، بمنزلها بقصر تسابيت، بتاريخ 2021/07/18

[2]– F.E. Gautier, L industrie, Op .cit p110

[3]– فاطمة (بنوة)، المقابلة نفسها، 201/03/22

وتدخل الصوف للمرة الثانية وتسمى الرفدة، ثم تنزل القصبة وتضرب بالمدرة، وتواصل العمل بهذه الطريقة.

لما تتمكن من نسج عدد معتبر من الصفوف تركب جبادة الحواشي في الجانبين الأيمن والأيسر للحفاظ على استقامة النسيج، وبعد أن يصبح النسيج ذو ارتفاع معين يقارب الذراع أوأكثر يتم لفه على الخشبة السفلية، وتطلق السدى من الخشبة العلوية، وتقوم بربط الخشبة السفلية جيداً، ثم العلوية، وتستمر العملية على هذا المنوال إلى أن تنتهي العملية ككل.[1]

II:الصناعات النسيجية في حواضر توات

إن دراستنا لهذا الموضوع جعلتني أقف على عدد من الحقائق المتعلقة بصناعة النسيج في توات عموما، وتنوعها، ومن ذلك الخلط بين الأبسطة العادية المنسوجة من الصوف، والزربية فلاحظت أن هناك فرقا كبيراً بين الإثنين فالزربية تختلف طريقة صناعتها عن الأفرشة الأخرى وأيضا تكون سميكة وتتم فيها عملية القص، أما البساط فينسج بطريقة عادية، والزربية تتميز الزخرفة أو الرسم لأشكال مختلفة، بينما الفراش ويسمى الحنبل فيكون بدون زخرفة ويكتفي ناسجيه بوضع طرحات(صفوف) بألوان مختلفة ومدروسة بدقة،كما تتنوع المنسوجات بين الأفرشة والألبسة.[2]والإستثناء في حنبل أوجربي فاتيس أنه يجمع بين خصائص الحنبل، والزربية كونه يحتوي على الرسومات والرموز، وينسج بطريقة الحنبل، الذي ينسج بتوات الوسطى بلونين فقط عبارة عن شكل شريط، أخضر، وآخر أحمر.

1- صناعة الحنبل أو الزربية:

عرفت منطقة توات بنسيج الأبسطة والزرابي، ولكن لا يعرف بالتحديد متى أو الفترة التي ظهرت فيها، فحسب ما ذكره Bisson وهو يتحدث عن دوكالي تيميمون، وقورارة أنه نسج أول مرة سنة،1851م،[3]أي أنه يرجع ظهوره إلى أواخر القرن التاسع عشر، وأنه نسج لأول مرة من طرف إمرأتان زناتيتين بمساعدة إحدى(الحرثانيات)من تيميمون وكن ينسجن الكسي التي تباع إلى

---

[1]- الزهرة (حليفي)، مقابلة شخصيه بالمنزل، بقصر أولاد علي بتاريخ2021/07/15

[2] - فاطمة(بنوة)، مقابلة شخصية، بمنزلها بتاريخ: 2018/03/22

[3] - زاجية هرباش، الوضع الإقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12و13الهجريين 18و19الميلاديين أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بن نعيمة عبد المجيد،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص240

الطوارق ويبدعن في إضافة الألوان لتحقيق أفضل المكاسب، أما في فاتيس فإن النسيج جديد لأنه ذكر مرة واحدة في التقرير العسكري لملحقة قورارة في سنة 1909م،[1] لكن هذا يدفعنا لطرح مجموعة من التساؤلات هل هو يقصد ظهور حرفة النسيج عموما أو الطريقة الجديدة وإدخال الألوان والرسومات، وروايته قريبة من الرواية الشفوية، لدى حرفيي قصر فاتيس بتينركوك، مفادها أن هذه الحرفة تكون قد انتقلت إلى المنطقة من البيض وذلك بحكم القرب والتجاور بين المنطقتين وفي هذا الصدد ذكر السيد برنو محمد،[2] وأكد هذه المعلومة وهو يسرد قصة الزربية وحسبه فإن الزربية أصلها من البيض وكانت في البداية عبارة بساط أبيض ذو خطوط مستقيمة فقط، ثم بعد ذلك عملت الحرفيات في فاتيس على تطويرها، وإدخال الزخرفة والرسومات عليها، حيث أصبحت تحمل رموز تشير إلى البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان التواتي بصفة عامة وتنركوك خاصة.[3]

الأغلب والراجح أن(Bisson) يقصد زربية فاتيس التي أدخلت عليها الزخرفة، فيما كان هناك النسيج العادي، كما أشار إليه برنو محمد، وقد عرفت تينركوك بنوع الدوكالي الخاص بقصر فاتيس في قورارة، ويوجد دوكالي توات، ودوكالي قورارة، ويتميز هذا النوع من الأبسطة بخصوصيات تجعله يختلف عن الأنواع الأخرى المعروفة في الشمال، يصنع من الصوف، وبواسطة الآلات المذكوة سابقا. كما توجد ملاحظة مهمة حول تسمية هذا النوع من النسيج بالدوكالي، وقد ذكره (دو شامبو) باسم الدوخالي، ولايعلم سكان المنطقة مصدر التسمية، وهي موجودة في المصادر الفرنسية فقط، ويعرف في فاتيس بالجربي، وربما وضع الفرنسيين التسمية لتمييزه عن الزربية.

هو مستطيل الشكل وله أحجام مختلفة، فنجد مقياس خمسة أمتار في الطول وعرض واحد فاصلة خمسة وسبعون(1.75م)، وأيضا ذو الثلاث أمتار طولاً، وواحد فاصل خمسون (1.50م) عرضا، وكذلك ذو المترين والنصف طولاً والمتر الواحد(1م) عرضا، كما يسمح المظهر العام، ونسق وترتيب الرسومات بتصنيفها إلى ثلاث فئات: وهي دوكالي تنركوك، ودوكالي قورارة، ودوكالي توات.[4]

[1] – زاجية هرباش، المرجع نفسه، ص240

[2] – زربية فاتيس محمد(برنو) ، مرجع سابق.الرابط: https//youtu.be/t66xggviw2a

[3] – نفسه

[4] - F.E. Gautier. L industries, Op .cit ; p99,

أ- جربي أو دوكالي فاتيس: وهي من البُسُط المنسوجة بقصور تيميمون، فاتيس، تبلكوزة، عين حمو، تعنطاس، وزاوية الدباغ، وتعتبر من أجود أنواع الأبسطة في توات كلها، وتحمل خصوصية تجعلها مميزة عن غيرها، وتسمى محليا بـ"جربي فاتيس"حسب ما روته لنا حرفيات بالمنطقة، وهو مصنوعا من الصوف أو الوبر، وما يميز هذا الجربي أو البساط الفاتيسي أنه يحمل رسومات، وألوان معينة لا نجدها في الأنواع الأخرى، وتم تطويره في قصر فاتيس، إدخال الرسومات والأشكال عليه، وهي تحمل أكثر من دلالة، ولعل هذا ما جعلها تصنف ضمن أنواع الزرابي، المعروفة ولربما حتى تسمية الجربي قد تعني الزربية،[1] وتم تحريفها، إلا أن طريقة نسج الزربية، والبساط تختلفان، أما عن بداية ظهور الرسومات عليها، فقيل أنها مستوحات، ومأخوذة من الرسم، أو الوشم الذي كانت تزين به ألواح حفظة، وختمة القرآن الكريم، الذين كانوا يدرسون بمدرسة الشيخ الطالب أمحمد بولغيتي، ومن المعروف في توات كلها أن حافظ وخاتم القرآن يحتفل به، وتقام له وليمة كبيرة يحضرها سكان القصر، والضيوف فرحا وابتهاجا بحافظ القرآن، وتحضيرا لذلك اليوم المشهود يحضر لوحا من الخشب وهو الذي يستعمل في تعليم القرآن تبعاً للطريقة التقليدية، ويكتب عليه آيات قرآنية معينة ومحاطة بزخرفات وألوان جميلة،

وكل تلميذ حافظ للقرآن له زخرفة بحسب نجاح التلميذ في الحفظ، فأخذت هذه الزخرفة والألوان وجسدت على الزربية.[2]

عملت إمرأتان من قصر فاتيس كانتا تعيشان عند الشيخ الطالب امحمد بولغيتي على تطويرها هذا البساط، وهما خيرة بنت سليمان، وبلالي مسعودة، وقد أصبحت الزربية الفاتيسية تحمل رسوما، وألوانا تعبر عن(دورة حياة الإنسان) أي حياة الإنسان في قصر فاتيس بشكل دقيق وواضح، وجميل من ولادته حتى وفاته، وقد جُسِّد ذلك من خلال الرسوم والألوان، وللرسومات

ينظر أيضا Deporter,Op ,cit ,p293

[1]- هي الفراش الوثير من القطن ونحوهما.وقد وردت اللفظة بمعناها ومبناها في القرآن الكريم جاء في اللسان: الزَّرابي البسط قيل كل ما بُسط واتُّكِيءَ عليه، وقيل هي الطنافس، وفي الصحاح النمارق والواحد من كل ذلك زربية بفتح الزاي وسكون الراء عن أبي الأعرابي الزجاج في قوله تعالى: ﴿وزَرَابيُّ مبثوثة ﴾سورة الغاشية

[2] – زربية فاتيس، محمد (برنو)،جنة الحرية رابط فيديو، مرجع سابق.الرابط https//youtu.be/t66xggviw2a

ينظر أيضا محفوظي فاطمة، زينب (جامعي)، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2022/03/23

والزخرفات مسميات ومعان، فاللون الأبيض يعبر عن بداية حياة الانسان أو الخرقة البيضاء التي يلف فيها المولود لأول مرة (لقماطة) معلنة عن بداية حياته، واللون الأخضر يعبر عن الطبيعة أوما يسمى بالجنان أو البستان، اللون الأصفر يرمز للشمس، واللون الأسود يعبر عن ميزاج الأشخاص فمرة فرحاً وسعيداً ومرة حزيناً كئيباً، ويعبر أيضا على الليل والنهار.

أما بعض الرموز مثل: الجْرِيدَة"وهي مأخوذة من النخلة، وكانت ملهمة للمرأة فاستخدمتها رموزاً لتزيين أثاث منزلها وأفرشتها،[1] ثم تتكرر بعض الألوان في البساط لها دلالة على استمرار الحياة وأن الانسان يكبر ويتغير، كما تعبر الرسوم على محيط المنزل ومحتوياته، حيث تجسد في البساط "الدار"وبها تجد المطبخ، وفي المطبخ تجد الأواني مرسومة، وفي الوسط يوضع رسم يطلق عليه بوخمسة، وهو شكل يمثل القدر والكسكاس، والموقد (المناصب)[2]مكرر خمس مرات إثنين في الأعلى وواحد في الوسط، وإثنين في الأسفل،ونجد من الرموز أيضا العرفة: مأخوذة من لوح القرآن، ورمز آخر يسمى الفولة، ورسم يرمز للتابوت، والمعوى تشبه الفراشة.[3]

دوكالي تينركوك هو أفضل منسوج، وهو أكثر تلوينا وله ألواناً بارزة، وهو الأغلى سعراً أما عن شكله، ففي الإتجاه الطولي نجد شريطا عريضاً أبيضا، وعمودياً وخطوط ملونة أفقية متتالية حمراء، بيضاء، خضراء، وأرجوانية، أو صفراء وبرتقالية، وبين هذه الخطوط نجد رسومات صغيرة متنوعة مرسومة بطريقة سهلة، وهذه الأجزاء المختلفة للدوكالي تسمى بكلمات عربية منها: (ديار)، (زيقا)، (مشتا") وفقا لشكلها، وفي بعض الأحيان، يتم استبدال الخطوط الجانبية بأشرطة كبيرة مستطيلة ملونة بها رسومات في الوسط، وفي منتصف الشريط العريض نجد نفس الفكرة في كل مكان مستطيل بأي لون كان مزين برسومات متناسقة.[4]

[1] – جامعي زينب، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2022/03/23

[2] –وهو الموقد، وكان يصنع من الطين عبارة عن ثلاثة أعمدة من الطين توقف وترص في التراب ويوضع بينها الحطب، وتشعل النار، ويوضع فوقها القدر.

[3] – جامعي زينب، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2022/03/23.

[4]-F.E Gautier : L industries, Op .cit ; p99-100

جامعي زينب، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 2022/03/23

ب- دوكالي قورارة: ويدعى أيضا دوكالي تيميمون وهو المنسوج بقصور تيميمون، بزاوية سيد الحاج بلقاسم، وبني مهلال، ليشتا، الواجدة وماسينات، وهو بسيط مزين على الشكل التالي: شريطان عريضان من الصوف الأحمر.

ج- دوكالي توات: فهو بسيط لا يحمل رسومات وألوانا زاهية، ويتكون أساساً من شريطين أحمرين عريضين يتبعها شرائط خضراء وصفراء، والمنطقة بين الشرائط كلها من الصوف والاثنتان الأخريين تشكل بالتناوب شرائط من القطن، ومن الصوف التي لديها تقريبا نفس العرض.[1]

عقب (Devors) على ذلك ورأى أن دوكالي توات أكثر رصانة في التصميم من تلك الموجودة في تنركوك، وأنه منقوش بشكل خفيف في العرض وهذا ما يمنحه خصوصيته، ولكل دوكالي قيمته، ويختلف باختلاف جودة الصباغة الموجودة، وبراعة المرأة التي قامت بالنسج، وعرف النسيج في توات نوعا من التطور خلال الفترة الاستعمارية بعد تشجيع السلطات الفرنسية الصناعة الصوفية، وتوفير الصوف الخام وضمان بيع المنتوج، وربط العلاقات بين مركز أدرار والمناطق المجاورة، ورغبة الحرفيين في إنتاج نماذج جديدة طرحت في السوق بكميات قليلة منها الوسائد، والسجاد الصغير الحجم من الصوف ذو الجودة العالية، لكن الألوان بقيت غير متناسقة مقبولة الشكل، وطرحت السلطات الاستعمارية فكرة لتطوير هذه الحرفة من خلال فتح مصنع للنسيج من طرف الأخوات البيض، لتحسين طرق العمل واتقانه، لاعتقادهم أن الحرفيين المحليين لن يتمكنوا من تطويره لارتباطهم ورفضهم الابتعاد عن نموذج الأجداد.[2]

كما تعرضت صناعة الدوكالي في توات وقورارة لخطر الزوال والإندثار، في الوقت الذي تزايد الطلب عليه، وأصبح استخدام الألوان الإصطناعية كالأنيلين و(الجورزيان) أكثر انتشارا، فانعكس ذلك على الصناعة التقليدية الأصيلة التي بدأت تتراجع، مما دفع إلى ضرورة التدخل للحفاظ على نوع الدوكالي الأصلي الذي كانت شهرته مرتبطة بالأشكال الفنية النابعة من أصالة المنطقة.[3] وحسب ما خلصت إليه دراسة غوتيه، يجب توفير الصوف في توات وقورارة بسعر أرخص لمصنعي ."الدوكالي"ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بتسهيل عمليات الشراء من أسواق التل،

[1]- F.E Gautier : Op.cit, p 100

[2] -P. Devors: Op.cit, p236

[3]- F.E.Gautier : L industrie, Op.cit, pp118-119

ومادام أن ألوان الأنيلين تهدد سمعة "الدوكالي" بشكل كبير يجب حظرها، ولحل هذا المشكل اقترح أن يتم تزويد الحرفيين بمواد أولية جيدة وبأسعار معقولة، وتزويدهم بالأدوات المناسبة حسب احتياجاتهم ،كما أنه لايمكن رفض (الجورزيان)، ولكن يمكن استغلال أشجار القطن المحلي التي تنموا في توات وأفضل من الجورزيان الذي يبيعه التجار، ويمكن التفكير في إعطاء المنتجين الوسائل لغزل القطن الخام، كما يجب تشجيع المنتجات الجيدة، والترويج لها والبحث عن أسواق مربحة لبيعها.[1]

الدوكالي في قوراة وتوات يمكن أن يسوق في التل، وحتى في فرنسا وبأسعار مرتفعة، والمهم احترام المواد المحلية المستخدمة، وطرق الصناعة التقليدية، والرسومات رغم بساطتها أعطته ميزة خاصة وأصالة وشهرة كبيرة ، تدعوا لضرورة الحفاظ عليه. وتدريجيا يتم البحث عن طرق لتبسيط طريقة النسج، وتحسينها، كلما زاد الطلب زادت الحاجة إلى السرعة في الإنتاج.

أن تكلفة "الدوكالي" تعتمد على وزنه، وجودة المواد الخام المستخدمة في صناعته(الصوف، القطن، الأصبغة)وكذلك على الإتقان، وسوف نركز هنا على"الدوكالي"الذي تمت صناعته بإتقان من طرف الحرفيات اللواتي استعملن الصباغة القديمة، ونذكر على سبيل المثال: دوكالي تيميمون وتكلفته.[2]

الحجم الكبير:الأبعاد 5متر x 1.75	0.75كغ سلسلة}
	المساحة:8.75م }
صوف	
الوزن:	2.25كغ نسيج
	0.75كغ قطن

تكلفة الإنتاج/ فرنك

4حزم من الصوف المغزولة بسعر 4 فرنك	16
قطن 0.75كغ	2.25
صباغة 0.75غ من الصوف بـ"اللوك"،والألوان الأخرى النباتية	2.50

1- F.E.Gautier : L industrie, Op.cit, p119

2 – ibid, p117

عمل ثلاث نساجات لمدة 9أيام،بأجر 0.20 فرنك لليوم	5.40
المجموع	26.15

يتم بيع دوكالي تيميمون في جميع الاتجاهات، وخاصة في أسواق تيديكلت والشمال (بشار وبني ونيف)عن طريق تجار القرية موظفي الشركة الفرنسية، ويتم تصدير دوكالي تينركوك مباشرة إلى بني ونيف وجريفيل، غرداية، ولايبقى منه إلا القليل في تيميمون، و يباع أيضا للطوارق وتجار أدرار،كما يجب الإشارة إلى أن صناعة الدوكالي ليست منتشرة على نطاق واسع في توات، وذلك لأن سعر الصوف بشكل عام أعلى مما هو عليه في قورارة، خاصة لأن دوكالي توات أقل شهرة من تلك الموجودة في تينركوك وتيميمون، وقد ازداد طلب الطوارق عليه وهذا ما يستدعي الزيادة في الإنتاج، من خلال تسهيل الحصول على المواد الأولية الخام.[1]

د.صناعات أخرى:من بين المنتوجات الأخرى التي برعت فيها المرأة القورارية، الأحزمة النسوية التي تنسج أيضا من الصوف بألوان زاهية ومنها الرجالية والنسوية، وكذلك الأحذية المزينة بأشكال مختلفة للرجال وللنساء، ومختلف أنواع البرانيس، والجلابة سواء من الوبر أو تلك المصنوعة من شعر الماعز، والكسا.[2]

III– دلالة الرموز والأشكال والرسومات في الزربية التواتية

لما ترى شكل الزربية في توات عموما تظهر لك تلك الأوان، والرموز والرسومات التي تميزه عن باقي أنواع الزرابي الموجود في الشمال إلا أنها تلتقي في كثير من الأحيان معها في هذه الرموز ،لكن ما اكتشفته هو أن هذه الرموز وإن كانت متشابهة فإنها قد لا تحمل نفس المعنى، وهذه الألوان والتناسق لم يكن عبثيا، وإنما كان ببراعة صانعه، ومنبعه البيئة التي صنع فيها، فلا طالما كانت هذه الرموز والأشكال الموجودة في الأغطية والأفرشة منذ العصور السابقة وعبر تاريخ الحضارات، ذات معاني معينة مستوحات من الواقع المعاش، ومن هذه الرموز الأشكال الهندسية مثلا:المعين والمثلث والخطوط المنكسرة المتعرجة وهذه معروفة لدى البربر.[3]

---

[1] - F.E.Gautier: Op.cit, p118

[2]– أنظر الملحق رقم(16)، ص404، الملحق: رقم 15، ص403

[3] – محمد (الجزيراوي)، الرموز ودلالاتها في النسيج التقليدي بالجنوب التونسي، مجلة الثقافة الشعبية العدد(33)،2016 ،للدراسات والبحوث والنشر، البحرين ،ص 177

تستعمل في معظم بلدان المغرب وفيها دلالة على الإنتماء الحضاري للمنطقة، وبالرجوع إلى الحضارات الإنسانية القديمة نجد أن أنهم قد استخدموا العديد من الرموز، والأشكال فمنها الأشكال الأناضولية، والأشكال المجردة حيوانية أو أدمية، ويمكن أن ترجع إلى الفخار الإغريقي، وتتميز بأحجامها المختلفة، والتناسق وهي قديمة تشترك فيها معظم الشعوب ولا تخلوا أيضاً من الحاضر أي زمن الصناعة فبعض الرسومات التي ترمز للإنسان في شكل أربع مستطيلات قائمة تمثل الأطراف والمرتبطة بمستطيل أكبر يمثل البدن، ومستطيل ومعين صغير يمثلان العنق والرأس ربما يكون مستوحى من العسكر التركي المتواجد ببلاد المغرب خلال القرن التاسع عشر كما نجد في بعض الرزابي في البلاد العربية مثل تونس صف الإبل تعبر عن القوافل التي كانت تعبر المنطقة، أو المكان محملة بالبضائع ذهابا وأيابا.[1]

أما المثلث فهو معروف عند الشعوب ويرمز للعدد ثلاثة(3) وإن كان متساوي الأضلاع فهو يرمز للسمو والإنسجام، وإن كانت قمته نحو الأعلى فهو يرمز للنار والذكورة، أما المعين فهو يرمز للأنوثة والماء، وعندما يمدد يدل على التواصل والتبادل.والمثلثان المتقابلان في الرأس فيمثلان التعاون"يدك في يد أخوك"، ويعبر في نفس الوقت عن الساعة الرملية التي ترمز للإستمرارية وديمومة الأشياء، وهو رمز مشترك بين الشعوب، والخطوط المنكسرة تمثل الدرج الذي تستعمله المرأة للصعود للغرفة الموجودة في الأعلى، والخطوط المنكسرة داخل الشريط تعني الجبل، أما الخطوط المنحنية فتعبر عن العرق، والكثبان الرملية وحتى حدبة الجمل موجودة، ومن الرموز أيضا نجد الفول، الهلال، الحوت المشط، الخمسة، صورة العقرب وقد تختص بعض الرموز بالألبسة والبعض الآخر بالأفرشة وظفيرة الحواشي فتدل على تلاحم الأسرة، فتصبح حقيقية هذه المنسوجات تعبر شكلا مختصرا لنمط حياة ومراحل تاريخية مختلفة، ومعتقدات، وتقاليد وعادات لمجتمعات مختلفة.[2]

ما لاحظته واستنتجته من البحث، أن زربية أو حنبل فاتيس له أيضا رسومات تعبر فعلاً على الواقع المعاش، فتجد الخطوط بألوان مختلفة فتجد المستطيل العريض وهو يرمز للدار أو المنزل، وفي جانبيه من اليمين واليسار عبارة عن خطوط منكسرة قد تعبر عن الكثبان الرملية، أما المثلث فيرمز للموقد والكسكاس، والمعين يرمز للقدر والموقد والقدر والكسكاس مع بعضهم يعطينا شكل

[1] - محمد (الجزيراوي)، مرجع سابق، ص 177

[2] - نفسه، ص ص 178-179

الساعة الرملية أيضا، ومعينين متقابلين رأسا يطلق عليهما الفولة، كذلك"رمز "الجريدة المستوحاة من النخلة المعبرة عن المحيط والبيئة الصحراوية، والدار والمشتا، والزيقا، وبالتالي هناك إلتقاء مع الكثير من الرموز المستعملة في المنطقة المغاربية .

المبحث الثاني:حرفة الخياطة

أولا:تعريف الخياطة لغة واصطلاحا:

1.تعريف الخياطة لغة:جاء في القاموس المحيط لفظ الخيط بمعنى السِّلكُ،وجمعها أخْيَاط وخُيُوط وخُيوطَة، والخِيط بالكسر فيهما جمعه خِيطانٌ، فنقول:نعامة خَيْطَاء أي طويلة العنق والخَيَّاطُ ككِتَابُ ومنبر: ما خِيطَ به الثَّوبُ، والإبرة والممر والسلك، وهو خَاطَ وخَائِطٌ، وخَيَّاطٌ، وثوب مَخِيطٌ ومَخَيُوطٌ، وجاء في الصحاح والمخيط الإبرة وكذلك الخياط ومنه قوله تعالى:"حتى يلج الجمل في سم الخياط".والخيط الأبيض: الفجر والخيط الأسود:الفجر المستطيل، قال أبوداود الأيادي :

فلما أضاءت لنا سُدفةٌ	ولاح من الصبح خيط أنارَا

يقال وقد خطت الثوب خياطة فهو مَخيُوط ومَخِيط .[1]

2.تعريف الخياطة إصطلاحا: الخياط: إسم لمن يفصل المنسوج الذي يصنع منه الثوب على إختلاف مرغوب الناس، بِقطعه بالمقراض، مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة عى حسب نوع الصناعة، ثم أن الخياط يحتاج إلى الآت لا يستغني عنها غالبا: الأولى: المقراض أي المقص والثانية: الهندسة، والثالثة: الإبرة، والرابعة: الكتان، والخامسة:دف أملس يفصل عليه الثياب، والسادسة: المكواة من حديد تحمى على النار، ويكوى بها الثياب فتصير ملساء كقطعة واحدة، والسابعة :الخيوط من حرير أو قطن أو كتان على حسب الثوب المفصل.[2]

ومن هذه الآلات ماهو طبيعي وأعني به ما يستعان ولا يستغنى عنه كالمقراض والإبرة والخيوط، وغير طبيعي وهو ما يستعان ويستغنى عنه كغير الثلاثة غير المذكورة. وقال: ابن خلدون هي من"أنواع الصناعة الضرورية في العمران البشري لما يحتاج إليه البشر من الرفه."وهي"لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال، والعوائد تفصل بالمقراض قطعا مناسبة للأعضاء البدنية، ثم

[1] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ص 11- 25.

[2] – نفسه، ص 1126

تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أو تنبيتا أوتفسحا على حسب نوع الصناعة، وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً، وأن تفصيل الثياب، وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة، وفنونها وأهل البدو يستغنون عنها.وإنما يكتفون بالإشتمال بالأثواب.ويرى أنها صناعة قديمة والبعض ينسبها لسيدنا لإدريس عليه السلام.[1]

ثانيا: اللباس في حواضر توات

أن إقليم توات عبارة عن واحات صحراوية، لكن رغم ذلك لايمكن أن يكون بعيداً عن التأثيرات الخارجية بحكم امتداده التاريخي إلى الشمال الإفريقي، وكذا الجنوب نحوى السودان الغربي وبالتالي فإن التاثير لا محال موجود في اللباس، ويعكسه مدى التشابه في العديد من الألبسة مع مدن الشمال خاصة عند الرجوع إلى مراحل تاريخية سابقة.

I.خياطة الملابس في حواضر توات:

يعتبر اللباس من الضروريات التي يحتاجها الإنسان في حياته، وسكان توات مثلهم مثل غيرهم من الشعوب احتاجوا للباس، وحسب بعض الروايات لم تكن هناك خياطة في البداية واللباس الذي ميز السكان كان ينسج من الصوف أو الوبر وكان يسمى الكسا،[2]وتظهر بعض الصور المأخوذة من طرف الفرنسيين مطلع القرن العشرين هذا النوع من اللباس. وكانت لهم ألبسة لا تختلف عن تلك الموجودة في المدن الشمالية فللنساء لباسهن وللرجال لباسهن. أما عن الخياطة فمن خلال الصور الموجودة في المصادر الفرنسية يظهر عمل النساء الحرفيات، وهن يخطن بأيديهن، الكسا والأفرشة،[3] كما أن نوع اللباس الذي كان موجوداً خلال القرن التاسع عشر لايحتاج إلى خياطة، متماسكة إلى درجة كبيرة، فالكتانة التي ترتديها المرأة تنسج، ولاتخاط وتمسك من الكتفين بواسطة الخلالة،[4] وتحزم في الوسط بواسطة الحزام، أما اللباس الرجالي فكان ينسج من الصوف كالبرنوس، والجلابة، واستعمال الكتان وخياطته يدوية بواسطة المخيط، وكانت بعض

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 447

[2] – عائشة بارودي، بخصوص اللباس التقليدي، مقابلة شخصية، بمقر جمعيتها، يوم 2022/08/12

[3]– أنظر الملحق رقم(15) ا ص 403

[4]– عائشة بارودي، المقابلة نفسها.

النساء تقمن بالخياطة اليدوية في المنازل خلال الفترة الإستعمارية، ولم تكن حكراً على طبقة معينة. كما يجب الإشارة إلى أن آلة الخياطة لم تظهر في أروبا إلا مع الثورة الصناعية، منتصف القرن الثامن عشر، ونظراً لبساطة هذه الحرفة في توات فإنها لم ترق لما كانت عليه حرفة الخياطة في مدن الشمال، التي تميزت بالتنظيم، حيث تطرقت عائشة غطاس للجماعات الحرفية، في مدينة الجزائر منذ العهد العثماني، التي كانت تضم عدد من الحرفيين في نشاط معين، وأمناء الحرف أيضا، ومنهم أمين الخياطين.[1]

1- اللباس النسوي: ويشير(Devors)إلى أنه يصعب في المجتمع التواتي القيام بدراسة لنمط اللباس النسوي الخاص بجميع الطبقات، ولذلك فإن المعلومات التي يتم الحصول عليها تكون جزئية فقط، ذلك أن نساء الأشراف والعرب لا يخرجن فمن الصعب معرفة عاداتهن، فيما تظهر النساء الأخريات الإهتمام ببشرتهن ولباسهن، فترتدي ثوبا من القماش أو الصوف مشدود، ضيق عند الخصر على شكل سترة، وينزل إلى منتصف القدمين، هذا الفستان مكشوف له فتحات عند الذراعين، وتلف معه قطعة قماش لتغطية الخصر بدلاً من السروال، هذا الثوب مكون من قطعة واحدة، يوضع فوق الصدر، ويمسك بقفل مزدوج "الخلال" أو شوكة النخلة، ويغطي الكتفين وينزل إلى أسفل الظهر، إلى الكعبين، وهو الإزار أو الملحفة.[2]

وبالنسبة للفتيات في سن الزواج فيمكنها ارتداء إزار مشدود من الكتف الأيمن، وتترك الأيسر مكشوف، وقطعة قماش مربعة تربط حول الرأس، وبعضها مزخرف بشريط من الصوف يوضع على الشعر من الجبهة إلى مؤخرة العنق، ويوضع غطاء حجاب على الرأس والكتفين (الكسا).[3]

- الكسا: هو عبارة عن قطعة منسوجة من الصوف أو الوبر تصل إلى أربع أمتار أو خمسة للرجل والمرأة، مزينة بخطوط من القطن،[4]وقد وصف دوشامبو لباس النساء بقوله: أن خزانة المرأة التواتية

---

[1]-عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830هـ مقاربة إجتماعية إقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،ج2، إشراف مولاي بن حميسي، جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية،2000-2001م، ص342

[2] - p. Devors, Op.cit, p245

[3]- ibid, p246

[4]- حليمة سليماني، مرجع سابق، ص 174

بسيطة واقتصادية إذ لا تحتوي سوى على كساء أزرق أو أبيض يدعى الإزار.[1] وتلتحف بها النساء.يصنع الكسا في جميع حواضر توات، إلا تيديكلت التي لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الحرف البسيطة باستثناء بأولف التي يوجد فيه النسيج.[2]

– **الحولي(الإزار)**: وهو عبارة عن قطعة طويلة من القطن الأبيض تلتف بداخله النساء بداية من الأمام ثم اليسار، بدون تضييق تقوم بربطه فوق الكتف بواسطة ماسكين عريضين، أما الأطراف العلوية لهذا القماش التي تمر تحت الإبط تعود إلى نقطة البداية، فهي تبقي الذراعين عاريين، هذا القماش يدور مرة ثانية حول الجسم، وينتهي بتغطية الرأس، ويكفي نزع مساك الكتف الأيسر حتى يسقط على الأرض كامل الإزار.[3] يتم إقتنائه من تجار الشمال، أما في تيديكلت فيجلب بكميات كبيرة من قورارة.[4] وقد عرف هذا النوع من اللباس تطوراً كبيراً خلال القرن العشرين، حيث أصبح يستخدم أنواعاً جديدة من القماش، بدل الكسا الذي كان ينسج من الصوف، وبألوان مختلفة من الأزرق الفاتح إلى اللون الأبيض.[5]

– **الكتانة**:أما المرأة فكانت قطعة أربعة متر تقسم بينها وبين ابنتها تسمى الكتانة وتقوم بخياطتها من جهة واحدة، وتعد الكتانة أول لباس نساء توات، وهي عبارة عن خرقة أو قطعة من الكتان المنسوج (الكسا) من الصوف أو الوبر فكانت المرأة تأخذ قطعة من أربعة أمتار تقتسم بينها وبين ابنتها تخاط من جهة واحدة باليد، تستعمل مواد محلية لمسك الملابس كالشوكة المأخوذة من النخلة أو السعفة التي تربط بها الملابس والسراويل، ثم أصبحت تستعمل الخلالة، المصنوعة من الفضة لمسك الكتانة في الكتفين، وفي نفس الوقت تعطي جمالية كبيرة للكتانة،كما عرفت الكتانة تطورا مهما خلال القرن العشرين بعد استعمال الخياطة، وكذلك دخول أنواع جديدة من القماش بدلا من الكسا.وهذا النوع يدل على حالة الفقر والبؤس التي كان يعيشها السكان قبل ظهور

---

[1] - G. Champaux, ibid, Op.cit, p42

[2]- L.voinot, Op.cit, p143

[3]–انظر الملحق رقم(17) ، ص405، والملحق رقم 18، ص 406.

[4] – L.voinot, Op.cit, p42

[5] – حاجة (بوحوية)، رئيسة جمعية أنامل فتية خلف الجدران، مقر السويقة، ادرار، يوم 6 نوفمبر 2018.

الخياطة وأنواع المختلفة من الكتان، وحتى هذه القطعة أو الكتانة لم تكن في متناول الجميع، فالأسر الفقيرة لم تكن تتوفر عليها عكس الأسر الميسورة الحال.[1]

تختلف النساء المتزوجات عن العازبات بربط قطعة قماش زرقاء وصغيرة مربوطة في الشعر من الجهة الخلفية للرأس وترد في أعلى الجبهة هذه القماشة تدعى البياتة، أما البنات الشابات فيبقين كتفهن غير مغطى، وتربط في الخصر بحزام، وتوجد بعض الإختلافات البسيطة بين الكتانة في توات الوسطى وتيديكلت وقورارة ولا تخلوا الكتابات الفرنسية من الأوصاف التهكمية المهينة لسكان الصحراء، بوصفهم بارتداء ملابس رديئة ومتسخة وأن لباس الرجال نادرا ما ينظف أويغسل، وملابس النساء لا يتم تغييرها إلا حين تصبح بالية والأطفال أيضا ملابسهم رثة وبالية والفقر يفعل كل شيء، وربما هي حالات وليس كل سكان الصحراء.[2]

خلال القرن العشرين عرفت أنواع أخرى من الألبسة النسوية، سواء بالنسبة للعبايات، أو السراويل، وخاصة بعد استخدام الخياطة، ومنها: عباية التشاميل، عباية النص، وعباية الصدر، عباية النايلية وتسمى الجمة، وعباية السفايف.

1- عباية التشاميل: في البداية لم يكن لدى المرأة التواتية قديما لباساً متكاملاً، وإنما كانت هناك قطعة قماش تخلل تلبسها المرأة، من الكسا المنسوج تخاط من جهة واحدة وتشده بالشوكة المأخوذة من النخلة، يقال لها:"خلْلِي"، وبعد ذلك أصبحت تخاط بالإبرة، وسميت"بالتشاميل"باللسان المحلي لَمْ لعباية أي جمع العباية، بعدما كانت مفتوحة بدون خياطة، وأصبحت العباية واضحة المعالم بعد خياطتها من الجوانب،[3]ولتزيينها يضاف إليها نقش الجريدة. وعن هذه التسمية يتضح أن المعنى يتطابق مع اللفظ العربي الشملة، وجمعها شمَلات والشَّملة كساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به، وهي أيضاً كساء له خمل يتوشح به ويلتف، أضاف له اللسان التواتي حرف التاء، فأصبحت الشملة تشاميل. وقد ذكر ابن خلدون الإشتمال عند حديثه عن الخياطة، حيث قال":... أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً..."

---

[1] – عائشة (بارودي)، حرفية في الخياطة التقليدية، مقابلة شخصية، بمقر جمعيتها يوم2022/08/12

[2] -G. Champeaux, Op.cit, p42

[3] – عائشة (بارودي)، مقابلة شخصية، بمقر الجمعية، بيت الشباب، أدرار 2022 /08/12

2 - عباية الجمة: وتسمى في تيديكلت نواحي أولف بـ"النايلية"وهي من أفخم وأجمل العبايات التي ترتديها المرأة في توات، لما أدخل عليها من تغييرات كثيرة زادتها رونقاً وجمالاً، وحسب السيدة الزهراء رقاني أنه ربما أطلق عليها تسمية الجمة لأنها جمّت بمعنى جمعت مختلف أنواع الخياطات التي كانت موجودة، وحتى اليدين أدخلت عليها تغييرات كثيرة.وهذه العبايات هي: عباية السفايف، عباية النص، عباية الصدر، عباية أستيك الداير.

3–السراويل: ظهرت أنواعاً من السراويل النسائية، حيث لم تكن هناك أي إشارة للسراويل النسائية وإنما كانت النساء تلف خصرها بقطعة من القماش، حسب ماذكرته بعض الكتابات الفرنسيين وحتى بعض الروايات الشفوية.ثم ظهر سروال السفايف أوسروال لاستيك.

أغطية الرأس:

الكمبوش: وهو عبارة عن قطعة قماش مربعة تربط حول الرأس وبعضها يكون مزخرف بشريط من الصوف، ويوضع الكمبوش على الشعر من الجبهة إلى مؤخرة العنق،[1]تصنعه النساء في مختلف القصور، ويكون أما باللون البرتقالي، أوبثلاث ألوان مختلفة(أخضر،أحمر،أسود)، يسمى الأخير بكمبوش الوادي لاستقدامه من وادي سوف عن طريق التجار، ويزين الكمبوش بحواف بيضاء مستطيلة وقد عرفت إحدى السيدات بقصر أدغاغ بصناعته وبيعه تدعى "لالة مامة" أواخر القرن التاسع عشر.[2]

البياتة: هي قطعة قماش سوداء من نوع الطاري المستورد من السودان طولها حوالي نصف ذراع تضعه النساء على الرأس بعد دهنه حفاظا على نظافة الكمبوش.[3]فيما ذكر.(G. Champaeux) أنها عبارة عن قطعة قماش زرقاء، وصغيرة تربط في الشعر من الخلف وترد إلى الجبهة تدعى"البياتة"وهي خاصة بالنساء المتزوجات.[4]

---

[1] - P. Devors, Op.cit, p246

[2] - حليمة سليماني، مرجع سابق، ص175

[3] - نفسه، ص175

[4] -G. Champeaux, op.cit, p 42

لحزام: غطاء للرأس يصنع من القماش ذو اللون الأسود مزين بخطوط بيضاء يحتاج إلى حوالي ثلاث أذرع من القماش، وثمانية سنتيم في العرض تلفه المرأة حول قمة رأسها فقط، وتترك مؤخرة الشعر دون تغطية قاصدة إظهاره.

السبتة: قطعة قماش خفيفة مربعة الشكل ملونة بخطوط حمراء وخضراء وصفراء خاصة بالعروس.

2.اللباس الرجالي:

يشير(Devors) في حديثه عن اللباس في حواضر توات إلى خصائص معينة في الملابس تستحق الاهتمام، كما هو الحال في جميع المجتمعات، وفي توات تشكل طريقة إرتداء الملابس معيار للتمايز الطبقي الموجود في المجتمع، ويتكون لباس الرجال من عدد من القطع تتناسب والمرتبة الإجتماعية له.[1]

فيرتدي الرجال الأشراف والعرب سروالا واسعا، وعادة ما يلبسون ملابس سوداء أو بيضاء والقميص في فصل الشتاء بألوان مختلفة، ويضاف إليه ثوب طويل من الصوف يصل حتى الكاحل (القشابة)، وفي بعض الأحيان يغطي جسمه بغندورة قطن أزرق نيلي مستوردة من السودان بأكمام قصيرة وواسعة.ويفضل سكان توات السفلى(التحتانية)النسيج القطني، خاصة البرنوس المصنوع من الصوف الأبيض أو شعر الإبل الأبيض الأسمر يلف به الجسم، ولا يمكن لأي شخص أن لا يكون لديه حقيبة جلدية مع جيب واحد(شكارة من أصل مغربي)يوضع فيها التبغ والغليون ويتم تعليقها على مستوى الورك بواسطة خيط مصنوع من الجلد الفيلالي الأسود، ويمر على الكتف فوق الغندورة، بينما يغطى الرأس بقبعة تسمى(العرّاقية) لامتصاص العرق، ويلف الرأس بقطعة طويلة مصنوعة من القطن الناعم تسمى(الشاش).ولما ترتفع درجة الحرارة يستبدل البرنوس بالعباية.[2]

السراويل: وحسب بعض الكتابات اللفرنسية فإن المعمول به في توات، وقورارة، هو إرتداء سروال عريض وأبيض واسع، ويضيق في الأعلى أعلى الساق، وفي منطقة تيدكلت يكون لون السروال

---

[1] – P .Devors: op.cit, p244

[2] – ibid, p245

أزرق عادة،[1]وذكر مالث براون(Malte Brun) أن السراويل التي يرتديها الرجال في توات قطنية ومطوية في الخصر و مزينة في الأسفل، مع وجود محفظة مغربية.[2]

البرنوس (السلهام):وهو مصنوع من الصوف الأبيض، أوشعر الإبل الأبيض، يلبس في كامل توات، بينما استثنى(G.Champeaux) تيديكلت، وقال أنه لا وجود له[3].

العباية أو القندورة: في توات وقورارة تصنع من الصوف أو من القطن فضفاضة، وتلبس فوق السروال وتغطى ببرنوس أبيض.أما في تيدكلت فتكون من القماش الأبيض ونادراً ما تكون من الصوف، وباللون الأزرق وبدون يدين، ويوضع فوقها الكساء أو الحولي فقط.[4]

العباية القرطاسية: مقرطسة بمعنى بدون أيدي، وهي خاصة بالأشخاص الذين يرقصون رقصة البارود عباية قصيرة وتشد في الوسط بحزام.[5]

الكسا:أو الحولي حيث توضع أحد حافتيه على الرأس، وهو نفسه الذي ترتديه النساء، وما يميزه عنه وجود خطين من القطن الأبيض.

المبحث الثالث:حرفة الدباغة وصناعة الجلود

أولاً- تعريف الدباغة لغة واصطلاحا

أ- الدباغة في اللغة هي:دبغ :يقال دبغ الإهاب كنصَرَ وضعَ وضربَ، دبغاً ودباغَةً لكسرهما فاندبغ، والدبّاغَ، والدبغةَ مكسورات ما يدبغ به:حرفة الدّباغ، والمدبغةّ:موضعه وبضم الباء مدبُوغٍ الجلود التي جعلت في الدَّباغ[6]دَبَغَ:دَبغَ الجلدَ يدْبغُهُ، ويدْبُغُهُ ويدْبُغُهُ ويدْبِغُهُ.دبغَا ودِباغَةَ ودباغاَ

---

[1]- G. Champeaux : op.cit, p 41

[2]-Malt.Braun : Sahara ou grand Désert, Sahara central, les Touarégs géographie: univerelle, Toume Quatriéme, Gustave Barba, libraire, éditur, Paris, 1858, p 110.

[3]-G. Champeaux : ibid, p 42

[4]- ibid, p41

[5] -الزهراء(رقاني)، رئيسة جمعية الأنوار للخياطة والطرز، مقابلة خاصة بمقر الجمعية، السويقة أدرار.

[6] -الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 532.

والدُباغ مُحاولا ذلك وحرفته الدباغة. وفي الحديث: دباغها ظهورها، والدبغُ، والدباغ، والدباغة الدّبغَة بالكسر، ما يدبغ به الأديم .يقال الجلد في الدباغ، والمدبغة: موضع الدباغ .[1]

ب- في الإصطلاح: فهي تنظيف الجلود وإزالة الشعر عنها بما يزيلها، إما بآلة وإما بوضع حرّيف كعفص أو شب ومحلها يقال له مدبغة .

ج- نبذة تاريخية عن الدباغة

حسب بعض الدراسات، والأبحاث التاريخية التي أجريت تشير إلى أن إكتشاف الجلود قد تم منذ حوالي ثلاثة وعشرون ألف عام من الآن، حيث كان البدو يعتمدون على الصيد بشكل كبير مما جعلهم يدركون أهمية جلود الحيوانات، التي كانوا يذبحونها [2].

أما الدباغة فقد قامت الشعوب بدباغة جلود الحيوانات منذ ما قبل التاريخ، وتشير بعض الحفريات في مصر إلى أن قدماء المصريين قد قاموا بدبغ جلود شديدة التحمل، وقد عثر عليها جيدة في حفرياتهم، ويرجع عمرها إلى أكثر من 3000سنة، وتشير الدلائل أيضاً إلى استخدامهم للدباغة الزيتية في الجلود التي وجدت في مقابرهم، وقد أسهم كل من الإغريق والرومان القدماء أيضا في علم صناعة الجلود، ولا تزال بعض الشعوب تستخدم هذه الطريقة القديمة إلى اليوم. والعديد من الشعوب القديمة استخدمت النباتات في عملية الدباغة، حيث يتم وضع طبقات من قلف الشجر،[3]والأوراق والثمار فوق الجلود مع إضافة الماء، وتستغرق هذه العملية مدة تتعدى الشهور إلى السنوات، خاصة إذا كانت الجلود من النوع السميك، وكذلك من المواد الأساسية التي اكتشفتها الشعوب مبكراً واستخدمتها في الدباغة، ولازالت إلى اليوم" الشب المعدني" الذي أكتشف منذ حوالي800سنةق.م، واستخدمته مادة للدباغة، ولقد استخدم الأشوريون والبابليون والإغريق والسومريون طريقة الدباغة المعدنية نظرا لسرعتها مقارنة بالطرق التي كانت مستخدمة سابقا.[4]

---

[1] -ابن منظور، لسان العرب، ص 1323.

[2] – مي السكري، الجلود ...أقدم صناعة في التاريخ، صحيفة القبس، موقع alqabas.com/article/57554 27/02/2022

[3] – الموسوعة العربية العالمية(موضوع الدباغة)، arab.enecy.com.sy/enc، (دص)

[4] – المرجع نفسه، (دص)

قد استخدمت الجلود بشكل كبير لدى بعض المجتمعات فقد استخدم الهنود الحمر الجلود في صناعة نعالهم الخفيفة، وملابسهم وخيامهم، وتعد الجلود من أكثر المواد التي استخدمها المستوطنون الجدد للولايات المتحدة الإمريكية قام المخترع الأمريكي صمويل باركر في1809م بتسجيل براءة اختراع آلة شق الجلود، وقد ساعدت هذه الآلة الصناع في الحصول على طبقتين رقيقتين من طبقة واحدة من الجلد مما أدى إلى مضاعفة الانتاج،كما تم اختراع آلات نزع اللحم والشعر وتعتبر بداية القرن التاسع عشر هي بداية الصناعة في إنتاج الجلود على نطاق واسع حتى بداية القرن، وذلك بعد توفر الجلود بسبب ارتفاع المستوى المعيشي، وبزيادة عدد الماشية التي يستهلك من أجل لحومها، زادت كمية الجلود المتوفرة للدباغة، وفي عام1884م اخترع تاجر الصبغات الإمريكي أوغسطس شالتيز عملية الدباغة بالكروم، وبعد حوالي عشر سنوات طور مارتن دينيس هذه الطريقة، وساعدت دباغة الكروم على إنتاج جلود أكثر جاذبية وأكثر مرونة، ومع زيادة الطلب على الجلود المدبوغة دفع العلماء إلى إنتاج جلود صناعية تشبه إلى حد كبير الجلود الطبيعية ولها استخدامات عدة.[1]

ثانيا:صناعة الجلود بحواضر توات :

تعتبر الدباغة وصناعة الجلود من الصناعات التقليدية التي انتشرت في إقليم توات، وقد استمرت في العديد من قصور توات، فمعظم القصور يوجد بها على الأقل محلاً واحداً للشرَّاك أو المعَلَّم كما يطلق عليه محليا، وهو الذي يقوم بصناعة الأحذية الجلدية التقليدية، ورغم اهتمام السكان بهذه الصناعة، وقلتها إلا أن الدباغة تتم بطريقة تقليدية، وتستعمل فيها بعض المواد التي استعملت من قبل بعض الشعوب منذ القديم خاصة شجرة النقيرة(الأكاسيا)، تاهقرت وغيره من النباتات، وتشتهر بهذه الصناعة منطقة تيديكلت من أولف وعين صالح، وتيمياوين وتمنطيط.[2]

1.مراحل الدباغة:

تمر الجلود الخام في أثناء دباغتها بطريقة تقليدية بمجموعة من المراحل، وقد كانت الدباغة في واحات توات تتم عادة في المنازل، بطريقة بسيطة، وكان هناك نوعين من الاستخدمات الجلدية النوع الأول يكون الجلد منزوع الشعر، بمعنى أن يتم نزع الشعر منه، خاصة لصناعة بعض اللوازم

[1] – الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق، دص

[2] – عائشة بلامة مرزاية، مرجع سابق، ص 16

المنزلية مثل: القربة المخصصة للماء، أوالشكوة المخصصة لرج الحليب للحصول على الزبدة وصناعة الأحذية، وأدوات الزينة، بينما يستعمل نوعا آخرا وهو الجلد الذي يحتفظ بشعره أو صوفه، وهذا يستخدم خاصة لصناعة السجاد للصلاة أو للجلوس، وكانت هذه النوعية تحضر في المنازل، بينما كان تجار القواقل يأتون بالجلود المختلفة مثل تلك الموجهة لصناعة الأحذية لنقصها وعدم القدرة على توفيرها محليا، وصناعة المحافظ، وغيرها.

أ.طريقة تحضير الجلود:كان الدباغون في البلاد الإسلامية، يستعملون القرمز، والشب، والزعفران، ومواد نباتية أخرى في عملية الدباغة. والدباغة من الحرف الأساسية في الصناعة الجلدية لقد اشتهرت أكثر من مدينة في بلاد الأندلس، وبلاد المغرب الإسلامي في هذه الصناعة، وتمر الدباغة بمجموعة من المراحل قبل عملية الدباغة:

1-**السلخ**: وتعتبر هذه الخطوة الأولى، لتحضير الجلود، وتتم بعد الذبح حيث يتم فصل الجلد عن جسم الحيوان،[1]ويعتبر الجلد المسلوخ مادة أولية غير جاهزة تحمل كل الشوائب، وربما حتى الأمراض والخدوش والدمامل، وهذ يؤثر على نوعية الجلد الخام، وقبل عملية الدباغة للحفاظ على الجلد تستعمل عدة طرق منها:التجفيف لأنه سيعود لطبيعته بعد نقعه في الماء، والطريقة الأكثر شيوعا هي التمليح ثم تنشر في الشمس حتى تتفسخ، وتتأكسد المواد البروتينية.[2]

2-**الغسل**: وهي عملية غسل الجلود بالماء، والصابون إن توفر لتنظيفها من الدم، وما علق بها من أوساخ، وتعد هذه العملية ذات أهمية كبيرة لأن الجلود سوف تتشبع بالماء، وهو ما يكون مفيداً للعمليات اللاحقة.[3]

3-**الحفظ**: وتأتي هذه المرحلة بعد عملية السلخ، والغسل لتبدأ عملية إدخال الجلود في أحواض تحتوي على مياه مشبعة بالأملاح، وبعد ذلك تفرك للتنظيف ثم تضرب لإزالة بعد الزوائد اللحمية والدهنية الملتصقة بها وكذلك.[4]ونظراً لعدم وجود أو استخدام حرفيو توات للأحواض لكون

---

[1] – حليفي (الزهراء)، مقابلة شخصية، بمنزلها، يوم 2022/02/1

[2] –الموسوعة العربية، موقع arab.enecy.com.sy/enc،(دص)

[3] – شدى (بشار حسن محمد الصوفي)، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين، أطروحةلنيل شهادة الماجستير، تخصص أثار قديمة، جامعة الموصل، العراق، 2004 ،ص 42.

[4] – ليفي(مارتن)، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في بلاد الرافدين، تر:محمد فياض، (دن)بغداد، 1980م، ص-ص 108-109.

الدباغة تقريبا منزلية، يقوم الحرفي بوضع الجلد في كيس أو إناء يكون مغطى، ويوضع في مكان دافئ بعيداً عن الهواء، لمدة معينة حسب الطقس، فإن كان الجو حاراً لا يستغرق مدة طويلة يوماً واحداً، أويومين، وإن كان الجو بارداً فقد يتطلب الأمر أسبوعا أو أكثر.[1] وتستخدم مادة صلبة كالحجارة يدلك بها الجلد،[2] أوسكين قاشطة لتقشيط الزوائد اللحمية وبعد ذلك يتم حفظ هذه الجلود في أماكن ملائمة وهذه الحالة تكون محتفظة بالشعر أو الصوف أو الوبر أما في حالة عدم الرغبة في الإبقاء عليهم يتم نزعهم.[3]

4-**إزالة الشعر**: إزالة الشعر عن جسم الحيوان عندما يكون الشعر غير مرغوب فيه، وهو إما أن يكون صوف أو وبر أو شعر، ويتم نزع الشعر بواسطة حجر الجير، وكذلك عن طريق الفرك بالسكين ، أو الدلك بالحجارة كما يفعل حرفي توات، وتتم إزالة الشعر فقط من الجلود المخصصة للأحذية مثلا أو بعض الملابس، أو الحقائب، وأدوات الزينة، ولنزع الشعر يستخدم حرفيو توات مواد نباتية مثل(الصلاحة).[4]

5-**صباغة الجلود وتلوينها**: إن أهم الأصبغة المستعملة في صباغة الجلود، لها مصدرين معدنية أو نباتية، فالمعدنية منها: الشب[5]، حيث تعطي للجلد لون أبيض، وكان ينتج بطرق مختلفة حتى وقتنا الحاضر، أما المواد النباتية فتتمثل في الكركم أحد أنواع التوابل يستعمل للصباغة، ويعطي لونا أصفر، الزعفران: وهو أحد التوابل أيضا، ويعطي للجلد لونا أصفر كذلك إضافة إلى القرمز و مواد نباتية أخرى.[6]

---

[1] – الزهرة(رقاني)، الواقع الأجتماعي والمهني للحرف بالجزائر دراسة حالة"حرفة صناعة الجلود بمنطقة أولف-ولاية أدرار-مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص تنظيم إشراف عبد الفتاح دحمان،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم الاجتماع والديمغرافيا، السنة الجامعية:1435هـ-2013م،ص109

[2]– الزهراء حليفي، المقابلة الشخصية السابقة.

[3] – ليفي(مارتن)، مرجع سابق، ص109

[4]– الزهراء حليفي، المقابلة السابقة

[5]– هو نوع من الأدوية أبيض اللون ،يمتاز بملوحة وشبيه في ذلك بحجارة الملح، له فوائد كثيرة عند العامة فهو يستعمل لجلاء البصر،كما يستعمل لنتف الشعر الأجسام، والشب عرفته العرب بهذا الاسم وقد ورد في لسان العرب، ينظر أحمد(أبا الصافي جعفري)، مرجع سابق،ص 134

[6] –جهاد(غالب مصطفى الزغلول)، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الأردنية ،1994، ص95

ب. كيفية الدباغة: تتم الدباغة منذ القديم باستخدام مواد مختلفة، كما أن لكل نوع من الجلود طريقة للدباغة بحسب الهدف من استخدام المنتج النهائي.

أ- الدباغة بأستخدام الزيت أو الدهن: تعد هذه الطريقة من أقدم الطرائق حيث أن المادة المستخدمة في هذه الطريقة هي شحوم الحيوانات و الزيوت بجميع أنواعها ومميزاتها سهلة التحضير ومقاومة الجلود للماء.[1]

ب- الدباغة بأستخدام المواد المعدنية: وهذه الطريقة من أكثر الطرق شيوعا، ويدخل فيها الشب كعنصرا أساسيا وغالبا ماكان يمزج مع مواد أخرى، ومن مميزات الدباغة بالشب أنه يعمل على الحيلولة بين تفسخ الجلد ويكسبه كذلك النعومة.[2]

ج- الدباغة بأستخدام المواد النباتية: وهي إحدى الطرائق في دباغة الجلود تستعمل فيها النباتات بصورة عامة عبر مراحل ولعل أبرزها ما تم ذكره سابقا، وتعطي الجلود المستخدمة الصلابة كما تعطيها مقاومة كبيرة لتأثر الماء بخلاف ما تعطيه الدباغة المعدنية.[3]

عند التدقيق في الخطوات التي يتبعها حرفي الجلود في توات نجد أنها تقريبا قد مزج بين جميع هذه الطرق، فاستعمل الدباغة عن طريق الزيوت، خاصة عندما يريد صناعة معينة مثل الرقعة، كما استعمل المواد النباتية والمعدنية، وهي الطرق الأكثر استعمالا حيث يعتمد فيها على الماء، ومادة الدبغ، الذي يؤخذ من شجرة تسمى(تقارة)ويضاف إليه قشور الرمان، والملح، ويوضع الجلد في السائل، ويقوم بتقليبه وخلطه جيدا لمدة ساعة أو أكثر حتى يتشبع الجلد بالمحلول حتى يأخذ لون الدباغة، ويترك بعد ذلك لمدة يومين حتى يصبغ بلون الدباغة المطلوب، ويصبح قابلا للإستخدام.

أما إذا كان الجلد من النوع الخشن فطريقته تختلف، حيث يوضع على سطح مستو بعد تركه في الماء لمدة أسبوع كامل، بعده يضرب بعصا غليظة ذات حجم كبير، حتى يتخلص من البقايا والشوائب العالقة به، بعدها ينشر على الأرض ويدبغ باستخدام الملح والشب، ويوضع في باطن الأرض لمدة أسبوع أوعشرة أيام، حتى يمتص مادة الدباغة.[4]

---

[1] - جهاد(غالب مصطفى الزغلول)، المرجع السابق، 95

[2] -خوالة أحمد (المتولي)، مدخل لدراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 1992، ص371

[3] - شذى (بشار حسن محمد الصوفي)، مرجع سابق، ص 59

[4] -الزهرة (رقاني)، رسالة، مرجع سابق، ص110

ثالثا: الدباغة وصناعة الجلود بـ تيديكلت:

تعتبر منطقة تيديكلت الجهة الأكثر اشتهارا بصناعة الجلود في اقليم توات، وتحتل هذه الحرفة حيزا كبيراً في المجتمع، ولا تختلف تلك الصناعة عن تلك الموجودة في مناطق أخرى من توات.وتعتبر مصدر لتعليم وتزويد المناطق الأخرى بمعلمي الحرفة، وكان لمدينة أولف دوراً كبيراً في انتشارها في الإقليم، ففي قصر أولاد علي أحد قصور تيمي بتوات الأصلية، كان هناك أحد الحرفيين يدعى(أبّا بله لمعلم) مختص بصناعة الجلود وقد قدم من أولف، توفي منذ سنوات طويلة، ومعلم أخر يدعى (ابّا محمد ستان)الشراك[1]، وكان له محل في القصر، وقد يكون تعلم عنه حسب لأنه كان جاراً له، وبقصر أولاد ابراهيم بتيمي(أبا بلعيد) لمعلم يصنع أيضا الأحذية والحقائب والريحيات.كما عرفت عائلات أيضا بقصر أدغاغ منهم عائلة البخاري التي اشتهرت بصناعة الريحيات. ومن العائلات التي اشتهرت بأولف، عائلة باقدير التي اشتهرت بصناعة الأحذية، وعائلة قدي.

أشارت دراسة فرنسية لسنة 1958م إلى أحد الحرفيين المشهورين في صناعة الأحذية، وهو المعلم محمد باقادير، الذي وصف بأنه أفضل إسكافي في أولف، وقد أعطى المؤلف وصفا لمكان وأدوات عمل الإسكافي، وذكر أنه يعمل في غرفة غير مغطاة تسمح للحرفي بالعمل في مكان مضيء، ولايستعمل لا طاولة، ولاكرسي، ويجلس على الأرض، ومن أدواته سلة صغيرة، يضع فيها أدواته، وهو أول صانع أحذية في أولف العرب، ويستخدم أدوات خشبية، منها الآراك:وهو قطعة خشبية مستطيلة مقوسة في أحد طرفيها، طولها حوالي 10سم، والمطرقة الخشبية تستخدم لمسك اللحمة، ويستعمل اللشفة وهي: إبرة يبلغ طول مقبضها الخشبي 6سم، والنصل الماسي5سم، وهي تختلف منها ذات الحجم الصغير، والكبير، ويستعمل سكين قديم من صنع محلي معروف في جميع واحات توات، ومكواة يتم بواسطتها تزيين الأحذية.[2]

وقد أشار العسكري الفرنسي الذي زار منطقة تيدكلت (L.voinot)إلى هذه الحرفة التي شدت انتباهه، ولعل هناك مجموعة من العوامل التي جعلت منطقة تيدكلت تختص بصناعة الجلود:

---

[1] – تطلق على الشخص الذي يحترف صناعة الجلود في توات.

[2] –مجهول, cordonnier d´Aoulef صانع الأحذية بأولف، صفحات من دراسة فرنسية منشورة ، بصفحة، الباحث قدي عبد المجيد، موقع .https://www.facebook.com/phdkeddi

1.دوافع اهتمام سكان تيديكلت بصناعة الجلود

أ–الموقع الجغرافي: تحتل منطقة تيدكلت بما فيها أولف، وعين صالح موقع جغرافي مهم، فهي تقع على مسافة متساوية من الجزائر في الشمال، وتمبكتو في الجنوب، وموغادور في الغرب وطرابلس في الشرق، وبها تلتقي جميع الطرق، والقوافل التجارية المتجهة نحو غرب السودان والشمال محملة بمختلف السلع والبضائع، ومنها الجلود.[1] المادة الرئيسية لهذه الصناعة، وهذا يساعد الحرفيين في الحصول عليها.

– **التركيبة البشرية:** كان للتركيبة البشرية للمجتمع التيديكلتي التي ضمت الطوارق والعرب، وقبائل من مزاب، والعبيد والمحررين ، والأفارقة بثقافاتهم المختلفة، أثر في ظهور حرف متنوعة كانعكاس للتآلف السائد بين الأسر، فبرزت عائلات من النبلاء، وأخرى اختصت بالفلاحة، وأخرى بالتجارة،[2]وعرف الطوارق بصناعتهم المتميزة خاصة منها: الجلدية وصناعة المعادن كالحديد والفضة واستخدامهم للجلود بشكل كبير في حياتهم اليومية، كالخيام وأدوات الأكل والشرب.

ب– قربها من البلدان الساحل الإفريقي ومنطقة الأهقار: وجود المناطق الرعوية وبالتالي إمكانية الحصول على المادة الأولية وهي الجلد.وحسب ما ذكره أحد الحرفيين بأولف قدي صالح أن المنطقة لم تعرف إلا نشاطين اقتصاديين مهمين هما: الزراعة والصناعة التقليدية، وهذه الحرفة كانت مصدر رزق العديد من العائلات التي تزاولها.[3]وتحدث L.Voinot الملازم الأول الفرنسي الذي دخل المنطقة في بعثة فلامند Flamand عن بعض الحرف التقليدية التي وجدها بعين صالح مطلع عام1900م، وذكر لَمْعَلَّم[4]أو المعَلْمِين وشرح معناها. ويقول":لـمْعَلمين ومفردها مْعَلَّم ويقصد بها كل عامل متخصص في مهنة أو حرفة غير الفلاحة. له أدوات بسيطة مثل أسلوب عمله البسيط، واحترف هذه المهنة وداوم عليها لمدة طويلة، لدرجة أنه لا يستطيع أن يقوم بعمل آخر غيرها فيتقنها ويقوم بزخرفتها، ويذكر بالخصوص مْعَلْمِي صناعة الأسلحة، ومْعَلْمِي صناعة

---

[1] – P. Soleillet: l´afrique occidental, Op.cit. p 251

[2]– الحاج التومي سعيدان، مرجع سابق، ص–ص 29–30–31

[3]– الزهرة (رقاني)، مرجع سابق، ص 117

[4]–هو رئيس الصَّنعة والحرفة ومتقنها، يشتغل تحت يده الصُّنَّاع والأجراء، أوكل أصحاب الصنائع والحرف، محمد سعيد القاسمي، مرجع سابق، ص458

الجلود. وبعض المنتوجات التي يصنعونها مثل: التمائم، وأغماد السيوف، والخناجر، وأكياس التبغ والأحذية.[1]

2.عمل الحرفي ووسائله:

أما الأدوات التي كانت تستخدم انذاك فهي:[2]

- قالب للأحذية.

-مطرقة:مدقة خشبية صغيرة، لضرب الجلود، الخشب الصلب.

-ملمعات الجلد مصنوعة من الخشب الخشن أو من الحديد(مرشم).

-المقص.

-مخرز(إيشفي)

-مثقاب الجلد مصنوع من الخشب الصلب(طابة)برسومات تتم طباعتها على الجلد

-تصميمات مطبوعة عبارة عن رسوم تطبع على الجلد لتزينه.[3]

-خيوط الخياطة: تتم الخياطة بواسطة خيوط حيوانية(العصب)، أو الجلد الأبيض(تاديشا)المستورد من أدرار.

-الصبغة: وهي الصباغة التي تلون بها الجلود وتمنح للجلد ألوانا جميلة حسب المنتج الذي يراد صنعه، منها السوداء والحمراء والخضراء والصفراء، وهي مصنوعة محليا من مواد نباتية، على النحو التالي:[4]

-الصباغة السوداء: يقوم الحرفي باستخدام مادة الطملة للحصول على لون جلد أسود، حيث يتم نقع هذه المادة في الماء، ويقوم الحرفي بفرك الأجزاء المطلية ببعضها البعض، وبعد مرور ساعة من الزمن يصبح لون الجلد أسود تماما، وبمجرد الانتهاء من هذه العملية يتم تمرير الجلد على آلة التلميع والتي تعطي لونا جميلا لامعا للجلد.[5]

---

[1]- L. Voinot: Op.cit, p140.

[2]-ibid, p140

[3] - ibid, p141

[4] ibid p141

[5]-ibid, p140.

-الصبغة الحمراء(الحوميري):يتم الحصول على الصبغة الحمراء من خلال نقع لحاء(الدخن)البشنة الأحمر مع محلول من النترون، ولون الجلد الأحمر الذي يتم الحصول عليه يكون باهتا، والناس يفضلون اللون الحميري، ويستعمل هذا اللون في الأحذية.[1]

-الصبغة البيضاء: يتم تحضير الجلد الأبيض باستخدام جلود، ويتم نقعها في الماء، ثم تغمر لمدة يومين في حمام من الحليب والشب.[2]

-الصبغة الخضراء: يتم الحصول على لون جلد أخضر باستخدام مادة تسمى(جنجر)تستخدم كما هي مع الماء.[3]

-الصبغة الصفراء: ويتم الحصول جلد ذو لون أصفر بمزج قشور الرمان بقليل من الشب.[4]

-الجلد: يستعمل المعلم الجلد الأبيض الذي يؤتى به من أدرار، والجلد الأصفر والأحمر لصناعة الأحذية والجلود المتعددة الألوان لصناعة الحلي، وأدوات أخرى، ويوضع عليها تطريز من الصوف.

تعتبر منطقة أولف أحد المناطق التي عرفت أيضا، وأشتهرت بصناعة الجلود مند القديم وحسب ما ذكره الحرفي قدي صالح أن هذه الحرفة مرتبطة بوجود الانسان في المنطقة، وبالأخص زاوية حينون فهذه المنطقة لم تعرف إلا مجالين للعمل هما الفلاحة، والصناعة التقليدية خاصة صناعة الجلود واتخذت مهمة للارتزاق واستعملت فيها حتى التويزة لتلبية الطلبات المتزايدة في بعض الأحيان.[5]

ما يميز هذه الحرفة حسب بعض الدراسات الاجتماعية الجانب التنظيمي، حيث تكاد هذه الحرفة أن تكون حرفة عائلية إذ ينخرط في العمل أفراد العائلة فالأب هو المعلم المسؤول عن تأمين المواد الأولية، ويشرف على العمل، ويصدر الأوامر ويوضح كيفية العمل للمتعلمين، في حين تكلف المرأة بتجهيز الجلد، ودبغه ولف الخيط. أما الأبناء فدورهم التقاط حبات الدبغ والمساعدة

---

[1] -L. Voinot: Op.cit, p140

[2]- ibid, p140

[3]- ibid:, p140

[4] -ibid, p104

[5]- الزهرة (رقاني)، مرجع سابق، ص 117

في صنع الأحذية، والتركيز في طريقة العمل لأخد الخبرة والصنعة، وبذلك يرث الأبناء الحرفة عن والدهم.[1]

3- المصنوعات الجلدية:

- القربة، الدلو، والفروة نوع من السجاد تستعمل للصلاة

-الزطام،[2] المحفظة والواغة: تصنع من الجلد وتستعمل لوضع الأواني وصيانة الأثاث عصا تلصق بالجلد.

-الريحية: نوع من الأحذية تلبسه النساء.

-الصباط والنعال: أحذية مرتفعة الجوانب منه الرجالي ومنه النسائي[3].

الرقعة: فراش من الجلد يفرش للرحى عند الطحن، حيث تتجمع فيها المادة المطحونة.

-الشكوة: وهي قربة صغيرة تخصص لخض الحليب بهدف استخراج بعض مشتقاته، هي وعاء من جلد الشاة لخض وحفظ االلبن،كما تستخدم في استخراج الزبدة من الحليب عن طريق الخض والشكوة.[4]

- صناعة الصناديق الجلدية: وهي صناديق تصنع من جلد الجمل ، ومكان صناعتها الأصلي تومبكتو، ويتم صناعتها بتيديكلت، وهذا يدل على التبادل الثقافي بين سكان المنطقة، والبلدان المجاورة. وتصنع هذه الصناديق، بواسطة قوالب من الطين، والجبس، وتترك لتجف ثم بعد ذلك يتم تكسير الطين ليتم الحصول على الصندوق الجلدي الذي يتم تزيينه، ويلون بالصبغة المناسبة، المصنوعة من الدخن الأحمر.[5]

[1] - الزهرة (رقاني)، المرجع السابق ، ص119

[2]- وهو كيس لحفظ النقود ولعل أصله بالكاف زكام من زكم بمعنى ملأ جاء في اللسان: الزكام مأخوذ من الزكم والزكب وهو الملء يقال زكم فلان وملئ بمعنى واحد، ينظر أحمد (أبا الصافي جعفري)،مرجع سابق،ص 115

[3]- ينظر الملحق رقم (18)، ص406

[4]- أحمد (أبا الصافي جعفري)، المرجع نفسه، ص .137

[5] -L. voinot: op. cit, p141

خلاصة الفصل:

بعد الدراسة والبحث في موضوع الحرف في إقليم توات انطلاقا من توات إلى قورارة، ووصولا إلى تيديكلت، تمكنت من الإحاطة ببعض جوانب هذه الحرف، وما يميزها عن الحرف في مناطق أخرى، فتعتبر حرفة النسيج من الحرف الأكثر رواجا، وممارسة في مجتمع توات، وهي حرفة نسائية منزلية بامتياز، إذ لم تخصص لها محلات خاصة،كما أنها ظلت بدائية جدا، إلا أن ما ميزها خلال القرن التاسع عشر(13هـ/19م) البساط أو الزربية الفاتيسية التي استطاعت المرأة الفاتيسية أن تستلهم من البيئة والطبيعة المحلية، رموزا هادفة، لتسقطها على النسيج لتنتج بذلك بساطا جميلا، تضفي عليه ألوانا رائعة، تميزه عن غيره،كما عرفت حرفة الخياطة، تأثرا كبيرا باللباس العربي والأمازيغي المعروف في مدن الشمال، فكان هناك البرنوس، والكساء، والعباية، والشاش، والحولي والإزار، وغيرها من الملبوسات الرجالية والنسائية التي تميزت بالبساطة، فيما انفردت وتخصصت أكثر منطقة تيديكلت، وعلى رأسها منطقة أولف في الدباغة، رغم أن هناك بعض القصور تواجد بها معلمين في الصناعات الجلدية، وصناعة اللوازم الجلدية من أحذية، ومحافظ وأدوات منزلية.

الفصل الثالث

حرف ومهن يدوية متنوعة

المبحث الأول: الحرف والصناعات المرتبطة بالنخل (السلالة ومشتقاتها).

المبحث الثاني: حرفيو الفخار، والحجارة، و الحدادة، النجارة، والصياغة(النقارون).

المبحث الثالث: مهن وحرف نسوية

المبحث الرابع:حرفيو التطبيل والتزمير والحلاقة وحفارو القبور.

تمهيد

ظلت النخلة على مدى قرون الشجرة المميزة للواحات الصحراوية، ومنها واحات توات ولطالما كانت رمزاً للحياة، ويعد التمر مصدر غذاء أساسي للسكان بشهادة من زاروا المنطقة من الرحالة ومنهم الألماني (جيرارد رولف)الذي زاره في1864م، وقدم معلومات تاريخية عن واحاته ومدنه ونخيله، ومن المستكشفين الفرنسيين أيضا (يوجين دوماس) في كتابه Grand Désert الذي صدر في1848م والفرنسي (مارتان) في كتابه الواحات الصحراوية، والذي زار الإقليم مطلع القرن العشرين، وتحدث كثيراً عن النخيل في توات وأنواعها وطريقة زراعتها.

للنخلة استخدامات كثيرة في المجتمع، فمنها تقام دعائم البيوت وتسقّف الأسطح، واستعملت في معظم الصناعات التقليدية، كصناعة السعف والأبواب وغيرها، ولم تكن النخلة لوحدها فهناك مادة الطين أيضا المستخدمة في بناء القصور التواتية، وتميزها باللون الأحمر الذي طبع قصورها، كما كانت المادة الأساسية للصناعات الفخارية، وعمل السكان على استغلالها لصناعة أدواتهم المطبخية، كما شهد الإقليم حرف أخرى مثل: الحدادة والتجارة والصياغة والسقاية والمشاطة والحلاقة وغيرها من الحرف الكثيرة والمتعددة. فما هي خصائص ومميزات هذه الحرف ؟ وما مدى تطورها وأهميتها في المجتمع التواتي؟

المبحث الأول: الحرف والصناعات المرتبطة بالنخلة(السلالة ومشتقاتها)

يرتبط إقليم توات إرتباطا وثيقا بالنخلة، إذ تعتبر عنصراً أساسياً في النشاط الاقتصادي للسكان، فهي مصدراً غذائياً مهماً، ومصدراً للعديد من النشاطات الحرفية، ولها مشتقات كثيرة لكل منها مصنوعات معينة، فماهي النخلة،[1] ومشتقاتها ؟وماهي استعمالاتها؟

[1] – النّخْلُ: نَخَلَ الشيءُ، يَنْخُلهُ نخلاً وانْتَخَلهُ بمعنى صفَّاهُ واختارهُ، والنخلة: شَجرةُ التمرِ والجمعُ نَخْلٌ ونَخِيلٌ، لسان العرب لابن منظور، باب النون، ص4378، ونخلة التمر من الناحية العلمية زراعية من عائلة Arecaces اسمها العلمي phoenix Dactiylifera الكلمة الأولى مأخوذة من اسم الفينيقيين PHOENIX الذين يعتقد أنهم نقلوا زراعته إلى حوض البحر المتوسط،و كان النخل مغروسا في اسبانيا والرتغال قبل الميلاد ،والاسم داكتيلس DACTYLIC وديت DATE هي مشتقات عن الكلمة دقل DACHEL العبرية الأصل والتي تعني الأصابع، وقيل الكلمة الثانية إغريقية مأخوذة من الكلمة اليونانية Dactiylifera التي تعني التمر وfera التي تعني الحمل الواحد ويرى البعض أنها كلمة يونانية تعني الأصبع لكون التمر يشبه الأصابع، ينظر عبد الرحمن(بربندي) شجرة النخيل زراعتها وأهميتها الآفات الحشرية والمرضية دار مؤسسة رسلان للطباعة، سوريا، 2014، ص8 ينظر أيضا عائشة(مرزاية بلامة) وعبد النبي (زاكي)، دراسة إثنوبوطانية حول نخيل توات، مجلة البحث الزراعي، ع (12)، جامعة، الجزائر، ص56.

أولا– نبذة تاريخية عن النخلة:

إن الحديث عن تاريخ النخلة يبدوا أمر ضروري لما تكتسيه هذه الشجرة من أهمية كبيرة في حياة سكان الصحراء خصوصا، فتاريخ النخلة في البلاد العربية قد تناولته العديد من صفحات كتب التاريخ، والقصص والأساطير التي تروى عنها في القرى والبوادي،كما ذكرت في الكتب السماوية، وتحدث عنها القرآن الكريم كشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

تعد من أقدم أشجار الفاكهة المباركة إذ يرجع تاريخها إلى أحقاب بعيدة، خلقها الله سبحانه وتعالى مع الإنسان لخير الإنسان، وهي من الأشجار التي في ذكرت في الكتب السماوية لذلك أولاها الكتَّاب والفلاسفة قسطا كبيراً من الدراسة في مؤلفاتهم وأشعارهم،كما كانت تعتبر مقدسة للعديد من الشعوب، في بلاد الرافدين، والنيل والسند، والجزيرة العربية، وتعتبر من الأشجار الغذائية والاقتصادية، ومما جاء في التوراة عند اليهود أن كلمة "أشميرا"أي السارية تعني النخلة ونظراً لاعتدال ساقها وقوامها وخيرها الكثير أطلقوا إسم"تامارا"على بناتهم رمزا لجمالهن وأنهم يستعملون في احتفالاتهم بعيد"المظال"سعف النخيل الطري كرمزاً للفرحة ويسمونه (لولاب) وقد ذكرت النخلة أيضاً في الإنجيل. وكان سعف النخلة علامة من علامات النصر، ويحمله المنتصرون أمامهم في مواكبهم، ويعتبر المسيحيون في الغرب النخلة شجرة الحياة. وعلى مقربة من العاصمة الإيطالية روما يوجد حالي (5000) نخلة نامية غرست لاستخدام سعفها في الشعائر الدينية في يوم يسمى(أحد النخيل) في الكنيسة البابوية في روما.[1]

تحدث بوبينيو وبيكاري، والدباغ وغيرهم في مؤلفاتهم وتقاريريهم عن نشأتها، وذكر دي كاندل في مذكراته أن النخلة كانت موجودة بالمنطقة الحارة الممتدة من بلاد السنغال غرب إفريقيا إلى حوض نهر السند فيما بين خطي عرض 15إلى30 درجة، ومنها انتشرت في الهند ثم إلى الشرق الأقصى.[2]يرى البكر أن أصل النخلة الأول غير معروف، ويذهب إلى أن النخل المثمر

[1] – عادل(محمد علي الشيخ حسين)، نخلة التمر في المصادر العربية، شبكة الآلوكة، (دص) موقع إلكتروني.

[2] –حسن مرعي، النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة،1391 هـ–1971م، المملكة العربية السعودية، ص31

يكون قد نشأ نتيجة لحدوث طفرة لنخيل الزينة، وبتعاقب التهجين الطبيعي خلال الأزمنة والعصور الماضية وتدخل الانسان بفعل الانتخاب نتج نخيل التمر المعروف حاليا.[1]

ذكر ابن وحشية وهو أقدم كتَّاب العرب في الزراعة أنه يحتمل أن تكون جزيرة حرقان الواقعة على الخليج العربي بالبحرين هي الموطن الأصلي الذي نشأت فيه، ومنها انتقلت إلى بلاد بابل بالعراق، وفي موضع آخر أنها وجدت في تاروت (دارين) وهي حاليا الهفوف بالمنطقة الشرقية بالسعودية وهي أكبر مناطق النخيل، ثم انتشرت في البلاد. ويعتبر تيوفراستوس العالم النباتي (287-376ق.م) أول من عرف نخلة البلح فينيكس داكتليفرا في التقسيم العلمي الذي وضعه للفصائل النباتية.[2] وقيل في القديم أن المكان الذي توجد فيه النخلة في الصحراء دليلاً على وجود واد فيه عيون تجري وينابيع ماء وأزهار، وكانت عملية تلقيح النخيل تجري في احتفالات يعود تاريخها إلى نيف وعشرة آلاف سنة، وورد في مذكرة داوود الأنطاكي وهو من حكماء العرب فوائدها واجتهد البحاث من كتاب العرب القدامى والمستشرقون في تحديد منشئها.[3]

أما في بلاد الرافدين فيمتد عمر النخلة إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد حيث كانت مقدسة عند السومريين والبابليين والآشوريين نظرا لأهميتها الاقتصادية، وأكبر دليل على ذلك هو وجود نقوش للنخلة في العهد المسماري ورسوم لها في الألواح المسمارية القديمة وفي الأختام، وتحديدا في الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت تسمى في السومرية والبابلية ب"دشماروا".[4]

تعود زراعة النخيل المثمر في العراق الى نحو 4000ق.م وفي مصر حوالي 3000ق.م وكانت النخلة معروفة أيضا في فلسطين وفنيقيا خاصة بصيدا وصور (التي عرفها الإغريق والرومان

---

[1] - عبد الرحمن (بربندي)، مرجع سابق ، ص7

[2] -حسن(مرعي)، نفسه، ص31-32

[3] - حسن (مرعي)، نفسه، ص 31.

[4] - عبد الرحمن(بربندي)، مرجع سابق، ص 7

ينظر أيضا عامر عبد الرازق، صناعة الخوص في العراق تقاوم الزمن، موقع الجزيرة https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2019/3/4 يوم 2019/07/6 على الساعة 15:00.

باسم بلاد النخيل) وأفاد المؤرخ اليهودي فلوفيوس جوزفوس في القرن الأول الميلادي عن وجود بساتين للنخيل في أريحا حول طبريا على جبل الزيتون.[1]

أما في مصر فيذكر البكر أن نخيل التمر يعود إلى عصور ماقبل التاريخ، ومما يؤكد ذلك التسمية فيطلق عليه BNRT ; NR (ويعني الحلاوة) في اللغة الهيروغليفية وما عثر عليه رين هارت RIEN HARDT في مقبرة الرزيقات قرب أرمنت لمومياء ملفوفة في حصير من سعف النخيل. ويزرع أيضا في الصحراء الغربية والإستوائية من إفريقيا وما ساعد على انتشارها هناك هو وجود الجمال والقبائل الرحالة.[2]

ثانيا– مكونات ومشتقات النخلة واستخداماتها في توات

1. السعف[3](الجريد)

هي ورقة ريشية مركبة كبيرة تجتمع في قمة النخلة، تتركب من عرق وسطي متين يحمل على جانبيه وريقات (خوص أو السعف) يتفاوت طولها في النخلة الكاملة النمو من 2,7 أمتار و6 أمتار، ومعدل طول السعفة الواحدة نحو أربع أمتار، ويبلغ مجموع سعف رأس النخلة الواحدة الأخضر من30إلى150 سعفة، وهو مادة أساسية في هذه الصناعة، وهو نوعان ولكل واحد منهما استعمالاته الخاصة ويصطف الجريد على جذع النخلة بصفوف رأسية ويبلغ عدده حوال ثلاثة عشرة جريدة. وتتكون الجريدة من ثلاث عناصر هي:

أ–النصل: العمود الرئيسي الذي يحمل الخوص والشوك ويلتصق بالصاق عن طريق الكربة.

ب–الخوص: وهي الوريقات التي تنتشر على جانبي الجريدة، والتي تمنح للنخلة شكلها الجميل.[4]

ج– الشوك: يحتل الجزء بين السويق ومنطقة الخوص، ويصل طولها إلى 24سم،[5]وهي منتظمة على حافتي الجريدة. والسعف نوعين:

---

[1]–حسن (مرعي)، مرجع سابق، ص7

[2]–عبد الرحمن (بربندي)، مرجع سابق، ص8

[3]– جريد النخل والواحدة سعفة، ينظر محمد (فريد وجدي)دائرة معارف القرن العشرين، مجلد5، دار الفكر، بيروت 1971، ص154. وبالتحريك هي غصن النخل، وجمعه سعفٌ. ينظر الجوهري سماعيل (بن حماد)، الصحاح، ص 1374

[4]–الخوص: ورق النخل، والواحدة خوصة، ويقال قد أخوصت النخل، والخَوَّاص هو الذي يبيع الخوص، ينظر الجوهري، نفسه ص 1038.

[5] – عبد الرحمن(بربندي)، مرجع سابق، ص 15

-النوع الأول: وهو اللب أو السعف الموجود في قلب النخلة، وهو يختلف عن الآخر فيتميز بالبياض الناصع، وصغير الحجم، وسهل التشكيل، ويستخدم لنوعية معينة من المصنوعات.
-النوع الثاني: من بقية أوراق النخلة العادية وهي المشكلة للجريد ذات لون أخضر تتميز بالخشونة والطول ويبقى السعف الأخضر لمدة من 3 إلى 7 سنوات حيث يجف ويفقد لونه ويستعمل أكثر في صناعة الحصير والسلال، والمظال.[1]

2.العذق (**الزيوان**):

هو الساق الأصفر الذي يحمل عند نهايته عرجون التمر فهذه الساف التي يكون مبدؤها مايسمى بالكرب(الكرناف)وتنتهي بعرجون التمر أو الشماريخ ويسمى بالزيوان في توات، وهو مادة أساسية في الصناعات السعفية، خاصة بعض الصناعات كصناعة الأطباق والأواني المنزلية التي لا يمكن صناعتها دون استخدام هذه المادة، فهي المادة التي تلف بواسطة السعف وتتم خياطتها باستعمال اللشفة والسعف لتُشكل حسب الغرض المراد صناعته. ويستعمل بعد تجفيفه ثم يقسم طوليا إلى مايشبه الخيوط أو العيدان الرقيقة، وبعد ذلك يوضع في الماء حتى يصبح ليّنا وطريا يسهل طيه وتشكيله.[2]وتصنع منه المكنسة أيضا.

3.الفدام(**الليف**)وهو أيضا من مكونات أجزاء النخلة الخفيفة السهلة الإشتعال بالنار، تستعمل لأبرام النار،[3]ويستعمل الليف(الفدام)كمادة أساسية في أنواع معينة من الصناعات اليدوية التي تعتمد على مكونات النخلة.

4.الكرب(**الكرناف**):عرفه الأصمعي بأنه أصول السعف الغلاظ، وتسمى الكرانيف وواحدتها كرنافة، وكرب النخل أصول السعف الغلاظ، وفي المحكم:الكرب أصول السعف الغلاظ العراض

---

[1]–فاطنة (كريكرة) نساجة، مقابلة شخصية بمنزلها بقصر الهبلة بلدية تسابيت ، يوم2021/07/18 م ،ينظر أيضا عبد الرحمن(بربندي))، نفسه، ص 14

[2] – فاطنة (كريكرة)، المقابلة نفسها

[3] – عائشة(مرزاية بلامة) وعبد النبي (زاكي)المهن الحرفية ...الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة ادرار، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، محطة الأبحاث والتجارب الفلاحية بادرار 1007 ص 52

التي تيبس فتصير مثل الكتف، واحدتها كربة، وقيل أصل السعف، وقيل: ما يبقى من أصولها في النخلة بعد القطع كالمراقي.[1]

6.القنينة:وهي أحد الأجزاء المكونة للنخلة يصنع منها باب الخشب، والسلوم(السلالم)، والفروة وتأخذ أيضا كحطب للطبخ أو التدفئة، والمحمل، والنعش، وقصعة الطبل[2]

7.القرنيط: الجمار ويصنع منه اللاَّقمي وتأكل به ديشرين.

8.القلوان: يستعمل كحطب وتصنع منه بعض الأشياء مثل موس الخماس.

9.جذع النخلة: هو ساق خشن أسطواني ينمو فوق سطح الأرض، ويصل إرتفاعه إلى مابين 10-25 متر غير متفرع مغطى بليف ينمو على قاعدة أوراق الجريد.[3]

ثالثا–الصناعات السعفية (المفهوم والخصائص) :

أما صناعة السعف(الزعف): أو صناعة الخوص في بعض البلدان العربية فهي مهنة حرفة أويدوية شعبية تعود حسب بعض الباحثين إلى حضارة وادي الرافدين، وشبه الجزيرة العربية وأماكن أخرى ازدهرت فيها زراعة النخيل، وتشير بعض الدراسات إلى أن العراقيين القدماء استخدموا خوص السعف منذ وقت مبكر من نشوء الحضارة في وادي الرافدين لحفظ التمور وفي صناعة الفراش، وعثر المنقبون العراقيون والأجانب على عدد كبير من الأدوات التي كانت تستخدم لصناعة سعف النخيل، وتشير أيضاً إلى استعمال جذوع النخيل في بناء معبد إله القمر، وهو أحد أقدم الأثار في العالم، وأخرى قرب مدينة أرو التي زرعت بها النخيل ما بين4000 و5000سنة وهذا دليل على تقدمهم.[4]

لذا فقد دخلت في معظم مفردات الانسان البيئية، بيت السعف، وأقفاص الدواجن والتمر، وهي حرفة تناقلها الاجداد لسد بعض احتياجاتهم اليومية، ويطلق على الشخص الذي يسف[5]النخل في بعض البلاد العربية السعاف.[1]

---

[1] – ابن منظور، مصدر سابق، ص 3846

[2] – سعيدان(الحاج التومي)، مرجع سابق، ص 67

[3] – حسن (مرعي)، مرجع سابق، ص 54

[4] – عائشة(مرزاية بلامة) وعبد النبي (زاكي)، مرجع سابق، ص 57

[5] – يقصد بالسفيف: حزام الرَحْل، ونقول سفيفة من خوص:نسيجة من خوص وقد سففتُ الخوص أسُفُّه بالضم ايضا نسجته، والقصد نسج الخوص أو السعف.تاج الصحاح ، ص 1374

أما في واحات توات فيطلق عليه نساج السعف وليست هناك تسمية معينة، ولكن هناك بعض العائلات التي لقبت بألقاب الحرف التي تمارسها منها القفاق والسعاف، ويتفاوت إنتشارها وإتقان صنعها على حسب تواجد وتوفر اشجار النخيل. وتسمى في بعض البلدان العربية صناعة الخوص بالسعفيات، أما المصادر العربية القديمة فتسمي صناعة الخوص باسم حرفة"الخواصة"ويمكن تسميتها"صناعة النخيل"لارتباطها بالنخلة ويصطلح عليها بعض الباحثين"صناعة المنسوجات النباتية ".[2]

في ظل غياب دراسات دقيقة حول تاريخ هذه الصناعة في المنطقة، فهي قديمة قدم تواجد النخلة في الصحراء، وتشير بعض الأبحاث إلى قدم تواجد النخلة في الصحراء وأن من بين أسباب انتشارها وجود الجمال والقبائل والرحل، وتعد صناعة السلال واحدة من أعرق الصناعات اليدوية حيث صنع الإنسان السلال منذ أقدم العصور لاستخدامها كأوعية، وقام إنسان ما قبل التاريخ بنسج السلال من الأعشاب ومواد نباتية أخرى.[3] كما أن الدراسات الفرنسية أشارت كثيراً إلى انتشار هذه الحرفة في جل قصور توات، وقد أشار مارتان(Martin) إلى أن هذه الصناعات تأخذ أشكالاً مختلفة ومنها التدارة، والحصير والحبال، وكلها مصنوعة من النخلة، ومنها السلال وهي توجه حتى إلى الأسواق الخارجية.[4]

أ– خصائص الصناعات السعفية :

رغم بساطة هذه الحرفة إلا أنها تمتاز بالدقة والمهارة العالية، وهذا ما تحتاجه العملية الفنية التي يتم فيها نسج السعف والتي تسمى بالضفيرة، أو الجديلة، في بعض البلاد العربية،كما تحتاج إلى الصبر والدراية وخبرة، لنخرج منها العديد من المصنوعات، منها الحصير، والسجاد،[5] والمظل والمروحة والطباق والأواني الحفظ المواد الغذائية، والعديد من المصنوعات اليدوية البسيطة ذات الاستعمال المنزلي، والتي سنذكرها في حينها.

[1] – علي (كاظم درجال الربيعي) ، تاريخ صناعة السعف (الخوص) في العراق وشبه الجزيرة العربية ، صفحة صور نادرة من العراق ،faceboo.com/maw6ny،(دص).

[2] – علي (كاظم درجال الربيعي)، المرجع نفسه .

[3] – الموسوعة الموسوعة العربية العالمية، مجلد(15)، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999، ص156.

[4] -A.G.P.martin: Op.cit, p314

[5] – الزهراء (حليفي)مقابلة شخصية، يوم 2019/12/15

تنتشر هذه الصناعة في جل القصور التواتية من تيديكلت إلى توات إلى قورارة، خلال القرن التاسع عشر(19م) وماقبله وما بعده، من خلال بعض الإشارات البسيطة، من طرف الكتاب الفرنسيين، إذ لاحظت عدم الإهتمام الكبير بذكر هذه الحرفة، أو وصفها بشكل دقيق، أو الإشارة إلى تداولها كسلعة رائجة في الأسواق،كما لم تعطينا النوازل أيضا معلومات حول المنتوجات السعفية، ولم نعثر على عمليات بيع أو شراء تخص هذه الحرفة، أو نزاعات يكون موضوعها منتوجات سعفية.

لعل سبب إنتشارها أن المنطقة عبارة عن واحات صحراوية، وأكثر الأشجار زراعة بها هي أشجار النخيل، وتعد من الحرف التي تزاولها جل النساء في البيوت، وحسب ما تقول السيدة الزهراء إحدى النساء اللواتي كن يمارسن هذه الحرفة منذ الصغر أن جل النساء اللواتي تمتهن هذه الحرفة تعلّمنها على أيدي أمهاتهن وجيرانهن، وما تتميز به أنها حرفة اجتماعية بمعنى:"أنها تخلق نوعا من التعاون وتبادل الأفكار،[1]وأنها تتم في شكل جلسة نسائية تجتمع فيها نساء الزقاق الواحد، وقد تأتي نساء من أزقة أخرى للإستئناس والتسلية،[2]وفي نفس الوقت صناعة السعف،" وحسب ماترويه الأمهات أيضا أن طريقة بناء القصر كانت جد ملائمة للعمل الجماعي النسائي، إذ أن الأزقة في قصور توات كانت مغطاة بالسقف، فتجتمع النساء في القيلولة أمام المنازل أو في إحدى المنازل حيث لا وجود لأشعة الشمس خاصة في فصل الصيف، ولا وجود أيضا للمارة. تحضر كل سيدة نسيجها وأدواتها من السعف وكل ما تحتاجه، وتجتمعن في مكان واحد، وكل واحدة تقوم بعملها.[3] فما هي الوسائل المستعملة في هذه الصناعة؟

1-الأدوات والمواد المستعملة:

يستخدم في صناعة السعف نوعان من المواد، مواد جافة، وأخرى لينة ، فالمواد الجافة تتمثل في الأعشاب وأوراق النباتات وجذورها، وقشور الأخشاب ولحاء الأشجار، والأغصان، وتتطلب هذه المواد الجافة عناية كبيرة وتحضيرا خاصا، حتى تصبح ناعمة ومرنة، صالحة للاستعمال فيقوم الحرفي أولاً بإحضارها وتجفيفها، وعادة ما تنكمش وتصبح هشة، بعد ذلك يتم نقعها في

---

[1] – الزهرة(هندي)، مقابلة شخصية، يوم 2019/12/18

[2] – مباركة زهواني، مقابلة شخصية 2019/12/18

[3] – جمعة(كريكرة)، مقابلة شخصية ،يوم 2021/07/18

الماء من طرف الصناع لتصبح مرنة وجاهزة للاستخدام، كما يجب على الحرفي أن يحتفظ بها رطبة أثناء الإستعمال، أما المواد اللينة فتتمثل في خيوط الغزل المصنوعة من الخيوط الطبيعية كالقطن والصوف، والقنب أو تلك الخيوط المصنعة، وهذا نوع آخر من السلالة.[1] وتستعمل وسائل أخرى جلها أدوات بسيطة من صنع محلي، بالإضافة إلى الجهد البدني واستخدام اليدين، والمواد الأولية المستعملة جلها من مكونات النخلة كما يأتي:

1.1 اليدين والأسنان:

تستخدم الحرفيات اليد بالدرجة الأولى في صناعة السعف من بدايتها إلى نهايتها فبواسطتها تمسك السعف وتقوم باختيار النوع المناسب لعملها وتصنفه إلى أنواع، وتقوم بتحضيره لاستعماله بسلاسة، وتحويله الى ضفيرة، ثم في النهاية إلى منتوج معين مكتمل.فاستخدام اليد أمرا لا بد منه إذ لا يستوي الأمر بدونهما، فالحرفة في الأساس يدوية وتعتمد على اليد.

أما استخدام الأسنان فتستعمل من أجل سحب السعفة أثناء صناعة بعض الأدوات ذات الاستخدام المنزلي، مثل الأطباق، وسنتحدث عن ذلك في أثناء الحديث عن طرقة العمل.

2.1 اللشفة: وتسمى المخيط والمخرز وهو عبارة عن شوكة مصنوعة من الحديد تشبه المسمار لها رأسا حادة من الأسفل مغروزة في قطعة خشبية حتى يسهل إمساكها واستخدامها.[2]

وهي من الأدوات الأساسية في العملية حيث أنها تستعمل في فك أعواد الزيوان وهي أيضاً أحدى مكونات النخلة التي تستعمل في نوع من الصناعات السعفية ،كما يستخدم لثقب نفس المادة لتمرير السعف الذي يلف على الزيوان ويسحب في النهاية بواسطة اليد.[3]

3.1 الوعاء: الذي يوضع فيه الماء، ثم يوضع بداخله السعف وأيضا الزيوان إذ لا يمكن استعماله جافا، فبعد استخراجه من النخلة يتم تجفيفيه، وعند استخدامه يوضع في الماء حتى يتم تليينه ويسهل تطويعه وتدويره وتكييفه حسب المنتوج المراد صناعته.[4]

2- حالات الإستخدام: تختلف طرق وكيفية العمل من منتوج إلى آخر، نحاول أن نصنفها إلى طرق عمل على حسب المنتوج أو على حسب المواد المستعملة والمنتوجات المصنوعة من طرف

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية، مجلد(15)، مصدر، سابق، ص156

[2]- مبروكة عودالي، مقابلة شخصية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية بمركز الشباب، يوم 2021/09/15

[3]- مبروكة عودالي، المقابلة نفسها

[4] - جمعة (عودالي) المقابلة نفسها. 2021/09/15

النساء والأخرى المصنوعة من طرف الرجال لأن معظم المنتوجات النسوية عبارة عن أدوات معظمها ذات استخدام منزلي منها الطباق، الكسكاس، التدارة، المكب وغيرها، بينما هناك منتجات أخرى يحتاجها الرجل في عمله ويقوم بصناعتها منها:الغرارة، الحبال، القفة، المظل، والحصير وغيرها.[1]

الحالة الأولى:استخدام السعف والليف (الفدام):

يستخدم الحرفي في توات مادة السعف لوحدها لصناعة بعض الأدوات واللوازم، وفي أحيان أخرى يضيف إليها الليف، بمعنى الجمع بين مادتين هما السعف والزيوان، يكون أساسيا في بعض المصنوعات إذ لايمكن الاستغناء عنه، وأحيانا أخرى للتزيين فقط.خاصة عند صناعة القفاف (السلال) أو المظل، والحصير.

الحالة الثانية:استخدام السعف

يستخدم الحرفي في هذه الحالة السعف لوحده دون أن يستعمل معه مواد أخرى، وهذا ماتستلزمه بعض الصناعات مثل صناعة الحصير، أو صناعة المظال(القبعة)التي تستعمل لحماية الرأس من أشعة الشمس، وصناعة المراوح اليدوية، وصناعة السلال أو القفة.[2]

الحالة الثالثة :استخدام الليف

يستخدم الحرفي أو الحرفية مادة الليف في بعض المصنوعات اليدوية، ولا يستعمل معها مادة أخرى، وهذا ما تتطلبه هذه المصنوعات التي نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر،صناعة الحبال، صناعة الغرارة، لكمامة، الشبكة، والنشابة، المحمل، المكنسة، وحواشي المصنوعات الأخرى والمساحة وغيرها...[3]

الحالة الرابعة: استخدام السعف والعذق (الزعف والزيوان)

في هذه الحالة يجمع الحرفيون بين مادتين من مكونات النخلة، وهما السعف والزيوان ونعني به عذق النخلة، إذ لا تتم بعض الصناعات إلا باستخدام المادتين، لكون المصنوعات تتطلب

[1] – سالم (صرندي)، مقابلة شخصية بمنزله بقصر الهبلة بتسابيت، يوم 2021/07/20

[2] – جمعة عودالي، مقابلة شخصية نفسها، يوم 2021/09/15 ينظر أيضا، عبد المجيد(قدي)، مرجع سابق، ص 74

[3] – عبد المجيد(قدي) مرجع سابق، ص 74

الصلابة، والمتانة وينتج عنها مصنوعات كثيرة، نذكر منها: صناعة الأطباق، صناعة الكساكس، صناعة التدارة، صناعة المكاب، وغيرها مما سنتطرق إليه لاحقا.[1]

الحالة الخامسة:استخدام الجريد

يستخدم الجريد بمكوناته الثلاث(العصا، الشوكة، السعف الأخضر)كمادة أولية في العديد من المصنوعات التقليدية المحلية في توات، ويكون ذلك إما بالاعتماد عليه مطلقا أو بإضافة مواد أخرى،كما تستخدم بعض أجزاء الجريد في صناعات أخرى، من بين تلك الصناعات نذكر صناعة الأبواب، صناعة الأكواخ، صناعة الأفراق، صناعة العكازات وغيرها.[2]

الحالة السادسة:استخدام خشب النخلة (الجذع)

تعتبر النخلة بكل مكوناتها مادة أولية خام لا يمكن الإستغناء عنها في الصناعات التقليدية المحلية في توات، ويعتبر جذع النخلة من الأجزاء الهامة جداً في هذه الصناعات، فيستخدم لصناعة الأبواب، صناعة الحمّارة، خشبة المنسج،كما له استخدامات أخرى كتسقيف المنازل، وتزيين البنايات والتدفئة والطبخ وغيرها.

الحالة السابعة :استخدام الكرناف

الكرناف هو الذي يحمل ساق الجريد ويأتي من جذع النخلة، وهو مادة أولية في الصناعات التقليدية المحلية،كما له استخدامات أخرى كتسقيف المنازل، وحطب للتدفئة، والطبخ ويستخدمه الحرفي في عدة صناعات منها كرنافة المغزل، حكاكة الصوف، دقاقة القمح والشعير ،ولعب الأطفال.

الحالة الثامنة: مكونات أخرى للنخلة لها عدة استخدمات

للنخلة مكونات أخرى قد لا تبدوا لها أهمية، إلا أن الأمر يختلف إذ تستخدم في عدة أشياء وصناعات منها، العرجون وهو الذي يحمل حبات التمر والذي يستخدم بعد تجفيف كمكنسة، ومنه يستخلص الزيوان الذي يستعمل في صناعة الأطباق وما يشبهها، كما يستعمل كحطب للتدفئة والطبخ، القلوان وهو الذي يحمل بذور الطلع ويستعمل كسكين لذبح الطيور،

---

[1] – كريكرة جمعة، المقابلة الشخصية السابقة، 2021/07/18

[2] – المقابلة نفسها.

وحطباً أيضا، ونجد أيضا القنينة ويصنع منها الأبواب، آلآت الطبل كالدندون، والطبل والمحمل(النعش) لحمل الموتى، وغيرها...[1]

رابعا-المنتوجات السعفية والأثاث التقليدي المصنوع من النخلة:

1. الصناعات(السعفية) الزعفية:

هي تلك الصناعات التي تجسد بالفعل الموروث الثقافي الشعبي لواحات توات، وهي من الصناعات التي ظلت تصارع وتتحدى الزمن حتى يومنا هذا، في الوقت الذي اندثرت فيه العديد من الحرف الشعبية. وتعتمد هذه الحرفة على الدقة والإتقان ولها حضور غير عادي في البيوت التواتية ومتميزة كونها حرفة نسائية بامتياز، وهذا لا يعني أن الرجل لم يكن يمارسها، ولكن أكثرها ممارسة هي المرأة نظرا للمصنوعات التي معظمها أدوات ذات استخدام منزلي. وهي من أكثر الحرف انتشاراً في واحات توات بشهادة العديد من المؤرخين الفرنسيين من ما ذكره مارتن Martin، وسلكة من أن سكان توات يهتمون كثيراً بصناعة السلال من سعف النخيل والليف وأدوات أخرى مثل التدارة والحصير، والحبال، والعديد من الأدوات التي تستخدم فيها عناصر النخلة،[2]وقد أجرى الباحث قلوم مكي بحثا ثريا جدا أسماه بحضارة النخيل والمنتوجات التي تستخرج منها وصنفها على النحو التالي: وقد صنف الباحث قلوم مكي والأثاث المستخرج من النخلة إلى عدة تصنيفات وهي :

- مواد البناء، ويذكر منها الخشبة والكرنافة وخشبة السلوم، خشبة المنار، وخشبة الكانيف.[3]
-مواد النجارة: الباب محضر الزوايل، الشباك .
- أدوات البناء: الكركور[4]، الحبل، الطرابية، شبكة أرفود الكرناف.
-أدوات زراعية: الفرانة،القف، العدل، شبكة أرفود التمر، الدبش، الغرارة، العقال، الكمامة، اللجام ، حبل رباط الزوايل، الفروة، صمامة الماجن، الخطارة.

---

[1] - مكي (قلوم) ، قراءة في معرض حضارة النخيل، دراسة غير منشورة، 1986، ص-ص 7-8

[2] - A.G.P. Martin ,Les Oasis Saharienne ,1908, Op.cit, p113

ينظر أيضا A. Selka ,Op.cit,p 549

[3] - مكي قلوم، مرجع سابق، ص11

[4] - انظر الملحق رقم (22) ص 410



-الأثاث المنزلي: الحصيرة، الحايل، النشاشة، المكنسة، المطرح، الوسادة[1]، شعالت النار الكسكاس، القنينة، القف، التدارة، والطبيقة، الطبق، المكب، المهرا، وحبل الحاسي، وحبل القربة وحبل الشكوة، عمامة القلة والمروحة.

-أشياء للبس:المظل، النعل

-أدوات رياضية وترفيهية: كرة لفدام،كرة التشكوم، المقلع، الفخ، السيق .

– أدوات جنائزية: النعش، الغسال، الضريح

– أدوات نسيجية: الخشبة والتمضوين.

أ.صناعة السلال[2](القفف):الفقة أو السلة: وهي عبارة عن وعاء مصنوع من سعف النخيل يستعمل الحرفي لصناعة السلال، والحصير مادة السعف الأخضر الذي يؤخذ من جريد النخلة، يحضر السعف الأخضر بعد قطع جريد النخل ينزع منه السعف الأخضر، ويتم تجفيفه وأثناء استخدامه يبلل بالماء الذي يوضع في إناء يسمى القصرية، حيث تنسج القاعدة، وتسمى (تاسنتيت) ثم بعد ذلك يتم نسج عدد من الجدائل أو الضفائر من سعف النخلة، وتكون طويلة بالقدر الذي يكفي لصنع القفة حيث يتم لف هذه الضفائر حتى يصبح للقفة عمق أو ارتفاع يتراوح بين ثلاثين سنتيم وخمسين سنتيم، وقطر تقريبا بنفس المقاييس.

[1] – انظر الملحق رقم (23)، ص411

[2] – جمعة عودالي، مقابلة شخصية، يوم 2021/09/15

وفي المرحلة الأخيرة من النسج تتم خياطة اللفة السفلى مع اللفة الجديدة بخيط رفيع مصنوع من الليف أي الفدام، أو من السعف نفسه، بواسطة مخيط خشبي يسمى"تاسوبلة،"[1]حتى يتم الحصول على شكل القفة، وفي النهاية يوضع للقفة محملين تحمل منهما القفة يصنعان من الليف الذي يتم لفه على شكل حبل، وتخاط واحدة من الجهة اليمنى، والثانية من الجهة اليسرى، كما يوضع في أعلى القفة حاشية مصنوعة من الليف تخاط بها القفة كآخر مرحلة في صنع القفة وبها تنتهي العملية، كما أن هناك أحجام مختلفة للقفة، فنجد الحجم الصغير والحجم الكبير حسب استخداماتها.[2]

- القفة الصغيرة وتسمى في تيدكلت بالتسقات، والقف.

-الفرّانة: وهي قفة صغيرة تصنع من سعف النخلة وتعلق من الأعلى بواسطة خيوط مصنوعة من الليف، تستعمل خلال عملية جني التمر التي تسمى في توات الفرين .

- القلوشة: وهي فقة صغيرة تصنع من سعف النخلة تستعمل لسحب الرمال من الفقارة.[3]

كما يعمل الصانع من أجل إعطاء نوع من الجمالية للقفة بإدخال ألوان على القفة من خلال صبغ مادة السعف بألوان مختلفة، وتصبح القفة جاهزة للإستعمال، وللقفة عدة استخدامات منها:-جمع التمور حيث تستعمل خلال عملية جني التمر فتملأ بالتمر، ويحول بواسطتها من مكان إلى آخر.

- تستعمل أيضا في نقل الرمل والطين والحجارة خلال عملية البناء

- تستعمل في جني المنتوجات الزراعية المختلفة كالخضر والفواكه

- كما تستخدم في تخزين القمح والشعير والحبوب المختلفة

- تستعمل أيضا في الأعمال الفلاحية في البساتين منها نقل السماد(الغبار)ووضعه في القمون.[4]

ب-المظل (القبعة) :

بنفس الطريقة تتم صناعة المظل أو القبعة إلا أن شكله يختلف، فيتم التحكم في الوسائل المستخدمة وتشكيلها حسب المنتوج المراد صناعته، والأمر ينطبق أيضا على صناعة الحصير إلا أن

[1]- تاسوبلة إبرة مصنوعة من الخشب، تستعمل لخياطة لفات الضفيرة. ينظر الملحق رقم(24)، ص412

[2] - جمعة (عودالي) المقابلة الشخصية،نفسها يوم 2021/09/15

[3] - سعيدان (التومي)، مرجع سابق، ص79

[4] - محمد (تامرتي)، مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2020/08/18

شكلها يكون أسطوانيا.وغيرها من المصنوعات الأخرى، ويستخدم الحرفي في توات مادة السعف لوحدها لصناعة بعض الأدوات واللوازم، وفي بعض الأحيان يضيف إليها الليف فيكون أساسيا وأحيانا للتزيين.خاصة عند صناعة (السلال)أو المظل، والحصير. والصناعة باستخدام السعف تعتمد على القيام بنسج ضفيرة أو سفيفة من السعف على شكل جدائل مستطيلة، يختلف عرضها وطولها على حسب المنتوج المراد صنعه.

ج– النشاشة(المروحة): وتستعمل لنش الذباب أو طرده أيضا عند ارتفاع درجة الحرارة لتلطيف الجو.

2.صناعات السعف والزيوان (العذق)

أ.صناعة الأطباق (الطبيقة)[1]:

هي من الصناعات الأكثر انتشارا في المجتمع التواتي، والمتوارثة، هي في الأساس حرفة تختص بها النساء داخل البيوت.

1– **تحضير الزيوان(العذق)**: يؤتى بعذق النخلة المجفف ويتم تفكيكه، وذلك باستخدام اللشفة حيث تبدأ الحرفية بتمزيقه إلى خيوط طويلة، ثم تقوم بإنشاء حفرة صغيرة في مكان مبتل بالماء وكان الموضع المناسب لهذه العملية في البيوت هو المكان القريب من القلة التي يوضع فيها الماء ويردم هذا الزيوان بالتراب، ويرش بالماء، والهدف من هذه العملية تليين مادة العذق حتى تصبح سهلة الإستخدام، وتستطيع الحرفية تطويعه واستخدامه بطرق مختلفة ولا ينكسر أثناء الاستعمال.

2– تحضير السعف: بالموازاة مع تحضير الزيوان تقوم الحرفية بتحضير السعف، وهو الموجود في قلب النخلة أو اللب السالف الذكر وهو النوع الذي يستعمل في صناعة الطباق، فبعد إحضار السعف من قلب النخلة تقوم الحرفية بتجفيفه في الشمس، تقوم بتفكيكه وتجمعه وتضمه إلى بعضه في شكل حزمة صغيرة، وتحفر حفرة صغيرة في مكان به ماء وترد عليه التراب المبتل بالماء وترشه وتتركه لفترة قصيرة وتستعمله أثناء العمل، وهذه الخطوة تجعل السعف لين يسهل استخدامه بمختلف الطرق.[2]

[1]– محمد (تامرتي)، المقابلة نفسها، يوم 2021/09/15

[2]–المقابلة، نفسها.

3- كيفية العمل[1]:

بعد تحضير هذه المواد وتصبح جاهزة للإستخدام تبدأ الحرفية في إنجاز الآنية التي تريد صنعها وبالتالي فإن العمل بالمادتين يكون بالكيفية التالية:

- لصناعة الطبق أول خطوة تقوم بها الحرفية هي:تحضير السعف الذي قلنا في السابق أنها تضعه في حفرة، وترشه بالماء تسحبه من الحفرة، وتضع قليلا منه في إناء به ماء ، وتسحب أيضا الزيوان (العذق)من الحفرة لتشرع في عملية (النسج).

-صنع مايسمى بالتسنتيت (القاعدة)أو العقدة، تشبه الدائرة نصف قطرها أقل من أو يساوي3سم أو يزيد بقليل، ويكون هذا الزيوان على شكله الطويل ثم يلف بالسعف، وتقوم بوضع ثقب باللشفة لتمرر منه السعفة، ثم تسحبه من الخلف ثم تلفه إلى الأمام مرة أخرى، وتقوم أيضا بثقبه مرة أخرى، وتسحبه من جديد من الخلف، وترده إلى الأمام، وهكذا دواليك حتى تتحصل على عدد من الصفوف تسمى" الدور" مشكلة بذلك دائرة وعندما تصل إلى 29 دورا أو أقل تبدأ في عملية الإحناء أو ما يسمى (القلب)لترتفع الأدوار الأخيرة إلى الأعلى، وقد يصل عددها إلى(12)دورا لتعطينا شكل طبق يصلح لعدة إستخدامات [2].

ب.منتوجات السعف والزيوان(العذق):

-(**الطبيقة**):تتم بنفس الطريقة أي بالتاسنتيت (القاعدة) إلا أن القاعدة تكون ب 9 أدوار ويكون قطر الدور بمقاسات مختلفة، وقد يتعدى نصف القطر فيها 1سم، بينما قطر القاعدة يصل إلى 16سم أو17سم وهنا تبدأ الحرفية في الصعود تدريجيا في نسج الأدوار، وتقوم بالإحناء في كل مرة باللفات إلى أن تصل إلى شكل مقعر، وتأخذ شكل الصحن. وهذا يكون في الطيبقة الأكبر حجما والتي تخصص في كثير من الأحيان إلى تغطية حصن (الماعون) المعروف في نواحي توات الذي يحمل طعام عشرة أشخاص.

- التدارة[1]: وهي عبارة عن ما يشبه الإناء ذو الغطاء يتم صناعتها بنفس الطريقة التي تصنع بها الطبيقة من الزيوان وسعف النخلة، بالأدوار، وهي بأحجام وأشكال مختلفة، وتقوم الحرفية

---

[1] - عودالي مبروكة، المقابلة السابقة يوم2021/09/15

[2] - فاطنة (كريكرة)، مقابلة شخصية بمنزلها، يوم 2021/07/18

باستخدام ألوان مختلفة لتزينها، ورونقتها واستعمال مادة نباتية تسمى محليا بأزلاف بعد صبغه بألوان مختلفة وأيضا الشركة، وهي الجلد المصبوغ وتتم زخرفة التدارة برسم رموز معروفة لها أشكال متنوعة منها(الخامسة-المخلب)وأكثر الألوان استعمالا اللون الأحمر، والأخضر والأصفر، والأحمر الارجواني واللون البنفسجي،وللتدارة استعمالات عدة منها:

-تستخدم التدارة عادة لتخزين والحفاظ على السفوف وهو أحد المواد الغذائية المصنعة أيضا منزليا من التمر اليابس بعد تكسيره ونزع نواه يتم دقه، الرقيق منه يسمى سفوفا والمسحوق منه يسمى أنغاد .

-تستخدم بعض التوادير الصغيرة الحجم لوضع البخور لأجل الحفاظ عليه من الإندثار .

-المكب: يصنع هو الآخر من السعف والزيوان، ويستخدم لتغطية الطعام الموضوع في القصاع

-الكسكاس:[2]وهو يشبه الوعاء يستخدم لطهي الكسكس بعد صنعه عبر ما يسمى محليا بالتبركيش، ويصنع الكسكاس بنفس الطريقة المذكورة في صناعة الطبق، إلا أن الفرق بينهما يكمن في أن الكسكاس في أسفلة فتحة، فعند الصنع تترك الحرفية فتحة في الأسفل بدل القاعدة، وتنطلق منها ويكون القطر صغيراً، ويبدأ في الإتساع كلما كلما صعدت إلى الأعلى بالنسيج وبالتالي يكون ضيقاً في الأسفل ومتسعا في الأعلى، والكسكاس أنواع حسب استخداماته، فإذا استخدم لطهي الطعام القليل يكون حجمه صغيراً، وهذا للإستخدام اليومي أما إذا استخدم مثلما يقال محليا تغريد الطعام أي تعريضه للبخار على النار فيكون حجمه كبيراً، ويستعمل عادة في المناسبات الكبيرة.[3]

-غطاء الغموسة: والغموسة هي قدر مصنوع من الطين مخصص للطهي، لكن غطائها مصنوع من مادة الليف والسعف، ويصنع بنفس الطريقة السابقة لصناعة الطبق، ويساعد في الحفاظ على نظافة الأكل وبقائه ساخنا.[4]

---

[1]- ينظر الملحق رقم(20)، ص408

[2]-ينظر الملحق رقم (20)، ص408

[3] - حليفي الوهراء، المقابلة السابقة.

[4] - سعيدان (الحاج التومي)، مرجع سابق، ص77

3- صناعات الليف (الفدام)[1]:

– **صناعة الحبال**: يصنع الحبل من مادة الليف، وبأحجام مختلفة منه الحبل الغليظ والرقيق الشبيه بالخيط والحبال عدة أنواع بحسب استخدامها فنجد:

-الحبل العادي: وهو الحبل الذي يستخدم لحزم الأشياء أو ربطها

– **حبال النخلة**: وهي الحبال التي تستخدم للصعود إلى النخلة والنزول منها في حالات جني التمار أو الضكار(التلقيح)، ويكون حبلا غليظا متينا، فيتم شده بالكرناف ليتجنب الصاعد السقوط.

-لمرار: وهو حبل مصنوع من مادة الفدام يستعمل أثناء عمليي صيانة الفقارة، حيث يربط في قفة تسمى القلوشة، وتسمى أيضا بالكركورة، بهدف استخراج الرمل والحجارة من الفقارة، ويستعمل أيضا لربط الجمل.[2]

– **لعقال**: يعقل به الجمل أي يربط ركبة الجمل مع الساق

– **صناعة الغرارة**:[3] من أبرز الصناعات التي يستعمل فيها الليف، وهي في الأساس عبارة عن ما يشبه القفة أو الكيس لكنها تكون مستطيلة الشكل مفتوحة من الأعلى والأسفل أي أنه ليس لها قاعدة من الأسفل، وطريقة صناعتها تشبه النسيج، حيث تحضر حبال من الليف تكون عبارة عن خيوط منسوجة، ويحتاج الحرفي لصناعة الغرارة، بالإضافة إلى الحبل الأوتاد وعددها أربعة يثبتها في الأرض على شكل مستطيل، ويقوم بعملية النسج بتمرير هذه الخيوط على شكل طولي، ثم يمرر مرة أخرى الخيوط على جهة العرض ليشكل بذلك قطعة منسوجة مغلقة من الجانبين ومفتوحة من الأعلى والأسفل توضع على ظهر الحمير، وعلى الرغم من أنها مصنوعة لحمل الرمل وروث الحيوانات، وغيرها إلا أنها مفتوحة لذلك فأنه عند استخدامها تطوى من الخارج إلى الداخل ويلتقي الجانبين مع بعضهما البعض على ظهر الحمار مما يحول دون سقوط الحمولة، وعندما يريد مستعملها إفراغها يدفعها مباشرة نحوى الأرض من إحدى الجهتين اليمنى، أو اليسرى فتسقط ،ثم يقوم بعد ذلك بنفضها ليسقط ماعلق بها من بقايا المنقول.[4]

---

[1] – الحاج سالم (صرندي)، مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2019/12/15

[2]– سعيدان(الحاج التومي)، مرجع سابق،ص74

[3]– ينظر الملحق رقم(21)، ص409

[4] – الحاج سالم(صرندي)، مقابلة شخصية، بمسكنه، يوم 2019/12//15

يرتبط بهذه الصناعة حرفة منتشرة بشكل كبير، وهي حرفة النقال، ويقوم بها شخص يدعى أمطواي، فمهمته هي نقل الغبار من المراحيض التقليدية المعروفة خلال هذه الفترة من القرن التاسع عشر، أو من زريبة الحيوانات أوما يسمى(التقمي، أو التكمي)باستخدام الحمير، ويتوجه بها إلى البساتين لتستخدم كسماد في الزراعة.[1]

صناعة كركور الفدام:[2] وهو شبيه الغرارة، يصنع من عصى الجريد ويغلف بالفدام، ويستخدم لحمل الطين المعجون والحجارة الذي يستخدم في البناء (الشرطان: ازقاقير لفدام).

صناعة المساحة:أو الممسحة وتصنع من الفدام حيث تؤخذ الخيوط المتينة من الليف وتجمع مع بعضها، ويكون بسمك قبضة اليد، وتلف في الأعلى بخيط لفدام وتمسك جيدا، وهي بمثابة فرشاة تقليدية، تستخدمها النساء لتنظيف الرحى التي تطحن الحبوب الجافة مثل القمح والشعير والبشنة فبعد الانتهاء من عملية الطحن تقوم بمسح الرحى بواسطة المساحة من ما علق بها من دقيق أو غيره.[3]

صناعة الدنابة: تصنع من الليف وتستعمل في دبش الحمار.

صناعة المكانس: تصنع من الليف حيث يجمع بعض الليف مع بعضه ويربط بعصى الجريد ويشد بشكل جيد، وتستخدم لتنظيف المنازل والمساجد وأماكن الجلوس

صناعة لملمة: وهي وسيلة تستخدم وتساعد في دق، وتهشيم التمر والنوى الموجه كعلف للحيوانات، تستعمل لمنع ما يراد تكسيره من التبعثر والتطاير على الأرض، وتصنع بواسطة الليف الذي يجمع ويشكل منه ما يشبه حزام ذو سمك غليظ، يلف بعد ذلك بواسطة القماش ليعطي شكلا دائريا، بحيث يوضع فوق الحجرة المخصصة للتكسير ويوضع فيها بعد ذلك نوى التمر، ويتم الدق بواسطة حجرة صغيرة.[4]

الحوية: تصنع من الليف وتوضع على الجمل لحمل الأشياء، حيث تثبت على ظهر الجمل وتمسك بالكتان(يصنعان من الكرناف أو عود أقار أو الفرسيق أو التلا)حتى لا تسقط الحوية.

---

[1]– المقابلة نفسها

[2]–انظر الملحق رقم22، ص410

[3] – هندي الزهرة، مقابلة شخصية، بمنزلها، يوم 2021/03/20

[4]– جمعة (عودالي)، مقابلة شخصية، بمنزلها،يوم 2021/09/15

صناعة الصمامة: وهي بمثابة غطاء تصنع من الليف مثل الكرة الصغيرة، وتستخدم لتغطية الجرة أوالقلة التي بها الماء. وصناعة صندوق التافسوت،[1] النشاب[2] الضركة.[3]

4.مصنوعات الجريد:

يقصد به المواد المصنوعة من الجريد وهي كثيرة، ومتعددة في توات، وقد تختلف المسميات من منطقة إلى أخرى منها:

صناعة الأفراق: ويقصد به محليا ذلك الجدار المصنوع من الجريد وهو بمثابة مانع أو حاجز لمنع زحف الرمال نحو البساتين والمنازل، حيث يرص الجريد بشكل جيد في المناطق التي تأتي منها الرياح المحملة للرمال، خاصة حيث يوجد العرق.[4]

صناعة عصى المكنسة: وهي العود الذي تشد به المكنسة المصنوعة من الليف.

عصي التمضوين: وهي تلك العصي التي يمسك بها المنسج التقليدي أو الأعمدة التي يشد بها وتكون عمودية.[5]

صناعة خشبة المنسج: والخشبة التي يلف عليها السدى من الأعلى، ويلف عليها النسيج من الأسفل وحُرِّفت تسميتها محليا وتنطق القشبة.[6]

صناعة الزريبة: وهي عبارة عن مأوى لمن ليست له القدرة على بناء مسكن، وتصنع من جريد النخلة، حيث يؤتى بالجريد الجاف ويوضع على شكل جدار، ويربط بأحبال من مادة الفدام وتوضع له قواعد أو دعائم من خشب النخلة، ويوضع لها سقف من السعف أيضا.

صناعة الفخ: ويسمى في بعض الجهات من توات بالقوس، يصنع من الزيوانة، بينما تصنع شبكته من سعف النخلة يستخدم لصيد الطيور، و لإبعادها عن المحاصيل الزراعية لكي لا تفسدها

---

[1] – ويستخدمه الفلاحين لإخفاء سنبلة التافسوت عن الطيور لمنع ضياعه

[2] – وهو عبارة عن خيط تقذف أو ترمى به الحجارة، ينظر الحاج التومي سعيدان، مرجع سابق، ص70

[3] – من الليف وتستخدم لربط الدواب حتى لا تهرب، وصناعة لكمامة، و الشبكة التي تستخدم لنقل التمر، ينظر الحاج التومي سعيدان، نفسه، ص70

[4] – الحاج سالم صرندي، مقابلة شخصية، بمسكنه ، يوم 2019/12//15

[5] – جمعة(كريكرة)، مقابلة شخصية بمنزلها بتاريخ:2021/07/18

[6] – المقابلة نفسها

ويصنع منها أيضا المنداف، وهو آلة أو فخ لصيد الجراد، وفي نفس الوقت مطاردته وإبعاده عن المزروعات مخافة ضياعها.[1]

صناعة الميزان: يتكون الميزان عادة من كفتين هاتين الكفتين تصنعان من سعف النخلة، ثم العصا التي تمسكهما تصنع من عصا الجريد بعد أن ينزع منها الجريد اليابس. وتوصل كل كفة بالعصا من خلال ثلاث حبال.ويستعمل الميزان في الكيل ووزن المحاصيل الزراعية المختلفة وعلى رأسها القمح والشعير.[2]وصناعة عصا كيل الماء التي يستعملها الكيال عند غياب الزمام، ليمسك بها حساب كل قسمة، والأغيول[3]، وعود المغزل،[4]وعصا القامة[5]، والحَمَّارة[6]، وعود الملفوف وهو الشوكة التي يلف عليه الملفوف، المكون من كبد الغنم، بعد لفه بالشحم، حيث يمسك بهذه الشوكة حتى يشوى على النار.

صناعة الدبش: وهو الذي يوضع على ظهر الحمار، لحمايته من الإصابة بجروح عند حمل الأثقال، ولتثبيت الغرارة جيدا فوق ظهره.

المبحث الثاني:حرفيو الفخار، والحجارة، والحدادة ، والنجارة، والصياغة(النقارة)

تعتبر صناعة الطين أو صناعة الفخار من الحرف القديمة التي عرفها إقليم توات وتعود إلى عصور ما قبل التاريخ، فقد تم العثور على قطع من الفخار تعود للعصر النيوليتي في بعض المناطق من الإقليم،[7]وهي من الحرف التي فرضتها طبيعة المنطقة الصحراوية، وذلك نظرا لتواجد مادة الطين والتي تعتبر مكونا أساسيا وعنصرا مهما في حياة الفرد التواتي إذ تلازمه هذه المادة في كل مكان فمنها مسكنه الذي يبنيه ، ومنها المسجد وكل المرافق العمرانية التي يحتاجها فهي المادة الأولى والأساسية في كل ذلك، والحصول عليها سهلا، وهي في متناول الغني والفقير، ولذلك استخدمت

---

[1] -الحاج التومي سعيدان، مرجع سابق، ص79

[2] -أنظر الملحق رقم(42)، ص430

[3] – وهو وسيلة لنقل مواد البناء كالطين المعجون

[4] – وهو ذلك العود الصغير الذي يستعمل في عملية غزل الصوف والذي تلف عليه الصوف بعد غزلها، ويصنع من عود الجريد

[5] – وتصنع عصا الجريد بعد نزع الأوراق منها ويبلغ طولها حوالي مترين وتستعمل للقياس في تقسيم الأراضي

[6] – وتستعمل لتعلق عليها القِرب وتصنع من عصي النخلة.

[7] – محمد بن سويسي، دراسة المجموعات الأثرية لمتحف أدرار وجردها، طبع الجاحظية، 2003، الجزائر، ص7، ينظر أيضا مقتنيات متحف جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار، مقر مسرح الهواء الطلق أدرار.طريق الجامعة.

لصناعة العديد من اللوازم، والأدوات المنزلية، وقد دلت الأواني الطينية المختلفة الموجودة في متحف الولاية على قدم هذه الصنعة حيث عثر على أدوات ذات استخدامات مختلفة مصنوعة من الطين نستطيع من خلالها معرفة مميزات الفخار التواتي، حيث تظهر خصائص المصنوعات التواتية وما يميزها عن غيرها، وكذلك المنتوجات المستوردة، ومدى الاختلاف بينها.كما فرضت الطبيعة الصعبة لتوات على التواتيين صناعة الرحي من الحجارة وكل ما يحتاجونه، وانتشرت الحدادة والنجارة، وصناعة الفضة في جل قصور توات، فما هي مميزات هذه الحرف وأهمتها في المجتمع؟

أولا:صناعة الفخار في حواضر توات وخصائصه:

تعتبر مناطق توات مناطق غنية بمادة الطين فقد استخرج التواتيون الجير وملح البارود[1] والملح الصخري من سبع ولقرارة،[2]وملح الطعام، وكانت تتم المتاجرة بهما،[3]وكانت تستخرج من السبخات الموجودة في عدة جهات خاصة سبخة قورارة الواقعة في شمال الإقليم، كما تتوفر هذه السبخة على كميات هائلة من الطين، وهو ما دفع سكان المنطقة للإشتغال بصناعة الأواني الفخارية، وبخاصة سكان قصر كالي بمقاطعة أولاد سعيد التي اشتهرت بهذه الصناعة، وكانت مناجم الجبس والجير تقع بالقرب من تيميمون،[4]غير أن هذا لا يعني أن كل القصور تتوفر على حرفيين أو محلات لصناعة الفخار، إذ اشتهرت بها مناطق دون غيرها سواء في حاضرة توات أو قورارة أو حاضرة تيديكلت، وفي توات عرفت تمنطيط بهذه الصناعة واشتهرت بالفخار الأسود وهو من أجود أنواع الفخار.

أشتهرت بودة بهذه الصناعة أيضا ولا تزال إلى اليوم تشتغل بها بعض النساء خاصة في صناعة أفران الخبر أو ما يسمى محليا بالأنور، وكذلك قلة أو جرة الخبز، وكذلك بالنسبة لبعض قصور قورارة وتيميمون، خاصة قصر كالي. وما يلاحظ هو قلة المعلومات حول هذه الحرفة في المصادر سواء المحلية أو الفرنسية، التي لا تتعدى في أكثر الأحيان الإشارة إلى وجودها دون التفصيل فيها، أو وصفها على الأقل.

---

[1] - A.G.P. Martin: Op.cit, p 389

[2] - Bissuel: Op.cit. p-p 28-61

[3] - محمد عبد العزيز(البلبالي)، غنية المقتصد، تح، مرجع سابق، ص197

[4] - فرج محمود فرج ، مرجع سابق، ص 73

تعتبر هذه الحرفة بسيطة جداً لا ترقى إلى تلك الموجودة في مدن الشمال، إذ لم تعرف تطورا في وسائل العمل أو حتى في الأواني المصنوعة، فمن الناحية الجمالية لم تكن بتقنية جيدة، ولم تعرف أي تغيير حتى خلال القرن العشرين، فيكف كان حالها في القرن التاسع عشر، بالطبع لم تكن في أحسن حال، وإلا لكانت وصلتنا معلومات عنها على الأقل، واقتصرت على بعض المنتوجات ذات الاستعمال المنزلي، مثل القسري، والغلوس، والقداح،[1]كما أشار (G.champeaux) إلى أواني المطبخ التواتي واصفا أياها بقوله:"هي جد بدائية وتتكون من بعض الأوعية والأطباق، الخشبية والنحاسية أو الفخارية، الصحون غير معروفة وكل شخص يأكل بيده، وأحيانا ملاعق خشبية، والكل يشرب الماء من نفس الإناء، وتوجد بعض الأواني من الحديد الأبيض أو من الفخار جاءت بها القوافل التجارية."[2]وبالتالي فإن الأواني المصنوعة محليا لم ترق لتلك المصنوعة في مناطق الشمال.

فالوسائل المستعملة في الصناعة المحلية لا تتعدى الأيدي، والمادة الأولية المتمثلة في الطين الأحمر خاصة، ويظهر من خلال محتويات الموجودة بمتحف جمعية الأبحاث التاريخية أن هناك صنفين من هذه المنتوجات المحلية الصنع، والمستوردة. وما يميز المحلية البساطة، والخشونة واستخدام الطين الأحمر بصفة خاصة، وخلوها من الزخارف، وسهلة الكسر باستثناء بعض الخطوط والنقاط، وأما الصنف الثاني فهي المستوردة أو المجلوبة من خارج المنطقة سواء من الشمال أو من بلدان افريقية، ومصنوعة من مادة الفخار لون أخضر أو أصفر.[3]وما ميزها ومعظمها زيور لحفظ الماء.

أ– أنواعه

1–الفخار الأسود:هو نوع من الفخار يحمل اللون الأسود،وهو من الصناعات القديمة التي عرفت منذ القديم في بعض دول العالم منها اسبانيا والصين، وقد ظهرت صناعة الفخار الأسود في الصين بقرية صغيرة تسمى(تانغدوي) تابعة لبلدة نيشي محافظة شانغريلا بمقاطعة يوتيان جنوب غرب الصين، وتتميز هذه القرية بصناعة الفخار الأسود الذي يعود تاريخه إلى ما قبل أكثر من

---

[1] - A.Salka, Op.cit, p549

[2]- G.Champeaux, Op.cit, p45

[3] – محمد(بن سويسي)، دراسة المجموعات الأثرية، نفسه، ص32 ينظر أيضا، عائشة بلامة مرزاية، المهن والحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة ادرار، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي محطة الأبحاث والتجارب الفلاحية بأدرار،2007 ص14، ينظر أيضا أنظر أيضا مقتنيات متحف جمعية الأبحاث التاريخي لولاية أدرار، مسرح الهواء الطلق أدرار.

(2000سنة)، وقد تم اكتشاف هذا النوع من الفخار الأسود في الحفريات الأثرية، في مناطق مجرى نهري جيتشا ولانتشانغ.[1]كما اشتهرت أيضا قرى بالبرتغال وإسبانيا بصناعته، ويعتمد فيه على قوة البخار المتصاعد من حرق الأخشاب، هذه التقنية التي طورها، أجدادهم، لقيت إقبالا وطلبا على هذا النوع من الفخار الأسود التحفة.

في إطار البحث عن تاريخ هذا النوع من الفخار الذي كان يصنع في تمنطيط ولا يزال بطرق تقليدية، عثرنا على الكثير من بقايا هذا النوع من الفخار مستخدمة في فتحات الفقل في القصور القديمة في تمنطيط، وعند التدقيق لاحظت أن هذه البقايا من الجرة الطينية التي كانت تستخدم لحمل الماء وحفظه، أو تلك التي كانت تستعمل لطهي نوع من الخبز يسمى(خبز القلة)،[2]وفي مقابلة أجريتها مع إحدى الحرفيات، اتضح أن اللون الأسود الذي يميزه هو لون طبيعي يتم الحصول عليه بإضافة (التاقة)ويقصد (بها نخالة القمح والشعير)، والبرومي(حشيش القمح والشعير، المجفف)، إلى الحطب أثناء تعريض الأواني الطينية للحرق فتأخذ لون أسود طبيعي لكنه غير براق، وأحيانا لون أحمر ممزوج باللون الأسود، وهو في الحقيقة لونا جميلا جداً. وقد طور الحرفيون في تمنطيط طريقة بسيطة، وتقليدية لإعطاء الفخار نظرة أكثر جمالا ورونقا، ولمعانا باستخدام أدوات بسيطة منها قلم الرصاص.[3]وأصبحت منتوجاتهم تقتصر على أدوات التزيين المنزلية ذات الحجم الصغير، وقد تحولت جل الحرفيات إلى صنع هذا النوع من الأدوات الطينية. وتتوفر تمنطيط على نوع من الطين الأصفر الأكثر استعمالاً، وكذلك الطين الأحمر، ويفضل نوع من الطين هو الأحمر الفاتح. وأحيانا تكون ممزوجة باللون الأبيض، وهذا النوع غير متوفر، و كان يصعب الحصول عليه لأنه يجلب من نواحي فنوغيل، والنوع الجيد من الطين هو الخالي من الملح، ويجب أن لا يكون هش.

أما طريقة عجن الطين وتحضيرها فهي نفسها التي تستعمل مع الفخار الأحمر والتي سنوضحها لاحقا، والفرق الوحيد هو في ما يضاف من مواد أثناء عملية الحرق ليأخذ اللون

---

[1]– عنود(القبندي)، الفخار الأسود: أصوات الموسيقى تتناغم مع أصوات الطين الصلصالي :مجلة بيئتنا العدد129إلكترونية موقع: http//www.beatona.net

[2] –زيارة ميدانية للقصر القديم بتمنطيط، بتاريخ 2021/06/21

[3] – جمعة(بلحاج)، حرفية بجمعية المحافظة على التراث للفخار الأسود، صناعة الفخار، مقابلة،مقر الجمعية تمنطيط، يوم 2021/03/4

الأسود، واستخدام القالب.[1] وقد اشتهرت بهذه الصناعة العديد من العائلات منها: عائلة موساوي الحاج عبد الله، وعائلة بن علي، وعائلة الطيبي، وعائلة بلحاج التي لاتزال مستمرة ومحتفظة بهذ الحرفة التي ورثتها أبا عن جد، والوالد المرحوم بلحاج الهاشمي من مواليد 1948م، الذي كان له الفضل في استمرار هذه الحرفة.[2]ويستخدم في هذا النوع القالب الذي يبدوا أنه قد ظهر فقط مع دخول الإستعمار، وقد استخدم في هذه الأواني لأنها صغيرة ومخصصة للتزين وليس للأستعمال، والقوالب أنواع حيث يصنع لكل آنية قالب خاص من الكلس، مثلا الكأس أو المبخرة، ويتكون القالب من دفتين.

2–الفخار الأحمر:وهو الفخار العادي والأكثر استخداما يصنع من الطين الأحمر، ومنتوجاته تكون باللون الأحمر الفاتح جدا. ويتم تصنيعه عبر المراحل التالية:

ب– مراحل وكيفية الصنع

1–تحضير الطين: ويتم بالتوجه إلى المطاين مكان تواجد الطين حيث يتم تكسير قطع الطين الكبيرة، والتي تحتاج إلى جهد كبير بدني وعضلي، وتحمُّل معانات نقله إلى مكان العمل، حيث تحمل قطع الطين على الحمير.توضع في أخابي لتخميرها لمدة أربعة أيام أو أكثر بعد إحضار الطين يتم تكسيرها وغربلتها ليسقط منها التراب، وكل ما علق بها من شوائب التي قد تؤثر على جودة المنتوج، بعد ذلك يوضع الطين في ما يسمى محليا أخبي هو إناء كبير أو أحواض خاصة، ويبلل الطين والماء ويترك لفترة زمنية حتى تتحلل[3]، ثم تأخذ الطين المصفاة وتفرش وتترك في الشمس ليتبخر منها الماء، والطين أنواع وهي[4]:

– الطين الصفراء: l´argile jaune توجد بكميات كبيرة

– الطين الحمراء(l´argile rouge)توجد بكميات كبيرة

– الطين البيضاء(l´argile blanc)توجد بكميات قليلة

---

[1]– جمعة(بلحاج)، المقابلة نفسها.

[2] – صفية(بلحاج)،حرفية بجمعية المحافظة على التراث للفخار الأسود، صناعة الفخار، مقابلة، مقر الجمعية تمنطيط ، يوم2021/03/4

[3]– الحاج سالم (الصرندي)، من مواليد 1934، حفيد أحد الحرفيات القديمة في تسابيت، مقابلة، يوم 2019/12/15

[4]– مقدم(مبروك)، مرجع سابق، ص 73.

- الطين الخضراء تستعمل للغسيل وتبييض الأضرحة، وطين البرزات تستعمل للملابس الصوفية المخزنة لحمايتها من الحشرات والتآكل.[1]

2–عجن الطين: ما يميز صانع الطين التواتي هو أنه يستعمل مسحوق طين الأواني الطينية القديمة غير المستعملة، حيث يتم تكسير هذه الأواني القديمة وتدق، وتطحن بواسطة الرحي حتى تصبح هبرة ويسمى محليا "التفون" وتخلط مع الطين أو مع عجين الطين، ويمزج ويخلط الطين جيدا بعد إضافة الماء للحصول على عجينة متماسكة، وبعده تصبح صالحة للإستعمال.[2]

3– طريقة العمل

تعد المرأة العنصر الأساسي في هذا النوع من الصناعات وتختص النساء أكثر من الرجال بصناعة الطين، لذلك فإن طريقة الصنع بسيطة تقوم المراة بتشكيل الآنية التي تريد صناعتها، فإذا أرادت صناعة إناء لشرب الماء تستعين بإناء يشبهه تقلبه من الخلف، وتضع علية الطين لتصنع القعر تم تنزعه، وتواصل العملية، وذلك بأخذ القليل من الطين ونقوم بتدليكه حتى يصبح عبارة عن شريط تلصقه على القطعة الأولى وتلفه، وتستمر في ذلك حتى تتحصل على الشكل الذي تريده للإناء أو ما يسمى أكبار وتضع له قبضة اليد أوما يسمى محليا "العروة "[3]وبنفس الطريقة تصنع القلة والكسكاس والقدرة والقسري وباقي الأواني الطينية، وبالتالي تعتمد هذه الصناعة على اليد وفقط فليس هناك وسائل مثل العجلة التي استعملت في مدن الشمال،كما أن هذه الأواني تحمل زخرفة بسيطة تكون عبارة عن خطوط متوازية أو خطوط منكسرة، أونقاط توضع على الآنية قبل أن تقوم بحرقها.[4]

بعد مرحلة التصنيع تأتي عملية التجفيف، حيث توضع الأواني المصنوعة في مكان مشمس حتى تجف وقد تستغرق العملية أياما، بعدها يتم فرز هذه الأواني حيث أنه نظرا لكون مادة الطين المستعملة غير معالجة بشكل دقيق قد تتعرض بعض الأواني إلى التشقق أو التكسير بسبب المواد والشوائب العالقة بالطين، فتؤخذ الأواني الصالحة لتدخل المرحلة الأخيرة، وتسمى محليا عملية الإحماء وهي عملية الحرق، حيث تعرض هذه الأواني للحرق بالنار، بحيث يقوم الحرفي أو الحرفية

---

[1]– سعيدان (الحاج التومي)، مرجع سابق، ص 91

[2] – بلحاج(جمعة) المقابلة الشخصية نفسها، يوم2021/03/4

[3] – الحاج سالم (لصرندي)، المقابلة نفسها.

[4] – المقابلة، نفسها.

بإنشاء حفرة بعمق معين ويوضع فيه الحطب ويشعل فيه النار، وبعد إطفائها توضع فيه الأواني المصنوعة بطريقة منظمة، ثم تشعل النار بعد إحاطة الحفرة بالنار، وبعد هذه العملية تستخرج الأواني، لتقوم بالعملية الأخيرة، وهي وضع الآنية في الماء للتأكد من جودتها، لأن الماء سيظهر ما إذا كانت جيدة ومتماسكة، وأن عملية الحرق تمت بشكل جيد أو العكس لأنها ستتشقق وتنكسر، وبعد التأكد من جودة الأواني تصبح صالحة للإستعمال والبيع.[1]

ج. المصنوعات الطينية:

– **القدر**: والقدر بالكسر إناء يطبخ فيه الطعام، يصنع بأحجام مختلفة منها ذات الحجم الصغير وهي للاستعمال اليومي، والحجم الكبير يستعمل عادة في المناسبات مثل الأفراح أو الأقراح .[2]

– **الطجين:**[3] هو آنية مخصصة لطهي الخبز، والراضي بتيديكلت (خبز صغير دائري الشكل)

– **الكسكاس**: ويسمى الكسكسو في بعض جهات توات، هو مثل القدر مصنوع من الطين لطهي الكسكس وعمله مرتبط بالقدر حيث يوضع فوقه، لذلك يوجد في أسفل الكساس فتحة صغيرة تسمح بصعود البخار إلى الكسكس لتتم عملية الطهي، وبالتالي فهناك أحجام مختلفة باختلاف أحجام القدور، الصغير والكبير.

– **الصحون**: وتسمى الطبسي، وهي أواني منزلية تصنع من الطين يوضع فيها الطعام ومنها القصعة وتصنع بأشكال وأحجام مختلفة.

– **الطاس أو الغراف**: ويسمى، في تيديكلت الغلوس[4]وهي الإناء المستعمل لشرب الماء والحليب وجميع المشروبات ومنه الكبير والصغير، وفي هذا يقول السيد الحاج سالم صرندي من مواليد النصف الأول من القرن العشرين، أنه يذكر أن جدته كانت تصنع كؤوس لشرب الشاي من الطين في تسابيت.[5]

[1] – صفية (بلحاج)،حرفية بجمعية المحافظة على التراث للفخار الأسود، صناعة الفخار، مقابلة، مقر الجمعية تمنطيط، يوم 2021/03/4.

[2]– ينظر الملحق رقم(27)، ص415

[3] –الحاج سعيدان (التومي)، مرجع سابق، ص90

[4] – الحاج سالم (صرندي)، المقابلة نفسها، ص 89

[5] – مقابلة، نفسها، 2021/12/15

– **القلة**:هي إناء الماء تصنع من الطين ونحوه، واللفظ فصيح في مهناه ومبناه جاء في اللسان القُلة الحُب العظيم، وقيل الجرة العظيمة وقيل الجرة عامة، وقيل الكوز الصغير، والجمع قلل وقلال وقيل هو إناء للعرب كالجرة الكبيرة.[1]

– **البقبق**: وهو إناء مصنوع من الطين لحمل الماء وحفظه.[2] يشبه الجرة إلا أن شكله يختلف فهو طويل الشكل نوعا ما له فتحتان من الاعلى واحدة صغيرة، والأخرى كبيرة وله قاعدة صغيرة من الأسفل، وتكون قاعدته صغيرة ويتسع عرضه في المنتصف ثم يضيق من الأعلى حتى يغلق كلية من الأعلى وتوضع له الفتحتان على الجانب ليصب منهما الماء.

– **القَلاَّل**: ويسمى الطبل وهو من الأدوات المستخدمة في الطبوع الغنائية المحلية في إقليم توات فلا توجد إيقاعات محلية لا يستخدم فيها القلال أو الطبل ويسمى حاليا(الدربوكة)، ويتشكل من رأس دائري وطول يصل إلى خمسين سنتيم حيث يمسك منه عند الإستعمال وكذلك إذا كان حجمه كبيراً يربطه الطبال في خصره بواسطة حزام حتى يسهل الضرب عليه، وهناك الصغير الذي يمسك باليد فقط ويختلف بحسب النغمة المراد الحصول عليها وكل نوع له مهمة وتسمية، فنجد الرباع، المخالف، وصاحب الاثنين، والوحدة، ويستخدم الطبل في المناسبات المختلفة خاصة الأعراس والزيارات ومناسبات الفرح المختلفة.

– **القسري**: وهو صحن كبير الحجم، قد يصل قطره إلى ثلاثون أو أربعون سنتيم تستعمله النساء في فتل الكسكس(العيش) بمختلف أنواعه وكذا المردود (ويسمى البركوكس) في بعض الجهات كما يستعمل لتفتيت الكسكس بعد طهيه، وتسمى محليا "التفوار" بمعنى تعريضه لبخار الماء المغلى بعد وضعه على قدر به ماء وإشعال النار وتركه لمدة معينة ثم ينزع، ويقلب في القسري لتبدأ عملية التفتيت. ويستعمل لتبريد الطعام.[3]ومنه أيضا القسرية وهي شبيهة القسري المذكور سابقا إلا أنها أقل منه حجما، وتخصص لوضع الطعام للأفراد، وهي من أحجام على حسب عدد الأشخاص الذين تقدم لهم فتكون من قسرية لعشر أشخاص إلى أقل أي ستة أفراد أو ثمانية أو

[1] –أحمد ابا الصافي(جعفري)، مرجع سابق، ص193.

[2] – نفسه، ص375

[3] – حليفي الزهرة، مقابلة شخصية بمنزلها، يوم2021/01/01

أقل من ذلك، وبعض هذه القسريات لها قاعدة ترفعها عن الأرض من الأسفل.أيضا قسرية الحط التي يوضع فيها المرق بعد نزعه من القدر.[1]

- المبخرة أو البخار[2]:

وتصنع من الطين، وتخصص لوضع البخور في البيت، وتسمى البخارة، وتستعملها النساء أيضا لتعطير ملابسهن وتقديمها للنساء الزائرات أو الضيفات، وتستخدم أيضا في الأعراس حيث تقدم للنساء للتعطر، ويوضع فيها الفحم الذي يستخلص عادة من نبات يسمى الكرنكا، بعد حرقة فيصبح سهل الاشتعال، وفي حالة استعماله يعاد إشعاله ثم يوضع عليه البخور، المصنوع أيضا محليا.[3]

- المجمر:وهو آنية مصنوعة من الطين يستخدم لطهي الشاي عادة، وخفيف وسهل الحمل يتنقل به من مكان إلى مكان خاصة في البساتين شكله دائري مقعر، ويرتفع عن الأرض بقاعدة من الأسفل يصل طولها إلى(20سم) أو أكثر، يوضع فيه الفحم من الأعلى بعد أن توقد فيه النار يصبح جمرا للطهي.[4]

- الأنور: أو التنور عند عرب المشرق العربي، وتنطق الأنور في توات هو: أنية مصنوعة من الطين أو لنقول فرن من الطين مخصص فقط لطهي نوع خاص من الخبز يسمى "خبز الأنور" وشكله يشبه الصحن الكبير إلا أنه مقعر من الداخل، وله ارتفاعات مختلفة بحيث يسمح الإرتفاع بمكان لوضع الحطب ومساحة لوضع عجين الخبز الذي يلصق بالحواشي، ويعتبر الأنور من صنع محلي صرف إذ يصنع من الطين الأحمر، وقد اختصت بعض المناطق بصناعته خاصة بودة، وقصور رقان نواحي سالي وقصور تيميمون، ويصنعه الرجال و تبدع النساء أيضا في صناعته ومنهم السيدة من قصر بودة التي عرفتنا على طريقة صناعته، وللتنور تاريخ إذ تنتشر صناعته في منطقة الخليج العربي خاصة العراق.[5]

---

[1] - سعيدان (التومي)،مرجع سابق، ص 89

[2] - بلحاج صفية، المقابلة السابقة، يوم 2021/0/04

[3] - المقابلة نفسها.

[4] - الحاج سالم (صرندي)، المقابلة السابقة، يوم 2021/12/15

[5] - الحاج سالم (صرندي)، المقابلة نفسها.

–قلة الخبز:وهي عبارة آنية مصنوعة من الطين وهي الجرة التي تستعمل للماء إلا أن هناك اختلاف بينهما فالأولى مغلقة من الأسفل، وهذه الأخيرة تكون مفتوحة من الأسفل، ويكون حجمها متوسط ليست كبيرة ولا صغيرة لأنها تستخدم لإدخال الحطب في القلة لغرض تسخينها لأن الخبز يصنع من الجهة العليا للقلة.

– **قالب الطين**:وهو قالب مستطيل الشكل يصنع به طوب النباء المحلي (اللبِن)،حيث تعجن الطين وتخلط بالرمل ثم توضع بداخله لتعطي ما يسمى بالطوب الذي يتم تجفيفه في الشمس.

– **كوت أفكر**:وهو عبارة عن قلة قديمة من الطين تكسر وتلصق فوهتها على الحائط او في مدخل الدار بجانب الباب وتستعمل لفتح الباب.[1]

ثانيا :حرفيو الحجارة والنجارة:

أ–الحجارون(صناعة الأدوات الحجرية): يقوم الحرفي في صناعة الحجر بتحضير الأدوات اللازمة لعمله، وهي من الصناعات القديمة في توات، وتستعمل فيه مادة الحجارة، ومادة ترابية شبيهة بالحجارة(التافزة) لكنها سهلة الكشط، ولها استخدامات خاصة،كتلك المتعلقة منها بالفقارة والسواقي ويصنع منها ما يلي:

1– القسريات: هي عبار ة عن مكان تجمع فيه مياه الفقارة لتوزيع المياه على السواقي المتجهة نحو البساتين ويكون القسرية كبيرة، وأحيانا متوسطة وأحيانا أخرى صغيرة، ونفس الشيء بالنسبة للسواقي فمنها الصغيرة ومنها الكبيرة. و كانت القسرية موجودة بالقرب من وسط مدينة أدرار وبالأخص القصور القريبة من وسط المدينة حاليا حيث كانت قسرية بقصر أولاد على وساقية تمتد على طول الطرق الرابط بين قصر أولاد أونقال وقصر أولادعلي، ولاتزال بعضها موجود بقصر أدغاغ وبقصور توات وتيميمون وتيديكلت.[2]

2– السواقي: ويستخدم الفلاحين مادة التافزة في صناعة ما يسمى بأقادوس وهو المجرى الذي يجري فيه الماء ويربط بين هذه المجاري.

3– الأنفيف: وهي الفتحة التي يخرج منها الماء المتجمع في الماجن(حوض الماء) وهناك الصغير والكبير.

---

[1] – الحاج التومي سعيدان، مرجع سابق، ص 90.

[2] – محمد (تامرتي)، مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2021/03/25

4- ومن أبرز ما يصنعه الحجار هي الرحي التي تستعملها النساء في طحن الحبوب المختلفة وكذلك، وكذلك الحجرة التي تستعملها النساء لدق التمر للحيوانات وتسمى "الملمة"، وتكسير نوى التمر (العلف)، وكذلك حجرة الكحل، وهي أيضا حجرة صغيرة تستعمل لسحق الكحل الطبيعي الذي تستعمله المرأة لتزيين الأعين.

ب-النجارون:

تعتبر حرفة النجارة من الحرف الأساسية في المجتمع التواتي فهي تزود السوق بمختلف الأدوات الخشبية التي يحتاجها الأشخاص في حياتهم اليومية، للقيام بأعمالهم المختلفة، وبالرغم من فقر البيئة التواتية من الغابات إلا أنهم استطاعوا الحصول على الأخشاب من بعض الأشجار المحلية التي تنموا في المنطقة كأشجار البلبال والطلحة، الكرمة والرمان والنقيرة، ونجد في تيدكلت، شجرة الطلح وأقارة والكرنكة، الفرعة، الموجودة بمجاري الأودية،[1]ومن النخيل غير المثمر وهي أساس هذه الحرفة، كما استخدم التواتيون هذه الأخشاب في تحضير الفحم النباتي للطبخ والتدفئة وقد تميزت قصور مقاطعة أولاد سعيد والجريفات، وحيحة وشروين بمنطقة قورارة، وبودة وتسفاوت بمنطقة توات،[2]وتظهر هذه المنتوجات إلى اليوم في بعض القصور حيث نجد من المنتوجات الأواني المنزلية المعدة للطبخ كالصحون، والمعالق والمشارب.أشار(L.Voinot) إلى بعض الأدوات الخشبية المستعملة في تيديكلت حيث ذكر المهارس، والمدقات والملاعق الخشبية."[3]والأدوات الفلاحية، و أواني الكيل، والموازين وأدوات التطبيب للتداوي ومنها مايلي:

-صناعة الأبواب المختلفة من حيث الجحم، والمكان المخصص له فهناك أبواب المساجد والأبواب ذات الحجم الكبير لمدخل القصبات، وأبواب المنازل والغرف، وأدوات الميزان التقليدي كالرابعة، والمسطمن، واليد والصاع والأزقن. [4]

-صناعة المهاريس الخشبية، وهي أنواع منها الصغيرة والكبيرة، والمتوسطة، ومحاطة بشرائط جلدية لتمتينها ومعها مدقة خشبية، قد يصل طولها إلى واحد متر.[5]

---

[1]- T. Abd. Akader: Op.cit, p 20

[2] – فرج (محمود فرج)، مرجع سابق، ص 73

[3] – L.voinot: Op.cit, p120

[4] – مبروك (مقدم)، مرجع سابق، ص 74.

[5] – أنظر الملحق رقم(31)، ص419

-صناعة المناسج التقليدية فهي من الخشب وروابط لمنار مدخل المنزل أو الغرفة

- صناعة المشربيات التي يوضع فيه الحليب في المناسبات خاصة الأعراس.

- صناعة أفكر القفل التقليدي للباب والساروت وهو المفتاح .

ثالثا: الحدادة (الحدادون).

وهي من الحرف التي يختص بها الرجال في المجتمع التواتي لكونها تحتاج جهد بدني كبير ويوفر الحدادون مختلف الوسائل والأدوات التي يحتاجها الأفراد سواء في المنازل أو للعمل في البساتين، أو في أشغال البناء أو غيرها من الأنشطة المختلفة، وتعتبر هذه الحرفة من الحرف المهمة والأساسية التي يعتمد عليها في الحياة اليومية للسكان، ويوجد تقريبا في كل قصر حداداً أو أكثر يزاول مهنة الحدادة ويعرف باسم(حداد القصر) وعرفت قديما تمنطيط بمحلات الحدادين، وقد ذكر ذلك صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط وعرفت بعض العائلات بهذه الحرفة ولا تزال إلى اليوم، وقد أشار(Martin) إلى وجود محلات للحدادين في بعض قصور توات تمنطيط، و أولف، وعين صالح، وتيميمون، وتيمي، وكان قد زار الإقليم سنة 1904م.[1]ويستعمل الحرفي وسائل بسيطة في عمله، فيستخدم حديدة لضرب المعادن بعد تعريضها لدرجة حرارة عالية ويحتاج إلى الفحم، والمطرقة، وأدوات الزخرفة.

لا توفر هذه المصادر الفرنسية معلومات دقيقة عن هذه المحلات، ولاعن نشاطها، وتكتفي بذكر أماكن تواجدها.ويقدم هؤلاء الحرفيون خدمات كبيرة لسكان القصر من صيانة للآلات اليدوية، ومنتوجات كثيرة ومتعددة، فيما أشار(G. Champeaux) خلال زيارته لتوات، 1902م"أن الأواني المطبخية هي جد بدائية وتتكون من بعض الأوعية والأطباق الخشبية ... ويلاحظ أحيانا بعض الأواني من الحديد الأبيض...جاءت بها القوافل التجارية."[2] وهذا يدل على أن حرفة الحدادة المحلية لم تكن توفر كل الأدوات ذات الإستخدام المنزلي فكانت، تقتنى من القوافل التجارية سواء القادمة من السودان أو قوافل الشمال، وهذا يظهر جليا في أنواع المصنوعات المحلية التي تقصر على أدوات العمل كالفؤوس، والسكاكين والسيوف والمناجل والمساحي وغيرها، ويمكن أن نصنف هذه الأدوات على النحو التالي:

---

[1]- A.G.P.Mrtin, Oasis,Op,cit,p123

[2]- G.Champeaux: Op.cit, p45

1- أدوات عمل البساتين وأشغال البناء والحفر:[1] وهي

- المسحاة: التي تستعمل لتقليب الأرض التكسير وعجن طين البناء والحفر وغيرها.
- الفؤوس وهي بأحجام وأشكال مختلفة ومتعددة المهام .
- أجلاجيم وهي تستعمل لزبر الحجارة، وحفر الآبار، والفقاقير، وأغوسروات
- القادوم ويستعمل للقطع والتكسير كقطع الكرناف مثلا وتكسير الخشب.
- الحلافات لتكييل مياه الفقاقير.
- المقص لقص أوراق الأشجار.
- المناجل للحصاد وقطع الجريد وعراجين التمر وغيرها.
- الأسافين تستعمل لشق النخيل وتصنع من الحديد او من الخشب.
- السلاسل والحلقات والأوتاد الكثيرة الاستعمال.
- الألجمة.

2- أدوات ذات استعمال منزلي ونسائي

- المغازل: لغزل الصوف والقطن
- مرود: مثل المسمار تستعمله المرأة لوضع الكحل
- المخيط: للخياطة
- اللشفة: تستعملها المرأة في النسيج خاصة السعف
- المدرة: تستعملها النساء الحرفيات في صناعة النسيج تضرب بها اللحمة للتماسك مع السدى
- المناصب: وهي موقد تقليدي للنار يستعمل للطبخ.

3-**صناعة الأسلحة:** وهي من الحرف والصناعات القديمة التي عرفها الإقليم بحواضره الثلاث، وقد أشارت النوازل إلى هذا النوع من الأسلحة، وقد عرف مصنع الأسلحة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في تمنطيط، والذي كانت لاتزال آثاره باقية حتى وقت قريب، وقد برزت في هذا

[1] - مبروك(مقدم) ، بنائية تقسيم العمل المأجور، في المجتمع الواحي القصوري التواتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2016، ص 75.

المجال مناطق معينة، وهي من الصناعات القديمة في توات، ويشير دوماس في حديثه عن أسواق تيديكلت، فيقول:"أن الشعانبة يجلبون الخيول والصوف والفؤوس، ويأخذون الونوج وريش النعام.[1]
– صناعة المكاحل:[2] وقد عرفت وتميزت بها بعض القصور مثل: أولاد ابراهيم، وتمنطيط وبودة في قصور توات وأولادسعيد بتيميمون، وهي من الصناعات القديمة في توات، وهي بندقية مصنوعة من أنبوب أسطواني لها زناد من الحديد وسرير من شجرة أقار، وخمس البندقية يصنع من خشب تلك الشجرة المحلية في تيديكلت، بالإضافة إلى الحزام الجلدي المزخرف،[3] وقد استعمل أيضا عود شجرة الصفصاف في صناعة المكاحل، وكان يؤتى به من الجزائر ووهران وغرداية،[4]وذكر Daumas أن سوق تيميمون كانت به تجارة كبيرة للأسلحة، والبنادق والدروع، والسيوف، يؤتى بها من تونس عن طريق بني ميزاب، أو من المغرب من قبل سكان فيجيج،كما أن البارود يصنع في تيميمون، ويباع بثمانية عشر جنيه للباوند.[5]وبعدما كانت للمكحلة استعمالات في الحروب والمعارك، تغير دورها وأصبحت تستعمل في الرقص الشعبي، والأهازيج، والأفراح وخاصة رقصة البارود المميزة التي يشتهر بها إقليم توات بحواضره الثلاث.
–ومن الأسلحة أيضا لحريش وهو رمح كبير، والدراعية وهو درع يصنع من الحديد، أومن الجلد وبوشفر وهو نوع من البنادق مثل القناصة تتكون من مصورة حديدية، النشاب يتكون من قوس من عود أقارة وخيوط لفدام، السيوف وتصنع من الحديد، وقبضة من حطب الأشجار، والغمد من الجلد، الفأس، القادوم، الشاقور، أجلجيم .[6]

رابعا:حرفة الصياغين أوالنقارين(صانعي الفضة والنحاس)

تعتبر هذه الحرفة من الحرف القديمة التي عرفها إقليم توات وحواضره، وهذا بشهادة الرحالة، والمشتكشفين الفرنسيين الذين زاروا الإقليم خلال القرن التاسع عشر، وقد عرفت تمنطيط

[1]- E.Daumas : le Sahara, Op.cit, p295

[2] –المِكَحْلَة:هي آلة البارود.تسمى في بلاد الشام البارودة، وتسمى في بلاد المغرب العربي المكحلة لأنها تشبه وعاء الكحل المسمى بها، وتسمى عند أعراب البادية وفي العراق التفكة، ينظر أحمد ابا الصافي(جعفري) اللهجة التواتية، مرجع سابق، ص221. ينظر الملحق رقم(15)الشكل5و4، ص443

[3]– سعيدان (الحاج التومي)، مرجع سابق، ص 132

[4]– مبروك (مقدم)، بنائية تقسيم العمل المأجور، مرجع سابق، ص 84

[5]-E. Daumas : le Sahara, Op.cit, p68

[6]– سعيدان (الحاج التومي)، مرجع سابق ، ص ص 132-133

بمحلاتها التجارية وقد أشار إلى ذلك، الرحالة جيراردرولف (Rehelfs.G) في رحلته 1864م حينما وصفها قائلا:"وهي من أقدم المراكز السكانية في توات في السابق إلى جانب مدن أخرى في السودان كان يسكنها اليهود،...ولايوجد اليوم يهودياً واحداً كما في توات، حتى لو اعتبرنا السكان الحاليين الذين يسمون أنفسهم أحفاد اليهود فلا شيء يؤكد ذلك نتيجة لاختلاط العديد مع زنوج السودان فأصبح لونهم قاتم مثل لون سكان توات الآخرين، ومع ذلك فقد تم الحفاظ على النشاط المحلي وصناعة أسلافهم كالتجارة وحركة المرور وجميع أنواع المهن."[1]

أشار جيرارد رولف إلى وجود: صانعي الأحذية، والخياطين، وصانعي الأسلحة والأقفال. ويقول أيضا:"هناك العديد من الشوارع الطويلة التي تصطف على جانبيها المحلات التجارية الصغيرة."[2]التي كانت لاتزال مزدهرة حتى وقت زيارته، وقد تمت الإشارة إلى تمنطيط ودورها التجاري في نازلة يهود توات التي وقعت خلال القرن الخامس عشر (ق.15م) وكانت أكبر دليلا على وجود حرفة الصياغة أو النقارة كما تسمى بتوات، خاصة وأن تجارة الذهب والفضة والنحاس كانت تحت سيطرت اليهود، فلما قدم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى توات وجد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتجارية على وشك الإنهيار، لسيطرة اليهود عليها وخروجهم عن الذمة ونقضهم العهد، فأوجب قتالهم وإجلائهم.[3]

عرف عن اليهود امتهانهم لتجارة الذهب، خاصة وأن توات، وتمنطيط على الخصوص مركزا تجاريا كبيرا، وقد ظلت توات بكاملها كذلك فقد تحول الطريق التجاري الذي كان يتجه نحو سجلماسة بعد خرابها في القرن الثامن(08هـ)، نحو توات وعين صالح، التي كان الوصول إليها سهلا من مراكش عبر وادي الساورة.[4]

حرصت المرأة منذ العصر الجاهلي على استعمال وسائل الزينة المختلفة، فتحلت بأنواع عديدة من الحلي كالقلائد والعقود والخواتم،[5]ولم تخرج المرأة التواتية عن هذا، فقد استعملت مختلف أنواع الزينة أيضا، حيث تشير بعض الكتب التاريخية، والنوازل إلى بعض الحلي التي كانت ترتديها

---

[1] - G. Rehelfs: Op.cit, p104

[2] -ibid, p105

[3] - الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، منح الوهاب، تح، مبروك مقدم، دار القدس العربي،2011، الجزائر، ص305

[4] -نبيلة (حسن)محمد، من تاريخ الحضارة الاسلامية، دار المعرفة الجامعية، السويس، (دس)، ص275

[5] -حسن راضي(أبورقيبة)، فنون الصياغة، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000، عمان، ص19

النساء في حواضر توات، فجاء في نوازل الزجلاوي(ت/1212هـ/1797م) أن مهر المرأة كان يتكون:"من حوائج فضة كالخلاخل والأساور المصنوعة من الذهب والقماش..."[1]،وأيضا أن الميسورة الحال تعطى"الخلاخل والأساور المصنوعة من الذهب وكان مهر البكر أغلى من مهر الثيب في الغالب."[2] كما تزودنا سجلات المحاكم الشرعية، ببعض الحلي التي كانت تقدم للمرأة في الصداق، وذلك من خلال العقود، فنجد مثلا العقد رقم 134من سجل المنازعات للفترة (1943-1951م) عقد زواج في عرش تيمي، حيث قدم فيه المدعو محمد الجزولي، لزوجته صداق، يحتوي على خوص(خواتم)، وزوج محابيس وأربع دباليج، وخلالة).[3]والعقد رقم 1من سجل الزواج والطلاق في 19جانفي 1955م، عرش فلاج تيمي، حيث قدم الزوج الطاهر بن أحمد لزوجته البكر صداق يتضمن (خلخال دوادي، زوج حدايد فضة)[4]،كما جاء في العقد التالي: رقم 12، في 29أفريل 1955، عرش تيمي، أن الزوج محمد بن محمد العسكري لزوجته الثيب(دوادي وزوج حدايد وخلالة).[5]وهنا تظهر لنا هذه العقود أنواع الحلي، فيذكر الدبليج والخلخال الدوادي، وحدايد الفضة، والخلالة،كما يظهر الفرق بين صداق البكر والثيب كما سبق ذكره.

يقدم لنا الفرنسي دو شامبو(G.champeaux)وصفا لما كانت ترتديه النساء من أدوات الزينة فيقول:"تقوم النساء بتزيين أعناقهن إراديا بحلي من الزجاج والمرجان في الذراعين، واليدين والأصابع فتضع حلقات فضية ونحاسية، وخواتم متنوعة مصنوعة من الزجاج الصلب والطين الأسود، فوق الرجل، وفي أسفل الساقين تضعن حلي فضية منقوشة"الخلخال،" والنساء تحب كثيرا الحلي من خواتم، وخلالات ومساسيك مسطحة وعريضة، من الفضة أو النحاس لربط لباسهن في الكتف[6] وتكون مربوطة فيما بينها بواسطة سلسلة معدنية غليظة"ويشير إلى أنها مصنوعة يدويا

[1]-مبارك(جعفري)، جوانب من الحياة الأسرية في توات بالجنوب الجزائري من خلال النوازل الفقهية(ق12هـ/18م)،مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد(52)، ديسمبر2019، ص250

[2]- نفسه، ص250

[3]- س.م.(1943-1951)، عقد رقم (134)، ترتيب بابا عبد الله،خزانة أولاد القاضي، تمنطيط، الجزائر

[4]- س.ز.ط.19جانفي 1955، عقد رقم (01)، ترتيب بابا عبد الله،خزانة أولاد القاضي، تمنطيط، الجزائر

[5]- س.ز.ط.29 أفريل 1955، عقد رقم(12)، ترتيب بابا عبدالله، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط، الجزائر.

[6] -G.Champeaux : Op.cit, p 43

بشكل قبيح وبأنها عديمة القيمة. ويشير أيضا إلى قورارة ويقول:"أن الأشياء والحلي المصنوعة من النحاس هي الغالبة."وأما في توات فالغالب النحاس، والمرجان والمحار لديهم قيمة متساوية".وعن تيديكلت، فإن الحلي الزجاجية والمحار هي منتوجات تجميلية تصل مع القوافل التجارية القادمة من السودان، ويتم استعمالها باستثناء النحاس، والمرجان اللذان لهما أسعار جد مرتفعة."[1]

تحدث عن الرجال فقال:"كل الرجال تقريبا لديهم حلقة نحاسية غليظة تدعى(الحَلْقَة) تكون مربوطة بحزام رقيق ومشدود في أحد أطراف"الحولي"بواسطة منديل فوق الكتف الأيسر، يتدلى على الصدر، وينزل ارتفاع الحزام، يربط بهذه الحلقة سكاكينهم، ومفاتيحهم، وقطّاعات معدنية لنزع الشوك، ومن جهة أخرى فهم يعلقون، غالبا برقابهم خيط رقيق من الصوف تعلق به محفظة من الجلد متعددة الجيوب تسمى(القراب).[2]

هذه تعتبر الوسيلة التي تعطينا صورة واضحة عن نوع الحلي، ومصدرها فتظهر هذه الكتابات بعض الحلي التي صنعت محليا، وتلك التي تم استيرادها من جهات أخرى. فقد ذكر (Martin) وجود صانعي المجوهرات في قصور توات دون أن يحدد، ما إن كانوا صانعي فضة أو صانعي الذهب، لأن أكثر الإشارات تشير إلى النقارين صانعي الفضة.[3]بينما تحدث (L.Voinot)كيفية بيع المعادن النفيسة في تيديكلت، فقال":يتم وزن المعادن الثمينة بميزان صغير يكون السانب مصنوع من الحديد والصواني من النحاس معلقة بالحبال، ولا يتمتع بدقة كبيرة، فيجب عليك وزن الصواني بالحبوب قبل استخدامها.ومن النادر أن تكون الأوزان التي تم شراؤها في طرابلس أو تمبكتو موجودة فالموازين الموجودة مصنوعة محليا".[4]ويتحدث أيضا عن عن كيفية اختبار الذهب بواسطة المحك، ووحدة الوزن هي المثقال، وهي تساوي تقريبا خمسة غرامات(5 غ)، والقيراط هو الجزء الرابع والعشرون من المثقال، ثلاثة وثلاثون مثقالا3/1تساوي ما

---

[1]- G.Champeaux : Op.cit, p 44

ينطر الملحق رقم(29) ، ص417

[2]- ibid, p 44

[3]-A.G.P.Mrtin: Oasis,Op.cit, p123

[4] - L.voinot: Op.cit, p144

يسمى(قروي) صغير وجمعها (قراوي).سبعة وستون مثقال ناقص3/1، القروي الكبير 100مثقال .السري (جمعها السرار) متوسط سعر مثقال الذهب هو 12فرنك و50 إلى15فرنك.[1]

الملاحظة التي يمكن رصدها أن معظم المصنوعات التي أشير لها في المصادر كانت متعلقة بأدوات الزينة الخاصة بالنساء، فلم نجد إشارة إلى صناعة الأواني النحاسية كما هو الحال في مدن الشمال، وكان يؤتى بها مع القوافل التجارية كما، يشير إلى ذلك دوماس، عند حديثه عن تراجع تجارة الجزائر مع القوافل التجارية الصحراوية بعد الحرب، فيقول بحسرة:"أن الجزائر كانت في يوم من الأيام تزود كثيرا توات وكانت لها ميزة على كل من وهران وتلمسان...وأن منافسيها كانوا يتاجرون فقط بالأشياء المحلية وأن الجزائر استغلت بشكل رئيسي الحرير والنحاس، والقطن وبسبب الحرب استغل الإنجليز كل هذه التجارة التي كانوا يمارسونها عبر صحراء (موغادور) أو الرباط أو تطوان".[2]

المبحث الثالث: مهن وحرف نسوية

تعتبر الصناعات الغذائية من بين أقدم الصناعات في المجتمع التواتي لارتباطها الوثيق مع الحياة المعيشية للسكان، فكانت المرأة دائما هي عماد هذه الصنعة، في البيت كعمل يومي تقوم به بصفتها ربة بيت ملزمة بتحضير الطعام لأفراد عائلتها هذا ما أظفى على المصنوعات الغذائية تنوعا كبيراً، وتميزاً كبيراً عن باقي المناطق في القطر الجزائري، وتتنوع هذه المصنوعات بين العجائن المختلفة والحلويات.

وإذ نتحدث عن هذه الصناعات ذات الطابع التقليدي البسيط ، خلال القرن التاسع عشر مازلت المنطقة تعيش بعيداً عن التطور الذي عرفته مدن الشمال التي كانت حينها تحت السيطرة الاستعمارية، وحتى خلال الفترة العثمانية كانت الحرف في المجتمع الجزائري أكثر تنظيما وتقسيما. فقد كانت هذه الحرف في توات ذات خاصية منزلية. ويمكن أن نصنف هذه الصناعات التقليدية إلى عدة تصنيفات منها: الصناعات الغذائية الأساسية مثل الكسكس بمختلف أشكاله، الكسكس الأبيض أو العادي،كسكس الشعير،كسكس الصراير المردود، وأطعمة ذات الاستخدام المناسباتي وتتمثل في أنواع الخبز المختلفة، مثل الخبز الرقيق أو الرقاق، خبز الشعير، التقلة، خبز

---

[1]- L.voinot: Op.cit,p145

[2]-E.Daumas, le Sahara, Op.cit, p 296

الأنور، خبز القلة، الكسرة بنوعيها، والتاقدير، وأخرى غير أساسية تتمثل في: الدشيشة، دقيق القمح...، أيضا مصنوعات تصنف ضمن الحلويات مثل السفوف، التمر المعجون.[1]

أولا– حرفة التبركيش(فتل الكسكس)

أ– لمحة تاريخية :

الكسكس ويطلق عليه عديد من الأسماء كسكسو، الطعام البربوشة، النعمة، العيش، ويعرف بعض الباحثين طبق الكسكس بأنه أكلة بربرية.[2]و ويعرف كذلك على أنه وجبة شمال إفريقية قديمة جدا. يصنع من سميد القمح الصلب، أو الذرة ويدور على شكل حبيبات صغيرة، ويتناول بالملعقة أو باليد ويطبخ بالبخار، ويضاف إليه اللحم أو الخضار، أو الفول الأخضر، ويقدم مع المرق.[3]ويعود تاريخه إلى الفترة ما بين(238-149ق.م)قبل الميلاد وتدل على ذلك الفخاريات وبالأخص منها أواني الكسكس الفخارية، والرسومات المكتشفة على الأواني التي وجدت في منطقة شمال افريقيا،[4] وبلاد المغرب.وقد عثر عليها في مقابر تعود إلى ماسينيسا موحد مملكة نوميديا وعاصمتها سيرتا (قسنطينة)، وذكره ابن دريد(ت/321هـ)في القرن الثالث الهجري في كتابه(جمهرة اللغة) بنفس الإسم وهو كسكس فقال:كسكست الخبزة إذا كسرتها.وخبز كسيس ومكسوس لحم يجفف ثم يدق.[5]وذكره الحسن الوزان(1494-1554)فيقول":عرف البربر بلبس البرنوس وحلق الرأس وأكل الكسكسي".

تحدث"الشاعر المصري سعد سرحان في كتابه ديوان المائدة عن الكسكس المغربي، وسماه شيخ الأطباق وهو إيقونة المطبخ المغربي ويستحق أن يفرد له كتاب ضخم يشترك في تأليفه نخبة من علماء التغدية، والأنتربولوجيا، والتاريخ والأركيولوجيا والسيميائيات، وغيرها من العلوم ويقول:يجب أن يتناول بالقلم وليس باليد والملعقة بوصفه نصاً غذائيا يختلف أسلوبه حسب المطابخ، ولن يقل فائدة عن دراسة القطع النقدية والمشغولات اليدوية والأمثال الشعبية والوشم

---

[1] – حليفي الزهرة، مقابلة شخصية، بمنزلها يوم 2022/01/1

[2] –موقع اليوم السابع، تعرف على أهم الأكلات الشعبية في مطابخ الدول العربية. الموقع الإلكتروني youm 7.com/story/2019/6/11/4280953

[3] –موقع ويكيبيديا n.wikipedai.org

[4] – موقع اليوم السابع، نفسه

[5] – –موقع ويكيبيديا n.wikipedai.org (دص)

والحلي، والأغاني ورقصات القبائل ومواويل الجبال."ويرى أن الكسكس هو شبيهاً أوحفيداً خفيفياً للثريد الأكلة العريقة.[1] ويقول عنه أيضا:"ليست لديه ملامح المدينة فهو سابق عليها، وليست له سمات السهل بدليل تضاريسه الصعبة والوعرة." ولكثرة إعجابه به قال":إنه كرنفال غذائي لا أحد يعرف من أطلق عليه إسم كسكس، ليس الكسكس طعاما إنه الطعام، فتركيبته شبه شاملة تجعل منه طعام الأطعمة."[2]

ب- التبركيش(فتل الطعام)

من الحرف الأكثر انتشاراً في المجتمع التواتي، تقوم بها النساء في البيوت، ويعتبر الكسكس من المأكولات الغذائية الأساسية في قليم توات بحواضره الثلاث توات، تديكلت وقورارة، ولأهل بلاد المغرب بصفة عامة، إذ لا ينافسه طبقا آخر في التربع على الموائد اليومية أو المناسباتية، وبالتالي يكثر الطلب عليه مما يستدعي العمل على تصنيعه من طرف النساء داخل البيوت بطرق مختلفة ومتنوعة، فكانت العائلات التواتية الميسورة الحال تستأجر النسوة لصناعة الكسكس أوفتله وتسمى محليا(التبركيش) بينما العائلات الأخرى فالمرأة تعتمد على ما ينتجه، البستان، وتقوم يوميا بطحن القمح وتحضيره، ثم تقوم بفتله ويطبخ في نفس الوقت، وقد استمر هذا الوضع حتى فترة الاستعمار الفرنسي للإقليم مطلع القرن العشرين.[3] وهذا حسب ما يذكره ويرويه حتى مواليد النصف الأول من القرن العشرين، حيث أن المرأة كانت تقوم بطحن وفتل الكسكس يوميا وطبخة في وقته إذ لم تكن معظم العائلات بمقدورها تخزين كميات كبيرة منه،[4] وحتى في وقت الاستعمار استعملت النساء من طرف الفرنسيين في طحن القمح، وهذا حسب ما كان يروى لهن ممن عايشن تلك الأحداث وتقول":أن النساء مثلا من قصور المدينة تأخذ كل واحدة رحاها معها، ويتم جمعهم في مكان واحد، وتقمن بطحن القمح للفرنسيين.[5] مع مرور الوقت أصبح التبركيش يتم في شكل مجموعة حيث تجتمع من النسوة في منزل إحداهن وتقمن بفتله وهو ما يسمى الدّالَة

---

[1]- سعد (سرحان)، الكسكس شيخ الأطعمة وأيقونة الطبخ المغربي من ديوان المائدة.موقع hespress.com/orbit/255010.ntml،(دص)

[2]- نفسه، (دص)

[3]- هندي الزهرة، مقابلة شخصية بمنزلها، يوم 2/02/ 2022

[4]- حليفي الزهرة، حول حرفة التبركيش في القديم، مقابلة أجريت في 2022/01/1

[5] - حليفي الزهرة المقابلة نفسها

أي يصنع في كل مرة عند واحدة من النساء، سواء للبيع أو للإستخدام الشخصي. وانتشرت أكثر صناعة الكسكس في الإقليم بعد الاستقلال لتوفر الدقيق وسهولة الحصول على مستلزماته.

يعتبر الكسكس الغذاء الرئيسي بعد التمر لسكان توات عموما، وقد أشارت إلى ذلك العديد من الكتابات الفرنسية على غرار(G.champeaux)، الذي قال:"الغذاء الرئيسي للأغنياء والفقراء هو التمر، والتمر يعوض الخبز واللحم والخضروات، وفي كلمة واحدة التمر يعوض كل شيء، ومن المبادئ الأساسية لسكان الأقاليم الصحراوية مرافقة التمر مع اللبن، وفي حالة انعدام اللبن يمكن تعويضه بالماء، أما الخمر والكحول والمشروبات الغازية فهي متجاهلة بشكل كلي، ومن حين لآخر، الأجواد يأكلون الكسكس باللحم، وهو أمر نادر بالنسبة للحراثين تقريبا، وهو أمر منعدم عند العبيد، وبعض الخضروات، والفواكه التي تأتي في بعض المواسم من السنة، تضاف إلى التمر."[1]

ج – لوازمه

1- كان الكسكس خلال القرن التاسع عشر إلى غاية الفترة الإستعمارية يتم بمكوينات بسيطة خاصة للعائلات المعوزة إذ لم يكن هناك القمح الصلب واللين(السميد والفرينة)وإنما حبوب التافسوت والبشنة، وأنواع أخرى نوع من القمح يسمى(كريكبة) قمح لونه أحمر يؤتى به من السودان) ثم بعد ذلك بدأ زرع نوع من القمح يسمى بلمبروك واستعملت أيضا الذرة.

2-القسري: وهو قصعة أو صحن كبير الحجم مصنوع من الطين، يتم فيه عملية البركشة (الفتل)

3- الأطباق: تحتاج السيد التي تقوم بفتل الكسكس إلى الطّبَقْ المشار إليه سابقا، فهو الذي كان يقوم بدور الغربال، إذ تستخدمه السيدة التواتية بطريقة خاصة وجهد عضلي كبير لتحصل بعد ذلك على حبيبات الكسكس.

تعتبر حرفة التبريكش من الحرف الصعبة والمتعبة للنساء، وكثيرا ما تنفر منه النساء لهذا السبب فهو يحتاج إلى جهد بدني كبير، ومدة زمنية معتبرة خاصة لما أصبح يستخدم في صناعته القمح اللين والصلب، كيس من 25كغ من الدقيق ومثله من الفرينة، إذا كانت السيدة تفتله لوحدها قد يستغرق مدة أربعة أيام أو أكثر،كما يحتاج لمدة من الوقت لتجفيفه، قد تطول وقد تقصر حسب الفصل ففي فصل الصيف لا يستغرق مدة طويلة وقد يكفيه أسبوعاً واحداً، وأما إن

[1] -G.Champeaux : Op.cit, pp44-45

كان في الشتاء فقد يستغرق من خمسة عشر يوما أو أكثر. ويقدم الكسكس في مختلف المناسبات أفراحا أو أقراحا،كالأعراس، أو الوفاة، أوالزيارات وغيرها من الاحتفالات.[1]ويقدم بأشكال وأنواع مختلفة منه كسكس الشعير، وكسكس الصراير، والمردود، الخارص.[2]

يختلف كسكس توات عن باقي الكسكس الموجود في البلدان الأخرى، في الشمال من حيث الصنع، بحيث يطعم جيدا بالدقيق اللبين(الفرينة)، حتى يتماسك ويتميز بصلابته بحيث يغسل بالماء ولا يتاثر به، ويتم تبخيره بعد غسله وتركه مدة قليلة للمرة الأولى، بعد أن في كسكاس ليوضع فوق النار، ومدة زمنية معينة، ينزع من النار ويصب عليه الماء، ويترك قليلا حتى ينزل منه الماء، ثم يسكب من الكسكاس ويترك ليرتاح قليلا، ثم يوضع له قليلا من الزيت، ويتم تبخيره للمرة الثانية، وبعدها يصبح جاهزا للتقديم.[3]

يقدم الكسكس في توات مع المرق الذي يطهى بطريقة خاصة.فيحتاج المرق التواتي إلى لحم الغنم، والبصل، والجزر، العدس البلدي، والتوابل التواتية، الطماطم، وقليل من التمر، وقليل من اللبان، والفلفل الأحمر،والأسود، والملح.[4]

يقول فيه سعد سرحان الشاعر المصري:"أنه مفرد بصيغة الجمع والفصل في ذلك يعود إلى النساء اللواتي برَعْنَ وأبدعن في طبخه بما توافر لهن من خيرات الأرض فلأصابعهن أسرار البلاغة والبيان التي تجعل من الكسكس سحراً، ولها لذتها التي تصيبه فتعرض آكله لقضم أصابعه من فرطها فسلام عليهن، وعلى النساء وهن يفتلنه، وهن يبخرنه وهن يطبخن لحمه وخضره، وهن يسقينه وسلام عليهن وهن يقدمنه طبقا شهيا."[5]

ثانيا:صناعة التوابل (لعطور) والبخور

1.صناعة التوابل(لعطور):

تعتبر التوابل من المكونات الأساسية للمطبخ التواتي، ويطلق عليه محليا اسم (لعطور) وقد تميزت قصور توات بصناعته محليا، و برعت في صناعته النساء وهي حرفة نسائية بامتياز، تمتهنها النساء

---

[1] – جمعة (عودالي)، مقابلة شخصية السابقة 2021/09/15

[2] – المقابلة، نفسها

[3] – مبروكة (عودالي)، مقابلة السابقة، نفسها،15 /201/09

[4] جمعة(كريكرة)، المقابلة السابقة،18 /2021/07

[5] – سعد (سرحان)، مرجع سابق، (دص)

في البيوت، وهو يختلف عن التوابل المستخدمة في مختلف مدن القطر الجزائري لما له من خصوصيات، رغم التشابه في المكونات الأساسية له، وتختلف مكوناته حتى بين حواضر توات نفسها.

أ.مكوناته:القزبر الجاف(البذرة) والعود لبيض(الزنجبيل الجاف)، الفرقة والقرنفل، العود الأصفر والكمون، ثمرة الطيب، والسنوج.

ب.صناعته: ويوضع حسب الكمية المراد تحضيرها فمثلا: 1كيلوغرام من القزبر الذي يتم تحميره على النار قليلا فقط حتى لا يحترق أو كما يقال محليا(يشمم النار)، ثم يطحن، ويضاف له مقدار 100دينار بالعملة الجزائرية الحالية، ومقدار50دينار من المكونات الأخرى من العود الأبيض (الزنجبيل) بعد أن تم تحميره في الرمل الساخن، وطحنه أيضا، كما يضاف له الريحان بعد تحميره قليلا على النار وطحنه، ويضاف له المكونات الأخرى وكلها تكون مطحونة، وهي القرفة والقرنفل والعود الأصفر والكمون وجوزة الطيب، والسنوج.[1]

وهناك بعض الإختلافات في بعض أسماء المكونات، فيضاف في قورارة العود الأحمر، ولا يستعمل ورق الريحان.كما تفضل النساء في توات استعمال المهراس لدق هذه المكونات بدلاً من طحنها.[2]

2.صناعة البخور:

وهي حرفة نسائية حيث تعتبر المرأة التواتية بارعة في صناعة البخور، وروائحها العطرية المختلفة، ولكل جهة لمستها الخاصة في صناعته، وتستعمل فيه عدة مواد عطرية تختلف من منطقة إلى أخرى ويصنع بالكيفية وبالمواد التالية: وتستخدم النساء المواد العطرية بشكل كبير، وقد أشارت بعض المصادر الفرنسية إلى اعتناء النساء التواتيات بجمالهن إذ تستخدم النساء مواد تقليدية وعطرية محلية ومنها ما كانت تأتي بها القوافل التجارية، سواء من بلاد غرب إفريقيا أو من الشمال وتستعمل فيه المواد التالية:

أ.مكوناته: الجاوي–السرغينة –عود القماري –المستكة الحرة–زعفران الشعرة–المسك–الغالية – عطر سائل بأشكال مختلفة.[3]و لتحضير البخور الخاص بالعرس يحتاج إلى كمية كبيرة من هذه المواد

---

[1] – مبروكة (ناصري) المقابلة نفسها.

[2] – الزهراء (حليفي)، المقابلة، السابقة، بتاريخ 2021/01/01

[3] – الزهراء (حليفي)، المقابلة نفسها.

وقد تحتاج واحد كيلو غرام، أو أكثر من الجاوي بالإضافة إلى ثماني علب أو أكثر من الزعفران، وكيلو غرام واحد أو أكثر من السرغينة، ورطل أو يزيد من عود القماري.

ب.صناعته:بعد تحضير هذه المكونات تلتقي النسوة في أيام العرس الذي يتم اختياره لتقوم بما يسمى محليا بـ(تبركيش لبخور)،كان يحدد عادة في يتم تهشيم السرغينة و غسلها بالماء وتوضع في قطعة قماش وتعصر جيدا من الماء، لمدة ثلاث ساعات أو أكثر، وبعد أن تجف تدق بالمهاريس حتى تسحق، كما يتم سحق الجاوي بنفس الطريقة، وكذلك عود القماري يتم دقه وهرسه جيدا. وبعد هذه العملية من التحضير، يضاف لها الزعفران المسحوق وتخلط جيدا، ثم تضاف لها مختلف أنواع العطر (الريحة)، والمستكة والغالية، ويضاف لها المسك ثم يضاف لها العطر مرة أخرى، ويترك حتى يجف، ويسمى في فاتيس المهروش، بينما تفضل النساء في توات تحويله إلى حبات أو كريات صغيرة.[1]

ثالثا:حرفة السقاية والمشاطة

I.تعريف السقاية في اللغة: من فعل سقي:سقَاه يَسْقيه، وسقَّاهُ أو سَقَاهُ بالشَّفَةِ، وأسْقاه:دله على الماء أو سقى ماشيته، أو أرضه أو كلاهما وهو ساق من سقيٍّ، وسُقَّاء من سَقَّائِين، وهي سقَّاءةٌ وسقَّاية، والسقي كالسعي.[2]

1.تعريف السقاية اصطلاحا:

السّقَّاءُ إسم يطلق على من يتعاطى نقل الماء أيام الإنقطاع عن الدور، فيأتي للناس بما يحتاجونه من الماء في كل يوم، وله على كل قربة شيء معلوم، ولايزال هكذا إلى أن يأتي النهر فيذهب ليملأ لبعض الذوات المترفهين من ماء بعض العيون المخصوصة دائما، صيفا وشتاء، ويوجد بعض السقائين يلفون في الأسواق، ويسقي الناس بطاسة معه من جرة بيده، ويقنع بذلك، وقد عرفت هذه الحرفة في مختلف البلدان العربية، وتختلف أهميتها من بلد إلى أخرى.[3]

---

[1] -مبروكة(ناصري)، مقابلة شخصية نفسها.

[2] -الفيروزآبادي، مصدر سابق، ص784

[3] -محمد(سعيد القاسمي) وآخرون،ج1، مرجع سابق، ص 158

2.عمل السقاية:هي في توات لا تختلف عن ذلك فهي تطلق على الشخص الذي ينقل الماء إلى المنازل، وكان يؤتي بالماء من العيون وتسمى بالساقية وهي تقع في أماكن مختلفة منها البعيدة ومنها القريبة

يعتبر الماء العنصر الأساسي لحياة البشر، قال الله تعالى:«:وَجَعَلنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُومِنُونَ.»[1] ومن المعروف أن واحات توات كلها تقريبا تعتمد على مياه الفقارة سواء في سقي البساتين أو في الاستخدامات المنزلية وطبيعة الإقليم أنذاك أنه لم تكن هناك قنوات لنقل المياه غير قنوات السقي التقليدية المعروفة بالساقية، وبالتالي فإن سقي البساتين لديه نظامه وطريقته ولا إشكال في ذلك، لكن بالنسبة للماء المستعمل في المنازل فالأمر يختلف أذ يتطلب نقله من الساقية إلى المنزل أو من الفقارة مباشرة وأحيانا يكون كلاهما خارج المنزل، وهذا ما أدى إلى ظهور هذه المهنة وهي نقل الماء إلى البيوت وهي مهنة السقاية، وقد انتشرت في قصور توات وكانت من أجل الكسب والرزق.[2]

قد امتهنتها النساء بشكل كبير، ربما أكثر من الرجال لأنها كانت مرتبطة ببعض عادات المجتمع التواتي، حيث أن العائلات من طبقة الأشراف نسائها لا تخرج خارج المنزل فكان لابد من وجود سقاية تدخل إلى البيت، وعادة ما كانت تقوم بها نساء من فئة العبيد يؤتى بها لخدمة ربة البيت، وقد استمرت هذه المهنة حتى القرن العشرين، ومازلت بعض النسوة اللواتي قمن بهذه المهنة على قيد الحياة وتروين تفاصيلها. أما عن أجرة السقاية فحسب ماجرت به العادة في قصور توات إذا لم يكن هناك تعاملا كبيرا بالنقود فكانت أجرتها قليل من القمح أو الشعير أو التمر، لعلها تسد به جوع عيالها وتروي به ضمأهم، وكانت السقايات تتسابقن للقيام بهذا العمل فتقتسمن الأزقة وتأخذ كل واحدة على حسب مقدرتها وعدد البيوت التي تستطيع أن تسقيها.[3]

3.أدوات السقاية

من الأدوات التي تستعمل للسقاء، القرب الصغيرة الحجم والكبيرة، والدلاء، وأيضا حبال متنوعة الطول والسمك، في حال ما إذا استعملت مياه الفقارة(الحاسي) الذي يتطلب جهدا

[1] – سورة الأنبياء، آية 30

[2]– الزهراء (حليفي)، مقابلة شخصية، نفسها بتاريخ 2021/01/01

[3] – مبروك(مقدم)، بنائية تقسيم العمل، مرجع سابق، ص77

عضليا، بحيث يجر السقاء الحبل من الأعماق معلق به دلوا يحمل الماء ليصبه في القرب والدلاء،إلا أن النساء يتوجهن مباشرة إلى الساقية وهي مجرى ماء الفقارة وتملأ منها الدلاء وعادة ما تستعمل الجرة بمختلف أنواعها وإحجامها وتحمل على الأكتاف والرؤوس ثم تنصرف كل واحدة إلى البيت المقصود وتكرر العملية حتى تنتهي كل واحدة من عملها وقد يستغرق مدة السقاية للمساكن أربع ساعات بحسب الأواني المراد ملؤها.

الجرة:الجَرَّة من الخزف، والجمع جَرٌّ وجِرار،[1]وهي إناء الماء تصنعها العامة من الطين ونحوه واللفظ فصيح في معناه ومبناه.حجمها فهناك الصغيرة والكبيرة،جاء في لسان العرب: والقلة:الحُبُّ العظيم وقيل الجرّة العظيمة، وقيل الجرة عامة، وقيل الكوز الصغير، والجمع قلال، وقيل هو إناء للعرب كالجرة الكبيرة.[2]وتطلق عليها عدة تسميات محلية مثل القلة، تستعمل لحفظ البارد خاصة في فصل الصيف الشديد الحرارة في المنطقة فتغلف القلة بقطعة قماش أو قطعة من الحلفاء او الفدام.[3]

البقبق:وتوجد في اللغة البقبقة: حكاية صوت، يقال بَقبَق الكوز، وبَقَّت السماء، أي جاءت بمطر شديد.[4]وربما سمي بذلك لصوت الماء الذي يخرج منه فيحدث بقبقة لوجود ثقبتين فيه، وهو أيضا جرة مصنوعة من الفخار لكن حجمه أصغر وشكله يختلف عن القلة.

السطل: وهو إناء واسع يخزن فيه الماء عادة لغسل الأواني والملابس وتنظيف المنزل والاستحمام وغيرها.

القرب: وهي من بين الوسائل القديمة لتجميع وتخزين الماء مصنوعة من الجلد، وهي أنواع وأحجام فمنها المخصصة لتخزين مياه الشرب ويتم تعطيرها بمادة القطران التي تعطي مذاقا طيبا للماء وهي صغيرة الحجم ومتوسطة،وقرابا كبيرة الحجم تستعمل للإحتفاظ بالماء لمدة أطول، وهناك قراب لسقي الماشية والجمال حجمها كبير، تصنع من جلد الماعز الكبير، وترفع بأغصان من شجرة التين وتعلق بالنخلة في البساتين.

ما يميز هذه الحرفة أنها أكثر ارتباطا بالمرأة، وأن لها أدواراً اجتماعية أخرى فهذه النسوة اللواتي تقمن بالسقاية تدخلن البيوت، ولما تدخل السقاية تنقل معها الأخبار، وكل ما يجري في

---

[1] - الجوهري اسماعيل (ابن حماد)، مصدر سابق، باب الراء، ص611

[2] -أحمد (أبّا الصافي جعفري)، مرجع سابق، ص193

[3] -حليفي (الزهراء) مقابلة سابقة، يوم2021/01/01

[4] -الجوهري اسماعيل (ابن حماد)، مصدر سابق، ص1451

القصر إلى صاحبة المنزل التي تكون عادة من الأشراف الممنوعة من الخروج، ولكنها شغوفة وتريد الإطلاع على ما يجري في الخارج، كذلك أنها تؤنس صاحبة المنزل بالأخذ والرد في الحديث وما يجري في البيوت، وقد تسأل عن أحوال الجيران، وقد تكلفها صاحبة البيت بمهام أخرى كإيصال رسائل شفوية، وتكون مرسالا لإقتناء أو إحضار أو أخذ شيئا ما إلى جهة أخرى.[1]

هناك إشارة في نوازل الغنية الى مسألة بيع الماء ولربما أهل توات على خلاف بعض البلاد العربية لم يمتهنوا مهنة حمل الماء وبيعه في المنازل والأماكن العامة بناء على منعه من طرف القضاة أو الإفتاء بعدم جوازه.

II- حرفة المشَّاطة:

1.تعريف المشاطة لغة واصطلاحا

أ.المشاطة لغة: جاء في الصحاح امْتَشَطَتْ المرأة، ومَشَطَتها المَاشِطَة تَمَشُطُهَا مَشْطا ولمة مَشِيط أي ممشُوطَة، والمشْطَة: نوع من المِشْطِ،كالركبة والجلسة والمشَاطة: ما سقط منه والمشط بالضم: واحِد الأمْشَاط التي يمشط بها والمشط أيضا: نبت صغير يقال له مشط الذئب.[2]

ب.المشاطة إصطلاحا :

هي المرأة التي تقوم بتصفيف الشعر وتحضر وتجهز وتزيين الفتاة المقبلة على الزواج، أو العروس وتسمى في بعض البلاد العربية بالعجافة، والعجفة تعني ضفيرة الشعر.وقد كانت لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ماشطات كما قال ابن فتحون في رد الذيل: أم زفر ماشطة خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين رضي الله عنها كانت تأتي النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك فيكرمها ويقول": أنها كانت تأتينا أيام خديجة."وقال ابن إسحاق رحمه الله تعالي في السير لما أعرس الرسول صلي الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب بخيبر أو ببعض الطريق، كانت التي جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له.[3]

[1] -مبروك،(مقدم)، بنائية تقسيم، مرجع سابق، ص77

[2] -الجوهري اسماعيل (ابن حماد)، الصحاح، ص1160

[3] - علي الخزاعي(ابن محمد ابن مسعود)، مصدر سابق، ص747

3.عمل المشاطة ودورها في المجتمع:

تعتبر من بين الحرف المنتشرة في المجتمع التواتي تمتهنها بعض النسوة داخل القصور، وقد تنتقل واحدة من قصر إلى أخر، لتقوم بعملها وتحتل المشاطة مكانة مرموقة في المجتمع النسوي ويكثر عليها الطلب لدى مختلف العائلات، خاصة لتزيين وتحضير العروس ليلة زفافها، ولكن لا ترتبط مهنتها بالأعراس فقط، فالفتيات والنساء تولين إهتماما بشعرهن على مدى الأيام، فهناك مشطات متعددة منها ماهو مرتبط العروس، ومنها وماهو مشطات عادية تقوم بها الفتيات في الأيام العادية، ولا تقوم بها إلا الماشطة وتسمى محليا المشَّاطة، وتختلف أيضا أنواع المشطات من منطقة إلى أخرى وحتى المسميات قد تختلف وتستعمل وسائل خاصة لذلك وسائل خاصة.[1]وقد أشار (ديبورتر) إلى وجود المشاطة في المجتمع التواتي حين قال:"يتم مشط الشعر من طرف مختصة، وهي المشاطة، ويتم استخدام الحناء، وتتم الضفيرات وفقا لما تطلبه الزبونة فتكون خصلات صغيرة متغيرة الشكل." [2]ومن كلامه يتضح أن هناك أنواع مختلفة من المشطات.

ترتبط بهذه الحرفة بعض العادات والممارسات، ففي منطقة تيديكلت، عند حلول عيد الأضحى المبارك تقوم بعض النسوة بالمشاطة، وفي اليوم الثاني من عيد الأضحى تأتي النساء ومعهن قطعة من اللحم تسمى المصطة ويقصد بها لحم المفاصل، وهن يرددن أثناء قيامهن بتشريح اللحم هذه العبارة (المصطة للمشاطة ، وبودلي للحسنى).وكانت تتلقى أجرة تتمثل في كمية من القمح أو الشعير أو التمر.[3]وقد أشارت الكتابات الفرنسية لإهتمام نساء توات بجمالهن، حيث قال(ديبورتر)"وتهتم النساء بشعورهن التي يقال أنها جميلة".[4]

فيما قلل البعض منهم من ذلك، ومنهم دوشامبو واصفا أياهن قائلا:"النساء ليس لديهن جمالا أخاذاً، وهن تعشقن العطور والبخور التي تعطر بها ملابسهن."ويضيف عن الأعين:"تقمن بتكبير عيونهن وأشفارهن بالكحل."أما عن الشعر فقال:"تعتنين بشعورهن جداً، وتقسم النساء شعورهن إلى قسمين متساويين، وتشكل من كل قسم ضفيرة طويلة تلف حول الرأس وتربط أعلى العنق."أما عن الزينة التي توضع مع الضفيرة فهي:فوق الجبهة تضع النساء"شركة"وهي عبارة عن

[1] – فاطنة(هندي)، مقابلة شخصية بالمنزل،بقصر أولادعلي، ادرار، يوم 2019/02/13

[2]- P.Devors., Op.cit, p246

[3] – سعيدان(الحاج التومي)، مرجع سابق، ص49

[4]- V.Deporter :Op cit,p 49

قطعة قماش طويلة ورقيقة مرصعة بقطع من النحاس أو الفضة والمرجان والمحار، وقطع معدنية أخرى، وحول الأذنين تربط النساء في ضفائر شعورهن حلقات كبيرة تسمى"خرص"يعلقون فيها مجموعة من الأزرار النحاسية، وقطع نقدية، ومحار، ومرجان، الخرصان يوضعان في الناحية الأمامية للأذنين وتلتقي مع الشركة بالإضافة إلى أشياء غريبة من كل جانب من الرأس لتزيين الشعر.[1]

5. وسائلها:تستعمل الماشطة وسائل بسيطة بساطة المجتمع التواتي وهي:

– **المشط**: وهو مصنوع من الخشب والمخيط[2]، والمخوض.[3]

– **زيت الشعر**:كانت المرأة التواتية تستعمل الزيت كأداة من أدوات الزينة، وتقوم بدهن شعرها بزيوت معطرة بأزهار النوار.[4] كما استعملت المرأة ما توفر لها من الزبدة أو الشحم الذي تضاف له بعض المعطرات لتعطيه رائحة طيبة، فكانت تضع هذه الزبدة أو الشحم في البطة،[5]ويضاف إليه عشبة تسمى وردة(الصلاة على الرسول)بعد تجفيفها وسحقها، وتترك لمدة معينة للإستعمال حين تريد ويطلق على هذا الخليط زيت البطة.[6]

6.أنواع المشطات:

تتنوع المشطات أو التسريحات التي تقوم المرأة والفتاة التواتية حسب الشكل، ونوع الشعر ومدى طول وقصر الشعر من بين المشطات مايلي:

أ–**المهدور**: عبارة عن ضفيرة تضفر على الجانبين بحيث تقوم الماشطة بتقسيم مقدمة الرأس إلى قسمين جانب أيمن وجانب أيسر وتقوم بضفر ثلاث ضفيرات من الجهتين، ثم إذا أرادت إتمام باقي الشعر بضفيرة أخرى تسمى الفتول أو تتركه دون ضفيرة.[7]

---

[1]-G.champeaux : Op.cit, p43

[2]– هو عبارة عن مسمار حديدي يشبه الإبرة لكن سمكها أكبر تستعمله للفصل بين الضفيرة والأخرى

[3] – هو عبارة مايشبه صحنين مصنوعين من الخشب ملتصقين تفصل بينهما مسافة صغيرة، يستعمل أحدهما لوضع زيت الشعر و الثاني توضع فيه الحناء، ينظر مبروك(مقدم)، بنائية تقسيم، مرجع سابق، ص49، ينظر الملحق رقم(32)ا ص420

[4] - G.Champeaux Op.cit, p43

[5] – صحن صغير مصنوع من الجلد يتم فيه حفظ هذا الزيت وله غطاء يغطى به.

[6] – مبروك(مقدم)، بنائية تقسيم، مرجع سابق، ص49

[7] –الزهرة هندي، مقابلة الشخصية السابقة، 2021/03/20

ب-**بوسير**: هي عبارة عن مشطة أخرى حيث تقوم الماشطة بوضع ضفائر للشعر كله بعد تقسيمه إلى قسمين ثم تجمع كل جهة على حدى، وتلفها بخيوط أو مايطلق عليه محليا السير وهي مجموعة من الخيوط المصنوعة من الجلد.[1]

ج-**الخرب**(**المشطة التواتية**):عبارة عن مزج بين الضفيرة العربية والسودانية، ويرد المشط والنسج جهة الصدغ الأيسر والأيمن، وعند الإنتهاء تجعل ضفيرتين كبيرتين عريضتين من الجهتين تضفرها الماشطة، ومن الخلف تضيف شعر آخر يسمى بالقطايةوهي عبارة شعر مضاف من شعر الماعز بعد تنظيفه، ويسمى أزار يضاف إلى الشعر بعد خياطته بالمخيط بطريقة قريبة من الطرق التي تستعمل اليوم في زيادة الشعر، بينما يتم تزيين الشعر بحلقات دائرية صغيرة مصنوعة من الفضة تسمى الخوص وتوضع في كل فتيلة عدد من هذا الخوص لتزيينه، وأيضا يزين بما يسمى بالبيَّاض.[2] ويحتوي على مجموعة من النقود الفضية، أو مايسمى باللويز الفضي، وحتى الذهبي، وذلك على حسب المستوى المادي والعائلي للمرأة، ومن خلال هذه التسريحات أو المشطات يمكن معرفة المستوى والفئة الإجتماعية التي تنتمي إليها المرأة، وتطلعنا أيضا على الحالة المادية للمرأة.

د.المشطة العربية:(تونزة)وهو نوع من المشطات التي جاءت بها القبائل العربية التي دخلت إقليم توات وهي مشطة الرأس، وقد تختص بها النساء العربيات، وتعتمد على إبقاء الشعر مسدولا.[3]

هـ.المشطة السودانية: هي مزج المشطة العربية مع المشط الذي أدخله الوافدين من جنوب الصحراء الكبرى، وهو عبارة عن مشط يلصق بالرأس، ولا يطلق منه شيئا وتكون الضفيرة رفيعة ورقيقة جدا.

المبحث الرابع:حرفيو التطبيل، والحلاقة، وحفارو القبور

أولا.حرفة التطبيل، والتزمير والإيقاعات المرافقة لهما

ذكر ابن خلدون ما سماه صناعة الغناء[4]ومن خلال تعريفه يتضح أن هذه الصناعة ترتبط بها العديد من الحرف ذات الصلة، ومنها القرع بالطبول، والنفخ بالمزمار.

---

[1] -حليفي الزهراء، مقابلة الشخصية السابقة، 2021/01/01

[2] -انظر الملحق رقم (29) ، ص417

[3] - مبروك(مقدم)، بنائية تقسيم، مرجع سابق، ص50

[4]- الغِنَاء لغة مثل كِتَاب الصوت، وقياسه الضم.لأنه صوت(وغنَّى) بالتشديد إذا ترنَّم (بالغناء). ينظر محمد (فريد وجدي)، دائرة معارف القرن الرابع عشر-العشرين، دار الفكر، بيروت، (دت)، ص388، أما اصطلاحا فقد سماها ابن خلدون صناعة

I.حرفة التطبيل

تعتبر حرفة التطبيل من الحرف القديمة في مجتمع توات، وتدخل ضمن العادات والتقاليد والموروث الثقافي اللامادي الذي يتوفر عليه الإقليم بحواضره المختلفة، وتتبعه أداءآت أخرى مثل الغناء والرقص، والمدح، وحرفة التزمير، ولكل منها خصائص ومميزات، ويزخر الإقليم بأهازيج غنائية وإيقاعات كثيرة ومتنوعة محلية، وكذلك من الإيقاعات الممزوجة بالطابع الإفريقي لقرب المنطقة من دول الساحل الإفريقي، أما عن الغناء فهناك تنوع كبير. فرضته عوامل كثيرة، خاصة الموقع الجغرافي. فهو ملتقى للقوافل التجارية التي تجوب الصحراء من الشمال نحو الصحراء ومن الشرق إلى الغرب بالإضافة إلى تنوع الأجناس التي عمرته.

أشار الفرنسي دو شامبو(G.champeaux)إلى الطبوع المتنوعة، وحاول إعطاء صورة على أن هذه الطبوع ناتجة عن الطبقية، والفوارق الإجتماعية في توات حيث قال:"أن الفوارق الواضحة جدا الموجودة في الحياة اليومية بين الأجواد، والحراثين تنعكس على الفن كالموسيقى، والرقص فبالنسبة للأجواد تعتبر مهرجان للمتعة الموسيقية والرقص[1]وبالنسبة للحراثين يستعملون آلاتهم وهي: القصبة والقمبري(كمانجة ذات وترين) الزمار(نوع من المزمار بقصبة)، القلال (الطبل) بالنسبة للعبيد السود يستعملون الآلات(منعدمة الإحساس) التي تصدر الضجيج، والإزعاج مثل:"(جانقان والطبل والقرقابو) وهي آلات ذات أشكال خاصة، والقرقابوا عبارة عن قطع حديدية طويلة" أما عن النغمة فيقول:"غناء الحراثين يكون هادئا ومتناسقا ومدعوما بضرب الأيدي أي التصفيق، لكن موسيقى العبيد كثيرة الضوضاء، وكل موسيقى تكون دائما مرفوقة برقصات منسقة ومنظمة عند الحراثين كما عند العبيد، وهم يبحثون في كل المناسبات على التجمع، والغناء والرقص ..."[2]ويقول":(L.voinot) عن تيديكلت في الموسيقى، والحفلات

=الغناء، وأنها لاتكتمل إلا بالقرع بالطبول، والنفخ بالمزمار، ويعرفها على أنها:"تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة، فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات،" ينظر ابن خلدون المقدمة، مصدر سابق، ص 459 .

[1]- G. Champeaux, Op.cit, p47-48

[2]- ibid, p4

والأغاني يرتدي البيض الملابس ذات الألوان الزاهية من خلال القيام بالفانتازيا، وكذلك عرب التل."[1]

كما أفرز هذا التنوع طبوعا وإيقاعات شعبية منها ما هو عام بين مجموع الأقاليم كإيقاع البارود والعبيد وغيرها. ومنها ما هو خاص بكل إقليم معين، مثل أهليل الخاص بإقليم قورارة، وإيشوا الخاص بإقليم توات الوسطى وغير ذلك.[2]

كل هذا أدى إلى ظهور موروث شعبي معنوي غني وثري، يبعث في روح الساكنة روح الحيوية والنشاط من خلال الرقصات الفلكلورية الممزوجة بتلك الأغاني المتعددة، والتي لم تترك مجالا إلا وطرقت أبوابه، إن هذا النوع من الإرث الثقافي الشعبي الشفوي تناول أغراضا شعرية متنوعة، ولكل الحالات، منها ما هو للأعراس والأفراح، والختان، والسبوع وغيرها، لدرجة أنه أصبح لاصقا بالحياة اليومية للأفراد فكلما نجد عملا من الأعمال الجماعية إلا واستأنس فيه بالأغاني الشعبية مثل التويزه أو التبركيش، أو الأعمال الحرفية مثل النسيج أو السعفيات أو الحصاد ...إلخ حتى لايشعر الجميع بالتعب، ولا يعطي بالاً لحالة الطقس أكان حاراً في الصيف أو بارداً في الشتاء.[3] ومن الأغاني التي تردد في الأعراس مثلا: يعملها خضارة مبروكة عليه

وما يتعلق بالفلاحة منها:

امحمـــــــد نبينا	أرسول اللأسيدي
هادي طرحتنا ياسيدي	طرحت نبينا يا سيدي
هادي فرارة يا سيدي	قمون بغرارة ياسيدي
وأبادو كوزين أسيدي	المسحا طرشا أسيدي

ومن أغاني الختان:

المختار يالمختار الحمد لله على دين الإسلام

---

[1] -L.voinot, Op.cit, p128

[2]- أحمد (ابّا الصافي جعفري)، اللهجة التواتية الجزائرية، ط1، منشورات الحضارة، 2014،ص 394

[3]- عاشور(سرقمة)، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، مدخل للذهنية الشعبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص109

وبعض الأغاني لها معتقدات خاصة مبعثها الخوف في المجتمع خاصة عند حدوث ظواهر طبيعية غريبة كظاهرة الخسوف فيخرج الأطفال النساء ويرددون:

هذا العجب يالقمرا الراجل ولا مرا

أي أن القمر أصبح إمراة واختبأ

وعندما ما يتحسن الجو ويظهر القمر يرددن:[1]

ياربي لك الحمد الغزبة ولات شابة

1.تعريف الطبال لغة واصطلاحا

1.1.تعريف الطبال لغة: من الطّبل هو الذي يضرب به وهو ذو الوجه الواحد وذو الوجهين، الجمع أطْبَالَ وطُبُول، والطّبال: هو صاحب الطَّبل وفعله التَّطْبِيل، وحِرفته الطّبالة وقد طَبَّل يُطَبِّل.[2]

2.1.اصطلاحا: وقد يقول له(المطبل)،وهو من يضرب على الطبل بكيفية معروفة يتوارثها أهلها بالعلم من المهرة فيها.وهي حرفة رائجة في البلاد العربية، وقد كان يسمى ببعض البلاد العربية المرفعجي.[3]

2.خصائصها:

أما في توات فهناك فرق نسائية، وأخرى رجالية، ويضربون على الطبل بغاية الرشاقة مع نقرات وتصفيقات تطرب المسامع خاصة مع وجود الزمار.الطبل هو نوع من الرقصات الفلكلورية إيقاعية مختلفة من منطقة إلى أخرى، ولها عدة مسميات نجد الركبية، طبل الشلالي اتخذوها حرفة يتعيّشون منها، ومن الصعب تصنيفه فهناك عدة تصنيفات.[4]

أما عن الطّبال في توات فهي حرفة قديمة، ومنتشرة بشكل كبير، وتدخل في عادات وتقاليد المجتمع الموروثة منذ قرون، وقد ذكر الرحالة الألماني جيرارد رولف أنه أثناء دخوله إلى تسابيت في15أوت1864م صادف الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وعلق على البارود

[1] -عاشور سرقمة، المرجع سابق، ص106

[2] -ابن منظور، لسان العرب، باب الطاء، ص2640

[3] - محمود (سعيد القاسمي)، مرجع سابق، ص288

[4] -هندي (الزهراء)، مقابلة شخصية، نفسها

قائلا:"كما يقول العرب نسمع البارود يتكلم طول الليل."[1] وتيمي أيضا وجد فيها احتفالاً كبيراً، ويختلف الطبالون، وتختلف إيقاعات الطبل باختلاف الطابع أو النوع المراد القيام به،كما تختلف أدوار الطبالين في كل نغمة، فنجد طبال لدية طبل صغير ويسمى محليا "القلال"وهناك من يحمل أخر متوسط، وآخر قلال كبير الحجم،كما تختلف أشكال هذه القلال من منطقة إلى أخرى، فهناك من يستعمل آلة تشبه الدربوكة العصرية، غير أن طريقة صنعه تقليدية، وهو من المصنوعات الطينية، ويتم تغليفه بالجلد.، يضرب عليه ليحدث صوت الدف، وهناك الطبل الدائري الشكل وهو الأكثر استعمالا في تيديكلت.

1.2.من حيث الأدوات المستعملة:

من الوسائل المستعملة الدندون وهي آلة اسطوانية الشكل مغلفة بالجلد من الجهتين، من الأعلى والأسفل، وتشد بأحبال من جميع جوانبها بشكل معينات تعطيها شكلا جماليا من الخارج ويضرب عليه بمضربين،كما نجد أيضا القارقابو وهي مصنوعة من الحديد فيها دائرتين مقعرة واحدة من الأعلى وواحدة من الأسفل متصلتين بقطعة حديدية في الوسط، وهي مزدوجة بحيث توضع الواحدة مقابل الأخرى، وتمسك من الوسط مع بعضها بقبضة اليد ويستعمل منها زوجين واحدة في اليد اليمنى والأخرى في اليد اليسرى.وتحدث أيقاع منسجم مع النغمة، وتستعمل هاتين الآلتين في نوع خاص من الإيقاعات وهي القرقابوا (العبيد)وهي من الطبوع القديمة ذات الجذور الإفريقية.

كما تستعمل أيضا آلة أخرى، وهي الطارة وهي دائرية الشكل وتغلف من جهة واحدة بالجلد وهي مصنوعة أساسا من الجلد وتستعمل خاصة في المدائح الدينية(الحضرة)، فيما تستعمل آلات موسيقية تقليدية أخرى منها مايسمى بالقمبري:وهو آلة وترية تقليدية تستعمل في الإيقاعات الإفريقية، وطبل صغير دائري الشكل مصنوع من الجلد ذو جهة واحدة.

أ–القلال(الدف)بأحجام مختلفة مع الزمار يصدر عنه نغمة تسمى الطبل ومنه الرجالي والنسائي وأهازيجيه في الأعراس الأفراح.

ب– القلال(الدف)مع القمبري يعطي نغمة تسمى طبل الشلالين، وهي رقصة رجالية ويتناول عدة أغراض شعرية منها المديح والغزل.

---

[1]- G.Rohlfs, Op.cit, 99

ج–القلال(الدف)مع الذندون بأحجامهم الكبيرة، أو الصغيرة يعطي نغمة تسمى العبيد، أوقرقابو أصله فريقي.[1]

د– القلال(الدف)مع العصي:يعطي نغمة تسمى صارة، وهي رقصة رجالية.

هـ– القلال(الدف)مع المكاحل والبارود يعطي نغمة يطلق عليها البارود وهي رقصة رجالية.

و– الطارة: للمدائح الدينية وتعطي نغمة خاصة تسمى الحضرة.

2.2.حسب الإيقاع والرقصات

1.2.2.إيقاع أورقصة البارود:وهي رقصة شعبية فلكلورية تؤدى في شكل جماعي منظم وتستخدم فيها البنادق (المكحلة)تردد فيها أبيات شعرية مدحية أو حكمية، في الغالب تنتهي بإطلاق البارود جماعياً في شكل صوت واحد ومدوي، وهو معيار النجاح والفشل، ويرى البعض أنها لعبة جسمانية فيها تحضير لأجل المقاومة، وقد اختلف في أصل مصدره قدومها إلى الإقليم حيث يرى البعض أن اللعبة افريقية في شكلها ومضمونها، بينما يرى البعض الآخر أن موطن اللعبة الأولي هو شبه الجزيرة، وأنها قدمت الإقليم مع الفاتحين العرب الأوائل.[2]

تعتبر هذه الرقصة من أشهر الرقصات في توات وقورارة وتيديكلت،[3] لكن الفرق يكمن في الصيغة، وهي تلك العبارات المسموعة التي يتغنى بها الراقصون وهي ما يدعى ب"الصياغ"التي تختلف باختلاف المناسبات مستعملين أقلال والتبقال، والزمار"المكحلة أو الشرماط أولعمارة"المملوءة بالبارود المصنوع من مادتي الفحم، والكربين بالإضافة إلى الكبسولة. وأصل هذه الرقصة أنها قتالية كانت تستعمل للدفاع عن القرى والقصور بالمنطقة، وكان ارتباطها بمنطقة توات بما يعرف محلياً ب "الزيارات" التي تقام على مدار السنة لزيارة أضرحة الأولياء الصالحين الموجودين على أغلب مستوى القصور.[4] أما المرجوعات التي تقام في نهاية رقصة البارود فهي كثيرة ومتنوعة كذلك منها:

وين رجال الله كاملين .

يا البسملة حفظيـني.

عليـه الصلا والسلام.

---

[1] –الحاج محمد(بلغيت)، ايقاعات شعبية عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، الجاحظية، 2003 ، ص16

[2] – أحمد(أبا الصافي)، اللهجة التواتية، مرجع سابق، ص395.

[3]- L.voinot: op.cit, p130

[4] – مجهول، الفلكلور، مديرية السياحة لولاية أدرار، ص11

2.2.2.ايقاع الحضرة: فهي تمثل إحدى حلقات مظاهر المديح الجماعي وهي تتكون من مجموعة من الحركات الصوفية في طبعها وبتعابير شعرية صوفية، وغالباً ما يكون مزخرفاً بأسماء الله الحسنى أو مدعما بمقاطع من الآيات القرآنية، حيث تستعمل فيها آلة الدف أو ما يسمى محلياً ب "الطارة".[1]

تتم بواسطة مجموعة من الأشخاص واقفين يبدأ رئيس الفرقة المداح بمدح كلمات دينية حسب الأبيات المركبة في الشعر، وتردد من طرف الجماعة في شكل مجموعة صوتية مع استعمال الإيقاع حتى تكون النغمة الموسيقية منسجمة مع الكلام وحركة الفرقة.[2] الحضرة في توات تاريخيا مرتبطة بالطرق الصوفية، وبالخصوص الطريقة أوالزاوية الطيبية الوزانية التي تعود جذورها إلى وزان بالمغرب الأقصى، ومقر زاويتها الرئيسي هو تمنطيط، ولها فروع أخرى مثل بودة، وتوات الحنة، وبالتالي فإن تاريخ هذه الفرقة قديما له ارتباط بظهور هذه الطريقة في توات، وذلك حسب العديد من الكتابات الفرنسية التي كانت تشير إلى القصور، وانتمائهم الطرقي وكثيراً ما تشير إلى الطريقة الطيبية، وتعتبر من أهم وأكثر الطرق الصوفية انتشاراً في توات ولها أتباع كثر، وينتقل في كل موسم موكبها إلى القصور التي بها مريدين ومقدمين يمثلونها، ولها وقت محدد تتم فيه هذه الزيارات للقصور القصور، حيث تسبق هذه بجمع المؤونة من هذه القصور لصالح الزاوية الرئيسية في تمنطيط، وتخصص لإكرام الضيوف بمناسبة الاحتفال بيوم عاشوراء،كما تؤدى هذه الرقصة في الاحتفالات الخاصة بهذه المناسبة، التي تقام كل سنة بتمنطيط.[3]

كما أشار (L.voinot) للحضرة في تيديكلت وقال:"هي من الرقص المرتبط بالجانب الروحي الديني، ويشار إليها باسم الجلالة، وهي تجمع من الناس يلتقون في جمع بعد العشاء للغناء والرقص لحمد الله والصلاة على النبي. ويشكلون صفين متقابلين ينحنون ثم يقفون راجعين للخلف بأجسادهم ويضربون على الأرض بأقدامهم، تتجلى فيها مدائح على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع اقتراب نهاية المدحة تتسارع الرقصات. ويضيء الراقصون جلستهم بمصباح نحاسي أوتكون تحت ضوء القمر."[4]

[1] – مجهول، الفلكلور، المرجع نفسه، ص12.

[2] –الحاج(احمد بلعيت)، مرجع سابق، ص28

[3] –محمد (مقدم)، الطريقة الطيبية، بقصر أولاد على، مقابلة شخصية في بيته، بقصر أولاد علي، ادرار، يوم2021/06/22

[4]-L.voinot: Op.cit, p130

3.2.2.إيقاع ورقصة الركبية[1]:اشتهرت خصوصاً بمنطقة بودة، والمطارفة، وضواحيها، وهناك من قال أنها مشتقة من رقصة هوبي الموجودة العبادلة ببشار، لكن في الحقيقة هناك اختلاف واضح في الإيقاع.وقيل أيضا أنها قديمة ومعروفة عند العرب في اليمن تقوم بها النساء للتعبير عن الأفراح.[2]

تؤدى في شكل صفين متقابلين بحيث يتقاطع كل فرد من الصف الأول مع نظيره من الصف الثاني،بينما يكون مقدم المقاطع في وسط الصفين لتغيير الإيقاع والكلمات[3].

4.2.2– إيقاع الطبل: وهو عبارة عن حلقة تؤدى فيها الأغاني والمدائح الشعبية جلوسا وفق الألحان المعهودة بالمنطقة، حيث يجلس المغني الذي يحفظ الكثير من القصائد، وأمامه دف يضرب عليه ليضبط الإيقاع لباقي الضاربين، ويُسايره نافخ الناي أو المزمار. يبدأ في غناء القصيدة وكلما غنى بيتا أو بيتين يقوم الجالسون بجواره بترديد لازمة القصيدة، ويسمى هؤلاء بالشدادة، وتسمح هذه العملية للمغني باسترجاع انفاسه واستدراك وتذكر الأبيات اللاحقة.[4]وقال:(L.voinot) يستخدم في الفنتازيا المزمار أو القصبة مصحوبة بأشخاص يضربون بأيديهم"التصفيق"، وعصا منحنية (تاجوينجانت) يضرب بها على الدندون، ويضربون باليد على الطبول الصغيرة، بالإضافة إلى دفوف تشبه الدربوكة في الشمال تسمى(تبقال)أو القلال،"[5] يقرع الطبل في توات في جميع المناسبات، المتعلقة بالأفراح، والاحتفالات بالزيارات ويمكن أن نقسمه إلى نوعين نسائي ورجالي.

أ– الطبل النِّسائي: وتؤديه النساء باستعمال أدواته منها: القلال والتمبقال، وهناك فرق نسائية تؤديه، مرفوقا بأغاني بمختلف الاغراض الشعرية، لشعراء محليين، وغيرهم، ففي الأعراس تردد قصائد غزلية وأخرى لمدح العروس، وأخرى مدائح دينية، للصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم القصائد ذات طابع غزلي، وتقدم على هامشه للحضور ما يسمى محليا"ملح الطبل،"[6] حيث يؤدي فيها الغناي أبياتا ليردد الحاضرون أو المرافقون بعده ما يسمى اللازمة(المرجوعة)وفي

---

[1] –الركبية سميت بذلك لأنها في الأصل كانت تؤدى قعوداً على الركب، أحمد(أبا الصافي جعفري)، مرجع سابق، ص407

[2] – الحاج أحمد (بلعيث)، مرجع سابق، ص43

[3] – أحمد (أبا الصافي جعفري)، مرجع سابق، ص–ص407-408

[4] – عبد المجيد (قدي)، مرجع سابق، ص 230

[5]- L.voinot: Op.cit, p128

[6] – تصنع من الفول والحمص، وبذور البطيخ المحمرة، يتم طحنها، ويضاف لها قليل من الفلفل الأسود، والسكر.

بعض الأحيان يرددون نفس الأبيات التي غناها الغناي، وهو ما يدعى محليا {شد الشدة}مع التصفيق.[1]

ب.الطبل الرِّجالي: وهو نوعان:

الشلالي: تميزت به توات الوسطى، ويطلق عليه الشلالي نسبة لصاحب القصائد التي تردد والمنسوبة إلى شاعر قيل أنه أحد المجاذيب الذين قدموا إلى توات من قصر الشلالة بولاية تيارت.[2]ويؤديه الرجال بصفة خاصة، وذلك بإضافتهم لآلات أخرى في الإيقاع ومن أهم الآلات المستعملة فيه هي آلة الزمار، والناي، والطبل، والقمبري، وما يميز هذا النوع هو تلك التصفيقات المتناسقة التي يصدرها الحاضرون، والتي تتغير بطريقة ممتعة، وفي نهاية القصيدة تعاد المرجوعة فيقف شخص من الحضور ليرفع يديه وصوته قائلا:آ. فيتغير رتم التصفيق بشكل متناسق وسريع.[3]وتردد فيه قصائد من نوع الغزل، والمديح، وقد اختلف في أصوله وجذوره. منها مثلا:

البلبالي: وقد تميزت به منطقة تيديكلت وبالأخص قرية عين بلبال التي ينسب إليها، ويتميز هذا النوع بألحان متميزة تتسم بخفتها، وتستعمل فيه آلة الناي أكثر من المزمار، تغنى فيه القصائد الغزلية، مع بعض المدائح، ويبدأ فيه بقصيدة يتم فيها الابتهال إلى المولى، ويصحب الغناء بتصفيقات مميزة، وتختم برقصة رجالية.[4]

5.2.2. إيقاع العبيد: ويسمى بمنطقة تيديكلت باسم"داراني،" أما أصلها فيرجعه البعض إلى أفريقيا.[5] فهي مشتقة من صوت الصفائح الحديدية التي تحدث القرقبة، يؤدونها في بعض مناطق توات من هم من عائلات محددة يسمون أولاد لعبيد بحيث يتوارثونها أباً عن جد حتى اليوم يرددون فيها عبارات عن الذكر الجليل والرسول، والصحابة، والأولياء بطريقة متفرقة تتماشى مع الإيقاع البطيء أو السريع مستعملين في ذلك الدندون، والقلال وكذلك القراقيب...[6]

[1]-عاشور(سرقمة)، الرقصات والأغاني، مرجع سابق، ص 39

[2] -عبد المجيد(قدي)، مرجع سابق، ص231

[3] - عاشور (سرقمة،)، مرجع سابق، ص39.

[4]- عبد لمجيد(قدي)، مرجع سابق، ص230

[5] -سرقمة عاشور، الرقصات والأغاني، مرجع سابق، ص-ص 47-.48

[6] -نفسه، ص12

6.2.2.إيقاع صارة: هي رقصة تتم باستخدام الطبل من نوع القلال والعصي، بحيث يمسك كل راقص عصا وينقرونها فيما بينهم مثنى مثنى ضربة واحدة. ولهذا لابد أن يكون عدد الراقصين زوجيا ويؤدي نقر العصي فيما بينها إلى إحداث صوت جميل مميز، ويعود أصل هذه الرقصة إلى الفلاحين في العمل التعاوني في التويزة لإزالة الرمال، فهم يستعملون المسحاة تحت إيقاع الطبول،كما استخدموا المسحاة فينقروها فيما بينهم مرددين أهازيج، وأشعار حتى لاينال منهم التعب.[1]

قيل هي: عبارة عن رقصة حماسية استعداداً للهجوم لكن في وقتنا الحالي تحولت إلى رقصة استعراضية تستخدم فيها العصي من أول إلى آخر الرقصة، وفي هذا النوع من الرقصات يرتدون عباءات بيضاء وسراويل سوداء تقليدية تسمى ب"سروال لعرب" ونعال صحراوية تقليدية كذلك،[2] فيجتمع كل إثنين مع بعضهما البعض، وتبدأ فرقة الزفافنية الإيقاع بالضرب على آلاتهم وهي التبقال وأقلال، بالإضافة إلى آلة الزمير وتدعى ب "الزمار".وتؤدى هذه الرقصة في شكل دائري وحركات تكون من الخلف إلى الأمام، و يلتقيان مرة من الخلف وأخرى من الأمام تنتهي لتتحول إلى صف ليخرج الراقصون من الساحة الواحد تلو الآخر.[3]

7.2.2. إيقاع عاشور:تعتبر هذه الرقصة من أغرب الرقصات تؤديها النساء تخليداً لذكرى عاشوراء التي تمتد إلى10عشرة أيام. وقد اشتق هذا الاسم من يوم عاشوراء، تؤدى في شكل صفين متقابلين متوازيين مستعملين فيها أقلال و التبقال والزمار مرددين:

بابا عاشور ما تشكي ما تبكي	أدا عزبة أولاح لينا هجالة
بابا عاشور ما تشكي ما تبكي	أوبناتو حاشمة الزينة ياويلو.

وفي الأخير يتردد:

عاشــــور يا ويلــــــــــو مات في القمرة وسبابو مرا

8.2.2– إيقاع إيشو:هو نوع من الرقص تشتهر به خصوصا قريتين في توات الوسطى هما قرية أولاد الحاج، وقرية زاقلو، ويقوم أساسا على ملاعبة شخص معين من قبيلة محددة من قصر أولاد

[1] – سرقمة عاشور، الرقصات والأغاني، مرجع سابق، ص233.

[2] – سرقمة عاشور، مجلة العراجين الثقافية، مديرية الثقافة لولاية أدرار، ص12،(دع)

[3] – المرجع نفسه، ص 12

الحاج بعد ارتدائه لعباءة من ألياف النخيل"فدام" القابلة للإشتعال.ثم يرقص وسط جمع من الحضور على أنغام قصائد محددة، ويحيط بشخص"ايشو"شخصيات مساعدة أثناء الرقص وهذا لصرف الصبية والفضوليين عنه،وكذا لحمايته.[1]

هي من أغرب الرقصات الفلكلورية وأبعثها على الفضول في نفس الإنسان.فهذه التسمية "يشو"تقليصاً لاسم"بركايشو"لكن التسمية الأولى"يشو"يرجع أصلها إلى أحد أعيان اليهود حيث قال:إن البركايشو ماهو إلا كرنفال شعبي حيث يرتدي الشخص لباس محلي يدعى"لفدام"أو ليف النخيل بني اللون قابل للاشتعال، بستعمل كزي تنكري لا تظهر منه إلا عيناه، تؤدى هذه الرقصة يوم عاشوراء تخليداً ليوم وفاة الحسين بن علي(ض)، وذلك بدوران الذي يلبس لفدام في حلقة ويقوم بمساعدته أحد الأشخاص بإبعاد أي شخص يحاول إيذاؤه بإشعال النار فيه، ويبدؤون بقولهم:[2]

يا داني دان دان داني   داني يا دان دان داني يا داني

وفي الأخير يقولون:

صلى الله على المصطفى   سيدنا محمد نرجا اشفاعتو

9.2.2.إيقاع أهليل:

أ–تعريفه:هو طابع فلكلوري إيقاعي موسيقي يقصد به التهليل أو إقامة الليل خاصة عند الزناتة بقورارة وتعني باللهجة الزناتية أو الأمازيغية قيام،[3] أنه يمتد إلى قرون وهو عبارة عن رقصات وأغاني تردد في حلقات واحدة خاصة بالرجال تسمى بالتقرابت حيت تؤدى الرقصة وقوفا وتختص اغلب مواضيعها بالذكر،[4]أما الرقصات الخاصة بالنساء فتؤدى في البيوت ولا تخرج عن المواضيع الدينية والغزل والتصوف وهي تودى على شكل حلقات تستعمل فيها آلآت خاصة تسمى في المنطقة بالحجرة و البنجري و أقلال الصغير.[5]

---

[1] – أحمد أبا الصافي (جعفري) اللهجة التواتية، مرجع سابق، ص394

[2] – مجهول، بحث عن الفلكلور، مديرية السياحة لولاية أدرار، غير مطبوع، ص12

[3] –الحاج محمد(بلغيت)، إيقاعات شعبية عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، الجاحظية، الجزائر، 2003، ص 32

[4] –زين الدين(بومرزوق)، يومياتي في قصور قورارة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006 ، ص96

[5] – نفسه، ص97

ب- قصائده وأشعاره:

يوجد فيها المديح الديني وشعر الغزل وقصائد عن شيوخ و أولياء الله الصالحين في عدة مناسبات أذكر منها :المولد النبوي الشريف –الأعياد الوطنية –حسب الأسطورة الزناتيين يقولون ان هذه الطبوع استخرجت من أصوات مختلفة [صوت الحشرات – خرير المياه-هبوب الرياح على النخيل]وهذه الأصوات أنشأت لتجعل نوع خاص لهذا الإيقاع الموسيقي الليلي، وأصبحت تعرف باسم أهل الليل او التهليل، وفي أسطورة أخرى يقال قديما كانوا أهالي القصر يتناوبون على حراسة القصر طوال الليل وذلك بتقسيمه إلى فرقتين منها الشباب من غروب الشمس إلى منتصف الليل حتى طلوع الشمس وهم يرددون التهليل أبيات شعرية، وذلك لإعلام الغزاة بأن الحراسة مشددة وقائمة طول الليل.هناك نوعين من طبوع أهل الليل تقرابت وأهل الليل أنبداد الواقفون.[1]

وتردد فيها أشعار لسيدة تدعى لالا مريم ولالا ديما والقصائد التي تردد بين عناصر فرقة أهليل هي مزيج بين اللغة العربية والزناتية وإن كان يغلب عليها اللفظ الزناتي، ومما يردد فيها.[2]

صلى الله عليك أسيدنا	يا الله الله بسم الله الغني الله
باسم الله الذي ما يضرونا	العالي إمام الزاويا الكريم سيدي العزيز
أمولانا أنغوا يبخل	

II. حرفة الزمار:

من يغني بالقصب، وهو نوعان: الأول: من يسترزق بالتزمير بالقصب، ويطوف في الأسواق على الدكاكين فيزمر أما بشبابة واحدة أو بشبابتين، أي بقصبتين شدت أحدهما بالأخرى بخيط أو وتر قد ربط على فم قربة لها فم أخر إلى جهة فمه فينفخ القربة حتى تعظم ولسد فم النفخ في صدره ويطلق هواءها على الزمر المربوط، ويحرك أصابعه بثقاب القصب بحركات مخصوصة على حسب إرادته بأي نغم تشتهي، ويطوف على المقاهي والأسواق وهؤلاء يسترزقون منها. والنوع الثاني: يطلق على الزمار من يصنع الزمامير من القصب كالشبابة وهي حرفة مخصوصة بمحلات في بعض البلاد العربية كسوق السنانة في دمشق. وقيل في الزمار:

---

[1] -الحاج محمد (بلغيت)، مرجع سابق، ص32

[2] - زين الدين(بومرزوق)، المرجع نفسه، ص97

إلى قلوب الناس أفراحا	وزامر يبعث في زمره
ينفخ في الأموات أرواحا	كأن أمر أقبل في نابه

وقيل:

تعبر كما دونتا وتترجـــــــم	وناطقة بالنفخ عن روح ربها
فنحن سكوت والهوى يتكلم	سكتنا وقالت للقلوب وأطربت

وأصل التسمية الآلة المزمار لكنه أخذ تسمية مستعملة فصار يسمى الزمار وهو آلة تصنع من نبات قصب السكر المجوف بعد ثقبة حيث يعتمد أداؤه على حجز الهواء وخروجه على مستوى ثقوب الألة.[1] وهي آلة نفخية مشتقة من الزرنة مصنوعة من قصبتين بشكل الناي ولها مزمار رقيق وعند نفخها تأتينا بصوت مزدوج خفيف وهي عائلة الزرنة-الغايطة-النفار –الناي الكرنوميز وأنواع مختلفة في الآلات الموسيقية. تستعمل هذه الآلة مع طبل في المواويل و الإستخبار في أغاني الشلالي وتستعمل كذلك بواسطة مزود جلدي حتى تكون الأصوات متتابعة بدون انقطاع وتسمح لمستعملها تنفس بأستمرار[2] وتستعمل مع مختلف الطبوع الغنائية في توات، وقد اشتهر بتوات زمار قصر بوعلي بزاوية كنتة الذي كان يتنقل عبر مختلف قصور توات لإقامة حفلات الأعراس.

ثانيا:حرفة الحلاق(الحسان)وحفار القبور والحطاب

I. الحلاق(الحسان):

1.تعريف الحلاق لغة:الحَلقةُ تعني الدرِع والحُلقُ: بالضم الشكْلُ وبالكسر خاتم الملِكِ، والمال الكثير لأنه يَحلِقُ النبات كما يُحلقُ الشعر:كمنبر: الموسى والخشن من الأكسية جدا، كأنه يحْلِقُ الشعر. وحُلاقة المِعزى بالضم:ما حُلق من الشعر.[3]

2.تعريفه إصطلاحا:إسم لمن يحلق الشعر من الرأس والوجه بالآلة المعلومة وهي الموسى وهذه الصنعة .[4]

[1] – أحمد(ابا الصافي جعفري)، مرجع سابق، ص 410

[2]– الحاج محمد (بلغيت)، مرجع سابق، ص30

[3]–الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدرسابق، ص394

[4]– محمد سعيد القاسمي، مرجع سابق، ص103

3.خصائصها في توات

تمت الإشارة إلى الحلاقة الرجالية في بعض الكتب الفرنسية، ومنها ما ذكره(L.voinot) متحدثا عن الرجال في تيديكلت، بأنهم يعلقون محفظة في رقبتهم، وتحتوي على الأدوات التي يستعملها الرجال للحلاقة فقال بها: مشط خشبي للحية وملاقط، وسكين وكيس تبغ. ويشير أيضا إلى أن الرجال يحلقون رؤوسهم وشواربهم باستمرار، ويقطعون لحاهم، ويأخذ الذقن بالكامل، وهناك من الرجال من يطيل الشعر في أعلى الرأس، وينزله على الحزام.[1]

ويذكر أيضا نقطة مهمة جداً لطالما كنت أتساءل عنها من بين العادات التي كانت موجودة في المجتمع التواتي، ولربما هي موجودة في بعض القصور حتى يومنا هذا، وهي عادة وضع الشعر المقطوع في الثقوب الموجودة في الجدران، فلما يحلق الرجل شعره يضعه فيما يسمى محليا (الغار)، ويقول عنها (L.voinot):"لايترك الشعر المقطوع على الأرض، يتم التقاطه بعناية ويوضع في الثقوب الموجودة في الجدران، ويتوافق الناس مع هذه العادة دون إعطائها أي أهمية."[2] فيما يقول: Malt (1826-1775) الذي عاش خلال هذه الفترة وفي إطار حديثه عن اللباس التواتي:"...ويلف الرأس بقطعة شاش ويحلقون أحياناً جانباً واحداً من الرأس، ويرتدي الرجال والنساء أقراطا فضية..."،[3]وهذا الطرح فيه الكثير من الدلالات، ولربما يقودنا إلى الحديث عن بعض العادات غير الإسلامية التي كانت موجودة في مجتمع توات خاصة بعض العادات اليهودية، ومنها طريقة حلق الشعر من جهة واحدة أو أن تكون هناك دائرتين واحدة من الجهة اليمنى وأخرى من الجهة اليسرى،[4] أو ما كان يسمى" العرف" ويحلق للأطفال في وسط الرأس كانت هذه الظاهرة موجودة حتى في القرن العشرين في بعض القصور، وكثيراً ما تظهر بعض الصور هذا النوع من حلق الشعر.ووضع القرط.

كما أشار جيراردرولف إلى حين وصف مدينة أدرار فقال": ...أن بها مسجدان وقصبتان كبيرتان تقعان في الطرف الشرقي من المدينة، يسكن أحدهما الشيخ الحاج محمد ولد الحاج وزان، إنه رجل ثري للغاية وواحد من أعظم مالكي توات له سلوك حضاري، غير متعصب متفتح بقدر

---

[1]- L. Voinot: Op.cit, p114

[2] -ibid, p114

[3]-Malt (braun) : Op, cit, p 110

[4]- انظر الملحق رقم (21)ص409

ما يسمح به الدين لايضع اللحية مما يعطيه مظهر المخنث لأنه معتاد على الحلاقة بشكل كامل، وستكون مخطئا إذ اعتقدت بأنه ضعيف ..."[1] ويشير أيضا دوماس إلى نوعية الحلاقة فيقول:"يحلق عدداً قليلا منهم جانباً واحداً من رأسه فقط كل شهر، وكلهم يرتدون أقراطا فضية صغيرة."[2] واستثنى العرب من لبس الأقراط، وذكر أنهم يغطون رؤوسهم بالشاشية والشاش.

II.حفار القبور:

1.الحفار لغة:حَفَرَ الشيءَ يَحْفُرُهُ واحْتَفَرَهُ:نقّاه،كما تحفر الأرض بالحديدة، والمِحفَرُ والمِحفَارُ والمِحفَرةُ المِسحاة، والحَفَّارُ:من يحفر القبر.[3]

2.الحفار إصطلاحا:هو إسم لمن يحفر القبور ويدفن فيها الموتى وهذه الحرفة وإن كانت تشمئز منها النفوس من لم يعتدها لكنها تثري في الغالب، وغالب أهلها متوسطون، ومنهم من أثري كثيرا وصار يعد من الأغنياء في بعض البلاد العربية كبلاد الشام.[4]

أما حفار القبور في توات فهي حرفة بسيطة مؤقتة مرتبطة بالوفاة، فلما تحدث وفاة في القصر يبحث أهل المبيت عن من يحفر لهم القبر لدفن ميتهم، لذلك نجد أن كل القصور تقريبا يوجد بها أشخاصا توكل لهم مهمة حفر قبور الموتى،أما عن أجرته فقد جرت العادة عند أهل توات أن تمنح للحفار القبور فرسن(الرجل اليمنى للبعير) عند النحر أو ذبح الماشية، وتعتبر هذه الحرفة من الحرف الضرورية في المجتمع، لما لها من ارتباط بالجانب الديني.[5]

III.حرفة الحطاب:

1.الحطاب لغةً:جاء في الصحاح :الحَطَبُ معروف، تقول منه: حَطَبْتُ واحْتَطَبْتُ إذا جَمعته،ويقال لمن يتكلم بالغث والسمين:حَاطِب الليل، لأنه لا يبصر ما يجمع في حبله ويقال حَطَبني فلان إذا أتاك بالحطب، والحطَّابة الذين يحتطبون، أحْطب الكرم:حان أن يقطع منه الحطب.[6] قال الراجز

---

[1] -G .Rohlfs: Op.cit, p102

[2]- E. Dumas: Op, cit, p 62

[3] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص370

[4] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ص100

[5] – سعيدان(الحاج التومي)، مرجع سابق، ص 47

[6] – الجوهري(اسماعيل ابن حماد)، مصدر سابق، ص113

خَبٌ جروزٌ وإذا جاع بَكــىَ لاحَطبَ القومَ ولا القومَ سقَى

2.**الحطّاب اصطلاحاً**:يعرف على أنه إسم لمن يشتري الأشجار العادمة النفع ممن يبيعها من أصحاب البساتين ثم بعد قلعها وتقطيع أغصانها يهيئونها أحمالا، ويحملونها على دوابهم من جمال وأفراس وحمير ويأتون بتلك الأحمال إلى البلدة، ويجوبون الشوارع ويبيعونها بالسعر الحاضر، والحطابة لهم مهارتهم بقطع الشجر وتهيئته.[1]وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول صلى الله عليه وسلم:لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من يسأل أحدا فيعطيه أو يدعه.

وقال ابن رشد في"البيان والتحصيل":روي أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفاقة، ثم عاد فقال: يارسول الله لقد جئت من عند أهل بيت ما أرى أرجع إليهم حتى يموت بعضهم، قال:انطلق حتى تجد من شيء فانطلق فجاء بحلس[2] وقدح، فقال:يارسول الله هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويلتفون ببعضه، وهذا القدح كانوا يشربون فيه فقال:من يأخذهما مني بدرهم؟فقال رجل:أنا فقال:من يزيد على درهم؟فقال رجل آخر:آخذهما بدرهمين، فقال: هما لك.فدعا بالرجل فقال:اشتر بدرهم طعاما لأهلك وبدرهم فأسا ثم ائتني، ففعل ثم جاء فقال: انطلق إلى هذا الوادي فلا تدعن شوكا ولا حطبا ولا تأتني إلا بعد عشر، ففعل ثم أتاه فقال:بورك فيما أمرتني به فقال: هذا خيرٌ لك من أن تأتي يوم القيامة في وجهك نكتٌ[3] من المسألة أو خموش[4] من المسألة. وأخرجه الترمذي والنسائي مختصرا في باب البيوع.[5]

3.**خصائصها**:

هو أيضا الشخص الذي يقوم بجمع الحطب والخشب من الصحراء ويحمله إلى المدينة لبيعه وكسب الرزق. وكانت الأعشاب البرية وسيقان الأشجار الصحراوية مثل: البلبال الفرسيق والزيتة

---

[1] - محمد (سعيد القاسمي)، مرجع سابق، ص 99

[2] -حِلْس البيت: ما يُسط تحت حر المتاع من مسح أو نحوه.ينظر، الخزاعي علي(ابن محمد)، مصدر سابق، ص704

[3] -النُّكتة: كالنقطة وكل نقط في شيء خالف لونه فهو نكت، المصدر: نفسه، ص704

[4] -الخمش: الخدش في الوجه، وقد تستعمل في سائر الجسد خَمَشهُ، يَخْمشهُ ، خمشاً والخموش:الخدوش خدش جلده يخدشه، خدشاً: مزقه، والخدوش الأثار وهو من ذلك، المصدر نفسه، ص704

[5] - الخزاعي علي(ابن محمد)، مصدر سابق، ص703

والضمران، ولزال الذي يستخرج منه الفحم، والرتم والطلح والنخيل، والكرمة أشجار الرمان ونقلة. وبالتالي فهي تمثل المواد الرئسية للوقود في المنازل. وتعد النخلة من أكثر المواد استعمالا لما تحمله من مكونات.كالجريد، والكرناف والسقط والخشب والقدام الزيوان.[1]كذلك بعض الحشائش اليابسة كبقايا القمح والشعير أو ما يسمى(البرومي)وعيدان التافسوت والبشنة الذرة .

أن إقليم توات عرف حياة البداوة الرعوية التي نشأت مع قدوم القبائل العربية من بينها بني هلال (الخنافسة) وبدوا يجمعون الحطب وينتقلون لبيعه في القصور ويطلقون عليه تسمية (عديلة).[2]وانتقلوا إلى قصور توات وطوروا هذه العملية، وأصبحت مهنة يحترفها البعض للكسب والرزق، وكانت الجمال تأتي محملة بالحطب إلى الأسواق الكبرى أين يقوم الحطابون بنقله إلى القصور على الحمير ويقومون ببيعه بالتجزئة، وقد استمر هذا العمل حتى القرن العشرين فمازال الناس يذكرون كيف كان يؤتى بالحطب، ويتم بيعه في سوق وسط مدينة أدرار، وأصبح المكان يسمى بالحطابة لكونه كان سوقا لبيع الحطب قديما.[3]

قد عاش سكان توات مع الطبيعة والبيئة الصحراوية فحافظوا عليها واستغلوها وأخذوا حسبما يناسبهم ويساعدهم على العيش، وقد كانت هذه الحرفة من الحرف الرائجة وذلك لارتباطها بحياة السكان، فكان للحطب عدة استعمالات منها المنزلية فهو يستعمل للطبخ وطهي الطعام،[4]إذ لايخلوا بيتا في توات من أدوات طبخ تقليدية تعتمد على الحطب كالأنور، ويسمى في بالتنور وهو مصنوع من الطين يخبز فيه نوع خاص من الخبز يسمى خبز الأنور يوضع في وسطه حشوة مكونة من مادة تسمى(الأنغاد)وهو مسحوق التمر الجفف والشحم والبصل بعد تقطيعه ودقه بالمهراس وكذا الطماطم المجففة بعد تنظيفها، والتوم وتطبخ لمدة على النار[5].وكذلك تستعمل لصناعة خبز القلة، وهي جرة مصنوعة من الطين مفتوحة من الأسفل ويستعمل الحطب في داخلها ويخبز عليها خبز يسمى خبز الرقاق[6].وغسل الملابس ويستعمل لتسخين الماء استعمالات

---

[1] -سعيدان(الحاج التومي)، مرجع سابق، ص163

[2] - مبروك (مقدم)، بنائية التقسيم، مرجع سابق، ص72

[3] -مبروك(مقدم)، مقابلة شخصية بالمنزل، يوم 2018/10/12

[4] - مبروكة عودالي، المقابلة السابقة،15 /2021/09

[5] -نفسها2021/09/15

[6] -نفسها2021/09/15،

أخرى كالتدفئة في فصل الشتاء، ويستخدم في أفران الصناعات الطينية والفخارية.وعرف عند العرب أيضا أن لمهنة الحطاب مقومات وأسس، أولها امتلاك الدابة أو الدواب لحمل الحطب وقد استعملت الجمال لحملة من المناطق البعيدة والحمير لحمله إلى المدن والقصور.

وأيضا الفأس: وهي من بين أدوات الحطاب ليقوم بعملية قطعه فهناك أشجار مختلفة في الصحراء، وكذا الحبال لربطه، وعادة ما تصنع هذه من مواد محلية من إجزاء النخلة وتسمى محليا الفدام، وتحتاج حرفة أو مهنة الحطاب إلى قوة الإحتمال والصبر، والمعرفة بالصحراء وأماكن الحطب وأفضل أنواعه، وكان الناس يجمعون بعد شرائه ويحافظون عليه من البلبال،كان هو مصدر الطاقة في البيت وعادة ما يقوم بهذه المهنة البدو الرحل.

ثالثا:حرفة البنــاء:

I.تعريف البناء لغة واصطلاحا:

1.البِنَاءُ لغةً: جاء في القاموس المحيط:البَنْيُ نقيضُ الهَدمِ ،بَنَاهُ يَبْنِيهِ بَنْياً وبِنَاءً وبُنْيَاناً وبِنْيةً وبِنَايةً والبِنَاءُ :المبْنِيُّ وجمعه أَبْنِيَةٌ يقال: أَبْنَيْتُهُ أي أعطيته بِنَاءً أو ما يَبْنِي به داراً، ونقول أيضا بَنَى فلانا دَاراً وابْتَنَى دَاراً وبَنَى والبُنْيَانُ الحائط وسميَّ بِنَاءً من حيث كان لازما موضعاً لا يزول من مكانٍ إلى آخر، وليس كسائر المنقولات كالخيمة، والمظلة والفسطاط والسرادق ونحو ذلك.[1] ويستعمل أيضا لفظ العِمَارة للدلالة على البِنَايَة لنقول العِمارة الطينية أو العِمارة الصحراوية واللفظان لهما نفس المعنى وهو تعمير المكان بالبِنَاء والتشييد والعِمارة لغةً ما يعمَّر به المكان، نقول عمَر اللهُ منزلك عَمَارةً:جعله آهلاً، وعَمَارةً أي صار عامراً وأَعْمَرَهُ المكان واسْتعْمَرَهُ فِيه:جعله يعْمُرُه والمِعْمَرُ كَمَسْكَنٍ المنزل الكثير الماءِ والكلأِ، وأعْمَر الأرضَ وجَدَهَا عامرةً.[2]

2.اصطلاحا:عرَّف ابن خلدون البِناء وقال":أنها أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن.[3]" (ابن خلدون. لأن حياة الإنسان معرضة لكثير من الأخطار، فكان عليه أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد، فبنى بيوتاً وقام بتسقيفها وحمايتها بالحيطان من جهاتها المختلفة، وقد فصَّل ابن خلدون

[1] -الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص165

[2] - نفسه، ص1141

[3] -ابن خلدون المقدمة، مصدر سابق، ص 242

في صَنعة أو حِرفة البِناء حيث أشار إلى أنواع كثيرة منها: البِناء بالحجارة المنحوتة المحكمة الوضع والتي يكون فيها الجدران ملصقا ببعضه البعض بواسطة الطين الذي يمزج بالكلس أو الجص، ومنها أيضا البِناء باللَّبِن وهو التراب المبلول بالماء الذي يصنع بواسطة قالب من خشب مربع الشكل، وبعد تجفيفه بالشمس يستخدمه الفقراء في بناء منازلهم لعدم قدرتهم على البناء بالحجارة، ومنها البناء بالتراب أو الرمل المخلط بالكلس.[1]وفي كلام ابن خلدون إيحاء بأن البناء بالطوب[2]هو مخصوص للفقراء، وأن الذي يَبني بالحجارة هو المقتدر أو الميسور الحال. أما في المصطلح الأثري المعماري فإن الطُّوب هو المضروب من الطين مربعا أو مستطيلا ليُبنى به، وهو إما محروق يعرف بالآجر، وإما غير محروق يعرف باللَّبِن،[3] ويوجد في قصور توات بنايات طوبية وأخرى بالطين والحجارة، ومن يقوم على هذه الصناعة أو الحرفة يسمى البَنَّاء، ويقال له المِعْمَاري وهو من يَبْني الجدران والأمكنة والبيوت.والبَنَّاء مدبر البُنْيَان وصانعه وجاء في كتاب نفحة الحدائق والخمائل في ذكر الإبتداع والإختراع للأوائل أن أول بنَّاء في الإسلام هو عمار بن ياسر رضي الله عنه.[4]

II.خصائصها ومميزاتها

وقد انتشرت هذه الحرفة في إقليم توات منذ عرف السكان الإستقرار ضمن الإطار الواحي فمعظم الدراسات التي كتبت عن إقليم توات، وكذا الرحالة الذين زاروا إقليم توات بحواضره الثلاث أشاروا إلى نمط المعيشة وإلى النمط المعماري المميز للمنطقة والمتمثل في القصور ومنهم المؤرخ هومير homere الذي أشار إلى استقرار الإنسان الأول بالصحراء بإنشاء أولى الواحات والقصور بالقرب من السبخات ومنابع المياه القريبة من منها.وأشار إلى وجود مجموعات بشرية أطلق عليها إسم الإثيوبيون سكنوا بها[5].

[1] -محمد سعيد القاسمي وأخرون، مرجع سابق،ص-ص 51-52

[2] - طوب تحتمل عدة معاني منها الطوبَى بفتح الباء من الطَّيِّب قلب اللغويون فيها الياء واواً لضم ما قبلها ومنها قولهم طُوبى لفلانٍ أي خيراً له لأن طوبى اسم شجرة في الجنة، والطُّوب الآجر واحدته طوبةً أي آجرة ، والطَّوَّاب بتشديد الطاء والواو =وفتحهما صانع الطوب..ينظر رؤف(عاصم محمد)،معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000، ص184.

[3]- رؤف(عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000، ص1

[4] - الخراعي، مرجع سابق،ص -ص 719-721

[5]- محمد (بن سويسي): العمارة الدينية الإسلامية، مرجع سابق، ص13

كما أشار إليها الرحالة منهم ابن بطوطة، والعياشي، وابن خلدون في أوصاف دقيقة تشير إلى القصور المنتشرة في هذه الصحراء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سكان توات عرفوا حياة الإستقرار من وقت مبكر من التاريخ ، واستخدامهم للعمران وتشييدهم للقصور، والقصبات والأزقة والشوارع والمساجد و الأسواق والدكاكين .

كما أشار إلى ذلك المتأخرين من الباحثين والمستكشفين الغربيين الذين زاروا المنطقة خلال القرن التاسع عشر والعشرين من أمثال رونييه كايي سنة 1828،كاميل دول 1887 ومارتان 1902م وغيرهم.لذلك تميزت المنطقة بنمطها المعماري الصحراوي الإفريقي بحكم موقعها الجغرافي والبربري بحكم تاريخها وأول من سكنها، والإسلامي بحكم انتمائها إلى الأمة الإسلامية وما أدخله العرب المسلمين الوافدين إلى المنطقة . فامتزجت هذه المكونات لتنتج لنا نمط معماري تواتي.[1]

قد وصف العديد من العسكريين والمستكشفين الفرنسيين نمط المساكن، وقد أشاد جيراردرولف بقصر برينكان، وسماه بالمدينة وقارنه بتافيلالت قائلا:" لايوجد في تافيلالت مكان يستحق إسم مدينة، على الرغم من وجود أكبرسوق بها في الصحراء الغربية، برينكان على العكس من ذلك عاصمة واحة تسابيت، وتستحق هذا الإسم من حيث حجمها، وعدد سكانها، الذي يبلغ دون مبالغة3000 ساكن أو أكثر، ويوجد بها ثلاث مساجد بلا مآذن، ولا تبرز بها هندسة معمارية."[2]

وصف(G.champeaux) البنايات والمساكن حيث ذكر أنها مبنية بالطوب، وهو مزيج من الرمل والطين، ويتم تجفيفه في الشمس، والمنازل منخفضة وتحتوي على سطح، ويكون لها طابق واحد، ويتكون المنزل من بعض الغرف المظلمة تحيط بساحة داخلية، يوجد بها سلم يؤدي إلى السطح، الهندسة المعمارية بسيطة عبارة عن أربعة جدران لها مدخل وحيد وباب منخفض، السقف مصنوع من أعمدة خشب النخيل وفوقها توضع أغصان (الجريد) أو بعض الحشائش والأعشاب الطويلة.مغطاة بطبقة كثيفة من مزيج الرمل والطين والماء. المساكن متراصة ومجمعة

[1] – محمد (بن سويسي)،مرجع سابق، ص 16

[2] - G.Rohlfs: Op.cit,p100

عشوائيا، تكوّن القصر بمعنى المدينة، ذات أزقة ضيقة،[1] وطويلة ومظلمة، ومتداخلة في بعضها البعض، والقصر محاط بسور به فتحات (ثقوب)وفي كل أركانه توجد أعمدة تستعمل للدفاع عن القصر والتحكم في الأراضي المحيطة، وفي كل جوانبها حفر عريضة وعميقة خندق(أحفير)، ولكل قصر قصبة معزولة عن القصر، معظم القصور بها مسجد بصومعة مرتفعة تستعمل للمنادات على الصلاة، وبالرغم من الفوضى الموجودة في القصور، إلا أن الأزقة والأماكن العامة نظيفة.[2]

كما تحدث عن الطابع المدني للوحدات السكنية الخاصة بالزناتة واصفا أياه بالتجمع المبني بالطين الصلب على غرار بابل لكن هندسته ماهرة ومعقدة، أن البيوت مكونة من عدة طوابق بينها أدراج رصفت بإحكام وأن للبيوت شرفات متقنة ومزاريب، وفي الشوراع توجد ممرات مسقوفة ومقاعد للعموم يجلس عليها عابروا السبيل، وذكر أن كذلك أن القرية يوجد بها السوق وتتخلها حوانيت التجار والصناع والمقاهي وأماكن اللهو.ويقول:"هكذا نرى التجمعات السكنية في توات وقرارة وفجويج(فجيج)أشبه بقصور مصغرة لمدينة تلمسان مع فارق في المستوى والإمكانيات."[3]

1.دور البناء ومهامه ووسائله ومساعدوه:

أ– دوره ومهامه :

تعد عملية البناء من المهن والحرف الصعبة التي لا يمكن لأي شخص أن يقوم بها،فهو المهندس والمنفذ للبناء والمسؤول عن كل عملية البناء، فهو يتقن كل صغيرة وكبيرة وجزئية متعلقة ببناء معين سواء كان منزلا كاملا أو جزء منه أو جدار. فمن تصميم المنزل إلى تهيئة الجدران من الداخل إلى تصبيعها من الخارج وصولا إلى التسقيف، فهو من يقوم بتخطيط المنزل بعد الإتفاق مع صاحب البيت ويقف على متطلباته الأساسية، فيختار من العمال من يساعده وينظم عمله،كما ينظم عملهم ويوجههم ويشرف عليهم ويتفق معهم على الأجرة المتعارف عنها آنذاك يقوم البناء بنفسه بعملية البناء إبتداء من وضع أول لبنة في الأساس إلى غاية اكتماله فبالتالي يشترط فيه أن يتحلى بالدقة، وقد أشار(L.voinot) في تيديكلت حيث قال عنه:"أنه لا

---

[1]–ام الخير(مقدم)، البناء والعمارة الطينية في واحات توات"دراسة في الدلالات الثقافية والأبعاد التاريخية والمعالم"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج(07)، ع(03)، ديسمبر2021، ص ص147-150.

[2] – G. Champeaux, Op.cit, p29

[3]– إميل (فيليكس غوتييه)، مرجع سابق ،ص 167

يمتلك أدنى فكرة عن الخط المستقيم، ولا عن الخط العمودي، ويجلس فوق الجدران أثناء قيامه بعملية البناء، ويضع الطوب ويلصقه بالملاط.[1]

ب- وسائله :

1- الحبل (الخيط):

الحبل أو الخيط وهو عبارة عن خيط مصنوع من مادة الفدام (وهي إحدى الأجزاء المكونة للنخلة) تأخذ هذه المادة من النخلة حيث يصنع البناي هذا الحبل بعد لفه حتى يصبح خيطا رقيقا ويستخدم لضبط الحيطان المبنية والجدران، وحتى لا يكون البناء مشوبا باعوجاج أو ميلان، وهو ما اصطلح عليه حاليا لدى المختصين بالبناء "الميزان "وهو من الوسائل والأدوات الأساسية المرافقة لمهنة البناء.

2- اللوحة أو الخشبة :يستعمل البناء في عمله لوحة أوخشبة مهمتها هي لضبط استقامة الجدار وتسوية الطين بعد وضعه .وتسوية الأرضية.[2]

3- القادوم: وهي عبارة عن ما يشبه المطرقة مصنوعة من الحديد ،يصنعها الحدادون لها طرف حاد وعريض ،يستخدمها البناء لتكسير الطوب او الحجارة فقد يحتاج إلى جزء صغيرا من الطوب ويحتاج إلى نصف طوبة

4- المسحاة: وهي عبارة عن وسيلة مصنوعة من الحديد يصنعها الحداد تستخدم لخلط اوعجن الطين .

ج- مساعدوا البناء: ويحتاج البناء في مهمته الصعبة إلى عدد من المساعدين من أربعة إلى خمسة عمال يتخصص كل واحد منهم في عملية معينة، وقد تحدث عن ذلك (L.voinot) حيث قال:"يوجد مع كل معَلَّم عدة عمال يعملون تحت تصرفه يحضرون كريات الملاط (خليط الطين والرمل والماء) ويمررونها إليه عن طرق رميها من يد إلى يد".[3]وهم:

1- مساعد البناء: مهمته وضع الطوب والميزان والخيط معه.

2- المداد: وهو الشخص الذي يمد البناء بالطوب والطين وكل مايحتاجه من مواد البناء.

---

[1]- L.voinot: Op.cit, p141

[2]- محمد(مقدم)، بناء، مقابلة شخصية بمنزله بقصر أولادعلى، بتاريخ 2018/04/10م.

[3]- ibid, p141

3– العجان: وهو يقوم العجانون بعملية خلط الملاط المكون من الطين والرمل، والماء بأقدامهم وتحويله الى مادة طرية صالحة للبناء، تستعمل لمسك الطوب مع بعضه البعض.كما يحضرون التيمشن وهي كبريتات الجير التي يتم تجفيفها في حرارة الشمس والتي تستعمل لصقل الجدران وتبييض المنازل الفخمة.[1]

د– مواد البناء :

يستعمل سكان المنطقة المواد المحلية في عملية البناء وهي متوفرة بشكل كبير في مختلف مناطق توات وهذه المواد تتمثل في:

1– التربة: ومن خلال الدراسات الجغرافية لموقع اقليم توات والتي تشير إلى موقعه الصحراوي فهذا يجعله يتميز بتربة ذات خصائص وأنواع مختلفة منها:[2]

– تربة رملية خشنة مثل:(تربة قورارة)

–تربة رملية ناعمة:مثل (تربة توات وتديكلت)

– تربة لبينة أوطينية مثل :(تربة بني تامر ، و أولادبراهيم ، بودة ، ملوكة ، لمطارفة، تسابيت.)

– تربة طمية كتربة قصور بودة، وميمون، واينة، وبعض المناطق مثل قصر كوسام، وبوزان وملوكة وأدغاغ. ويستخدم الرمل وهو أيضا متواجد بشكل كبير وقريب من المناطق السكنية وتوجد بعض المناطق التي تجلب منها الرمال سميت بالرميلة لاحتوائها على الرمل الصافي الموجه لعملية البناء، فلا يمكن استخدام الطين بمفرده فيجب خلطه مع الرمل ليكون أكثر متانة. يتم نقله بواسطة الحمير إلى أماكن العمل.

2–الطين:وهي مادة متوفرة وبأنواع مختلفة.[3]

– **الطين الأحمر** والأكثر استعمالا بمناطق توات المختلفة

– **الطين الأصفر**: وهو أيضا يستعمل في عملية البناء ولكنه أقل جودة وصلابة من الطين الأحمر وكثيرا مايستخدم لبناء" الماجن"الحوض الذي يصب فيه ماء الساقية ونجده في كل البساتين وكذلك لترميم السواقي، ويستعمل أيضا في تزيين البيوت أي لطلاء الجدران .

[1] – L.voinot: Op.cit, p141

[2]– مبروك(مقدم) :نشأة القصور وعمارة الأرض بمناطق توات وأحوازها، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016م، ص46

[3]– محمد(مقدم)، بناء، مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2018/0/4م، بقصر أولاد علي ادرار.

– **الطين الأخضر** ويوجد أيضا بشكل كبير في مناطق توات ويستخرج عادة من الفقاقير يستعمل لطلاء الجدران والبيوت .

3– **الماء:** ويستعمل الماء لإذابة الطين لصلابته وكذلك لخلط الطين بالماء للحصول على العجينة المخصصة للبناء.

4– **الطوب:**و يسمى كذلك اللبنة هو المادة الأساسية في البناء بواسطته تقام الجدران والحيطان، و هو أنواع القديم المصنوع باليد دون قالب،والثاني المصنوع بالقالب اليدوي.

5– **الحجارة:**وقد استعملت الحجارة ايضا في بناء المنازل والقصور، فبدل الطوب والطين تستعمل الحجارة مع الطين

6– **القشب:** وهو خشب مصدره جذع النخلة، حيث يقطع حسب الأطوال المطلوبة لتسقيف المنازل وذلك بوضعه ثم الطين.

7– **الكرناف:**وهو أيضا مادة خشبية وتؤخذ جاهزة من النخلة فشكلها الذي يشبه المثلث يساعد كثيرا على سقف متين وجيد ويوضع فوقه الطين .

8– **سعف النخيل:**يستعمل سعف النخيل أيضا لتسقيف البيوت بدل الكرناف .

هـ– المطاين: ويقصد بها الأماكن التي تستخرج منها الطين، ويوجد الطين بكثرة في المنطقة وفي أماكن قريبة من المحيطات السكنية تسمى"تغاز الطين"[1] بمعنى مكان تواجد الطين، وهو مكان غير بعيد حاليا عن وسط المدينة، لذلك سهل استخدامه، لكثرة استخراج الطين منه تشكلت به مغارات كبيرة حسب ما يرويه سكان القصر وما تناقله الناس عبر التواتر، فقد استخدمت هذه المغارات في فصل الصيف للهروب من حر الشمس.

III– صناعة الطوب: وهي حرفة قديمة في المجتمع حيث يعتمد السكان أساسا في بناء منازلهم على هذه الصناعة، فمعظم البيوت مبنية بالطوب لسهولة الحصول على مواده من الطبيعة وسهولة التعامل معه، ويوجد نوعين من الطوب في توات.

1– طوب اليد:[2] وهو الطوب الذي يصنع بواسطة اليد أي بدون قالب، وتأخذ شكل مثلث ويحضر بواسطة خلطة الطين المشكلة عادة من الطين الأحمر والتراب والماء بعد عجنه بشكل جيد

---

[1]–ينظر الملحق رقم (26)، ص414

[2]–محمد(مقدم)، مقابلة شخصية بمنزله، بقصر أولاد علي، ادرار، يوم 2018/0/4م. ينظر الملحق رقم (35) ، ص426

أما كيفية صناعته، فيأخذ الصانع كمية من الطين المعجون والمحضر مسبقا على حسب حجم الطوب المرغوب في صناعته فهناك الطوب ذو الحجم الكبير الذي يستعمل لبناء الجدران، حيث نجدد أن القاعدة أو الأساس الحائط يتطلب طوب من الحجم الكبير، والحجم المتوسط ولحجم الصغير، فيقوم الصانع بصناعة الطوب بأحجام مختلفة.ويتركه يجف لمدة حتى يصبح صالحا للاستعمال.ومن استعجل عليه يقوم بتقليبه.[1]

2-طوب القالب: وهذا النوع من الطوب أيضا قديما ويظهر في العديد من البنايات القديمة، في أسوار القصبات، والقصور القديمة فظهرت أنواع القوالب بعد ذلك منها القوالب الخشبية والحديدية تماشيا مع أنماط البناء، وقد استغل الإستعمار الفرنسي هذه المادة في بناء المرافق الخاصة بهم واستنباطهم من البناء المحلي، وإدخال تجديد على طرق البناء. وهذا النوع يختلف عن الطوب المصنوع بدون قالب من حيث الشكل، فالأول مثل ماذكرنا سالفا شكله يشبه المثلث أو الهرم والآخر يأخذ شكل المستطيل.[2]

أما بالنسبة لطول وعرض الطوب، فالنوع الأول المصنوع بدون قالب لم يكن يحدد له مقياس معين فقاعدته شبه دائرية الشكل ويشبه الهرم في شكله الكلي، والصانع هو الأكثر دراية بما يحتاجه نوع البناء وهو الذي يحدد حجم الطوب المطلوب من هذا النوع، فالطوب ذو الحجم الكبير يخصص لبناء أساس المنزل إلى أن يصل إلى السقف أوبناء الأسوار، والأقل منها التي بعدها ثم الصغيرة التي تستعمل في المراحل الأخيرة من البناء. بينما الطوب المصنوع بالقالب فيكون طوله حوالي 30سم وعرضه 15سم. ويحتاج الحائط المبني بطوب اليد تقريبا 8 طوبات أو 7 طوبات في المتر الواحد وبالتالي يحتوي الحائط على 21 أو 20طوبة في ارتفاع الحائط فيصل طوله إلى 3أمتار أو.5متر.[3]وقد حاول البناء التواتي إضفاء نوع من الجمالية على البناء رغم بساطته منها:

أ- التصباع: وهي تاتي بعد نهاية عملية البناء فيقوم البناء بتصبيع الجدران من الخارج، وذلك بأن يمرر عليه الطين تاركاً آثار أصابعه عليه فيسمى تصبيعا. فتظفي نوع من الجمال على

[1] - محمد(مقدم)، بناء، المقابلة نفسها.

[2]- محمد(مقدم)، بناء، مقابلة شخصية بمنزله، بقصر أولاد علي ادرار، يوم 2018/0/4م. ينظر الملحق رقم (35) ص423

[3] - محمد(مقدم)، المقابلة نفسها

البنايات.[1] وقد أشار (L.Voinot) إلى هذه الخطوة حبث قال:"يتم التجصيص بالأصابع كلما ارتفع الحائط، وفي المنازل الفخمة يتم تغطية البناء بالجص، ويصقل بنعومة حتى يصبح أملسا."[2]

ب– الشّرّيف: عندما تصل عملية البناء إلى مرحلتها الأخيرة، يقول البناء لمساعده المداد شرّف أي يعطيه كمية صغيرة من الطين لصنع شرّيفة في نهاية البناء شكلها يشبه الهرم الصغير توضع واحدة إلى جانب الأخرى، في أعلى الحائط مشكلة مايشبه الخطوط المنكسرة .والهدف منها جمالي. وأيضا هدف آخر هو الحماية والوقاية من اللصوص، فهذه الشريفة حجمها صغير، حتى إذا أمسك بها اللص سقط واكتشف أمره.[3]

---

[1]– محمد(مقدم) المقابلة نفسها

[2] -L.voinot,Op.cit,p141

[3]– محمد(مقدم)، لمقابلة نفسها.

خلاصة الفصل:

إن طبيعة المهن والحرف التي مارسها سكان توات خلال القرن التاسع عشر(19م) رغم بساطتها مكنتهم من ممارسة نشاطاتهم اليومية فكانت المصنوعات المحلية من الأدوات الطينية أو الحديدية أو السعفية الأكثر تداولاً وهذا بشهادة المؤرخين عربا وأجانب الذين تحدثوا عن الإقليم حسبما أشرنا إليه.

لكن من الملاحظات التي تم رصدها من خلال هذه الدراسة أن الحرف اليدوية خاصة الطينية ومقارنة مع الأوصاف التي قدمت لنا من خلال المقابلات التي أجريت مع الحرفيات لم تشهد أي تغير رغم التطور الكبير الذي شهدته هذه الصناعات في مدن الجزائر الشمالية أو بلاد المغرب بصفة عامة إلا أنها ظلت في توات بدائية الصنع والمنتوج فكانت كثيراً ما تفتقد للجوانب الجمالية كالزخرفة والألوان بإستثناء بعض الخطوط بدون ألوان، أو نقاط. وهذا من خلال ما اكتشفناه من زيارت ميدانية لمتحف جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار أين يوجد العديد من بقايا الأواني الطينية،كذلك من خلال زيارات قادتنا لبعض المنازل التي لاتزال تحتفظ ببعض هذه الأدوات القديمة في قصر تسابيت،كما لاحظت أيضا عدم دخول العجلة المستخدمة في صناعة الطين على الرغم من أنها هي الأخرى قديم وقد استعملت في مدن الشمال.

فيما بدأت بعض الحرف في التلاشي والإختفاء تدريجيا من المجتمع كالسقاية والمشاطة التقليدية التي حلت محلها اليوم (الحلاقة)،وعلى الرغم من ذلك فقد استعملت المرأة التواتية مختلف الوسائل للإهتمام بجمالها، وكانت تضيف الشعر منذ ذلك الوقت، ورجعت هذه العادات للمختلف المجتمعات وبطريقة عصرية، ولازالت الصناعات السعفية تصارع من أجل البقاء، وكان لها دوراً مهما، في حياة السكان، فقد استخدمت تلك المصنوعات السعفية في الزراعة، والكيل، والتجارة، كما شهدت حرفة الصياغة أو النقارين خاصة تراجعا كبيراً وهناك من يعزوا ذلك التراجع إلى إنحصار دور اليهود، بل وخروجهم من توات، ولم يعد لها أي أثر في القصور، حيث بقيت منحصرة أكثر شيئا عند قبائل الطوارق ولا تزال مستمرة إلى اليوم.

الفصل الرابع

الفلاحة وما ارتبط بها من حرف في حواضر توات خلال القرن 13هـ/19م

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول الزراعة والفلاحة

المبحث الثاني: حرفة الفلاحة (الزراعة في حواضر توات خلال ق 13هـ/19م).

المبحث الثالث: طرق السقي في حواضر توات

المبحث الرابع: حرف مرتبطة بالزراعة

تمهيد

إن الحديث من الناحية التاريخية عن حرفة الزراعة في حواضر توات، يدفعنا حتما إلى الحديث عنها في الإطار الجغرافي للمنطقة، وهي الصحراء الكبرى التي تعتبر الصحراء الجزائرية جزءاً منها، بما فيها الإقليم التواتي، وفي هذا يرى العلماء أنه خلال العصور الجليدية، أي ما بين 18000-120000 سنة قبل الميلاد كان إقليم الصحراء الكبرى يتمتع بمناخ رطب، وكانت تغطيها الغابات والنباتات والأعشاب ومجموعة من البحيرات والأنهار، وكانت المنطقة تعج بالحيوانات المختلفة كالفيلة والزراف، وعمرتها مجموعات بشرية تعتمد في غذائها بصفة أساسية على صيد الأسماك والحيوانات، ومع بداية الألف العاشرة قبل الميلاد انتهت الظروف المواتية للحياة وبدأت تتحول من مناطق خضراء مأهولة إلى امتدادات صحراوية جافة مجدبة، وفي الألف الخامس قبل الميلاد أصبحت كلها صحراء، وبدأ السكان في مغادرتها نحو الشرق، ويعود سبب التصحر الإفراط في الرعي بسبب القطعان الكثيرة التي كانت موجودة حينها.[1]

أما عن ظهور الزراعة في هذه المناطق فحسب علماء النبات، وعلماء ما قبل التاريخ معظمهم يرى أن تربية الحيوانات والزراعة قامت في المنطقة قبل غيرها من مناطق افريقيا، نتيجة لوصول موجات كبيرة من المهاجرين قادمين من جنوب شبه الجزيرة العربية باتجاه شرق افريقيا ومنها إلى الشمال مرورا بمصر عبر وادي النيل، وبالتالي حملوا معهم الخبرة الزراعية، والبذور التي لم تكن لم تكن موجودة في قارة إفريقيا، وقد أكدت الدراسات أن إفريقيا لم تكن بها نباتات القمح والشعير، وأن هذه النباتات هي من أصل أسيوي، وأن موطنها الشرق الأدنى القديم الذي عرف الزراعة قبل إفريقيا بعشرات القرون، ومما يؤكد ظهور الزراعة في صحراء الكبرى قبل غيرها، تلك الرسومات الصخرية التي تعود لدور الرعاة، بمرتفعات سفر بالطاسيلي، وصور كلاب أليفة، وماشية بالإضافة إلى لوحات تصور النساء وهن تعملن في الحقل بالإضافة إلى العثور على أحجار الرحي، والمدقات، عرفنا أن الرعاة الذين استقرو بمنطقة الصحراء الكبرى منذ الألف السادسة قبل الميلاد وكانوا يمارسون الزراعة إلى جانب مهنة الرعي.[2]وقد أدى ظهور الزراعة إلى ظهور العديد من الحرف المرتبطة بها غير الرعي، ومنها تحضير الأرض للزراعة، الحرث، السقي، الحصاد، الدرس، وغيرها

[1] -محمد على عيسى، مرجع سابق، ص-ص 64-66

[2] - نفسه، ص-ص 71-72

ويعتبر إقليم توات بحواضره الثلاث من ضمن المناطق الصحراوية، وقد اعتمد السكان كغيرهم من سكان المعمورة على الفلاحة لتلبية حاجياتهم الضرورية، فمارسوا النشاط الزراعي البدائي، الذي انجرت عنه عدة حرف، وهذا ما نحاول التعرف عليه خلال تحديد المفاهيم، بيان كيف تعامل السكان مع الفلاحة أو الزراعة؟ وماهي الحرف التي تولدت عنها؟ وكيف انعكست على المجتمع التواتي؟

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول الزراعة والفلاحة

أولا: تعريف الفلاحة لغة واصطلاحا

أ- الفلاحة في اللغة

تعتبر الفلاحة او الزراعة من بين الحرف القديمة التي عرفها الانسان و حدد ابن فارس لمادة « فَلَحَ» دلالتين الأولى شق الأرض والثانية البقاء والفوز فهو يقول:الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان الأول يدل على الشق والثاني على الفوز والبقاء فالأول: فَلحْتُ الأرضَ بمعنى شَقَقْتُها والعرب تقول: «الحَديدُ بالحديدِ يفلحُ » ولذلك سمي الأكَّار فلاحاً...، والأصل الثاني البقاء والفوز. فالفائز يشق الأرض لنجاحه كما يشق الزارع الأرض ليفوز بالنبات.[1] الفَلاَح:الفوز والنجاة و الفَلْحُ: الشَّقُّ كالفَلاحَة وأفلَح بالشيء، عاش به والفَلاَحة بالفتح الحِراثة.[2]

ب- الفلاحة في الإصطلاح: قد ذكرها ابن خلدون في المقدمة وصنفها من بين أمهات الصنائع وسماها صناعة الفلاحة، كما صنفها ضمن الصنائع من النوع الإنساني الكثيرة والضرورية في العمران، وقد اختص بها بالبدو كونه أقدم من الحضر، وهذه الصنعة تندرج تحتها العديد من الحرف، وهذا ما يمكن أن ندركه من تعريف ابن خلدون لهذه الصنعة حيث يقول:"هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها بازدراعها وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه".[3] ويظهر من خلال ما ذكره ابن خلدون عدة حرف مرتبطة بها وتبدأ من

[1] - اسماعيل(ابن حماد الجوهري) الصحاح، ص 393

[2] - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1262

[3] - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص441

أول عملية الزرع فمنها مثلا: تحضير الأرض، الحراثة أو الزراعة، السقي، الحصاد، والدرس، التقليم، التلقيح، جني التمار وغيرها من الحرف.

والفلاحة وإن اختصت بالبدو قديما فهي ذات أهمية كبيرة لأنها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا، ومن ثم نجد في القرءآن الكريم الإيماء إلى جملة من أنواعها والتنويه بها.[1] كما قال في قول عز وجل:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّتٍ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِ إِذَا أَثْمَرَ وَ ءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾.[2]

وقال جل وعلا:﴿ وَلَو أَنّ أَهل القُرى ءَامَنوا واتقوا لَفتَحنَا عَلَيهِم بَرَاكَاتَ مِنَ السَّمَاءَ والأرضِ ولكِن كذَّبُوا فَأَخَذنَاهُم بِما كَانوا يَكسِبونَ﴾[3]. وقال عز وجل﴿وهُو الذِي جَعَل لَكم اللَّيْل لِباساً والنومَ سُباتاً وجعَلَ النَّهار نُشوراً وهُو الذِي أَرسَلَ الريحَ نُشُراً بَينَ يَديْ رَحْمتِه وأَنزلْنَا مِن السَّماءِ ماءً طهوراً ﴾[4]

فالفلاحة بأنواعها والأشجار والزروع، وما تحتاجها من عمل وجهد بالحرث، والسقي وحصاد الزرع وجني الثمار، وما خلقه سبحانه لنا في هذا الكون كالليل والنهار والسبات والنشور والرياح اللواقح الرخية والماء الطهور الذي أنزله الله تعالى علينا من السماء و أجراه ينابيع في الأرض لآيات تدل على قدرة الله سبحانه.[5]

2- الحراثة لغة واصطلاحا :

أ-الحراثة في اللغة: الْحَرثُ و الحِراثة العمل في الأرض زرعاً كان أو غَرساً، وقد يكون الحرث نفس الزرع، وبه فسر الزجاج قوله تعالى:﴿ أَصَابَتْ حَرثَ قَوْمٍ ظَلَمُواَ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾[6] حَرَثَ يَحْرُثُ حرثاً الأزهري:الحَرثُ قَذفُكَ الحَبَّ في الأرضِ لازْدِرَاعِ والحرث الزرع والحرات:الزراع وقد

---

[1] - محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 403

[2] - سورة الأنعام، آية 141

[3] - سورة الأعراف، آية، 96

[4] - سورة الفرقان آية،47-48

[5] -محمد الطاهر(بن عاشور)، المرجع نفسه، ص403

[6]- سورة آل عمران، آية117

حرث واحترث مثل زرع و ازدرع والحرث الكسب، وهو أيضاً الاحتراث وفي الحديث أصدق الأسماء الحارث لأن الحارث هو الكاسب واحترث المال:كسبه و الإنسان لا يخلو من الكسب.[1]

ب–الحراثة اصطلاحا:هي استغلال ظاهر الأرض في إنتاج المحاصيل والغلات اللازمة لطعام الإنسان ومنافعه، أو هي معالجة الأرض بالحرث والبذر والسقي لاستنبات الزروع والثمار والانتفاع بها في التقوت والتفكه.[2]

3– الزراعة

أ–الزراعة لغة :من زرعَ:زَرَعَ الحبَّ يزْرَعُهُ زرعاً وِ زِرَاعَةٌ، بَذَرَهُ و الإِسِم الزَّرْعُ وقد غلب على البر والشعير، وجَمْعُهُ زروع، والّزرّيعةُ: مَابُذِرَ وقيل الزَّرِّيعُ ما ينبت في الأرض المستحيلة مما يتناثر فيها أيام الحصاد من الحب قال ابن كِرِي و الزَّرِيعة بتخفيف الراء الحب الذي يزرع ولا تقل زَرِّيعة بالتشديد فإنه خطأ، واللهُ يَزْرَعُ الزَّرْع :ينميه حتى يبلغ غايته، فالزرع بمعنى الإنبات، ويقال زرعه الله أي أنبته وزرع الحب يزرعه زرعا وزراعة :بذره والإسم الزرع، وقد غلب على البر والشعير، وجمعه زروع، وقيل الزرع نبات كل شيء يحرث، وقيل الزرع طرح البذر والزراع:معالج الزرع، وحرفته الزراعة.[3]

ب–إصطلاحا: تعتبر الزراعة من أهم الأنشطة التي يمارسها الإنسان، وهي من أقدم المهن إذ يرجع البعض نشأتها إلى حوالي11000سنة في منطقة الشرق الأوسط، فكانت المصدر الأساسي للحصول على الغداء، ويمكن تصنيفها تاريخيا كالآتي:

ثانيا– تصنيف الزراعة تاريخياً

1– الزراعة التقليدية البسيطة :

وهي التي ظهرت مع حاجة الإنسان إلى الغذاء واستعملت فيها وسائل بسيطة، حيث كان الإنسان القديم يقوم يرمي البذور في الأراضي المتيسرة، ويستخدم آلآت بدائية غير متطورة لإنتاج سلع ومحاصيل زراعية معاشية لا تكاد تشبع رغبات السكان.[4]وهذا الدور بدأ بضرورة

---

[1]– محمد الطاهر(بن عاشور)، المرجع السابق، ص819

[2]–سعيد أبو الفتوح محمد بسيوني، الحرية الإقتصادية في الاسلام وأثرها في التنمية، ط1، دار الوفاء للطباعة، القاهرة ،1408هـ–1988م،ص 392

[3] – ابن منظور، مصدر سابق، ص 1826

[4] – الموسوعة العربية، الكترونية، موقع arab-ency.com.sy تاريخ الزيارة 2022/08/29، (دص)

الانسان للغذاء، ولا يمكن تحديد الفترة الزمنية التي بدأت فيها إلا أن بعض المصادر التاريخية تشير إلى نوعا من الزراعة كان معروفا منذ تسعة آلاف سنة قبل الميلاد، وكانت معها بداية الحضارة وكانت أول خطوة للإنسان نحو الزراعة عندما اكتشفت بعض القبائل بالصدفة أن النباتات يمكن أن تنبت من البذور، وأن بعض الحيوانات يمكن أن يستأنس بها وتعيش وسط الأسر.

ساهم اكتشاف الإنسان للبذور وإمكانية إنباتها في توفير الغذاء، وتجنب عناء التنقل والبحث عن الغذاء، وهو الأمر الذي أدى إلى التحول من حياة البداوة إلى نوع من الإستقرار والاستيطان في أماكن معينة، وبدأت تنشأ الحضارات الإنسانية الأولى، وبدأ الإتصال بين الحضارات وتبادل الخبرات. كانت طرق الزراعة بدائية في العصور القديمة، فكانت البذور تزرع في حفر صغيرة تعمل في التربة وكانت الحبوب تحصد بأدوات بسيطة، واستطاعت بعض القبائل في منطقة الشرق الأوسط مع مطلع سنة 8000ق.م من زراعة القمح والشعير في بلاد الشام والعراق والأرز والدخن في الصين وجنوب شرقي آسيا، والقرع في المكسيك، فقد زاول قدماء المصريين الزراعة منذ 6000سنة ق.م وقد عثر على أثار ذلك على مقابرهم من رسوم ونقوش ونماذج لطرق البذر والإنبات والحصاد والأدوات التي استعملت وقتها.

يعتقد العلماء أن منطقة الشرق المتوسط كانت الموقع الوحيد لنشوء الزراعة، لكن دراسات أخرى أظهرت أن الزراعة لم تظهر في مكان واحد، ولكن من الضروري الإشارة إلى أكبر حضارتين في منطقتين من الشرق الأوسط، هما نهر النيل منطقة الهلال الخصيب، وبلاد الرافدين

التي تضم المناطق الواقعة حول نهري دجلة والفرات، واستخدموا مياه الانهار لري مزروعاتهم، وأنشؤوا أول أنظمة واسعة للري،[1]وكشفت الآثار الباقية عن شبكات ري تعود إلى أكثر من ألف سنة والأقنية المتفرعة من أحواض الأنهار الكبيرة تنقل الماء لمسافات بعيدة جداً، وكانت بلاد الرافدين وكلدة وسجستان تعج بتلك الأقنية، وكانت تستعمل أقنية تجر الماء تحت الأرض، ومن الجبال إلى مسافة مئات الكيلومترات، ومازال بالإمكان مشاهدة أبار التهوية والتنظيف إلى اليوم، في عديد المناطق، في سهوب بزد وكركن،[2]والواحات الصحراوية الجزائرية والمحراث الذي تجره الثيران المحراث، وحصلوا على كميات كبيرة من الإنتاج، قد طرأت أيضا

[1] – جاك (ريسلر)، مرجع سابق، ص 117

[2] – نفسه، ص 117

تغييرات على الزراعة في أروبا بعد أن كانت بدائية، وكانت تعتمد على عمال السخرة والتحكم فيهم من طرف الملاك وبدؤا باستخدام المحاريث الكبيرة، التي تجرها الثيران أو الخيول فزاد الإنتاج الزراعي، وبدأ تدريجيا الإهتمام باختيار أفضل البذور والحيوانات وواستخدام الدورة الزراعية الثلاثية، التي ساهمت في زيادة معدلات الإنتاج من الحبوب، وانعكست اجتماعيا واقتصاديا على المجتمع، وبدأ التحول من المزارع الفردية إلى مزارع مشتركة كبرى.[1]

أما في العهد الإسلامي فقد اهتم خلفاء وولاة أمور المسلمين بالأرض، وبذلوا الجهد للسيطرة خاصة على الماء، واهتم الخليفة عمر ابن الخطاب اهتماما واسعا بإصلاح الأراضي، وكان أول إصلاح قام به إرساله عثمان ابن حنيف الأنصاري لمسح السواد، وذلك لمعرفة مقدار الأراضي الصالحة للزراعة، وطلب من الفلاحين العناية بالتربة وحرثها وإصلاح الطرق والجور، وكتب إلى أهل البصرة يحذرهم من إنهاك الأرض فعبر عن ذلك بقوله:"لاتنهكوا الأرض لأن شحمتها فيه"،كما أنه سمح بإحياء أراضي الموات فقال:"من أحيا أرضا مواتا ليست في يد مسلم ولا تعاهد ،فهي له." وروي أيضاً أنه كتب إلى الناس من أحيا مواتا فهو أحق بها".[2]

2- **الزراعة المتطورة**: أدت الثورة الصناعية في انكلترا إلى تطور زراعي كبير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد تمكن المزارع جيثرو تل(jethro tell) من اختراع آلة بذر (بذارة) تجرها الخيول، واستورد محاصيل زراعية لادخالها في الدورة الزراعية،كما استخدموا دورات زراعية رباعية وطور روبيرت بيكويل تربية الأغنام والمواشي(Robert Blackwell)تربية الأغنام والمواشي وفي أواخر القرن التاسع عشر أصبحت إنكلترا نموذجاً اقتدت به كامل أروبا والعالم الجديد، وتم تأسيس مراكز للبحوث، وكليات للزراعة لتطوير الزراعة واستعملت كيماويات متنوعة مخصبات للتربة فزاد الإنتاج واخترعت آليات جديدة للزراعة، وتعتمد الزراعة على التقنيات الحيوية الحديثة وعلى العلوم البيولوجية، وتطوير المكننة الزراعية الحديثة فظهرت أنواع جديدة ومن المحاريث والجرارات من البخارية إلى الجرارات التي تحرك بالمحروقات، وتطورت مشاريع الري والصرف وحفظ موارد التربة وتحسينها وتطورت أكثر في العديد من البلدان بعد استخدام تطبيقات علم الوراثة وأدت إلى زيادة إنتاج المحاصيل من خضروات، وفواكه ونباتات، وغابات وحيوانات والدواجن

[1]- الموسوعة العربية، (دص)الكترونية، موقع arab-ency.com.sy تاريخ الزيارة 2022/08/29

[2]- مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982م، ص306.

وتحسين نوعيتها، وأنظمة الحفظ والتجميد لتوفي الطلبات المتزايدة في الأسواق.وهي الزراعة التي عرفت تقدما كبيراً في الوقت الحالي خاصة في الدول الصناعية، من خلال استخدامها تقنيات حديثة جد متطورة كالأسمدة الكيماوية، والألآت الخارقة مما ساهم بشكل كبير في زيادة الإنتاج[1]

المبحث الثاني: حرفة الفلاحة في حواضر توات خلال ق (13هـ/19م).

أولا: واقع حرفة الفلاحة في حواضر توات

أما حديثنا عن حرفة الفلاحة في توات فالمؤكد أننا نتحدث عن إقليم صحراوي له مميزاته وخصائصه. ورغم أن هذه الحواضر الصحراوية كانت خلال القرن التاسع عشر لاتزال تعتمد على الإنتاج المحلي، وما تنتجه البساتين من منتوجات معظمها معاشية، كزراعة كالقمح والشعير والتافسوت، وبعض الخضر البصل، والجزر، والفلفل بأنواعه...[2] إلا أن ذلك لم يمنع السلطات الإستعمارية الفرنسية من إرسال بعثات إستكشافية لهذه المناطق طمعاً في خيراتها ومن بينها، وقد تحدث مختلف الدراسات والتقارير الفرنسية عن الأوضاع الإقتصادية في إقليم توات مشيرة إلى أن النشاط الزراعي يعتبر أهم الموارد المعيشية للمجتمع التواتي.[3]

والفلاحة أهم حرفة زاولها التواتيون، مثل غيرهم من الشعوب، إذ تعتبر الوسيلة الوحيدة لتوفير الحاجات الغذائية للسكان، وهي عصب الحياة، على الرغم من أن طبيعة المنطقة صحراوية وليس من السهل استغلالها، مع صعوبة المناخ والطبيعة، وزحف الرمال، وقلة الأراضي الزراعية مقارنة بالمساحة الكلية للإقليم إذ أن أغلب الأراضي الزراعية تقع في مجاري الوديان القديمة أو بالقرب من السبخات،كما تتميز بكونها تربة مالحة تصلح خاصة لزراعة النخيل، بالإضافة إلى مشكل ندرة المياه، وصعوبة الحفاظ على الموجود، إذ لا يمكن للساكنة استعمال قنوات مياه مكشوفة لشدة حرارة الشمس التي تؤدي إلى تبخرها إذ تصل أحيانا إلى 120 درجة فرنهايت في الظل.[4]

وبالتالي لجوؤهم إلى أصعب الطرق وهي الفقارات التي تشق طريقها تحت الأرض ولمسافات طويلة، وتميزت الزراعة بكونها زراعة تقليدية بدائية اعتمد فيها على الجهد البدني

---

[1]- الموسوعة العربية،(دص)الكترونية، موقع arab-ency.com.sy تاريخ الزيارة 2022/08/29

[2]- A.G.P.Martin,Oasis, Op.cit.p311

[3] – عميراوي (أحميدة)، وآخرون، مرجع سابق، ص 30، ينظر أيضا الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص 53

[4]- فرج محمود (فرج)، مرجع سابق، ص 68

والعضلي، على عكس ما كان عليه الحال المناطق في الشمال الإفريقي والبلاد العربية حيث كانت الوسائل الزراعية كثيرة الإنتشار، فكان هناك المحراث الموروث عن الأجداد كالمحراث المزود بسبكة حديد ومقلب، وكان الجمل والجواميس والثيران والأبقار، والخيول في حراثة الأرض وتقليبها، وكان جميع الفلاحين لهم معرفة بفن تحضير الأرض وحرثها، مثلما يجيدون استعمال الأسمدة التي كانوا يعرفونها، ويعرفون خصائصها، ويعرفون مكافحة الطفيليات والحشرات الضارة.[1]

كان الفلاح في توات، يعتمد على جهده البدني، يقلب الأرض ويحضرها للحرث بجهده وقوّته، و يشق الفقارات التي تأتيه بالماء لسقي الأرض، منذ قرون، وقذ ذكرها ابن خلدون مستغربا هذه الوسيلة المستعملة في البلاد الصحراوية لاستنباط المياه، بقوله"...وهذه الغريبة موجودة في قصور توات..."[2] كما أشار الحسن الوزان إلى بعض المنتجات الزراعية حيث قال:" لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير،"[3]وأشار إلى بعض المشاكل التي تعانيها الزراعة منها صعوبات السقي، وندرة السماد كما أن تربتها جافة وهزيلة جدا ولكن توجد بها حدائق الأمر الذي انجر عنه بروز العديد من الحرف الزراعية المكملة لبعضها البعض، والتي استطاع المجتمع بواسطتها التقليل من حدة العوائق الكثيرة لهذا النشاط الإقتصادي والمورد الهام، منها حرفة الكيال(كيال الماء)، والنقال والقمان والحصاد والدقاق، وغيرها، وكذلك أنماط إنتاجية مختلفة، من خماسة وخراصة، ومزارعة وغراسة، ومساقاة.

ثانيا- خصائص ومميزات حرفة الزراعة وانعكاساتها على المجتمع:

أ- تمَلُّك الأرض واستغلالها

تعتبر الأرض أساس النشاط الزراعي إذ لا زراعة بدونها، وهي وسيلة للكسب وأصل من أصول التكسب التي قسمها الإسلام إلى ثلاث، وهي في نفس الوقت تمثل عناصر الإنتاج وركائزه المتمثلة في(الأرض والعمل ورأس المال)، وهناك من زاد عليهم(التنظيم)، والأرض كما عرفها ابن عاشور:هي كل ما يصل إليه عمل الإنسان في الكرة الأرضية بما فيها من بحار وأودية ومعادن، ومنابع مياه غير أن الحظ الأوفر من ذلك وهو الأسبق.هو الأرض ويعني سطحها الترابي فإنه منبت

[1] - جاك (ريسلر)، مرجع سابق، ص 116

[2] - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص 119

[3] - محمد الوزان(الحسن)، مصدر سابق، ص-ص133-134

الشجر والحب والمرعى ومنبع المياه. قال تعالى:﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءهَا ومَرْعَيهَا﴾[1] وقوله تعالى ﴿هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الارْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وإِلَيْهِ النُّشُور﴾[2] وقوله تعالى:﴿هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلىَ السَّماءِ فَسَوّايهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكِلِّ شيءٍ عَلِيمٌ﴾.[3]ولذلك فقد كان للأرض مكانة كبيرة في المجتمع، وكانت محل نزاعات، وصراعات كثيرة أفصحت عنها مختلف النوازل، والمسائل المتواجدة في المخطوطات التواتية. [4]

كانت ملكية الأرض في المجتمع التواتي بسبب نقص المساحات الصالحة للزراعة تقوم على، أسس التقسيم الطبقي، وقد كانت البلاد العربية حتى القرن التاسع عشر لاتزال تعيش تحت تأثير العرف والتقليد، خاصة في جانب امتلاك الأرض، التي كانت تقتصر على طبقة الأشراف والفئات الغنية مادياً، أو الشريفة بالنسب، وإقليم توات لم يكن بعيداً عن هذا التأثير فمثلما كانت الطبقة الكادحة في المجتمعات الأخرى هي التي تقوم بالأنشطة البسيطة، والتي قد توصف أحيانا بالدنيئة، نفس الشيء كان في المجتمع التواتي.أن الفئات التي كانت تمتهن حرفة الزراعة وهي الفئة الضعيفة(الحراثين)[5] فهذه الفئة في الغالب مهاجرة من أراضيها الأصلية نتيجة للأزمات والمجاعات التي حلت بإقليم توات خاصة خلال القرن التاسع عشر.

تم تليها الفئة الأخرى وهم العبيد، فحتى هذا التاريخ كانت لا تزال مظاهر استغلال العبيد مستمرة في توات، وقد استخدمت هذه الطبقة كما استخدمت في سائر البلاد العربية والإسلامية، وقد وردت مسائل عدة حول العبيد، والمتاجرة بهم منها:مسألة جاء فيها:"وسأل الإبن أباه عن رجل أتى بعبيد من السودان ذكورا وإناثا ونوى بهم التجارة، وأتى عليهم عيد الفطر فهل عليه زكاة فطرهم وإن لم يتحقق إسلامهم للحكم بإسلامهم إذ لادين يدينون به، وما الحكم في الصلاة عليهم إن ماتوا."،[6] بينما طبقة الأشراف والأحرار فكانوا ملاك الأراضي، ويأنفون من مزاولة حرفة

---

[1] -سورة النازعات، آية 31

[2] - سورة الملك، آية15

[3] -سورة البقرة، آية 29

[4] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص391

[5] -A.Salka, Op.cit, p523

ينظر أيضا O.I.watin, Op.cit, p210

[6] -محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد المليك البلبالي، مسائل ملتقطة من غاية الأماني في أجوبة الشيخ أبي زيد التنلاني مخطوط، بخط يد، الطيب شاري، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ورقة1-2

الزراعة، وأكثرهم يمارسون التجارة،[1] أويعتمدون على ما يجنى من أراضيهم عن طريق الأنماط الإنتاجية التي كانت متبعة والتي كانت في معظمها لصالح ملاك الأراضي على حساب أصحاب الجهد البدني ومن هذه الأنماط، الخماس والخراص.

1- الحق في الملكية الفردية: يقر الإسلام حق الملكية الفردية للمال بوسائل التملك المشروعة ويجعلها قاعدة نظامية ويترتب عن هذا التقرير نتائج طبيعية، وهي حفظ هذا الحق لصاحبه وصيانته له عن السرقة، أو النهب أو السلب، أو الإختلاس أو المصادرة، وكذلك كف النفوس من التطلع إلى ما ليس لها ويترتب عنه أيضا حق التصرف في المال بالبيع والإجارة والرهن والهبة والوصية ...وحقوق التصرف الحلال وقد صرح الإسلام بذلك بقوله تعالى:﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[2] كذلك قوله:﴿ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ...﴾[3]

2- أشكال الملكيات الفلاحية:إن ملكية الأرض في المجتمع التواتي، موضوع صعب، على اعتبار أن معظم الإقليم واحات صحراوية، اختلفت وضعيتها السياسية عبر مختلف الفترات التاريخية، فقيل أنه خضع لدولة الموحدين(524-668هـ/1130-1269م)،[4]والدولة الزيانية (633-962هـ/1335-1552م)، حيث أشار أبو العباس الونشريسي أن حدودها الجنوبية تمتد إلى صحراء توات،[5]كما استطاع بعض سلاطين المغرب إخضاعة في مراحل تاريخية أيضاً، ويعد موضوع ملكية الأرض الزراعية من أصعب الدراسات في التاريخ الإسلامي،[6] التي تواجه الباحثين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي خاصة لبلاد المغرب الإسلامي لما يكتنفه من صعوبات منهجيه

[1]- A. Salka, Op.cit, p522

[2] - سورة النساء، الآية 32

[3] - سورة الكهف، الآية 81

[4]- محمد بن عبد الكريم(بن عبد الحق التمنطيطي)، مصدر سابق، ورقة رقم 3

[5] - عبد العزيز الفيلالي، مرجع سابق، ص29

[6] -محمود(اسماعيل) سوسيولوجيا الفكر الإسلامي(طور الازدهار1، الخلفية السوسيو تاريخية)، ط1، مؤسسة الإنتشار العربي القاهرة، 2000، ص 26

وتاريخية،[1]وهو نفس المشكل الذي يواجهه الباحث في تاريخ توات الاقتصادي، خاصة وأن الإقليم والواحات لم تكن بها سلطة دائمة، تتولى توزيع الأراضي الزراعية بشكل قانوني.

واستلزم الأمر التوجه نحو الفقه الإسلامي[2] على نفس خطى بلاد المغرب الإسلامي باعتبار الفقه الإسلامي هو المصدر الذي يتضمن الإطار النظري لنظام تملك الأرض، لأن المشكل في سياسات الدول المتعاقبة ببلاد المغرب ومدى تطبيقها لفقه ملكية الأرض، لأن جلها كان في حروب وصراعات وتوسعات على حساب الدول الأخرى.[3]ونحاول من خلالها معرفة أنواع الملكيات التي وجدت في إقليم توات، وقد أجمل الفقهاء أقسام الأرضين بالنظر إلى أحكامها ومصرف فوائدها إلى أربعة أقسام:أرض عنوية،[4]وأرض صلحية،[5]وأرض انجلى أهلها من غير أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وقال الإمام المازري: ما انجلى عليه أهله من غير قتال، فعندنا أنه لا يخمس ويصرف في مصالح المسلمين،كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرف ما يؤخذ من بني النضير.[6] وأرض أسلم عليها أهلها:قال أبو عبيد القاسم في"كتاب الأموال"(69). فهي لهم ملك إيمانهم، وهي أرض عشر،[7]لاشيء عليهم فيها غيره.[8]

لما شاور الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين، خالفه البعض ووافقه البعض في وضع أسس ترسيم الوضعية القانونية للأرض في الدولة الإسلامية، وكان العديد من كبراء الأنصار، وأشرافهم انتصروا لرأي الخليفة فقالوا: الرأي رأيك

---

[1] – عمر(بنميرة) النوازل والمجتمع في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الرباط 2012، ص123

[2] –نفسه، ص12

[3]– لخضر(العربي)، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني(6هـ/1235م-962هـ/1554م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف محمد معمر،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، 143 هـ-2017م-1439هـ-2018م، ص99

[4] – هي التي فتحها المسلمون بالقوة وفي حديث الفتح"أنه دخل مكة عنوة"أي قهرا، وهو يعنوا إذا ذل وخضع، والعنوة المرة الواحدة كأن المأخوذ بها يخضع ويذل.أحمد (الشرباصي)، مرجع سابق، ص25

[5] – أرض افتتحت صلحا على خراج معلوم قال أبو عبيد القاسم بن سلام في"كتاب الأموال"(69) أيضا فهم على ما صولحوا عليه لا يلزمهم أكثر منه.علي(ابن محمد ابن مسعود الخزاعي)، نفسه، ص529

[6] – علي(ابن محمد ابن مسعود الخزاعي)، مرجع سابق، ص528

[7] – ما كان لا يصل إليه ماء الأنهار فاستخرجت فيه عين فهو أرض عشر، أحمد الشرباصي، مرجع سابق، ص 25

[8] – علي(ابن محمد ابن مسعود الخزاعي)نفسه، ص529

ونعم ما قلت، وما رأيت وبذلك أصبح الخليفة صاحب الحق الشرعي في وقف الأرض، أوقسمتها فظهرت الدواوين وزادت عائدات الأرض على بيت مال المسلمين.[1] وهناك أسباب عديدة ومختلفة أورده المؤرخون لتعليل موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[2]

أما عن وضعية الأرض في بلاد المغرب فقد اختلفت الروايات في أمرها فقيل أنها عنوية وقيل صلحية وقيل أن فحوصوها عنوية وجبالها صلحية لأن الجبال مظنة الامتناع(وقيل الوقف) وتشير بعض المصادر إلى إصطلاحات دقيقة تضبط علاقات مختلفة لتملك الأرض المستغنى عنها بطريقة قانونية فهناك: أرضي المخزن(الدولة)، وأراضي السلطان، الأرض الصافية، الأرض المحكرة أرض بلاد الظهائر، وأراضي الإقطاع، والاملاك المشتركة، وأرض القانون الأرض الغامرة، الأرض البور، وغيرها،كل هذه المصطلحات تكشف عن أشكال الحيازات، واستغلالاتها الفلاحية التي تختلف من حيث مساحتها والأطراف المالكة لها، ومن خلال هده التسميات يمكننا التمييز بين سبعة أصناف لملكية الأرض بالمغرب الأوسط الزيانية:[3]

أراضي الدولة[4]، أراضي السلطان،[5]أراضي الإقطاع، أراضي الوقف، الأراضي الفردية، الأراضي الجماعية، أراضي الموات.

أما عن وضعية حواضر توات، فقد تحدث في ذلك الشيخ أبي زيد الجنتوري (ت1160هـ/1747م) استناداً إلى تقسيمات البرزلي في الحاوي حينما تحدث عن أرض تونس وقال الشيخ أبي زيد الجنتوري:"وإنها مملوكة إجماعاً وليست بأرض جزاء إذلم يحك عن أحد أن أرض توات من جملة أرض العنوة، مع أنه يحكم ببيعها ملكا، وهذا من الفظائع."ثم ذكر في تأليفه على المغارم في الرد على قضاة وقته قال:" ولنذكر أولا مبانيهم ثم ننقضه عروة عروة، فمنهم من قال هذه البلاد يعني توات فتحت عنوة وأنها للسلطان لا يستحق فيها أحد شيء إلا بعد خراج

---

[1]- علي(ابن محمد ابن مسعود الخزاعي)، مرجع سابق، ص 529

[2] - محمد علي(نصر الله)، تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام(نموذج أراضي السواد)، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1982م، ص59

[3] - لخضر(العربي)، مرجع سابق، ص94

[4] - هي الأراضي التي تكون بحوزة الدولة،كانت بيد السلطان يقطعها لمن اقطع مع مراعات مصلحة المسلمين(وتضم جميع الأراضي الصافية التي جلا عنها أهلها أو قتلوا في الحرب وتعرف أيضا بأرض المخزن).لخضر العربي، نفسه، ص100.

[5] - وهي الأراضي الخاصة بالسلطان أو بالأسرة الحاكمة، وتتميز ببعدها عن الأراضي التابعة للقبائل وبمساحاتها الشاسعة الخصبة والمحادية للمدن الكبرى، نفسه، ص 102

السلطان، وهذا الإخلاء في بطلانه، فإن هذه البلاد لم يبنها كافر قط وإما اليهود فإنهم كانوا فيها قديما تحت الذمة، ومن نظر في كتب التاريخ كابن خلدون تبين بطلان هذا المنبر".وقد ذكر البرزلي في نوازله أراضي تونس وقسمها إلى أرض جزاء، وأرض حكر وهي المسماة بأرض الطبل والوظيف والأرض الحرة، إلى أن قال: ما نقل للمذكور، وأما أرض بلادنا فهي أرض حرة في الأصل وما وظف عليها فمحدث، وهو ظلم اتفاقا."انتهى.[1]

فقد أفصحت النوازل خاصة نوازل الغنية، ونوازل الجنتوري، ومسائل عبد الرحمن التنلاني ومسائل الزجلوي على أنواع مختلفة من هذه الصيغ، فقد أشارت إلى أراضي الحبس أو الوقف، وتأخذ حيزاً كبيراً من النوازل، ويوجد أيضا، الأرض الغامرة، الأرض البور وأراضي الموات وأراضي المشاع، أراضي الإقطاع، الأراضي الفردية، والأراضي الجماعية.

1.2- أراضي الوقف:.

1.1.2- تعريف الوقف: لغة واصطلاحا:

أ-الوقف لغة: يقال (وقفت) الدار وقفا حبستها في سبيل الله وشيء (موقوف) و(قف) أيضا سميته بالمصدر والجمع(أوقاف)[2]وهو الحبس وفي الشرع حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة وهذا عند أبي حنيفة، وعند صاحبه حبس العين عن التمليك مع التصديق بمنفعتها فتكون العين زائلة إلى حكم الله تعالى من وجه وقيل: الوقف مصدر وقفت الأرض، وغيرها أوقفها هذه هي اللغة الصحيحة الشهيرة، ويعبر عنها بالحبس فيسمى وقفا لأن العين موقوفة وحبسا وهو جعل منفعة مملوك ولو بأجرة أوغلة لمتحقق بصيغة دالة عليه كحبست ووقفت هذه ما يراه المحبس فلا يشترط فيه التأبيد وهو مندوب لأنه البر وفعل الخير.[3]قال تعالى﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[4]

ب- الوقف اصطلاحا

الوقف باعتباره عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية، يقوم على توفر الواقف الذي له أهلية التبرع، بما يملك من ذات أو منفعة، على وجود الموقوف وهو المنفعة، التي تصرف على سبيل

---

[1] - محمد (علي)، مرجع سابق، ص124

[2] - أحمد (بن محمد بن علي الفيومي)، مصدر سابق، ص669

[3] - أحمد (الشرباصي)، مرجع سابق، ص-ص 483-484

[4] - سورة الحج، آية77

الحبس، فشلا على توفر الموقوف عليه، وهو المستحق لصرف تلك الذات أو المنفعة ولو كان مصلحة عامة كالمسجد والمدرسة والزواية وغيرها، هذا مع اشتراط صيغة الوقف، ولو كانت الصيغة تتعلق بمسجد أو مؤسسة خيرية.

بفضل هذه الأسس والأركان كما يعرف فقهيا يأخد الوقف مفهومه الشرعي، ويصنف حسب الغرض من صرف المنافع المترتبة عليه، فمنه ماهو وقف عام يعود أساسا على المصلحة العامة حبس من أجلها ومنه ماهو وقف خاص لا يتحول صرف منفعته على المصلحة العامة التي حبس على أساسها إلا بعد انقراض العقب أو إنقطاع نسل صاحب الحبس أي الواقف .

وهذا الصنف الأخير من الوقف يعرف بالوقف الذري أو العائلي أو الأهلي، وهو الشائع في أغلب أقاليم الإمبراطورية العثمانية ومن ضمنها الإيالة الجزائرية، وهو عكس الوقف الخيري الذي سبقت الاشارة إليه.[1]

2.1.2- أنواع الوقف:

- **باعتبار الغرض**: لم يكن المتقدمون يفرقون في التسمية بين ما وقف على الدرية ثم وقف على غيرهم من جهات البر، بل الكل يسمى عندهم وقفا أو حبسا، أو صدقة إلى أن المتأخرين مالو إلى التمييز بينهم وتقنينه بشكل تفصيلي، أو التوسع في أهداف الوقف وأنواعه، ودوره الاجتماعي حيث ميزت الشريعة الإسلامية بين ثلاث أنواع من الوقف باعتبار الغرض الوقف الديني، الوقف الخبري، الوقف الخاص أو الذري.[2]

-**الوقف الديني البحث**: هو تخصيص الأموال لأهداف العبادة بمعناها الضيق نحو أماكن العبادة والصلاة وهذا النوع من الوقف عرفته جميع الشعوب منذ الأزل من مساجد، وبيَع وكنائس وصوامع.[3]

[1] -ناصر الدين (سعيدوني)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2001، بيروت، ص230.

[2] -أحمد (محمد عبد العظيم الجمل)، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الإقتصادية، المعاصرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط1 ، 1428-2007، ص24، ينظر أيضا خالد (بن محمد المشيقع)، الأوقاف في العصر الحديث،كيف نوجهها لدعم الجامعات وتنمية مواردها-دراسة فقهية – د س،دت، ص24

[3] - نفسه، ص24

أمدتنا النوازل بالعديد من نماذج الأوقاف الخاصة بالمساجد، والزوايا وبعضها في شكل نزاعات من شاكلة: المسألة التالية التي جاءت في نوازل الغنية للبلبالي نصها:[وعن إمام في يده جنان مسجد، وادعى أن له في ماجله شيئا من الماء و لا بيّنة لماء المسجد إلا كون الناس يعرفون الماجل تسقي وبيّنة أيضا للرجل فهل(الحوز)هنا للمسجد أو للإمام.][1]وفي عرف أهل توات أن يقال لوقف المسجد أو الجامع جنان الجامع أو جنان المسجد بالصيغة التي وردت.من الأحباس الخاصة بالزوايا نذكر المسألة التالية ذكره البلبالي في مسائل الغنية.

مسألة:[نزاع أصحاب زاوية البركة في شأن الزاوية] [سؤل عن حبس في بلد البركة حبس على زاويتها ليستفيد منها ابن السبيل وغيره من الضيوف كلف برعايته والإشراف عليه ابن وصي الحبس على أن يأكل هو وأولاده وخدامه من غلته أيضا نضير خدمته ولقد كانت غلة الحبس وافرة تكفي أهل الزاوية كما تكفي غيرهم وبلغت نسبتها أربعين حملاً من التمر أو أكثر لكنها مع مرور الزمن ضعفت وتناقصت فما الحكم في ذلك]فأجاب الشيخ عمر الأكبر التنيلاني مطالباً الشخص المتصرف في الحبس و المسؤول عليه تحديد نفقاته حسب وضعية الحبس فغلته لا تخصه هو لوحده بل يتقاسمها مع الفقراء، وأبناء السبيل راجياً من أهل البلد المساهمة في ضيافة الظلمة والمعتدين حتى يخففوا ضغط التكاليف على تلك الزاوية.[2]

–الوقف الذري (الأهلي): هو ما كان على الأولاد، وأولاد الأولاد، والأقرباء ثم على المساكين ويقترب من الذرية في المعنى: الأولاد والنسل والعقب.[3]

– الوقف على الأولاد:كأن يقول الواقف وقفت على ولدي وأولاد أولادي سواء كانوا موجودين وقت إنشاء الوقف أم لم يوجدوا فأنهم مستحقون ذكورا أو إناثا ويحوز كل واحد منهم ما وقف عليه في حالة حياة الواقف في غير مرض أو موت. وقد جاء في نوازل الغنية العديد من الصور على شاكلة المسائل التالية:

المسألة 1:[وسأله سيدي والدي بقوله:وعلى شيخنا السيد محمد بن السيد العالم ألف سلام وتابعاه و(بعد)سيدي جوابك فيمن قال في حبسه على أولاده وأولادهم ما تناسلوا ولا مدخل للأبناء مع أبنائهم فإن انقرضواْ عن آخرهم فإن أبنائهم مقام أبائهم يكون فيه على السواء كآبائهم

[1] –محمد عبد العزيز (البلبالي)، الغنية، تح فاطمة حموني، مرجع سابق، ص1032

[2] –زاجية (هرباش)، مرجع سابق، ص107

[3] – أحمد (محمد عبد العظيم الجمل)، مرجع سابق، ص 24

هل المراد بقوله يكون فيه الخ...أن كل واحد من أولاد الأولاد له قمسة ويستوون فيه أولاد كل ولد من أولاد صلبه يتنزل منزلة أبيه اتحد أو تعدد.][1]

المسألة 2:ومما جاء في الغنية للبلبالي في هذا أن[رجلا حبس على ذكور أولاده أصلا وجعل لبناته قدرا من غلته ثم عوض لهن من تلك الغلة أصلا حسبه عليهن ومما وجد بخطه سئل ألهمه الله رشده عن رجل حبس على ذكور أولاده أصلا وجعل لبناته منه قدراً من غلته ثم بادله هذه بعد ذلك فعوض لهن من ذلك الغلة أصلا حبسه عليهن هل يصح ذلك أم لا ؟ فأجاب وفقه الله بأن الحبس من العقود التي تلزم بالقول فلا يجوز له تغييره فالمعاوضة غير صحيحة والله تعالى أعلم.][2]

مسألة3 :[امرأة حبست أرضاً على ابنتها و الأرض غامرة،[3] لم تتقدم لها عمارة] فهل الإشهار بها كاف.فأجاب (بل) نجله، وبعد فلا بد من إثبات صحة ملكيتها للأرض التي لم تتقدم فيها عمارة وهل ملكتها بوجه صحيح أو لا والحيازة فيها بالنظار والتحديد و إلا لم يصح.

– **الوقف على العقب والأولاد**:هو أن يقول الواقف: وقفت على عقبي و أولادي وبناتي ومن ظهري أولادي ما تناسلوا، ولا يدخل أولاد البنات وأن وقف على أقربائه صرف على من يشمله العرف من أقربائه ولا يدخل أبواه وأولاده.

– **الوقف الخيري**: وهو الوقف على المصالح الخيرية أو على جهات البر كالفقراء واليتامى...الخ والذي جعلت فيه المنفعة لجهة بر أو أكثر، وكل ما يكون الاتفاق عليه لله تعالى. فهو ما يخصص من عقارات وأموال لوجوه البر المتنوعة صحية أوثقافية أو اجتماعية. [4]

– **أوقاف باعتبار الفئات المستفيدة**: فقراء، مجاهدين، علماء، طلاب، أبناء السبيل، مرضى، أيتام.

– **أوفاق باعتبار الأنشطة**:مساجد، مدارس، جامعات، مستشفيات.

– **أوفاق باعتبار الطبيعة**:عقار سكني، أراضي زراعية.[5]

---

[1] – محمد عبد العزيز البلبالي، الغنية، تح فاطمة حموني، مرجع سابق، ص–ص 1032–1033

[2] – نفسه، ص 918

[3] – نفسه، ص918

[4]– أحمد (محمد عبد العظيم الجمل)، مرجع سابق، ص25

[5] – نفسه، ص26

2.2- أراضي الموات:

يعتبر إحياء الأراضي الموات من بين الأساليب الكثيرة التي استعملت لإستغلال الأراضي البور، في الزراعة والتعمير لقوله تعالى:﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1].وإحياء الموات لقب لتعمير دائرة الأرض بما يقتضي عدم انصراف المعمر من انتفاعه بها.والإختصاص بالأرض أما بإحيائها أو بصيرورتها، حريما لبلد أوبئر أو شجر، أو دار، وعليه يكون إحياء الموات معناه إعداد الأرض الميتة في الزرع، والغرس والسكنى ونحو ذلك.وقد رغب الشرع في إعمار الأرض وإحياء مواتها، وتنمية مواردها ولتحقيق رفاه الناس ورخائهم، وإكثار ثرواتهم، وتقوية سبل المعيشة والكسب لديهم عن طريق استثمار خيرات الأرض والإنتفاع ببركاتها.[2] كما أشارت النوازل إحياء أراضي الموات،[3]من خلال العديد من المسائل التي وردت فيها.

3.2- أراضي الإقطاع: وقد أشار صاحب جوهرة المعاني أثناء حديثه عن الشيخ عمر بن عبد الرحمن الأموي التنلاني، إلى زاوية مهدية وأنه تم إقطاعها له من طرف أمير المغرب، ولم يشر إلى إسمه ويقول في ذلك:"الفقيه العلامة الزاهد...أمير ركب الحرمين وأمين أمير المغرب على القصور الصحراوية، بحيث يصغى لقوله في التولية وتقسيم الأموال، وقطع له أرض زاويته مهدية فأتقنها وحبسها على ابن السبيل، وتولى أمر الفتوى والتحكيم... "[4]وتوجد وثيقة من زاوية مهدية، تظهر أن أرض الزاوية امتلكت عن طريق الإقطاع.

ب- ملكية الماء واستغلاله

تقدم لنا النوازل معلومات وافية عن العلاقات التي كانت تسود بين سكان قصور توات فيما يتعلق بالنشاط الزراعة ومن كان يقوم بالعمل الفلاحي والقوانين التي تحكم العلاقة بين ملاك

---

[1] - سورة البقرة، آية 164

[2] -وهبة (الزحيلي)، الفقه المالكي الميسر ج1-2، دار الكلم الطيب،1431هـ-2010م، دمشق، ص 682

[3] - الإحياء في اللغة:جعل الشيء حيا، أي ناميا والموات: ما لاروح فيه أو الأرض التي لمتعمر، وهي أيضا ما لم يكن بها بناء ولازرع ولم تكن فناء لأهل قرية...ولاموضع مقبرة ولاموضع محتطبهم ولاموضع مرعى دوابهم وأغنامهم، وليست بملك لأحد ولا في يد أحد، فمن أحيا منها شيئا فهوله، ينظر وهبة الزحيلي، الفقه المالكي الميسر ج1-2،دار الكلم الطيب،1431هـ-2010م، دمشق، ص682، أيضا أحمد الشرباصي، مرجع سابق ، ص39

[4] -محمد (بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي)، جوهرة المعاني، نسخة للمخطوط بخط يد الطيب شاري، خزانة كوسام أدرار، الجزائر. ورقة19و20

الأراضي مع الفلاحين وكيفية الاستغلال، ومنها على سبيل المثال النوازل المتعلقة بملكية الماء وطرق واستغلاله حسب ما جاء في الفقه الإسلامي، وحسب العرف.

1. ملكية مياه الفقارة:

نظرا للأهمية الكبيرة للماء، في المجتمع التواتي كغيره من المجمعات، فإنه قد حاز قدراً كبيراً من الإهتمام، ويظهر ذلك من الكم الكبير الذي تورده لنا النوازل المختلفة، وقد اهتم العلماء بالماء وفوائده للإنسان والحيوان، والنبات وما يترتب عليه من نزاعات بين الأفراد والجماعات والقبائل وتوسع الفقهاء في هذا الموضوع، وبشكل خاص كتب الأقضية والحسبة والخراج، والنوازل التي خصصت جزء كبيرا من الفتاوى، للمشاكل التي تحدث بين الناس في الحواضر والبوادي، من قضايا اجتماعية واقتصادية، خاصة بسبب الماء والأرض والسقاية،كما حاول الفقهاء في بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط العمل بثلاث قواعد لتوزيع الماء بين الشركاء، لتجنب الضرر فاعتمدوا على القوانين الشرعية المستمدة من التشريع المالكي للمياه، حتى تسود العدالة بين الأطراف وراعوا في ذلك ترتيب الأولويات، وحماية المصلحة العامة، وتصانيف الماء ونوعيته وطبيعة نشاط الطرف المستفيد، وأخذوا أيضا بالأعراف والعادات المسيرة للري والسقاية، حتى يتجنبوا النزاعات بين الفلاحين لأن هذه العادات متجدرة في الوسط الفلاحي، وجزء من سلوكاته.[1]

إلا أن الوضع في إقليم توات قد يختلف بعض الشيء ذلك أن ملكية الماء لم يكن تخضع في جوهرها إلى تقسيم متساوي[2]رغم أن التقسيم حسب الكمية كان دقيقا وفقا للآلات المستخدمة في التقسيم(الحلافة)، والماجل إلا أن التقسيم في حقيقته كان حسب الفئات،[3]أو الطبقات المشكلة للمجتمع التواتي، إذ لم يكن بمقدور الجميع الحصول على حصة من الماء مالم يكن يحوز على الأرض(بستان) ولو بالكراء، أو السلف، أو التخريص أو الشراء. وقد تمت الإشارة في الفصل الأول من الدراسة إلى أسس ملكية الأرض، وعلاقاتها بالمكونات البشرية المجتمع التواتي والتي لم تكن في الأساس وليدة المجتمع التواتي لوحده، بل كانت سائدة في كل المجتمعات سواء العربية، أوالغربية ولو بشكل مختلف.ومن خلال بعض نوازل الغنية للبلبالي، والمصادر الفرنسية، يظهر كذلك خاصية مميزة لملكية الماء في توات حيث يمكن تقسيمها أيضا قسمين:

---

[1] – عبد العزيز، (الفيلالي) مرجع سابق، ص 157

[2] –عبد الله (بابا)، مرجع سابق، ص242

[3]– المرجع نفسه، ص242

أ- الملكية الدائمة للماء وهذه لا يتمتع بها إلا ملاك الأراضي الذين لهم ملكية في الفقارة، أو ملاك الفقارة(أرباب الفقارة)، وهذه تنتقل لهم مباشرة عن طريق الميراث. أبا عن جد، حيث يرث الأبناء حصة والدهم من ماء الفقارة لأنه مرتبط عادة بالبساتين.وكذلك الأشخاص الذين تكبدوا مصاريف إنشاء الفقارة.[1]

ب-الملكية المؤقتة: وهي الملكية التي تتم عن طريق التعاقد أو الإتفاق بين الأطراف وتكون لها مدة معينة وتنتهي، وتكون إما عن طريق الكراء، أو السلف أو التخريص. وهي نفسها المعاملات المتبعة في استغلال الأراضي الزراعية. ونتج عن ذلك انعكاسات كثيرة على المجتمع، وقد ساهم الموقع الجغرافي للإقليم بحواضره الثلاث توات، تيديكلت وقورارة، في الحفاظ على محطات، ونشاط القوافل التجارية التي كان لها دوراً مهما في تقسيم العمل وظهور تخصصات داخل المجتمع، فكان أن ظهرت فئة التجار، التي امتلكت المال بسبب تعاملها مع تجار القوافل، الأمر الذي سمح لها بامتلاك مجموعات خصصت للعمل في الفقاقير، أو الرعي، أو الحراسة، وبدأ يظهر التمايز الطبقي نتيجة لتقسيم العمل، والفصل بين فئات المجتمع على هذا الأساس. فظهرت بذلك:[2]

1- فئة المالكين لوسائل الإنتاج (الماء، الأرض، الإنسان)فاستخلص المجتمع علاقة مفصلة بناها على أساس:(**امتلاك الماء ــــــ امتلاك الأرض ــــــ امتلاك الإنسان**)وكان الماء والأرض الوسيلة الإنتاجية لكل علاقة مبرمة مع الغير أي الإنسان.[3]ويمكن أن نحصرها في طبقة الأشراف والأحرار والمرابطين.

2- فئة أوطبقة إجتماعية لا تملك إلا قوة عملها وهذه التي سخرت للعمل في الفقاقير، وبناء القصور والقصبات.ومحصلة ذلك النتيجة التالية:(**مالك للمال والماء، ومالك لقوة عمله**)وسخرت هذه الطبقة للعمل في البساتين،[4] وتتمثل في طبقة الحراثين، وطبقة العبيد.وقد وردت مسألة في غاية الأماني في أجوبة الشيخ أبي زيد التنلاني خلاف بين حرثاني ورجل آخر حول الدين:[ووجد بخط السيد محمد العالم ما نصه:[سئل ماسكه في رجل حرطاني من غير بلده خالطه في دين وجاء، الآن على سبب دينه وادعى بالعدم وطلب منه أن يمشي معه إلى بلده على نحو مسافة يوم

[1]- G.Champeaux, op.cit, p24

[2] -مبروك (مقدم)، الأنماط الانتاجية التقليدية في القصور التواتية ،ج5، دار هومة، الجزائر، 2000، ص-ص 16-17

[3] - مبروك (مقدم)، نفسه، ص14

[4] - نفسه، ص16

ليخدم فيها له أو لغيره ويقاصه بما زاد من خدمة معيشته فهل يجبر الحرطاني المذكور على المشي معه أولا يلزمه ذلك.][1]

والجواب فيه": أن القول الذي كنا عليه في هذا لما يلزمه أن يخلصه من خدمته فيسافر معه للخدمة كما يسافر لنفسه إذا أراده والخدمة لازمة له عندنا لأنه على ذلك يعاملون ولو كانوا لا يخلصون من خدمتهم لما عاملهم أحدا أو ضامن بين أيد المسلمين وهذا القول بوجوب الخدمة على من ليس بتاجر وهو قول اللخمي رضي الله عنه."[2]

1.1. كيفية استغلال مياه الفقارة

أ- عن طريق الكراء:تعتبر من أهم الأساليب المستعملة في استغلال الأراضي الزراعية في توات و الكراءُ والكُروة في اللغة نعني:أجرة المستأجر مثل كراني دابته أو داره.[3]وقد رصدت لنا النوازل عدد كبير من المسآئل عن كراء الماء، والمنازعات التي كانت تحدث بين المتعاملين لأن العرف التواتي يسمح بالتعامل بكراء الماء ومما جاء في إحدى نوزال الغنية للبلبالي[مسألة في من باع الماء بيعا صحيحا وبقي بيد البائع يستغله مدة]وسئل عما يظهر فأجاب:"وأما من باع بيع صحيحاً وبقي بيد البائع يغتله مدة فللمشتري الرجوع بكرائه تلك المدة لأن ضمانه منه بالعقد بخلاف البيع الفاسد فلا كراء عليه لأن ضمانه القبض وهذا كله ظاهر من نصوص أهل الفقه."[4]

كما وردت مسألة أخرى[من اكترى جنانا وفيه ماء لأجنبي اكتراه البائع منه ثم طلب رب الماء الكراء من المشتري]وسئل[عمن اشترى جنانا،وفيه ماء لأجنبي قد كان البائع اكتراه منه ثم طلب ربه كراءه من المشتري فقال له خذ ماءك،وإن تركته فلا كراء لك علي لأني لم أجد عنه محيصا،ولو وجدته لأخرجته عني، ولست محتاجا إليه،ثم أن ربه تركه، فلم يأخده، فهل يلزمه الكراء لا نتفاعه أو لا لقوله المذكور].[5]

---

[1] - محمد عبدالكريم(بن محمد بن عبد المالك البلبالي)، مصدر سابق، ورقة رقم 9

[2] -نفسه، ورقة 9

[3] -أحمد الشرباصي، مرجع سابق، 383

[4] - محمد (بن عبد الرحمن البلبالي)، الغنية، مصدر سابق، ورقة 499-450، ينظر أيضا فاطمة حموني، مرجع سابق، تح ص 199

[5] -نفسه، ص214

ومن المسائل [رجل ابتاع جنان واكترى ماءه فمن الأولى بالماء المشتري أم المكتري؟]وسئل عما يظهر فأجاب:"وبعد فإذا علم مشتري الجنان بأن البائع اكترى ماءه فالمكتري أولى بالمنفعة الماء حتى تتم مدة الكراء ولا كلام للمشتري فيه وإن لم يعلم فهو مخير بين أن يفسخ البيع أو يصبر حتى تتم مدة الكراء والله اعلم."[1] أما عن المقابل الذي يستحق جراء هذا العقد فهو دفع الحبوب والتي قد تصل إلى نصف المحصول دون المحاصيل الأخرى التي لا تدخل ضمن نطاق عملية لذالك فأن الحصيلة تكون كبيرة على المكتارين، وهو ما يدفع الأغنياء إلى اللجوء إلى مراقبة مصادر المياه ومحاولة تحكم فيها، كما كان يحدث مثالا في زاوية رقان التي كان يقطنها العرب بواحة تاوريرت رغم غناها إلا أنها كانت تعاني من الفقر نظرا لتحكم أهل الزاوية في المياه، وإجبار أهل البلد على تقديم معظم منتجاتهم كمقابل للحصول على المياه هذا ما ذكره(Grand.guillaume).[2]

ب- عن طريق السلف: السلف-بفتحتين-هو القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض وعلى المقترض رده كما أخذه وهو في المعاملات على وجهين، أحدهما القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض غير الشكر، وعلى المقترض رده كما أخذه، والعرب تسمي القرض سلفاً، والثاني هو أن يعطي مالاً في سلعة إلى أجل معلوم بزيادة في السعر الموجود عند السلف، وذلك المنفعة للمسلمين ويقال له: سلم دون الأول وفي الحديث: من سلف فليسلف في كيل معلوم إلى أجل معلوم، يقال سلفت و أسلفت تسليفا و إسلافا، والإسم السلف واستلف اقترض.[3]وقد أمدتنا النوازل بنماذج كثيرة عن هذا النوع من المعاملات، منها المسألة التالية:[هل يجوز سلف كيل الماء بكيل البلد]وسئل عن سلف كيل الماء(أعني الشيخ)بكيل هذه البلاد، هل يجوز أم لا؟ وإن لم يجز، فهل يلزم فيه رد الغلة؟

بعض ما جاء في نص الجواب:"وبعد فإن ظاهر كلام ابن عرفة لايجوز، لأن تسلفه يستلزم تسلف مخرجه ومجراه من الأرض، والأرض لا يجوز تسلفها،ونص كلام ابن عرفة ومتعلقه ما صح ضبطه بصفة كيلا، فيخرج كما قال اللخمي وغيره: وأخذ تراب المعادن والصواغن والدرو والأرضون والبساتين، ومنها عندي قرض قواديس قفصة ونحوها، لأنها قدر ماء عين من أصلها كقولنا في شرب يوم أو يومين وكل شهر من عين. وهذا راجع لكونه جزءاً من أرض معين، ولذا

[1] -محمد (عبد العزيز البلبالي)، ، تح، مرجع سابق، ص 198

[2] -زاجية (هرباش)، مرجع سابق، ص148

[3] - أحمد (الشرباصي)، مرجع سابق، ص-ص 224-225

تعلقت به الشفعة في بعض أحواله والأرض لا تقرض. وفتوى ابن رشد بقرض ماء ليل إنما هو مجردا عن أصله ولذلك لم يقيده من الشهر وفتوى بعضهم في جوازه في القواديس لا أعرفه نصاً، ولا تخريجا إلا على قول بعضهم في جواز السلم في طعام قرية صغيرة لمن لا ملك له فيها، وقد يفرق بأن الطعام الأصل جواز السلم فيه و الأرض أصل منع القرض فيها..."[1]

ج–عن طريق التخريص: وهي نوع من أنواع الخراصة التي سنأتي على ذكرها لاحقا، حيث يطلب المخرص من الخراص تخريص حبات الماء الجارية في الساقية ليحولها لبستانه أو لاستصلاح أرض بكر أو جديدة اشتراها قرب الفقارة، فبعد حضور الكيال وإجرائه عملية الكيل يتم تحويل حبات المياه للأرض المعنية.ويكون التخريص إما بثمن معلوم من الدراهم، أو عن طريق كمية من المحصول يتم الإتفاق عليه حسب النقود المتفق عليها بثمن الحبة. فيدفع المخرص للخراص على كل حبة كمية من القمح تسمى"القصعة".[2]

ثالثا: أنماط العمل في الأراضي الزراعية:

عرف المجتمع التواتي واشتهر أهله منذ القدم بمزاولتهم مهنة التجارة مع القوافل التجارية التي كانت تمر قاصدة بلاد السودان الغربي، ومناطق أخرى من المغرب الاسلامي، وكذلك قوافل الحجاج التي كانت تعبره، وقد انعكست هذه الحركة على المجتمع بظهور آفاق جديدة للعمل، وذلك بظهور فئات اجتماعية عديدة داخل المجتمع: فئة حكام القصور و رؤسائها، فئة القضاة، وفئة الملاك، وفئة التجار والحرفيين، فئة الخماسين والخراصين، وظهرت معها أنماط انتاجية جديدة وهي النمط الإنتاجي الفردي والنمط الإنتاجي الجماعي.

1– النمط الإنتاجي الفردي: وقد يصعب تحديد بداية هذا النمط إلا أنه كان هناك تقسيم للعمل بين الذكور والإناث في المراحل الأولى لتنشئة المجتمع، والهدف من هذا الأسلوب هو أن يتحصل الإنسان على ما يسد به رمقه من الطبيعة، وأن تقسيم العمل كان أيضا على أساس الإمكانات الذاتية المتاحة لكل فرد في المجتمع وفي الأسرة .[3]

2– النمط الإنتاجي الجماعي: ظهر هذا النمط نتيجة لضعف النمط الأول وجاء أيضا إستجابة لتطور أفراد المجتمع في كيفية كسب قوتهم نتيجة لتطور عملية التبادل التجاري، وما نتج

[1] – محمد (عبد العزيز البلبالي)، مرجع سابق، تح، فاطمة حموني، ص292

[2] – مبروك (مقدم)، الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية، بط،ج5، دارهومة، الجزائر،2008، ص36

[3] – نفسه، ص13

عن التقسيم الجديد للعمل تخصص البعض في العمل التجاري مع القوافل، وهذا ما سمح لهم بتكوين ثروة مالية استطاعوا بواسطتها تسخير فئات للعمل بالفقاقير، أو الرعي أو لحراسة طرق وممرات القوافل أو القيام بالتجارة، وقد نتج عن هذا التقسيم أيضا ظهور أسلوبين إنتاجيين في العمل الزراعي.[1]

رابعا- أساليب العمل

I- الخراصة:(الخرّاصون)

أ- الخراصة في اللغة:الخرص:الحَزْرُ: والإسم بالكسر، كَمْ خِرصُ أرضك، والكذب وكل قول بالظن، وسد النهر ،والخِراصة بالكسر الإصلاح وخَرَصَ كفرح جاع في قر فهو خرص، والخرصُ بالضمة وبكسر:حلقة الذهب والفضة، أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحلي خرصان، وجريد النخل وعويد محدد الرأس يغرز في عقد السقاء، والخرصة بالضم الرخص والشرب من الماء وتخرص عليه افترى وخارصه عاوضه وبادله.[2] وأصل الخرص التظني فيما لا يستيقنه، ومنه خرص النخل والكريم إذا حرزت التمر لأن الحرز إنما هو تقدير بظن لا إحاطة، والإسم الخرص بالكسر ثم قيل للكذب خرص لما يدخله من الظنون الكاذبه غيره الخرص حرز ما على النخل من الرطب تمرا وقد خرصت النخل، والكرم أخرصه خرصا إذا حرز ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زبيبا وهو من الظن لأن الحرز إنما هو تقدير بظن وخرص العدد يخرصه ويخرصه خرصا وخرصا حرزه وقيل الخرص المصدر والخِرص بالكسر الإسم يقال كم خرص أرضك؟ وكم خِرص نخلك؟ كسر الخاء وفاعل ذلك الخارص.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الخراص على نخيل خيبر عند إدراك ثمرها فيحزرونه رطبا كذا وتمر كذا ثم يأخدهم بمكيلة ذلك من التمر الذي يجب له المساكين، وإنما فعل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم كافي من الرفق لأصحاب فيما يأكلونه منه مع الإحتياط اللفقراء في العشر ونصف العشر لأهل الفيء في نصيبهم.وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:أنه أقر بالخرص في النخل، والكرم خاصة دون الزرع القائم.وذلك أن ثمارها ظاهرة.[3]

[1] - مبروك (مقدم)، المرجع نفسه، ص14

[2] - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص454

[3] - ابن منظور، لسان العرب، ص1133

ب- الخراصة في الإصطلاح:هي نمط إنتاجي تنظم داخله علاقات هيدرولوجية يتم بموجبها التعاقد على تخريص كمية من المياه الجارية في البستان بين مالك وخراص، يدفع بموجبها مقداراً معلوما من حاصل الإنتاج خلال السنة يتناسب وعدد حبات المياه.[1] أوهي عقد عرفي يتم بين مخرص وخراص على تخريص كمية الماء الجارية في البستان، يدفع المخرص كمية من المنتوجات المتفق عليها مسبقا.[2]وبالتالي فإن الخراصة هي نمط من الأنماط التي استخدمها سكان توات لاستغلال الأراضي الزراعية وليست حرفة في حد ذاتها، وهي أنواع.

قد ساد هذا النمط التقليدي وانتشر في ربوع توات، وتعرض في كثير من الأحيان إلى الإنهيار إلا أنه نظراً للعلاقة القوية التي تربط بين الإنسان والعمل المرتبط بالفقارة، جعلته يصمد حتى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وقد وردت في النوازل، مسائل في ذلك ويظهر منها مدى اهتمام وحرص المتعاملين بهذه المعاملات على أن تكون معاملاتهم صحيحة وغير مخالفة للشرع الإسلامي، أو لما أفتى بجوازه وبصحته قضاة البلد تبعا للعرف المعمول به، وللإحتراز لعدم التعدي وأخذ حقوق الغير بالباطل، ومن ذلك المسألة التالية:[هل على الخراص ضمان إذا أشرك الخراص غيره بغير إذن المالك، وسرقت من يده مسحاة]وسئل عما يظهر":فأجاب:أن المخُّراص حيث أشرك غيره بغير إذن مالكه الجنان وسرقت المسحاة من يد الشريك لمالكتها، لتعديه]والله تعالى أعلم."[3]

ج-أنواع الخراصة: هناك ثلاث أنواع من الخراصة يتعامل بها في إقليم توات عموما، وهي خراصة الماء، وخراصة المنازل، وخراصة الأرض.[4]

1 – خراصة الماء: وهو النوع الشائع التعامل به، وقد تقدم الحديث عنه.

2 خراصة الأرض(البساتين):وفيها يقوم الخراص بخراصة البستان وفي علمه أنه يملك حبات الماء التي سوف تحول له، وفي العادة تحدد أجرة المخرص عن طريق التفاوض بينهما أو حسب القاعدة العرفية المتبعة عن كل حبة رقيقة قصعة ونصف من القمح والباقي لصاحب البستان،وقد ورد في الغنية للبلبالي العديد من المسائل التي تظهر بعض الخصومات التي كانت تقع بسبب هذه المعاملة

[1] – مبروك (مقدم)، الأنماط الإنتاجية، مرجع سابق، ص34

[2] – نفسه، مرجع سابق، ص27

[3] –محمد عبد العزيز (البلبالي)، تح، فاطمة حموني، مرجع سابق، ص202

[4] –مبروك (مقدم)، الأنماط الأنتاجية، مرجع سابق، ص-ص35-36

ومنها المسألة التالية:وهي عبارة عن شورى:[من ادعى أنه استغل متروك أبيه بالخراصة دون أن يقبض وصيه شيئا]ونصها وبعد فقد حضر عبد الرحمن المدعو فش فش مع الأشرف مولاي أبي فارس فادعى الأشرف أن بيد الأول جنانا له في نوم الناس من متروك أبيه وتركه بيد الأول على وجه الخراصة وأن أباه تركه في بطن أمه فطلب منه تلك الخراصة فأقر الأول بالخراصة و زعم أنه دفعها لأم الأشرف فقال:له أمي لم تعلم بالجنان قط حتى تقبض منك وادعى أنه أراد قبض ما ترتب له في ذمته من تاريخ موت الأب إلى أن قدمت الجماعة أمه عليه لدعوى الأول أنه كان يمكنها للأم من موت الأب.[1]

فأجاب:"أما بعد فاعلم أن هذه النازلة من الدواهي التي يحار فيها الدليل وأن النجاة أن الخيض فيها لا ينالها إلا القليل، ولو لا سؤالك ما فهت بها بكلمة، ولا أجبت من قال لي في ذلك كلمة لكن لما سألت فالذي عندي جاريا على رواية عيسى التي بها العمل أنه يصدق المكتري مع يمينه في الدفع للأم بعد تقديمها لأن يدها حينئذ كيد المقدمة عليهم من غير إشكال وكذلك فيما قبل تقديمها أن ثبت أنها هي التي كانت تقبض أكرية أصلهم كما شهد به أكبر ولديها جريا على الرواية الغراء التي ذكرها ابن السهل واختار العمل بها ابن هلال في البوادي، ونحوها من تنزيل الحاضن ونحوه منزلة الوصي في الجلب والدفع، وإن لم يثبت قبضها قبل التقديم، ولا عدمه و أَنْبَهَمَ الأمر عمل باستصحاب الحال الراهنة مع يمين المكتري فيما يظهر والله اعلم.[2]

3 **خراصة المساكن**: تكون خراصة المساكن بين الخراص، ومخرص لبيت يقطنه مخرص لفترة من الزمن فقد يكون كراؤها إما عن طريق 100 نقلة غبار في السنة أو 200 نقلة أو دفع أزقن قمح أو غير ذلك حسب الحال.

د- أسلوب وكيفية التعاقد العرفي للخراصة: يلزم العقد العرفي الخراص بدفع كمية من المنتوج للمخرص خلال فترة الجني والقطاف، وهناك بعض الملاحظات حول هذه المعاملة.[3]

- أن العقد لا يأخذ بعين الإعتبار أي حالات طوارئ سواء كانت إنسانية أو طبيعية كالجوائح مثلا مما يجعل الخراص ملزم بدفع ما اتفق عليه كيفما كان الحال وفي بعض الحالات يلجأ الخراص لشراء الحبوب لدفعها عوض نقص المنتوج في البستان، أما إذا انكسرت فيه الخراصة بأن عجز

[1] -محمد عبد العزيز (البلبالي)، نفسه، ص299

[2] - محمد عبد العزيز (البلبالي)، نفسه، ص 299

[3] -مبروك مقدم، بنائية التقسيم المأجور، مرجع سابق، ص27

عن دفع ما عليه من حبوب فقد كان يلزمه المخرص بدفعها عنوة أو تطبق عليه أحدى الإجراءات التالية:

- جمع غبار[1] بيته وتقويمه لدفع ما عليه.
- جلب شاة من بيته لتباع ويسدد ما عليه.
- أو يطلب أن يشتغل لدى المالك ابنه لمدة محدودة لإيفاء ما على الأب من دين.
- أحيانا كان يباع بستان الخراص إن كان يملكه ويسدد بثمنه ديونه وبالتالي ينزل ويهبط في السلم الحراكي من مالك لبائع لقوة عمله.
- أوتباع بيته وبثمنها يدفع ما عليه من دين، وبالتالي يصبح مؤجر للبيت بكمية معينة من النقلات خلال السنة أو دفع كمية من الحبوب، وتعتبر العملية كسر الخراصة عملا شائناً لدى لخراصين لأنها توحي بعدم إبراء الذمة وتفقد الثقة في الخراص لدى المخرصين، ويعاب عليه عرفيا وأخلاقيا، وإن تكررت عملية كسر الخراصة رغم أنه قد لا يكون له دخل في ذلك.[2]

II- الخمّاسة :

1-تعريفها لغة واصطلاحا

أ.الخمس في اللغة:من أخمس، والخُمس والخَمَس:جزء من خمسة، والجمع أخماس، والخمس: أخذك واحداً من خمسة تقول: خَمسْت مال فلان، وخَمَسَهم يَخْمسُهم بالضم خمُسا أخذ أموالهم، وخِمستهم أخمَسَهم بالكسر إذا كنت خَامسهم أو كملتهم خمسة بنفسك.وفي حديث عدي بن حاتم:ربعت في الجاهلية وخمست في الإسلام، يعني قدت الجيش في الحالين، لأن الأمير في الجاهلية كان يأخذ الربع من الغنيمة، فجاء الإسلام فجعله الخمس.[3]وما لاحظته عدم وجود لفظ خماس في المعاجم على أساس أنه من يقوم بالخماسة.

ب.الخمس في الإصطلاح:تعرف الخماسة على أنها أسلوب إنتاجي يتم التعاقد ضمنه بين خماس ومخمس على أساس تقاضي خمس الإنتاج، ونظير العمل خلال فصول السنة بالبستانويعتمد هذا النظام على قوة الخماس وبالتالي ما يؤخذ عنها أن العمل الذي يقدمه الخماس يكون على أساس حقيقي بينما المنتوج قد لا يتحقق لخضوعه للعوامل الطبيعية، بينما الإنتاج المحصل عليه

[1] مبروك مقدم، المرجع نفسه، ص-ص27-28

[2] -مبروك مقدم، الأنماط الإنتاجية، مرجع سابق، ص28

[3] - ابن منظور، لسان العرب، ص 1264

نهاية كل فصل يقوَّم ويحسب، ولا يحصل الخماس إلا على خمسه، فإذا ما هدمت الفقارة فإن مجهود الخماس يذهب هباء. وقد استخدم هذا النمط في مدن الشمال بالجزائر منذ العهد العثماني.

يعرف أيضا على أنه نظام يقوم على استخدام الفلاحين من جماعات الرعية الخاضعة للعمل في مزارع الخواص من الحضر(البلدية) أو في ملكيات الدولة (البايليك) مقابل خمس المحصول، وهو ما يجعل هؤلاء الفلاحين أجراء وشركاء لصاحب الأرض بالخدمة، يمكن الفلاح من العمل في الأرض لفائدة الدولة مقابل خمس الإنتاج، بعد أن توفر له الأرض والمحراث والحيوانات والبذور، والفؤوس وإعانة نقدية، وعينية تعرف "بالصارمية"في شكل سلفة يعوضها الخماس عند جني المحصول قدرت حسب السجلات الرسمية بإحدى مزارع البايليك على عهد الداي بابا حسن(1243هـ /1827م)بـ 410ريال بوجو.[1]وقد دعم العرف السائد في الريف الجزائري أنذاك هذا التعامل الفلاحي، فأصبح يقوم أساسا على إثبات حق إقطاعي في العمل الزراعي مقابل جزء من المحصول بأحواش دار السلطان أو برتب بايليك قسنطينة، ومزارع بايليك التيطري وبايليك الغرب.وقد وفر الخماس من العمل في أراضي البايليك مدخولا ماليا محترما يقدر بثلاثمائة وثلاثة وأربعين فرنكا لليوم حسب إحصائيات أجريت في أوائل عهد الإحتلال.[2]

عند البحث في أصل هذا النمط الإستغلالي في الإسلام فالواضح أنه لا يوجد في الفقه الإسلامي كتابا مستقلا مخصصا أو بعنوان الخمس، وإنما نجد الحديث عن الخمس في خمس الغنيمة في كتاب الجهاد، وفي الركاز في كتاب الزكاة، أي الحديث عن خمس الركاز والمعدن، أما الخمس في الزراعة فهو مخالف للشرع، ولم نعثر عليه إلا عند الشيعة.الشيعة الإثني عشرية(الرافضة) والمقصود بالخمس عندهم هو الخمس الذي يأخذه شيوخ الشيعة الإمامية من أموال أتباعهم ويفرضونه في مكاسبهم في التجارة والصناعة والزراعة ويعدونه من فروض الإسلام، ويحكمون على مانعه بالكفر ويوجبون دخوله في النار مخلدا فيها. حسبهم.[3]

---

[1]- ناصر الدين (سعيدوني)، مرجع سابق، ص355

[2]- نفسه، ص-ص300-301.

[3]- ناصر(بن عبد الله القفاري)، الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية، ط1، مركز التأهيل للدراسات والبحوث، السعودية،1437هـ-2016م، ص11

انفردت الشيعة الإمامية بهذا الأمر فالخمس مهما عندهم حتى أفردوا له كتابا مستقلا في مصادر التلقي عندهم،كما نرى ذلك في كتب الحديث المعتبرة عند هذه الطائفة.[1]ويرى العديد من المفكرين أن هذه المسألة من أهم الأسباب التي تدفع شيوخ الشيعة إلى إبقاء الخلاف بينهم وبين أهل السنة، ويوسع من دائرته ويقول أحدهم:"وأعتقد أنه لولا هذه الأموال لما ظل الخلاف قائماً بين الجعفرية وسائر الأمة الإسلامية إلى هذا الحد، فكثيرا من فقهائهم يحرصون على إذكاء هذا الخلاف حرصهم على هذه الأموال.[2]

كما أن كثرة الحركات الشيعية وقوتها وكيدها ومكرها يعود لهذا الخمس فهو المادة الممولة لهذه الحركات، وهو كل ما أخذ من الإتباع باسم آل البيت وحقهم، ولا تزال هذه الحركات في العالم الإسلامي إلى اليوم تمول من هذا المورد، ويعتبر رجالهم وآياتهم من كبار الرأسماليين في العالم لأن هذا المنصب يدر على صاحبه الكثير من الأموال، والذهب والفضة، وتعتبر مسألة الخمس ذات أهمية كبيرة لدى هذه الطائفة من الشيعة حتى أنهم جعلوها من أسس مذهبهم ومن أصول دينهم من نصوصهم :"الخمس لنا فريضة"ومن منع شيئا منه فهو ملعون.ومانع الخمس يعد كافرا ومن رؤوس الظالمين وهو في الآخرة في نار جهنم من الخالدين وجاء في الوسائل:"ومن أكل من مالنا شيئا فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيرا."وعن أبي بصير قال:قلت ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال من أكل من مال اليتيم درهما ونحن اليتيم."وقد جعل أنصار هذا المبدأ منه وسيلة لتهديد الأتباع وإرغامهم على الدفع كما أنهم نسبوه لأئمة أهل البيت حتى يفي بالغرض.[3]

لعل انتشار العمل به هذا النمط من المعاملات في توات وبلاد المغرب عموما له امتدادات تاريخية قد تعود لفترة الدولة الشيعية، وهذا الأمر يحتاج لكثير من الدراسة والبحث.

2.خصائص ومميزات الخماسة:

- إن هذا النمط من استغلال الأراضي الزراعية تشير العديد من الدراسات إلى أنه كان منتشراً في الريف الجزائري خلال القرن التاسع لأن الجزائر كانت بلداً زراعياً ريفياً، وكان 9% من سكان الأرياف يعتاشون من الأنشطة الزراعية وتربية المواشي.وما يواجه الباحث في هذا الموضوع هو صعوبة الإحاطة بظاهرة الخماسة، حيث لا تتوفر معلومات كثيرة تخص أصول التحولات المحتملة

[1] - ناصر(بن عبد الله القفاري)، المرجع نفسه، ص 12

[2] - نفسه، ص6

[3] - نفسه، ص14

على مدار التاريخ التي عرفها الخماسة الذين ينحذرون من الريف المغاربي، ويصعب أيضا ربط أو تشبيه العلاقة بين الملاك والخماسة بنظام الإقطاع الذي عرفته أروبا.[1]

– هناك بعض الفرضيات منها التي جاء بها (بوايي بانس) وتجمع مؤلفات المختصين في القانون الذين أظهروا التضاد بين مبادئ الشريعة الإسلامية، ونظام الخماسة الذي هو موروث من العادات والتقاليد القديمة، لذا يتعين العودة إلى التاريخ وإلى تلك الأزمنة القديمة من أجل معرفة جذوره،كما ذكرت سابقا.[2]

–يقوم الخماس بالعمل في البستان ويرعى شوؤنه ومتابعة السواقي والسقي خلال فصول السنة.[3]

– أن الخماس لا يملك إلا جهده اما الأرض والزريعة والحيوانات والأدوات، فيقدمها رب العمل (المخمس).[4]

–يقوم الخماس بالحرث وسقي الزرع وتعهده بالتنقية والحراسة من الطير والحيوانات المفسدة، ويحصد ويدرس، وينقل السنابل إلى الأندر.[5]

–ليس على المخمس من حراثة الزرع وخدمته إلا ما جرى به العرف، ويكون مشروطا حين العقد.[6]

–في المقابل يحصل الخماس على الخمس من الإنتاج ولعل هذه الحصة الزهيدة التي كان يحصل عليها الخماس جعلت بعض الفقهاء يعتبرونه أجيرا.[7]

–لقد سمح هذا النظام بإعطاء حرية للفلاح سمحت له بتخميس عدة بساتين، وهذا ما يدل على حرية الخماس في كيفية التعاقد.[8]

---

[1] – الطيب(شنتوف)، مرجع سابق، ص 204

[2]– نفسه، ص 204

[3] – مقدم (مبروك)، الأنماط الإنتاجية، مرجع سابق، ص18

[4]– لخضر (العربي)، مرجع سابق، ص121

[5]– نفسه، ص121

[6] – نفسه، ص121

[7] – نفسه، ص121

[8] – مبروك (مقدم)، المرجع نفسه، ص19

3.أسباب اللجوء إلى هذا النظام:

حسب فرضية (ل.بوايي) بانس أنه نشأ في أزمنة قديمة عندما لم تكن للزراعة أهمية، وكانت الأراضي الميتة منتشرة بمساحات كبيرة، وكان تطور الريع العقاري ضئيلا، ونلاحظ أنه يربط ظهورها بتوفر الأراضي، وبالتالي فإن لجوء البعض إلى الخماسة كان من أجل استصلاح الأراضي المتوفرة التي لم تتم زراعتها، وهنا يمكن التساؤل أيضاً عن الأسباب التي تدفع مالك الأرض إلى اللجوء للخماسين، ويتعين عليه أن يمنح قسماً من الإنتاج للخماس، في حين يمكنه قانونياً أن يمتلك الأرض ويستفيد من كامل الإنتاج وليس مضطرا للتعامل مع الخماس.[1]

وفي نفس الوقت يظهر لنا العكس تماما وهو أن يكون السبب هو ندرة الأراضي القابلة للزراعة وإبعاد الأراضي الملك، فعدم وجود أراضي قابلة للزراعة في القبيلة يمكن أن يكون سبب نشأة الخماسة هو ما دفع بعض أفرادها للإشتغال في خدمة آخرين يتوفرون على قدرات مالية أكبر[2].وهو نفس الإتجاه الذي ذهب إليه (وارني) الذي رأى أن العربي يصبح خماسا فقط عندما لا يجد أرضا شاغرة في القبيلة،كما أن الخماسون قليلون في المناطق التي تعرف تواجدا سكانيا كبيرا حيث لا يحتاج ملاك الأراضي لعمال خارجين عن عائلتهم، وهذا يعتبر من بين الأسباب الرئيسية للجوء سكان الواحات لهذا النوع من الشركة، كما هو الحال في توات، فقد كان نظام الخماسة منتشرا بشكل كبير، ونجمت عنه عدة منازعات، وخلافات بين الخماسين، وملاك الأراض أوردتها النوازل، والمؤلفات، منها ما يتعلق بتضمين الخماس.[3]

وصفة الخماسة هي: أن يكون فيها الجميع (الأرض والبذر، والآلة)لأحد أطرافها إلا عمل اليد فعلى الآخر، إذا عقدا بلفظ الإجارة أو أطلقا، فلم ينصا على شيء لأن الزرع مجهول والإجار بجزء مجهول لا يجوز وعدم النص يحمل على الإجارة.[4] وقد أورد الزجلاوي في نوازله بعض القضايا

---

[1] – الطيب (شنتوف)، رجع سابق، ص 204

[2] – مبروك (مقدم)، الأنماط الإنتاجية، مرجع سابق، ص14

[3] – محمد(بن أب بن أحميدة بن عثمان المزمري)، مخطوط تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس، نسخة بخط الطيب شاري، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، ورقة1،2

[4] – أحمد (ادريس عبده)، فقه المعاملات على مذهب الامام مالك مع المقارنة مع المذاهب الأخرى في أصول المسائل وعيونها، دار الهدى، الجزائر،2000، ص524

التي انتشرت في توات كمسألة الخماس، والمسائل الممنوعة حسب أصول المذهب المالكي، لكن فقهاء المنطقة أجازوها للضرورة وجريان العمل بها.[1]

وقد جاء في المعيار المعرب للونشريسي، مسائل في الخماس ووظيفته، ومنها المسألة التالية، وفيها:سئل أبوعلي القوري عن مسألة الخماس.

فأجاب: أما الخماس فلا يجوز إلا إذا كان بمعنى الشركة وتكون قيمة عمله بقدر الجزء الذي له ويكون له وعليه من جميع ما يتعلق بالشركة جزؤه وذلك جائز، وله حينئذ حظه من كل ما يكون في الزرع دون شريكه والمستعمل منه اليوم غالبا ما لايجوز لكونه اخر نفسه شيء مجهول وقال بعض الشيوخ وظيفة الخماس.

يحرث ويسقي ويرفع الأغمار ويحصد ويدرس وينقل السنبل إلى الأندر، وأن شرط عليه غير ذلك فلا يجوز وجرت العادة اليوم في البادية تشرط عليهم القيام بالبقر، والإحتشاش له وكل وحمل الحطب واستقاء الماء أن أحتاج إليه وهذا ما يفسدها.[2]

اعتمد فقهاء المنطقة على الإستدلال بإجازتها بما جرى به العمل: أي ما جرى العمل به بصفته دليلا شرعيا يعني الأخذ بقول مخالف لمشهور المذهب لموجب يقتضي هذا العدول.كذريعة أو مصلحة أو عرف أوغيره، ورغم حرص فقهاء توات على الإفتاء بالمشهور من المذهب المالكي وهذا ما يفسره التزامهم بمختصر خليل إلا أنهم عدلوا في بعض المسائل عن المشهور أخذا بما جرى به العمل، منها الخماسة، وإعطاء الزكاة لآل البيت.[3]

وردت في نوازل التنلاني مسألة حول خماسة توات مفادها:[خماسة بلاد توات هل هي إجارة أو مساقاة أو مزراعة]وسئل أيضا هل محمل الخماسة في وادي توات محمل الإجارة الفاسدة أو المزراعة الفاسدة، أو المساقاة الفاسدة لكونهم يعقدون على العمل في النخل، والبياض معا وهل يجوز لأحد أن يشترط مع الخماس أنه لا حق لك في النخل وتمرها بل في الزرع فقط، ولا يلقح النخل ولا يسقيه إلا التي عرضت في الزرع، ولاحق له فيها أيضا، وهل يجوز إخراج الخماس بعد حصاد الزرع، وقبل تلقيح النخل أو بعده وفي كل ما ينقص هو نصيبه بحسب ما جرى من

[1] –ابراهيم (بلبالي)،نوازل منطقة توات ودورها في خدمة المذهب المالكي"دراسة تطبيقية على نوازل الزجلوي"مجلة المناهل ع(02)، ربيع الاول 1438هـ/ديسمبر 2016م، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ص80

[2] – أبو يحي الونشريسي، مصدر سابق، ج8، ص150-151

[3] – نفسه، ص84

العرف؟ والمزراعة في البياض الكثير ولم أقف على من جوّز اجتماعهما إلا أحمد و أبو يوسف، فلو قلدا للضرورة كان أولى، كان الناس يعتقدون أنهم على مذهب مالك فيها وهو قائل بمنعها فهم مأثومون، وإذا شرط على الخماس ترك النخيل فذاك مزارعة، فيجري الخلاف الذي ذكره ابن رشد، وأما إخراج الخماس في الوقت المذكور وهو لم يحدد وقت فلا بأس به والله اعلم.[1]

مورست الخماسة بقسوة شديدة حسب ما ذكره لنا بعض من عملوا بهذه الأنماط، فما يأخذه الخماس أو الخراص، لايقاس بالجهد الذي يبدله في خدمة الأرض من تعب وعناء ومشقة ولا يفي بحاجته وأفراد عائلته، ناهيك عن سوء المعاملة التي لقيها البعض من ملاك الأرض.[2]وهذه تعتبر إحدى مميزات هذه المعاملات ليس في توات فحسب، بل في جميع بلاد المغرب، وقد حاكت بعض الآثار الشعبية صوراً عن معاناة وحياة الخماسين في المجتمعات المغاربية عموما ومنها: المقولة التي تردد في توات: (الخراصة والخسارة، ولا الخماسة والدسارة[3])وهذه المقاطع من الشعر الشعبي في الشمال الجزائري المعبرة:[4]

آه يا محنتي عدت خماس	والتبن أعمى عيوني
خمست على عرّت الناس	كي يوجد الطعام يزعكوني

ويروي لنا أحد الذين عاصروا هذه الأنماط في توات أن أحد العاملين بالبساتين كان(يفرن التمر) أي يجني التمر من نخيل سيده، ولما يحين وقت الأكل، يقال له، إذهب لتأكل مع النساء.[5]

ومما قيل أيضا للتعبير على هذه المعاناة:

بلغ سلامي لتونة قل لها	راني خماس وشابع برد الليالي
أربعة لمولى الزويجة	والخامس راهو ديـــــــــالي

ومما قيل في خماس توات:[6]

[1] – محمد(علي)، مسائل عبد الرحمن بن عمر التنلاني، مصدر سابق، ص106

[2] –الحاج(سالم صرندي)، مقابلة شخصية، ببيته، يوم 2019/12/12

[3]– الدسارة: يقصد بها هنا صاحب الملك الذي يذهب وقت ما يشاء إلى البستان، ويأخذ ما لذ وطاب من المنتوج، هو وأبنائه على اعتبار أن الخماس مجرد راع في عقد الخماسة، بينما في الخراصة لا يمكن للمالك فعل ذلك إلا بالإتفاق مع الخراص، ينظر، مبروك مقدم، بنائية التقسيم المأجور، مرجع سابق، ص29

[4]– لخضر العربي، مرجع سابق، ص 122

[5]– محمد تامرتي، مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2019/12/18

[6]– الحاج(سالم صرندي)، مقابلة شخصية، ببيته، يوم 2019/12/12

الخماس يالخميميس ياللي تخدم على أولاد للناس وتخلي ولادك

وكان كبار المزارعين من طبقة الأشراف والأحرار والمرابطين، هم من يمتلكون مصادر المياه، أما طبقة الحراثين الذين كانوا يمتلكون أراضي فكان عليهم شراء الماء، أو كراءه، لري زراعتهم من أصحاب الفقاقير، وبسبب تكاليف الماء الباهظة التي يعجز هؤلاء على تسديدها كانت المساحة التي يمتلكونها صغيرة. لذلك أضطر الكثير منهم على التخلى عن أراضيهم، والعمل لدى الملاك الكبار كخماسين أو خراصين مقابل قدر معلوم من التمر سنويا.[1]

فالخماس في حال حدوث جائحة للزرع أو كارثة، أو عدم وجود محصول فإن جهده وعمله ذهب هباء، أما الخراص فهو ملزم على أن يدفع مثلما اتفق عليه مع مالك الجنان حتى ولو لم يكن الموسم مثمرا،[2]ويروي لنا أحد الأشخاص عن بعض الفلاحين الذين كانوا يعملون بنمط الخراص أنه لما جاء وقت الجني ولم يجد شيء، طلب منه صاحب البستان التخلي عن البستان بمعنى طرده، أو أن يأخذ منه مقابل ذلك منزله، أو أن يأخذ أبنه خادما عنده، أو إبنته خادمة لزوجته،كل ذلك مقابل المحصول الذي لم يكن حسب الاتفاق.[3]وقد وردت عدة مسائل في هذا الجانب نستشهد بهذه المسألة من مسائل الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني (ت1189هـ/1775م) [إخراج الخماس بعد الحرث]وسئل مع الحضرة أبو عبد الله بن عبد الرحمان عما يظهر فأجاب بما نصه: وبعد، فالخماس لا يجوز إخراجه بعد حرثه إلا برضاه كما لا يجوز أن يدفع له شيء عما يجب له في الزرع. ولو تراضيا بناءً على أنه شريك.[4]

كما تعطينا المسألة التي جاءت في تحلية القرطاس حول تضمين الخماس بعض الأمور الدقيقة التي كانت تحدث بين أصحاب الأراضي والخماسين والخصومات، فكان ملاك الأراضي يشتكون من الخماسين ويتهمونهم بعدم الأمانة والسرقة، والخبث، والخساسة، وأنهم يأكلون هم وأولادهم ودوابهم وثمر الحائط ظاهراً وباطناً زيادة على حقهم.ومما جاء في نص المسألة:[أجبنا بما أراك الله في مسألة عمت بها البلوى عندنا، وهي أن الخارص العارف مخرص الحائط بقدر معلوم من التمر، ثم يوجد بعد ذلك الجذاذ أقل فيطلب رب الحائط من الخماس غرم ما نقص أو فرط

[1] – محمد(تامرتي)، مقابلة شخصية، ببيته، المقابلة نفسها.

[2] – مبروك (مقدم)، الأنماط الإنتاجية، مرجع سابق، ص18

[3] – مبروك(مقدم)، بنائية تقسيم العمل المأجور، مرجع سابق، ص28

[4] – محمد(علي)، مسائل عبد الرحمن بن عمر التنلاني، ص105

فيه حتى سرقه غيره، وينكر الخماس كلا الأمرين، ويدعي الضياع والتلف بغير تفريط، أو خطأ الخارص فهل القول لرب الحائط أو للخماس وخماميس بلادنا هذه مما شاهدنا من سيرتهم الخبيثة أنهم لا يزالون يأكلون هم ودوابهم وأولادهم وثمر الحائط ظاهرا و باطنا ...وربما صاح المالك على الخماس وأعلمه بأنه يطالبه بما نقص عن الخرص فلا يؤثر ذلك فيه بل لا يزال يأكل الثمر هو وعياله ودوابه، ويعطي منه ولا يعلم له ثمر قديم، ولا جديد يستفيده بوجه سوى ما في ذلك الحائط حتى...ومع هذا كله يدعي خطأ العارف في خرصه وسترا على قبيح فعله، وهذا مما لايكاد ينازع فيه إثنان ولاينكره، إلا من هو مفرغ في قالبهم خسيس للهمة والشأن وكتب مكر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عبيد ربه عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي كان الله للجميع ءامين.][1]

من بعض جاء في نص الجواب: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وءاله وصحبه، ما وصف به الخماسين في السؤال وصف ينافي إفاقتهم ويصير الخماس مدعيا لامدعى عليه فإذا نقص التمر عن خرص العارف فاتهم المالك الخماس بالسرقة فادعى الضياع، أو التلف بغير تفريط ضمن إلا ببيِّنة لإن المتهم إذا قويت التهمة فيه بأن يكون معروفا بذلك فعليه البينة لأن المسروق منه ترجح جانبه بمعهود وهوالعادة، إن ضعفت التهمة بأن يكون غير معروف بذلك ترجح جانبه بأصل، وهو براءة الذمة فالبينة على المسروق منه قاله العلامة سيدي محمد الأعمش رحمه الله مجيبا به على من سأله عن المتهم الذي يوجد عنده اللحم فيقول المسروق منه هذا من بهيمتي، وقال المتهم ليس هو بل هو غيره، أيهما الداعي..."[2]

III-المساقاة والمزارعة والمغارسة:

1.تعريف المساقاة لغة واصطلاحا

أ. المساقاة في اللغة: لفظها مشتق من السقي لأنه عظم عملها وأصل منفعتها ولفظها مفاعلة ونحوهما، وهي تقتضي أن كل واحد من العامل والمالك يسقي لصاحبه كالمضاربة، والمقاتلة ونحوهما وهي ليست كذلك بل هي إما من المفاعلة التي تكون من واحد، وهي قليلة نحو سافر وعافاه الله

[1] - محمد (بن أب المزمري)،تحلية القرطاس، مصدر سابق، ورقةرقم1-2

[2] -للإطلاع على نص الجواب كاملا، ينظر المرجع نفسه، من الورقة رقم3 وما بعدها.

وخارقت النعل، وما يلاحظ فيها العقد وهو منهما فيكون من التعبير المتعلق بالفتح وهو المساقاة عن التعلق –بالكسر– وهو العقد.[1]

ب.تعريف المساقاة في الإصطلاح:

هي عقد على عمل مؤونة النبات بقدر لا من غير غلته لابلفظ بيع أو إجارة أو جعل.[2] وتجتمع العقود الثلاث: المساقاة والمزارعة والمغارسة في كونها ترد على الأرض لاستخراج ما فيها من خيرات، ومنافع كثيرة للأنسان، والمزارعة من أجل الزرع، والمساقاة، والمغارسة في الأصل من أجل الشجر.[3]وهي شرعا: عقد على القيام بخدمة شجر أو نبات بجزء من غلته بصيغة ساقيت أو عاملت لا يلفظ إجارة أو شركة أو بيع ويكفي من الثاني أن يقول: قبلت أو رضيت.[4] وكان أكثر الأئمة على مشروعية المساقاة وخالق أبو حنيفة فمنع جوازها ودليل من أجازها السنة والإجماع والمعقول.[5]

أما السنة: فما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه :قال عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر او زرع متفق عليه وفي رواية قال: دفع إلى أهل خيبر نخلها وأرضها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع.[6]

أما الإجماع: فقال أبو جعفر محمد بن علي بن المحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن آبائه: عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بالشطر ثم أبو بكر وعمر وعثمان، وعلي ثم أهلوهم إلى اليوم يعطون الثلث والربع وهذا عمل به الخلفاء الراشدون في مدة خلافاتهم واشتهر ذلك ولم ينكره منكر فكان إجماعا.[7]

---

[1] – أحمد(ادريس عبده)، مرجع سابق، ص477

[2] –محمد (الرصاع)، شرح حدود ابن عرفة ج2، تح محمد(ابو الاجفان)، الطاهر(العموري)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993 م، ص508

[3] – وهبة (الزحيلي)، مرجع سابق،ج2، ص655

[4] –أحمد ادريس، المرجع نفسه، ص477

[5] –نفسه، ص477

[6] – نفسه، ص477

[7] – نفسه، ص477

أما المعقول: فأن الحاجة داعية إلى مشروعية هذه المعاملة لأن مالك الأشجار قد لا يحسن تعهدها، أو لا يتفرغ لها، ومن يحسن التعهد ويتفرغ قد لا يملك الأشجار فيحتاج ذلك إلى الاستعمال، وهذا إلى العمل.[1]

ورد في النوازل بعض منها نذكر ما جاء في نوازل البلبالين عن:[جواز المساقاة على ما جرى به العرف في البلاد]وسئل عما يظهر؟فأجاب: وبعد، فأن المساقاة في هذه البلاد، ليست جارية على قواعد الشرع، وإنما يعتمد أهلها فيها على العوائد، فانظروا إلى ما تحكم به العادة عندكم.[2]

2.المزارعة

أ.**تعريف المزارعة في اللغة**: لفظ مأخود من الزّرع وهو علاج ما تنبته الأرض لقوله تعالى:﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ءآنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [3]وصيغته المفاعلة شأنها أن لا تكون إلا من إثنين يفعل كل واحد منها أصاحبه مثل ما يفعله الآخر به نحو المضاربة والمناظرة، ومقتضاه هاهنا أن كل واحد منهما يزرع لصاحبه وليس الأمر كذلك فيقال: أن لفظ المزارعة إما من المفاعلة التي تكون من الواحد، وهو قليل كعافاه الله أو يلاحظ العقد وهو منهما فيكون من التعبير بالمتعلق عن المتعلق.[4]

ب.**تعريف المزارعة في الإصطلاح**:عند الفقهاء هي: الشركة في الزرع ويقال لها أيضا:الشركة في الحرث ومن يجعل موضوع المزراعة أن يكون من أحدهما الأرض يقول في تعريفها:أنها دفع الأرض إلى من يزرعها أو يعمل عليها و الزرع بينهما.[5]والمزراعة بجزء معلوم يجعل للعامل من الزرع مشروعة في قول أكثر أهل العلم و كرهها بعض السلف كمجاهد والنفعي، وأبو حنيفة[6]وحجة الأكثر ما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر مما يخرج منها من زرع أو تمر.متفق عليه.قال البخاري أبو جعفر":عامل رسول الله صلى الله عليه

[1] – أحمد(ادريس عبده)، المرجع نفسه، ص477

[2] – محمد عبد العزير البلبالي، تح فاطمة حموني، مرجع سابق، ص198

[3] – سورة الواقعة، آية 63، 64

[4] –وهبة (الزحيلي)، مرجع سابق، ص509

[5] –نفسه، ص509

[6] –نفسه، ص509

وسلم أهل خيبر بالشطر ثم أبو بكر ثم عمر وعثمان وعلي ثم أهلوهم إلى اليوم يعطون الثلث والربع وقال: أبو جعفر أيضا:"ما بالمدينة أهل البيت إلا يزرعون على الثلث والربع ثم عود من زرع من الصحابة التابعين."

قال القرطبي: الزرع من فروض الكفاية فيجيب على الإمام أن يجبر الناس عليها ما كان معناها من غرس الأشجار.[1] غير أنه لم تتم الإشارة إليها كثيراً في النوازل التواتية، ولربما يكون ذلك لعدم التعامل بها كثيراً.

3-المغارسة:

وردت في الغنية هذه المسألة المتعلقة بالمغارسة منها المسألة التالية:[من تعاقدا في عقد مغارسة على أن يكون بينهما الغرس فقط لا الأرض]وسئل عما يظهر إذا لم يوجد في عقد المغارسة كون الأرض بينهما بأن تعاقدا على أن الغرس فقط [بينهما]لا الأرض، بأن قال الموثق: وذلك بينهما إنصافا بعد أن تثمر النخل؟

فأجاب: وأما المغارسة على الشركة في الأشجار فقط ففاسدة كما لابن عرفة وغيره وعلى السّكة يجري فيها الخلاف الذي في السِّكَّة عن تحديدها، إن لم يكن عرف بإخراج الأرض والله أعلم.[2]

تفيد الكتابات المختلفة عن إقليم توات بصفة عامة إلى وجود نمط سقي واحد هو الغالب في مختلف الجهات سواء في تدكلت أو في قورارة، أو توات الوسطى، وهو السقي عن طريق الفقارة غير أن هذا لايعني أنه النمط الوحيد، فهناك السقي عن طريق مايسمى بالخطارة، الذي يتم عادة باستخدام الجهد البدني، وذلك باستخدام اليد.

المبحث الثالث:طرق السقي في حواضر توات:

أولا- السقي عن طريق الفقارة:

إن الحديث عن طرق السقي في إقليم توات عموما يعد من النقاط المهمة، للوقوف على النشاط الزراعي. وقد أظهر عديد المؤرخين أنماط السقي المتبعة، ومما ذكره أحد الفرنسيين أنه من أجل العيش في وسط غير ملائم، فإن فلاحوا الواحات خلال القرون الماضية، وضعوا تقنيات عبقرية وملائمة للظروف المحلية من أجل التمكن من العنصر الحيوي الذي هو"الماء"، تدل على

[1] - وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص655

[2]- محمد (عبد العزيز البلبالي)، تح، فاطمة حموني، مرجع سابق، ص 301

انضباط جماعي صارم، وفي نفس الوقت كان الماء موضوع معارك دائمة. لتحقيق زراعة ناجحة للنخيل داخل الحقول بالإستفادة من طبقات المياه القريبة، أو الرطوبة في الكثبان الرملية، فتجد تقنيات مائية فلاحية متنوعة تشهد على عبقرية السكان، وتمسكهم بالإستفادة من أقل الثروات في وسط جغرافي شديد القساوة والصعوبة، وفي نفس الوقت لا يمكن أيضا إخفاء خطورة الأزمة المائية التي كانت أغلب الواحات تتخبط فيها، منذ عشرات السنين.[1]

1- تعريف الفقارة لغة واصطلاحا :

أ.لغة: الفَقَارةُ: بفتحها ما يتضد من عظام الُّلب من لدن الكاهل إلى العجْب والمفْقُور البئر تغرس فيها الفسيلة، وجمعها فُقُرٌ بضمتين، وقد فقر لها تفْقِيراً وهي آبار ينفذ بعضها إلى بعض ورَكِية، والمكان السهل يحفر فيه ركايا متناسقة وفم القناة.وأرضٌ متفقرة فيها حفر كثيرة.[2] وقيل أن إسمها اشتق من الفقر وقيل التفجير بتبديل القاف المعقودة جيما لأن الماء يتفجر منها، ومنهم من يرى أنها مأخوذة من الفقار أي فقاقير الظهر.[3]

ب.اصطلاحا :

هي عبارة عن مجموعة من الأبار متفاوتة العمق تلتقي كلها في الأسفل بواسطة رواق إلى أن تصل إلى القصرية (الحوض) لتوزع ماءها للبساتين، وهذا الرواق قليلا ما يكون 5طوله أقل من 5كم، ومتوسطه يتراوح ما بين 7 إلى 8كم، وقد يصل إلى 25 كم وهذا ما أعطى للفقارة مهمة المسافة التي تفصل الآبار على سطح الأرض والتي تتراوح مابين 10و50م، وهذه الآبار ليس لها أي دور في تركيب الفقارة بل تستعمل للتهوية وتسهيل عملية إخراج التربة التي تمنع من تدفق الماء وانسيابها ولولاها لفقدت الفقارة نشاطها وحيويتها،[4]كما تستعمل هذه الفتحات لغرف المياه الموجهة لقضاء الحاجات المنزلية، وتكون الابار المغطاة مغلقة بشكل جيد ومحكم، وتكون محمية

[1] -yves (Guillermou) :Survie et ordre social au Sahara les du: Touat-Gourara-Tidikelt en Algérie,Cahier des science humaines,29(1)1983,p121-138

[2] - الفيروز (أبادي)،مصدر سابق، ص 1258

[3] - باي بلعالم (محمد)، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، ب ط، دار هومة، الجزائر، ب س ص331

[4] - G.Champeaux : op.cit, p23

بواسطة الصخور،[1] كما أن تصفيف الآبار على سطح الأرض تمثل خطا مستقيما للرواق، وهو في الأصل ليس مستقيما بتاتا، فالترتيب هذا يحسن تقنيته أصحاب القصور أثناء عملية الحفر،إذ غالبا ما توضع خشبة على فوهة البئر ويربط بها حبل و فقة، ويتراوح عمق أبار التهوية بين 1 إلى 40 م أحيانا، وقطرها مابين 0.8 إلى 1 م ويتوقف الحفر عندما تظهر المياه بعد ذلك يحفر الرواق للربط بينهما.[2]

ويمكن للفقارة أن تضم حوالي 500بئر في شكل سلسلة أو حلقات متتابعة، وتمتد على مسافة تزيد على 10كم ويزيد عمق الآبار كلما اتجهنا نحو المرتفعات، وقد أشار (Martin) إلى أن سكان المنطقة يستخدمون المياه الجوفية التي توجد على عمق متوسط من أربعة أمتار إلى ستة أمتار، وتصل إليها من خلال أروقة تصل أحيانا إلى(6كم)، ويكون طريقها واضح على السطح من خلال فتحات التهوية السالفة الذكر، وتكون الواحات ثابتة بحيث يمكن توزيع المياه عن طريق السواقي ليصل لبساتين النخيل، وتشكل الفقارات في بعض الأحيان حفر كبيرة في تيمي مثلا تعتقد أنها غرف كبيرة تتسع لعشرين أو أربعين شخصا، يمكن للناس أن يجتمعوا ويقفوا فيها وتنتهي عند مجمع تجتمع فيه المياه التي تجلبها فروع ثانوية، وأحيانا تجد بها الأسماك التي تزن بين 100و200غ.[3] وتعيش في القنوات المظلمة للفقارة، وهي أسماك من نفس الفصيلة الموجودة في بحيرات الجزائر،[4] بينما الآبار التي تقع في عين الفقارة في المرتفعات تصل إلى 35متر مثل فقارة جن الغار بأولف.[5] وتتكون الفقارة من عدة أجزاء وهي:الفرع أوالكراع،[6] أغوسر،[7] القسرية[8]، الماجن.

---

[1]- G.Champeaux : op.cit, p23

[2] – مقدم (مبروك)، تغيير البنيات الزراعية، نفسه، ص 30

[3]-A.G.P.martin: Oasis, op.cit, p23

[4] -G.Champeaux : op.cit, p 24

[5] – إبراهيم حامد لمين، أهمية الفقارة في النشاط الزراعي بإقليم توات في القرن 13هـ/19م، مجلة آفاق علمية ، المركز الجامعي تامنراست، ع(11)،2016،ص18

[6] – وهي سلسلة آبار تضاف لها لرفع منسوبها، وتكون إما من إنجاز الملاك أومن أن ينضم لأصحاب الفقارة بإضافة كراع فيسمى عليه .

[7] – أغوسرو: وهو انحدار الفقارة لتصبح ساقية، وهذا ما يظهر عند وصولها إلى مشارف القصر أو القرية أو القصبة .

[8] – القسرية :و القسرية الكبيرة وهو المجمع الذي تصب فيه الفقارة، وتتصل به فتحات تصنع من حجر التافزة وتصبح سواقي في اتجاهات مختلفة، حسب البساتين، ينظر الملحق رقم (36)، ص424

لما يصل ماء الفقارة إلى السطح ويقترب من القصر يوضع له ما يسمى بالقسري أو القسرية التي تأخذ في غالب الأحيان شكل مثلث الأضلاع، يتجمع فيه الماء قبل توزيعه للبساتين أو الجنة، حيث أنه بعد عملية التقسيم يتم تحديد نصيب كل بستان من الماء، ويظهر هذا التقسيم في شكل سواقي ينساب منها الماء باتجاه البساتين مشكلة بذلك ما يشبه القنوات في الوقت الحالي، وتتصل هذه السواقي عبر المجرى مباشرة بالماجن، وهو الحوض الذي يتجمع فيه الماء لصاحب البستان، وهو في نفس الوقت وحدة قياس فلا يوضع بطريقة عشوائية، وإنما بطريقة مدروسة بشكل دقيق، أما عن شكل الماجن فهو عبارة عن مستطيل يتم بنائه بواسطة الطين الأخضر عادة ، وهو بمثابة خزان لمكشوف للماء، يوجد به منفذ يخرج منه الماء أثناء عملية السقي (وهو عبارة عن ثقب يخرج منه الماء عبر جرى يسمى بالأبادوا، ويوصل الماء إلى الحرث أو الزرع فيما يسمى في العرف التواتي(بالقمون).[1]ويتحكم صاحب البستان في ماء الماجن كما يشاء ويوزعه أيضا كيف ما يشاء، وحسب حاجة كل محروث أو مزروع.

2- لمحة تاريخية عن النشأة

وقد اعتمد سكان المنطقة على نمط خاص في عملية السقي، وهو مايسمى بالفقارة التي قام الإنسان التواتي بحفرها بطريقة ذكية جدا، حيث تكون بدايتها من تحت الأرض وتشق طريقها إلى أن تظهر في شكل ساقية على سطح الأرض، وقد ساعد على ذلك طبوغرافية تيدمايت المنحدرة نحو منخفض توات، وهذا ما يجعلها دائمة الجريان وسهلة الإستغلال.[2]

تعتبر الفقارة من بين الوسائل التي طرحت عدة أسئلة حول نشأتها وذلك لغرابتها، ودقتها وكذا تواجدها في محيط صحراوي حار صعب تنعدم فيه الوسائل التي تساعد على حفر مثل الأبار المترابطة بشكل هندسي دقيق جدا أنبهر، وتعجب منه الرحالة الذين مروا من هنا وعلى رأسهم العلامة ابن خلدون الذي قال فيها :« في هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى تطوى جوانبها إلى...فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا... » إلى أن يقول

[1] – وهو الحوض الذي يجمع فيه الماء المتدفق من الساقية ونجدها في كل البساتين وتأخذ شكلا مستطيلا، وهي أيضا وحدة قياس للماء في توات تبنى من الطين الأصفر أو الأخضر، أنظر الملحق رقم،

[2] -G.Champeaux, op.cit, p22

:"وهذه الغريبة موجودة في قصور توات، تينكورارين ووركلا، وريغ والعا لم أبو العجائب والله الخلاق العليم ."[1] فكيف نشأت الفقارة؟ ومن قام بإنشائها؟

لقد تنوعت الآراء و الفرضيات التي قد تتعدى العشر فرضيات حول نشأت الفقارة إلا أن معظم هذه الآراء لا تستند إلى معطيات دقيقة وقطعية حول نشأت الفقارة. وكلها تدور حول ثلاث محاور إما تنسب لليهود، أولزناتة، أو للفراعنة.

فالرأي الأول: يرى أن أول من أنشأها هم اليهود، وهذا حسب ما جاء في مخطوط المهداوي ويستدل على ذلك باليهود الذين جاءوا من المدينة المنورة التي يوجد بها الفقاقير والتي تعرف اليوم بالشراج.[2]

الرأي الثاني:يشير إلى أن أول من أنشأها حسب صاحب مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط هو الملك المنصور يوسف بن تاشفين في تمنطيط التي احتمى بقصورها المعزولة، مخافة مطاردة أعدائه، وأنه لما وصل إلى تمنطيط بنى فيها وعلا البناء، وحفروا الماء واستوطنوا وكان أول قصر بنوه هو قصر تيلوت ولهم فقارة تسمى (يهنو) وبعدها انتشرت الفقاقير وازداد عددها.[3]

الرأي الثالث:للقاضي محمد بن عبد الكريم البكراوي المولود سنة 1262هـ في مخطوطه ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام أن البربر من قبيلة زناتة التي نزلت بتوات في وقت مبكر هم من حفروا الفقارة وبنوا القصور، وأنهم نزلوا ببودة فوجدوا مياه وادي جير قد جف فبدؤوا بالحفر والبحث عن الماء حتى تمكنوا من استخراجه فزرعوا مجرى الوادي بساتين وحفروا الفقاقير وشيدوا القصور.[4]

3.أهمية الفقارة في المجتمع التواتي:

-تعتبر الفقارة موردا أساسيا للماء في حواضر توات،إذ هو العمود الفقري للحياة والنشاط الزراعي،في وسط تميز بارتفاع درجة الحرارة الشديدة في فصل الصيف.

---

[1] - ابن (خلدون) كتاب العبر، مصدر سابق، ج6، ص 119

[2] - مقدم مبروك، مرجع سابق، ص46

[3] - محمد الطيب (بن الحاج عبد الرحيم ابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح فرج محمود فرج، ص187.

[4] - محمد بن عبد الكريم البكراوي، ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله ادرار، ورقة رقم 6

–وتعتبر الفقارة مورداً أساسياً حيث يصل ماؤها إلى الواحة التي تحتوي على شبكة هامة من القنوات الجوفية، وقد عملت الفقارة على تمكين القبائل البربرية والعربية النازحة للإقليم من الإستقرار، وذلك لكونها عاملا مهما في الزراعة حيث يعتمد عليها، ولا وجود لوسيلة أخرى تقوم بهذا الدور في مناخ صحراوي جاف على طول السنة.

–رغم الصعوبات التي يتلقاها القائمون على حفر الفقارة والصعوبات المختلفة والأعمال الشاقة إلا أن هذا العمل ستكون له نتيجة، حيث سيقضي على العمل الشاق في جلب الماء بكميات كبيرة لسقي النخيل والحقول، فطريقة الفقارة تختزل تلك الصعوبات الخاصة بالسقي.

–تحافظ الفقارة على الأقتصاد في الماء، رغم بساطتها، وبساطة المواد المستخدمة.

–تحافظ الفقارة على كمية المياه الجوفية من عملية التبخر.

–تساهم الفقارة في رفع كميات الانتاج الزراعي للواحات.

– تساهم الفقارة في الحفاظ على كمية الماء وذلك من خلال الطريقة الدقيق والمحكم في التوزيع.

ثانيا– السقي عن طريق الخطارة:

هي طريق أخرى للسقي يتم استخدامها في بعض المناطق معناها التي أي غرافة ذات عجلة مائية وجمعها خطاطير"تنحط وترتفع، وهي تدل على الأروقة الجوفية للري التي تجلب الماء من البئر.[1]وقد أشار إليها الكثير من المستكشفين الفرنسيين، منهم حيث قال (Martin)، بينما يستغل سكان طلمين الآبار يطريقة أخرى، وهذه الآبار تتراوح أعماقها بين مترين وستة أمتار ويستغلونها باستخدام أجهزة متحركة أو هزازة وتسمى"الكاركازة" وهي معروفة في مناطق أخرى في الجزائر.[2]ووصف،كما وصف شكلها أيضا وطريقة عملها (G.Champeaux)، وقال أنها تستعمل لاستخراج المياه العادية، وهي بئر وليست فقارة، وللاستخراج الماء منها يتطلب وضع عمود طويل يختلف طوله حسب عمق البئر، هذا العمود متوازن في مركزه يستند على دعامة متقاطعة محمولة على بعض الطوب، وأحيانا بواسطة خشبتين، في نهاية أحد العمودين يوضع ثقل صخرة كبيرة عادة، أكثر من ثقل كمية الماء المستخرج، وفي الجهة الأخرى يربط حبل طويل ووعاء (سطل) للغر

[1] – عبد العزيز(الفيلالي)، مرجع سابق، ص 151

[2]-A.G.P.Martin: Oasis, op.cit, p281

ينظر الملحق رقم (25)، ص413

هذا الوعاء مصنوع من الجلد أو من ورق النخيل، ولغرف الماء يستلزم رفع العمود وذلك بسحب وجذب الحبل، ويطلق ليتم غطس الوعاء حتى يمتلأ بالماء، والثقل الموجود في نهاية العمود يأتي بالحبل من الخلف، فيصعد الوعاء من البئر وهو مملوء بالماء ويسكب في حوض مجاور.[1]

مثلما أشرنا له سابقا هذا النوع من السقي نادرا، ولا نجده إلا بمنطقة قورارة نواحي زاوية الدباغ حيث تستعمل هذه الطريقة في سقي البساتين، وتحتاج بشكل كبير إلى الجهد البدني فهي عبارة عن أداة مصنوعة من الخشب توضع لها أسس أوركائز عمودية، وتكون مباشرة فوق البئر وتنصب فوقها خشبة مصنوعة من جذع النخلة وتستخدم فيها الدلو والحبل، حيث يربط في أحد أطرافها الحبل والدلو وينزل في البئر والطرف الآخر يتم شده باليد ويسحب الماء بواسطة الدلو، وقد يستعمل الدابة مثل الحمار للسحب.

ثالثا– المزروعات والمحاصيل الزراعية في واحات توات:

يعتبر الموقعان الجغرافي والفلكي عاملان أساسيان في تحديد النباتات التي تنموا في أي رقعة من العالم، فبهما يتم تحديد المناخ السائد ومميزاته وخصائصه، فالمناطق الساحلية لها ما يميزها من نبات وأشجار وحيوانات والمناطق الصحراوية بما فيها إقليم توات له خصائصها ومميزاتها عن غيرها من المناطق فتنموا به نباتات صحراوية لها خصائصها .

أ– زراعة النخيل وأنواع التمور :

1.زراعة انخيل

أما عن تاريخ زراعة نخيل الثمر في المناطق الصحراوية ليس بالأمر الجديد، ولا المستحدث ذلك أن التاريخ يشير إلى قدم هذه الزراعة في هذه المناطق، فيمكن إرجاع فترة ظهورها في الصحراء عموما حسب مختلف الدراسات التي تحدثت عن منشأ النخلة، إلى ما قبل التاريخ حسب ما ذكره دي كاندل أن نخلة التمر قد نشأت منذ عصور ماقبل التاريخ في المنطقة الشبه الحارة الجافة التي تمتد من بلاد السنغال غرب إفريقيا إلى حوض السند بين خطي عرض 15و30 درجة، ومنها انتشرت في الهند إلى الشرق الأقصى في بلاد الصين،[2]والصحراء الجزائرية تدخل ضمن هذه المنطقة، وهناك نماذج من النخيل مزروعة في شمال هذه المنطقة. وتعد المنطقة التي أشار

[1]-G.Champeaux : op.cit, pp22-23

[2] – حسن مرعي، مرجع سابق، ص 32

إليها دو كاندل من أكثر المناطق التي زرعت فيها أشجار نخيل التمر منذ اكتشافه إلى الوقت الحاضر.[1]

ذكر هيرودوث أشجار النخيل ووفرتها في أوجلة واستقرار بعض السكان حول واحاتها، وإنشائهم لنظام ري لازال مستعملا في بعض المواقع إلى اليوم، وقد ظهر في إحدى النقائش أن قيمتها الزراعية لم تكن ذا أهمية بالنسبة للقرطاجيين، لأنها لاتنتج التمر وإن أنتجته فهو رديء نظراً للظروف المناخية الرطبة، وموطن النخيل يبدأ من تاكاب Tacape(قابس)وينتشر إلى الجنوب منها حتى فزان.ليتواصل حتى واحة سيوة بمصر، فيما يتواصل غربا حتى أعمدة هرقل على شكل واحات متتالية تفصل بينها مسيرة عشرة أيام كما، وتتطابق مع مواقع الواحات اليوم وإن كانت ضاربة في القدم حتى قبل عمر هيرودوث. كما أن مسميات التمور تعد من أقوى الدلالات على قدم غراسة النخيل في بلاد المغرب القديم.[2]فقد ذكر صاحب كتاب تاريخ سوف العديد من أنواع التمور فيها ومعظمها بالعربية، وتختلف عن صحراء الجنوب الغربي، فمعظم أسماء التمور بالأمازيغية، فذهب البعض إلى ربط تاريخ وجود النخيل في سوف إلى العرب، ومن بعض أسماء التمور عندهم:الغرس، أخت الغرس، الدقلاوي، دقلة نور، أخت دقلة نور، فزاني، فطيمي ،...الخ[3]

كما أدخل العرب زراعة النخيل إلى الأندلس في القرنين السابع والثامن الميلادي، وقد زرعت أولى نباتات النخيل من البذور في أراضي المكسيك وكاليفورنيا، وفي أوائل القرن العشرين فيما بين 1900و1908م، دخلت زراعة النخيل إلى أمريكا من الفسائل التي تم إدخالها من العراق والجزائر وتونس...

لقد فرض المناخ الصحراوي الذي يسود مناطق توات المختلفة على الفلاحين التفكير والبحث عن المزروعات المناسبة، والتي تتلائم مع هذا المناخ الصحراوي الجاف القليل أو المنعدم التساقط، فكان التواجد الدائم للنخلة المثمرة لتلائمها مع الظروف القاسية، وبسبب الدور

---

[1] – حسن مرعي، مرجع سابق، ص 32

[2] –السعيد(قعر المثرد)، الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146ق.م)، غانم محمد الصغير، رسالة ماجستير، التاريخ القديم ، تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة،2007م-2008،ص153

[3] –ابراهيم(محمد الساسي العوامر)، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تح الجيلالي بن ابراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر،2007 م، ص75

الأساسي لثمارها في التغذية المحلية[1]، فهي من النباتات الشوكية الصحراوية والمقاومة للحرارة، فأصبحت توات عبارة عن واحات من النخيل لا يكاد يخلوا قصراً من قصورها من هذه الشجرة التي تعتبر المورد الإقتصادي الأكثر أهمية في حواضر توات.إذ يعتبر التمر الغذاء الأساسي للسكان ويعتمد عليه الفقير، والغني في قوت يومه لما له من خصائص فهو المادة القابلة للتخزين لاستخدامه في وقت الحاجة، وهو السلعة الأكثر تداولا بين التجار، والقوافل التجارية التي تحمله سواء إلى المناطق الشمالية أو إلى المناطق الجنويبة نحو السودان الغربي.

تطرقت الدراسات الفرنسية إلى تحديد أعداد أشجار النخيل في إقليم توات منهم (Martin) الذي تحدث مطولا عن نخلة التمر(فينيكس دكتاي ليفيرا)،حيث أشار إلى كل تفاصيل زراعتها وتسميد هو جني ثماره وتكاثره بشكل طبيعي،[2]وتزرع النخيل ويتكاثر بطرقتين إما عن طريق البذرة وهذه تأخذ وقتا طويلا في النمو، أوعن طريق الفسيلة التي تؤخذ من النخلة الأم،[3]وتحتاح النخلة للكثير من الرعاية، وتتم زراعتها بأخذ فسيل ووضعه في الماء عدة أيام، ثم يقوم الفلاح بزراعته كما هو بعد ذلك تبدأ عملية النمو بطريقة طبيعية، ويلقح النخيل بواسطة شماريخ خاصة وتتم العملية في منتصف شهر فبراير وتمتد لمدة شهرين، حيث تكون الظروف المناخية ملائمة، وذلك لمساعدة الرياح في عملية التلقيح، وإذا لم تلقح يفسد الانتاج، ويكون غرسها رديء(حشف)، وتحتاج النخلة لتربة مميزة في السنوات الأولى لتنموا قوية، ولهذا فإنه من الضروري أن تنموا منفردة مدة خمس سنوات الاولى من حياتها حيث لا يترك حولها أي خلفة تشاركها الغذاء، ولهذا السبب تقطع كل الفسائل التي تظهر حولها وتزرع في أماكن أخرى.[4]

ذكر بيسول عدد النخيل سنة 1891م بكل مقاطعة من مقاطعات توات تيدكلت وقورارة، وقال أن عدد النخيل في توات التي تحتل الجزء السفلي من وادي مسعود، وتتكون من عشر مقاطعات، وتبدأ من بودة وتنتهي إلى رقان، ومساحتها حوالي(1200كلم2) يبلغ عدد النخيل بها

[1]-yves (Guillermou) : Op.cit,p121-138

[2] - A.G.P.(Martin): Oasis, Op.cit, p291

[3]- ibid, p294-259

[4] -محمد (حوتية)، مرجع سابق،ج1،ص-ص 102-103

ثلاثة ملايين (3مليون) نخلة موزعة على(150)مائة وخمسين قصرا،[1]وتنتج من أجود، وأشهر التمور، ففي تيمي توجد ستمائة ألف نخلة (600000)نخلة مسقية بمياه الفقارة، وفي بودة يتم سقي حوالي مائتين وخمسة وثلاثين ألف وخمس مائة نخلة(235500)من الفقارة وتنتج نوعية جيدة من التمور،[2]أما تمنطيط فبها حوالي مائتين وسبع وسبعون ألف نخلة(277000)تسقى من مياه الفقارة.[3]أما عن مقاطعة قورارة فإن زراعة النخيل تعتبر الثروة الأساسية فيها حسب بيسال يبلغ2.500000 نخلة، أما مقاطعة أوقروت مثلا فعدد نخيلها خمسمائة ألف نخلة (500000) وينتجون تمور ذات جودة عالية وهي محل تجارة كبيرة جدا مع الشعانبة وحميان، والأغواط، وأولاد سيد الشيخ، والقوافل القادمة من الشرق نواحي ميزاب وورقلة.[4]وبالنسبة لزاوية الدباغ يتم سقي حوالي109000 نخلة عن طريق الفقارة، أما التمر فيعتبر من أكثر السلع التي يكثر الطلب عليها. وأحصى بوي عدد نخيل تيدكلت سنة1898م بما يقارب 1.500000.وتتميز اينغر بزراعة أشجار النخيل البالغ عددها 140ألف نخلة، ذات تمور جيدة.[5]

2.أنواع التمور: تختلف أشجار النخيل من منطقة إلى أخرى،كما تختلف أيضا نوعية التمور التي ينتجها كل نوع من أنواع نخيل التمور، وكذلك في كمية الإنتاج، فبعض الأشجار لا تنتج لسنتين متتاليتين فهي تحتاج لموسم راحة، بينما هناك نخيل ينتج كل عام إلى جانب الإنتاج المضمون والوفير،كما تساعد طريقة الإستزراع على توفير طعام مميز للخيول والحمير والأغنام، والسماد لجميع الحيوانات، وتحتاج النخلة للتقليم وذلك لتنظيف النخلة من بقايا الجذوع والجذوع الزائدة،

---

[1] - Bissuel, (Henri Commandant) : le Sahara français: conférence sur les questions sahariennes : Adolphe Jourdan, libraire- éditeur imprimeur-libraire de, l´académie, Alger, 1891, p33

[2]- ibid,p33

[3]- ibid,p33

[4]-H. Bissuel: op.cit, p20

[5]- Ibid,p20

ويستأجر ملاك البساتين أشخاصا للقيام بذلك.[1]وتبدأ هذه العملية بحلول فصل الشتاء ويتم خلاله أيضا قطع العراجين المتبقية والجريد والكرناف.[2]

أما عن أصناف التمور فقد عددها(مارتان)، ورتبها حسب أهميتها الغذائية والتجارية، مثلا في تينركوك:(تينقور، تينهود، أحرطان، تيليمسو، وتعرف عند عرب الشمال بالحميرة، أدكلي، تقربوش) وهذه تعد من الأنواع الستة من التمور ذات الجودة العالية أو الفاخرة وتقدم للضيوف المتميزين سواء كانت رطبة أم جافة.أما الأصناف الأخرى من التمور، وهي التي نتنج في معظم بساتين توات ومعظمه موجه للتصدير(تيليمسو، تناصر، تجازا، تيمليحا، تازرزاي، الأدهم).[3] أصناف أخرى في تيديكلت:الورقلية، الدقلة بأنواعها الدقلة السودا، والفقير علي، وأشداخ، وتجازة، والمسعودية، وبمخلوف، وتنعكشت، اشداخ، تنبوزيري، وتندكان، وتنجدل، ولعضم، وأغموا، وتنقسري، بفقوس، إقنقن، تمليحة.[4]

هناك عدة أنواع من التمور الأخرى تحصل على أسمائها (مارتان)من مناطق مختلفةمنها: أدكش أسيان، أدهم العش، أغراس، أدهم الحاج، أغازة، أغيم، أغمو، جلول، أغينيغوين، عقويل عيسى بن موسى، أكريش، أزروف، باجاوي، بامليك، باميمون،بغل، بتسيم، وبلال وبن عيسى، بن خليف، بن طالب، بنت ضبة، بس الكوف، بوعارف، بوعريفي، بوجلطة، بوهجيم بوقزيم بوهيمان بوسكري، بنودال،الشيخ، الشيخ امحمد، شركة، دجلة مكة، دجلة نور، دقلة الصفراء...[5]

كما واجهت الزراعة مشاكل وعراقيل عدة فيلاحظ أن المزروعات الأساسية والمتنوعة في هذه المنطقة تكون شديدة الحساسية وبشكل خاص أشجار النخيل التي كانت عرضة لمرض البيوض، مرض ليس له علاج وشديد الخطورة، ويصيب معظم النخيل إلى جانب عوامل أخرى مثل شيخوخة المزارع، وضعف القيمة التجارية للتمور المحلية،[6] والإعتداءات المتكررة من الغزاة في

---

[1]-E .Daumas : op.cit , p95

[2] -محمد الصالح حوتية، مرجع سابق،ج1، ص105

[3] - A.G.P. Martin: Oasis,op.cit,p298

[4] -ibid, p299

ينظر أيضا: محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ج1، ص122

[5]- A.G.P. Martin: Oasis, op.cit , pp299-300

[6] - yves. Guillermou: op.cit, p121-138

خضم الصراعات القبلية التي كانت سائدة خلال القرن التاسع عشر، وما ينجر عنها من حرق للنخيل وتدمير وكذلك للأسراب الجراد لسنة 1761،كما حدث قي بعض المقاطعات من توات مثل تسابيت ما أدى إلى حدوث المجاعة.[1]

كما أدت هذه المشاكل إلى تخلي البعض عن هذه الزراعة والتوجه إلى زراعات أخرى كالبقوليات أو أشجار مثمرة أو نباتات غير غذائية،كالتبغ والحشة ،كما شغلت البقوليات لزمن طويل مساحات كبيرة من الواحات.[2]

ب.أنواع أخرى من الأشجار:رغم أن النخلة تعتبر الثروة الأساسية في قورارة، إلا أن هناك العديد من أشجار الفاكهة التي تنتجها والأرض وتستهلك منتجاتها، وتمنح نوع من الرفاهية للسكان منها: أشجار المشمش والخوخ، والتفاح والسفرجل، والرمان والتين.[3]

ج.زراعة الحبوب :

اهتم سكان توات بزراعة الحبوب باعتبارها الغذاء الرئيسي لهم، ومن بين؟ أهم هذه المزروعات القمح والشعير، والبشنة، وتنتشر في مختلف واحات توات وبساتينها فلا يكاد قصرا من قصورها يستغني عن زراعة هذه الحبوب[4]، فهي تدخل في الغذاء اليومي للسكان صناعة الخبز بمختلف أنواعه كخبز القلة وخبر التنور، والكسرة، وأيضا صناعة الطبق الأساسي في غذاء التواتيين وهو الكسكس، والمردود، وغيرها من الأطعمة المحلية الخاصة بالمنطقة.وذكر مارتان أن الحبوب تزرع في كل الأماكن الخالية التي لم تغرس فيها النخيل، وذلك بالقدر الذي تسمح به كمية الماء، لذلك فإن المناطق الغنية بأشجار النخيل فقيرة من حيث الحبوب، والعكس صحيح، وتتغلب زراعة النخيل في القرارة، وتسابيت، وتوات العليا، وأولف وعين صالح، وتزرع الحبوب بشكل خاص في بودة وتوات السفلى.[5]ويأتي على رأس هذه الحبوب القمح والشعير.

---

[1]- A.G.P. Martin: Oasis, Op.cit, p300

[2]- yves. Op.cit, p138

[3] -H. Bissuel: op.cit, p28

[4]- الملحق رقم 43،ص 431

[5]- A.G.P.(Martin): Oasis, op.cit, p306

1- زراعة القمح والشعير:

تحتل زراعة القمح والشعير المرتبة الثانية بعد غرس النخيل ويزرع في جميع الاماكن مابين النخيل في فصل الشتاء والمناطق، وأكثر المناطق الغنية بالحبوب بودة وتوات السفلى، إلا أن كل الفلاحين يولون اهتماما كثيرا لهذا المحصول بغية تحقيق الإكتفاء الذاتي، وتتم زراعته بطريقة بدائية، إذ لا يملك الحرّاثون وسائل تساعدهم في عملية الحرث،سوى أجسادهم وجهدهم العضلي باستخدام المعاول والفؤوس، والحمير، والسقي يتم عن طريق القنوات المرتبطة بالفقارة[1](السواقي)أو الإستعانة بالعبيد المجلوبين من السودان الغربي الذي يعتبر المصدر الرئيسي لهم.[2]حيث كانت لاتزال تجارة العبيد مستمر في توات خلال القرن التاسع عشر،ولعل وجود هذه اليد العاملة الرخيصة، عاملا من العوامل التي حالت دون دخول الآلآت الحديثة للواحات، وهذا ما أثر على المساحات الزراعية.[3]

بلغ الإنتاج حسب (martin)سنة 1322هـ/1904م حوالي 17000 قنطار توات أنتجت 48000 قنطار من القمح والشعير، و ترتكز زراعة القمح والشعير في تسابيت توات الوسطى أولف عين صالح و بودة.[4]وقدم (voinot) إحصائية خاصة بتيديكلت عن المساحة المزروعة والتي تنتج ما يقارب 1000000قنطار.وأشار(Daumas) إلى أراضي تيديكلت وقال بأنه مزروعة ومروية بشكل جيد، وتتوفر في بعض المناطق على أراضي خصبة صالحة لزراعة الحبوب وقد تم حصاد القليل من القمح والشعير والدخن(البشنة)، والقمح التركي، والفصولياء العريضة والحمص.[5]

3-الذرة: أما انتاج الذرة فيقدر باثنين وثلاثين الف قنطار يوجه للاستهلال المحلي ومع نهاية القرن التاسع عشر كان عدد السكان إقليم توات وتينجورارين، وتيديكلت حوالي تسعة وأربعين

---

[1]- E. Daumas: op.cit,p94

[2]-أحمد (الحمدي)،تحديد وضعية عبيد توات من خلال الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا التنبكتي،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، ص437-448

[3] - محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، ج1، ص100

[4]- A.G.P. Martin : Oasis Sahariennes, op.cit, p306

[5]-E. Daumas : Le Sahara, op.cit, p291

ألف نسمة، ويقدر استهلاك الفرد الواحد مائة وثمانية وستون كيلوغراما سنويا أي أربع مائة وستون غراما في اليوم.

5-والبشنة: وهو نوع من الذرة تزرع في أكتوبر وتعتبر مع التافسوت من الحبوب التي يكثر الطلب عليها في سواق أروبا الغربية تتم زراعتها في البساتين أو مايسمى بالجنان، وتخصصلها مساحة كبيرة منه ويقدم كعلف للحيوانات،[1]وتعتبر تيديكلت من المناطق الصالحة لزراعتها.[2]

6-التافسوت: تزرع في شهر افريل وماي وتحصد في شهر اكتوبر ويقدم كعلف للحيوانات حيث بلغ انتاجه حسب مارتن (martin)(32000) ألف قنطار.

د.زراعة الخضر: كما تتم زراعة الكرنب، والبصل واللفت، والبطيخ، والطماطم، والباذنجان، والفلفل (ينتج الفلفل بنوعيه الأحمر والأخضر ويصل طول الحبة إلى 6.5سم)، ومطلوب في الجزائر حسب مارتان.[3]كما اهتموا بزراعة البصل، اللفت، الطماطم، الباذنجان، الشمندر، الثوم، فصوليا، الفول، البزلاء، الجزر.[4]

هـ. **المحاصيل التجارية أو الصناعية:** مثل والحناء والتبغ والقطن.

-**الحناء:** رغم أنها تزرع في كامل واحات توات إلا أن هناك منطقة اشتهرت بها، وسميت بها وهي وادي الحناء أوتوات الحناء، وتزرع في البساتين، وتكون على شكا شجيرات صغيرة وخضراء، ولها عدة استخدامات، في الصباغة، والتطبيب لعلاج الكدمات والكسور، وللزينة يحيث تستعملها النساء في الشعر واليدين والقدمين، ومطلوبة لدى القوافل التجارية.[5]

-**التبغ:** يزرع التبغ في العديد من المناطق ولكن بشكل خاص في منطقة توات الوسطى، وتعتبر زاوية كنتة سوقها الرئيسي هذا النبات السنوي يزرع في المشاتل ثم يعاد غرسه في مكانه بمسافة 30 أو 40 سم بين كل قدم، وعندما يصل إرتفاع النبات إلى 40 سم يتم حصاده في يونيو وربطه في

---

[1] – A.G.P. Martin : Op. cit, p307

[2]- E. Daumas, Op. cit, p291

[3] -A.G.P. Martin , Op. cit, p 311

[4] - L. Decolomb : Notice sur les Oasis du Sahara et les routes qui y conduisent : extrait de la revue Algérienne et colonail, imprimerie de ch, Lahure et cie, 1860, p24

[5]- A.G.P. Martin,Oasis, Op.cit, p308

حزم صغيرة تتراوح من(6)إلى(8)حزم يتم حملها كما هي ويتم تصديرها إلى السودان يتم استهلاكها وهي مجففة أوتحويلها إلى مسحوق سواء الأوراق والسيقان، وحتى الجذور في معظم الأحيان ويتم تخزينه.[1]

المبحث الرابع: الحرف المرتبطة بالفلاحة

أولا: حرفة كيال الماء:

أ.دوره ومهامه: فهو الشخص الذي يقوم بعملية حساب وتوزيع أو كيل الماء بين الأشخاص الذين يتقاسمون نفس منبع الماء، أما عن أجرته فقد جرت العادة عند سكان توات عامة، وفي كل سنة عند نضج التمر في فصل الخريف يقطع عرجون تمر من كل جنان أو بستان من جنات القبيلة أو القصر ويمنح له لقاء عمله الذي يقوم به، وفي شهر أفريل عندما يحصد القمح يمنح له قمون أي نصيب من القمح في ذلك البستان، والدعاء له بالخير.

من بين أهم وأصعب مراحل استغلال مياه الفقارة هي مرحلة التوزيع والتقسيم على ملاك الفقارة، فتستعمل فيها وسائل دقيقة وحسابات أدق لايقوم بها إلا رجل حاذق متمكن يدعى الكيال، والآلة التي يستخدمها تسمى الحلافة، وتختلف تسميتها في إقليم توات من منطقة إلى أخرى فتسمى الشقفة والقلد والقسامة، والصيارة ويختلف شكلها من منطقة لأخرى فهي على شكل أسطوانة نحاسية[2] مفتوحة من الأعلى والأسفل مثقوبة في جوانبها وفق أحجام مختلفة، وهذا الثقب قطره 13مم على ارتفاع بمقدار23مم من مستوى القياس، ومنسوبه 4لتر في الدقيقة وفي توات الوسطى تأخذ شكل مستطيل .[3]

إن عملية التوزيع لمياه الفقارة تتم بطريقة علمية وعملية مدروسة وبدقة لامتناهية تتم بواسطة الحلافة أو الصيارة ووحدة التوزيع هي العود في المطارفة والحبة بتوات وآولف، والماجل أو الماجن بتسابيت.[4] فالوحدة الأساسية لكل التوزيع في مناطق توات هي:الماجن أو الماجن بنواحي

1- A.G.P. Martin,Oasis, Op.cit, p309

2 -ينظر الملحق رقم(37)، ص 425 والملحق رقم 38 ص426

3 – حامد لمين ابراهيم، مرجع سابق، ص 13

4 – مبروك(مقدم) الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف،مرجع سابق، ص68.

توات، الحبة زريق في منطقة تديكلت أو العود في منطقة بمنطقة قورارة وتسابيت .كلها تقسم إلى 24قيراط أو قيراط القيراط، أو فلس، أو قراط نحاس.[1]

ب.أما طرق تقسيم مياه الفقاقير فهي طريقتين :

•التقسيم بالوقت :

وذلك بتخصيص مدة زمنية معلومة لكل مستفيد من المياه (ملاك) تشبه طريقة ملاك توزيع مياه فقارة هنو بتمنطيط .[2]

•التقسيم بالحصة :

وهناك أدوات مستعملة في تقسيم الفقاقير وأشهرها: الشقفة أو الحلافة، تخضع الفقارة لنظام صارم في التسيير فمنذ بداية انجاز الفقارة، تقوم الجماعة بوضع سجل يطلق عليه(الزمام) يحتوي على حقوق كل مشارك، وكل مالك في الفقارة، ويحوي مايسمى(بالحبة معبود أو العدة) وهو رأس مال الفقارة، ولا يتغير رغم طول مدة الفقارة. ويأتي بعد ذلك مايسمى(بالجريدة) التي يتغير محتواها عند كل توزيع جديد زيادة أو نقصان وهي تتضمن حدود التقسيم السابق، ثم تنشأ جريدة أخرى ناتجة عن التوزيع الجديد تلغي الأولى. بحضور الشاهد.(الإمام)، فلكل فقارة قائمتان الأولى تسمى زمام الكيل والثانية تسمى الجريدة الأصلية.[3]

ارتبط بالنشاط الفلاحي حرف أخرى ذات أهمية كبيرة، منها ماهي حرف دائمة، وحرف موسمية منها ما اندثر نظرا للتغيرات التي عرفها المجتمع، وبعضها مازال سكان الإقليم يزاولونها منها: حرفة أو مهنة الكيال"كيال الماء"، القمان، القلام، الذكار، جاني التمر(الفران)، الحصاد. فتعتبر هذه المهنة دقيقة جداً لا يمكن لأي شخص أن يزاولها لكونها فن فيه حسابات دقيقة، وقد تناولها العالم الجليل الشيخ محمد بن أبا المزمري،[4]موسوعة القرن الثامن عشر

[1] – مبروك(مقدم)، مرجع سابق، ص69

[2] – حامد لمين ابراهيم، المرجع نفسه، ص 13

[3] – مبروك (مقدم)، الشيخ محمد ابن أبا المزمري، عبد الرحمان بن عمر التنيلاني حياتهما وآثارهما، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2016، ص32

[4] –ذكره صاحب جوهرة المعاني قال عنه أنه، المزمري نسبة إلى زمورة من أرض البرابرة، شيخ النحو واللغة والصرف، شاعر أديب، وللشيخ العديد من المؤلفات وشروح وبراعة في علم العروض، توفي بتيميمون سنة 1160هـ، جوهرة المعاني، نسخة بخط الطيب شاري، خزانة كوسام، أدرار، ورقة40-41

ميلادي بتوات، هذا الشيخ العالم، وما تركه من مؤلفات الفنون والعلوم، ولعل ذكرنا له في هذا المقام إلا دليلا على ذلك، وترك بصمته في فن تقسيم مياه الفقارة من خلال القصيدة التي سماها حمارة الحساب[1]. وهي تحوي من 6إلى 10 أبيات:منها قوله[2]:

ببد بحوى، بدح، بهى، بوبي (ص) * ** بزدي، بحوى، بطحى، الإثنين (عن).
ولثلاث: جحط، جدي، (جههي) *** جوحي، جزاك، جحدك، جطرك،(اخي)
لاربع: ددوى، دهك، دودك (عن) *** دزجك دحبل، دطول،كما (علن)

تستعمل من طرف كيالي الماء في توات، حيث تشير بعض الكتابات إلى أن قصور توات كانت تحتوي على ما يزيد عن 20 معلم في كيالة الماء، يقومون بتقسيم وتوزيع مياه الفقارة ويجوبون مختلف قصور توات عند طلبهم، ولا يمكن أن تتم العملية إلا بحضورهم، ومثلما أشرنا في السابق أن هذا العمل دقيق فإنه يقتصر على فئة محدودة يتوارثها الأبناء عن الآباء عن طريق التلقين الشفهي، ومرافقة الأبناء لآبائهم خلال العمل للأخذ عنهم والتدرب، وتتم عملية توزيع الماء عن طريق جماعة القصر التي تتشكل من[3]:

- إمام المسجد العتيق
- رئيس القصر
- مقدم الزاوية
- موزع الماء أو الكيال
- كبير العرش أو العروش.
- وهذه الجماعة موجودة داخل القصور التواتية جميعها، فهي التي توكل لها مهمة تنظيم الحياة الاجتماعية داخل القصر.(40)

ج .الشروط المطلوبة في موزع الماء(الكيال) :

- التقوى والورع والخلق القويم

---

[1]- ينظر الملحق رقم 39،ص 427

[2]- تقييد بخزانة شاري الطيب،كوسام، ادرار.

[3]- مبروك(مقدم)، الشيخ محمد بن ابا، مرجع سابق، ص 33

- الإستقامة والسكينة وحفظ ما للغير من حقوق
- المعرفة الكاملة بحقوق الناس
- الحدق والمعرفة الكاملة بفنون توزيع مياه الفقارة
- امتلاك آلة التقسيم "الحلافة".
- تأدية اليمين قبل البدء في عملية التوزيع والتكليف بها .

- كما لايشترط أن يكون من عائلة دون أخرى، فالعائلات كانت تدفع بأبنائها لتعلم هذه الحرفة، فكان ممتهنوها يحظون بمكانة عالية في السلم الاجتماعي، ناهيك عن الهيبة والوقار ومن الحرف المرتبطة أيضا بالفلاحة حرفة التقمان وتبدأ مع بداية الموسم الزراعي.

ثانيا: حرفة التقمان:

يقوم بها شخص هو القمان[1] أو ماسك البستان سواء كان خماسا أو خراصا وهي تهيئة الأرض للزراعة، أن القمان يقوم بتهيئة الأرض الزراعية قبل زراعتها على حسب النمط التقليدي المستعمل في إقليم توات منذ مئات السنين وتتمثل مهامه فيما يلي:

- تسوية الأرض وتهيئتها.

- تقسيم الأرض إلى قمامين وهو جمع قمون وهو الوحدة المعيارية في نظام الخراصة والخماسة عرضه حوالي متر ونصف، وطوله مترين ونصف.يقوم القمان بتقسيم الحقل إلى قمامين بهذه المقاييس ويجب أن يتحرى الدقة لأن هذا القمون سيكون الأساس في تقسيم الغلة بين الخماس وصاحب البستان أو بين الخراص وصاحب البستان.[2]

-يقوم أيضا بوضع أبدوان وهو جمع أبادوا ونعني به المجرى الذي يصب فيه ماء الماجن والذي يوصل الماء إلى القمامين، وهو يشبه الساقية له حواشي موضوعة بشكل دقيق ومطعمة بالطين حتى لاتمتص الماء وعند كل قمون يوضع منفذ لدخول الماء أثناء عملية السقي وأحيانا يكون المنفذ من قمون إلى آخر، وأحيانا تكون هناك أبادوان ثانوية توصل القناة الرئيسية لأبادوا الرئيسي بأبادوا الثانوية، فبالتالي فإن الشخص الذي يقوم به يجب أن يكون خبير في الزراعة وعلى دراية بالأمور الدقيقية المتعلقة بها.ويقال:" القمان يجبد الحاشية وأبادوا" بمعنى أنه يجيد القيام بهما.[3] .

[1]- ينظر الملحق رقم40، ص428

[2] -محمد(تامرتي)، مقابلة شخصية، بمنزله بقصر أولادعلي، يوم 2019/03/5. ينظر الملحق رقم 40، ص430

[3]- المقابلة نفسها.

– يقوم أيضا بتقليب الأرض ونزع الأعشاب الضارة منها، ويقوم بحرقها .

– يقوم القمان بالمرحلة ماقبل الأخيرة من عملية التهيئة، وهي وضع الحفر بمعنى وضع حفر صغيرة داخل القمون هذه الحفر يوضع بداخلها السماد التقليدي المتكون من الفضلات الحيوانية والبشرية، وقد أشار إلى ذلك العياشي في رحلته منذ القرن السابع عشر ميلادي، حيث يقول:"لهذه البلاد أرض كثيرة صالحة للزراعة لكن يلزم سقيها بماء البئر وتسميدها بالسماد لأنها جافة وهزيلة جدا، ولذلك يسكّن أهل تيكورارين الغرباء في منازلهم بدون أجر ليحصلوا على سماد الخيل ورجيع الناس، حتى أن أكبر ما يسيء به الغريب لمضييفه أن يتغوط خارج بيته، فإذا رآه رب البيت يفعل ذلك اغتاظ"وصاح قائلا:«ألا يوجد كنيف في داري حتى تخرج لقضاء حاجتك »[1]،ويعطينا الوزان صورة عن الزراعة الصحراوية، ومدى صعوبتها، فتتطلب جهداً بدنياً كبيراً، لحمل الزبل الذي ينقل على ظهر الحمير.من طرف النقال.وقلة السماد(الغبار) والحاجة الماسة لدرجة أن يلجأ السكان لإسكان الغرباء في بيوتهم للحصول عليه.

وما يلاحظ عن هذه العملية أي التقمان، أن من يقوم بها هو الخماس أوالخراص، وأحيانا يلجأ صاحب البستان إلى شخص مختص يقوم بها، فإذا كان ماسك البستان أخذه بالخماسة فيعني ذلك أنه بعد الجني والحصاد سيأخذ الخماس خمس الإنتاج، أي واحد من خمسة من المحصول، ويكون ذلك على إتفاق بينه وبين صاحب البستان، وما يلاحظ عن هذه المعاملة أن الخماس يبذل جهدا كبيرا مقابل ربح قليل.بينما الخراص فيتم التعاقد شفويا بين الخراص وصاحب البستان على تخريص مقدار من الماء معلوم، مقابل محصول متفق عليه أيضا و مثال ذلك:أن يقول صاحب البستان للخراص خذ الجنان وثلاث ماجن ماء، وتعطيني بعد الجني 30 أزقن من القمح و30 أزقن من الشعير.[2]

ثالثا.حرف الذكار والفران والنقال

1– الذكار: والمقصود بحرفة الذكار هو العمل الذي يقوم به الشخص الذي يقوم بعملية تلقيح أشجار النخيل، وهي من الحرف الموسمية المرتبطة بفترة التلقيح، ويقوم بها شخص يكون على دراية وعلم بهذه الحرفة بكل تفاصيلها، يقوم بوضع الذكار أوللقاح في النخلة، يستعمل الذكار الذي يمر

[1] –الحسن الوزان(بن محمد)، مصدر سابق، ص 134

[2] – محمد(تامرتي)، المقابلة الشخصية، نفسها

بمراحل يسمى قبل نضجه أغنجة وبعد نضجه يسمى الذكار ويوضع في النخلة المثمرة وأثناء هذه العملية يردد الشخص الذي يقوم بهذه العملية كلمات وهي[1]:" باسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذكار ذكرناها والقبول على مولاها بقدرة العزيز الجبار هي خير من الذكار قبال الإيمان للالة التازة." تُذكر النخلة مرة واحدة ويرقبها الفلاح لمعرفة ما إن لم تلقح جميعها وتتم العملية بداية من شهر ناير جانفي وفبراير ومارس وابريل تثمر في شهر جوان وبعض الأنواع من النخيل لا تثمر إلا في نوفمبر وديسمبر تقربوش وتيمقور وأحرطان.[2]

2.الفَرَّان:هو الشخص الذي يقوم بفرن التمر من النخل أي جني أو قطع التمر بعد أن يصبح ناضجا صالحا للإستهلاك، وفي بعض الأحيان يبقى التمر في النخلة بعد نضجه حتى يجف، فيقوم الفران بقطعه.وتصنع النساء قفة صغيرة من السعف تسمى الفرانة خصيصا لهذه العملية خاصة لما يكون التمر رطب.[3]

3.حرفة النقال:

أ.تعريفه في اللغة:من النقل:تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نقله، ينقله نقلا.فانتقل والتنقل التحول، ونقله تنقيلا إذا أكثر نقله.[4]وهي في اللهجة المحلية لسكان توات نقل المواد المختلفة على ظهر الدواب(الحمير)مثل نقل الزبل، أو مايسمى لغبار،[5]أونقل الرمل من مكان إلى آخر، والشخص الذي يقوم بهذا العمل يقال له النقال[6]، ويدعى أمطواي[7].أو هي عبارة عن اتفاق بين خراص أو مالك لبستان على أن ينقل لبستانه كمية من الغبار، أو التراب إلى منزله يتلقى فطور

---

[1] – الحاج سالم(صرندي): مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2019/12/15

[2]– المقابلة نفسها

[3]–المقابلة نفسها

[4]– ابن منظور، مصدر سابق، ص4529

[5]– وهو الزبل في اللهجة المحلية ويتشكل من روث الحيوانات التي يتم تدجينها في البساتين مثل الأغنام والماعز والإبل والدجاج، ونظرا لنقصه يسعى الفلاح خلال شهر أكتوبر لنقل هذه المادة إلى بستانه.عز الدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، إشراف شعيب مقنونيف، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ التراث اللامادي)الجزائري،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2017–2018م، ص228.

[6]– الملحق رقم 41، ص431.

[7]– محمد (مقدم) مقابلة شخصية، بمنزله يوم 2019/03/5

الصباح، والغداء والشاي، وقليل من الرطب واللبن إذا كان في الخريف، وإن لم يكن تقدم له كمية من التمر المسمى (لبطانة).[1]

ب.في الإصطلاح: من المهن التي توصف بالوضيعة في مجتمع توات، حيث يقوم النقال بنقل غبار الحيوانات، وغبار الكنيف[2]من المنازل إلى البساتين، عبر وسيلة النقل الوحيدة وهي الحمير. لذلك غالبا ما نجد أهل القرية يستنكفونها، ويبتعدون عن نشاطها فيقوم بها غرباء قادمين إما لهذا العمل أو تم تأجيرهم، يستوطنون القرى كنقالين ثم يتوطنون في القرية لقد كان أغلب الناقلين قادمين من المناطق البعيدة عن القصر، قدموا لاحتراف المهنة، واستوطنوا بالقرية و كان السكان ينظرون لهذا النشاط الحرفي على أنه عمل وضيع يحط من هيبة ووقار الشخص الذي يقوم به، لأن المجتمع ينعت الممتهنين له من السكان بـ(النَّقَّالين)فقد كان البعض يعير المحترفين بها ويحتقره قائلا له(روح تنقل) والنقال (أمطواي) يتم التثبيت عليه من قبل الراغب في النقل.[3]

تتلخص هذه الحرفة في أن النقال(أمطواي) يقوم بنقل مختلف المواد القابلة للنقل منها التراب الصافي الذي له عدة استعمالات منها أنه يستخدم في البناء، أوفي المنازل حيث تستعمله المرأة في أرضية المنزل أوما يسمى(تكسية المنزل)، وتكون إما بالتراب الصافي أو الخشن وتسمى(الحصبة) حفاظا على نظافة المنزل، والملابس عند الجلوس،كما تحمل أيضا إلى المساجد والكتاتيب أيضا لتجديد تربتها.أونقل الطين المستخدم في البناء، أو نقل أحجار الملح.وتنقل هذه المواد لوجهات مختلفة. إلا الغبار(الزبل) الذي يعتبر نقله أمر صعب، لايستطيعه إلا ذوي الصبر نظراً للروائح الكريهة المنبعثة منه،كما أن طريقة بناء المراحيض تقليدية وهي الأخرى تكسى بالرمل للحصول على الغبار، لذلك يحتاج الأمطواي إلى كثيراً من الجهد والقوة لاستخراج الغبار ثم وضعه في الغرارة، التي يتم تثبيتها على ظهر الحمار، ثم يتوجه به إلى البستان وقد يكون البستان، بعيدا أو قريبا من مكان استخراج الغبار.[4]

---

[1]- وهو التمر المخزن والذي يتم تحضيره بطريقة تقليدية، حيث يستخدم فيه التمر الجاف الذي يتم تنقيته من الأوساخ وجميع الشوائب، ثم يغسل، ويصبعليه الماء الساخن، ثم يصفى بعدها ويعصر جيدا ويوضع في أكياس مصنوعة من الجلد، ويخزن لفترة معينة، ثم يشرع في أكله.

[2]- ويعني السترةُ، والساترُ، والترسُ، والمرحاضُ، وحظيرة من شجر للإبل، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، حرف الكاف، ص .1439

[3]- مبروك(مقدم)، بنائية اتقسيم، مرجع سابق، ص61

[4] -محمد (مقدم)، مقابلة سابقة.بتاريخ2019/03/05

أما عن أجرة النقال:لقد حددت اجرة أمطواى بحسب عدد النقلات التي أوصالها للبستان(أربعة دورو للنقلة)تفرغ في البستان أما في شكل(عرم عرم) أو على شكل نقلتين في القمون الواحد. وتتم النقالة بكيفيتين:

1-أن يكون النقال مالكا لوسيلة النقل فهو صاحب للحمار، ودبشه وحلاسته يقوم بالعملية بنفسه وبذلك تتضاعف أجرته وأجرة حماره الذي يعمل به.

2-أما الطريقة الأخرى تتمثل في كراء الحمار لمدة يوم، أو أكثر لمالك البستان أو لخراص على أن يقوم المؤجر بكراء(أمطواى)للعمل على الحمار فيدفع أجرة الحمار فقد شاعت هذه الأنواع الثلاثة في المنطقة نكفتها فيئه معينةن واعتبرتها حطاً من قيمتها، وتخصصت فئات أخرى للإرتزاق منها وضمان لقمة العيش، وبمرور الزمن أصبحت تلك الفئات المستنكفة لا تجد من ينقل لها غبارها ويكسى بيوتها بالرمل فتعاظم الخطب، وازدادت الحاجة لنقل غبار البيوت الذي فرض حتميات لما أصبح يبعث من روائح تسد الأنفاس وتقزز الضيف فقامت لنفسها بها لأن الدوام الحال من المحال.[1]

رابعا: حرف الْحَصَادَة، والدقاق(الدراس)، والرعي

1.حرفة الحصادة:أ.تعريفها لغة:حَصَدَ جَزُّكَ البُّر ونحوِهِ من النَّبَات حَصدَ الزَّرْعِ وغَيْرِه من النبات تَحْصِدُه ويَحصُدُه حصداً وحَصاداً و حِصَاداً عن (اللحياني) قطعه بالمنجَلِ وحصَدَهُ و احْتَصدَهُ بمعنى واحد وحصاد كل شجرة ثمرها.[2]

ب.تعريفها إصطلاحا: الحَصَّادُون إسم لمن يحصد القمح والشعير وغيرهما من الغلة أي: يقطعه بالمنجل المعلوم عند إشتداد الحَبِّ وييبسه وله زمن معلوم يقال له وقت الحصيدة وهو من وقت إشتداد الحر وأهل هذه الحرفة يقال لهم (الحصادون) ويتعيشون بها.[3]

هي من الحرف الموسمية المرتبطة بموسم الحصاد، حيث يعتمد في جمع الغلة على العمل اليدوي الذي يقوم به الحصادون، وبما أن المجتمع التواتي عرف بانتشار نظام الخماسة فكان هؤلاء هم من يقومون بعملية الحصاد بمساعدة عائلاتهم، من رجال ونساء، وفي حالات أخرى يستأجر صاحب البستان عمالا ليقوموا بحصاد الغلة من قمح وشعير. وتتم العملية بوسائل بسيطة إذ لا

---

[1] -مبروك (مقدم)، بنائية تقسيم، مرجع سابق، ص62

[2] -ابن منظور، لسان العرب ص894

[3] -محمد سعيد(القاسمي) وآخرون، ص 98

يملك الفلاح التواتي سوى المنجل البسيط الذي يقطع به سنابل القمح والشعير، حيث تجمع في حزم وتترك لتجف، فيما يوجه جزءا من القمح الأخضر ليشوى في النار وتسمى محليا (بالبوغة) ويكون هذا موجها لنوعا معينا من الإستعمالات الغذائية.[1]

2. حرفة الدراس(الدقاق):

إسم لمن يدرس الحنطة وغيرها أي يدرسها على لوح مخصوص يعمل للدراسة، وذلك بعدما تحصد الغلة وتوضع في البيدر، يستأجر المستأجر الدراسين يدرسون الغلة بمبلغ معلوم من الدراهم أو الغلة على حسب الشرط وحينئذن يأتي الدراس فيجلس على لوح الدراسة المعلوم بعد ربطه بين دابتين كثورين، أو بقرتين وبيده عصا يسوقها بها فيجر اللوح الجالس عليه الدارس وتداس الغلة هكذا من الصباح إلى المساء إلى أن يتم أمر الدراسة، وهذه الحرفة من الضروريات ويتعيش منها خلق كثير،[2] تتم هذه في بلاد البلاد العربية ،وتستعمل الدواب حتى في مدن بلاد المغرب .

أما في توات فتعتبر هذه الحرفة من الحرف الموسمية المرتبطة بفترة الحصاد وجمع الغلة، حيث يبدأ العمل في الجنات أي البساتين، حيث يقوم المستأجرين أو الخماسين من عمال بهذه العملية أو أهل الجنان أنفسهم، فبعد عملية تجفيف المحصول من قمح أوشعير وجمعه في شكل حزم بعد عملية الحصاد، تبدأ عملية الدرس، وهي تحتاج إلى جهد بدني كبير، إذ أن الوسيلة المستعملة تختلف عن تلك الموجودة في بلدان أخرى كاستعمال الحيوان مثل ما ذكرناه سابقا، فيكتفي سكان الإقليم بما يسمى عملية (الدق)التي تعتمد على الجهد البدني،[3]وتتم حسب الخطوات التالية:

أ– تحضير النادر:

والنادر هو المكان الذي يدق فيه المحصول سواء كان قمحا أم شعيرا، بحيث تقطع مساحة من البستان يكون طولها ما بين ستة أو سبع أمتار، وعرضها مابين مترين ونصف إلى ثلاث أمتار وتوضع لها حواف من الجوانب بالطين، ويكون له ارتفاع أو عمق معين ليس بالضرورة أن يكون ذو عمق كبير، وإنما ما يسمح فقط ببقاء المحصول في المكان المحدد الذي يكون في شكل مستطيل

[1] – الحاج محمد(صرندي) المقابلة السابقة نفسها

[2] – قاموس الصناعات الشامية، ص143

[3] – الزهراء (حليفي)، مقابلة شخصية بمنزلها، بتاريخ 2019/11/5

أو مربع، حتى لاتتطاير حبات القمح أو الشعير بعد بدأ عملية الدق، ويبقى الحشيش الباقي أو مايسمى محليا "البرومي"[1] محصوراً في ذلك الحيز.[2]

ب- تحضير الكرناف :

وهو أحد أجزاء النخلة له عدة إستعمالات مثل ماذكرناه سابق، يؤخذ النوع الجاف منه الذي له ساق طويلة نوعا ما تسمح بمسكها جيدا عند عملية الدق أو الضرب حزم القمح أو الشعير، ويكون من النخلة ذات النوعية الجيدة مثل نخلة تليمسو.[3]

ج- تحضير حزم القمح أو الشعير :

ويتم تحضير هذه الحزم وتكون كبيرة الحجم، بحيث تضم السنابل مع بعضها البعض وتترك في مكان تحت الشمس داخل البستان أو في القمون حتى تجف ويسهل دقها بواسطة الكرناف .

د- طريقة الدق :يتم تحضير الحزم من القمح والشعير، وتجلس النساء والرجال من العائلة في شبه جلسة عائلية حيث تجتمع كل العائلة للقيام بعملية الدق، حيث توضع بعض الحزم داخل النادر الذي يجلس فيه الأشخاص العاملين، ويمسكون بأيديهم الكرناف وتبدأ عملية الدق(الضرب) وذلك بأخذ كمية من جدائل القمح وضربها بالكرنافة حتى تسقط حبات القمح من السنابل، ويطرح الساق (البرومي) على جهة، وبعد الإنتهاء من عملية الدق أو الدرس تبدأ عملية أخرى هي عملية الدر.[4]

هـ- عملية الدر:هي العملية التي تأتي بعد عملية الدق، وتسمى أيضا النسف وتعتمد هذه العملية أساساً على عامل طبيعي هو الرياح، حيث يقف الرجل أو المرأة، ويضع كمية من القمح في الطبق المصنوع من سعف النخيل من الأواني التقليدية، عبارة عن ما يشبه الصحن مصنوع من سعف النخيل ويقوم برجه فتقوم الرياح عن طريق الهواء بتنقية القمح من القشور، فتسقط حبات القمح في الأسفل وتطير القشور بعيدا عنها، ويتم في الأخير جمع القمح لتبدأ فيما بعد عملية التخزين إما في المخزن.[5] أو في المطمورة.[1]

[1] -الزهرة(هندي)، مقابلة شخصية بمنزلها،بتاريخ 2019/11/15

[2] – الزهراء (حليفي)، المقابلة نفسها

[3] – الزهرة(هندي)، المقابلة نفسها

[4] – المقابلة نفسها

[5] – الزهرة(هندي)، مقابلة، نفسها.

وردت في الغنية مسألة عن كراء حاصدي الزريعة، ولا يعرف الجهة التي ورد منها السؤال لأنها تتحدث عن كراء حاصدي زريعة الحلفاء، وعند الإجابة قال عمت بها البلوى في بلدكم، ولم تعرف توات بزراعة الحلفاء حسب ما في الكتب التي تحدثت عن توات. المسألة،[كراء حاصدي الزريعة بجزء مما يحمله ماكتري من الإبل.][2] ويظهر أنها لاتختص بإقليم توات.

3.حرفة الرعي :

تعريفها لغة: الرعي بالكسر:الكلأ وبالفتح المصدر والمرعي:الرعي والموضع، والمصدر، مثل قاض وقضاة ورعيان مثل شاب وشبان، ورِعاء مثل جائع وجياع، وفلان يرعى على أبيه، أي يرعى غنمه قال الفراء: رجل تِرْعِيّة وترعية بكسر التاء وضمها والياء مشددة فيها للذي يجيد رعية الإبل. ويقال أيضا:رجل تِرعاية في معنى ترعية والرعاوي، بفتح الراء وضمها:الإبل التي ترعي حوالي القوم وديارهم:لأنها الإبل التي يعتمل عليها. [3]

تعريفها إصطلاحا:

اسم لرجل يستأجر بأجرة معلومة لرعي الغنم والمعز والإبل والبقر، وتسمى المواشي والحاصل أن الرعيان، هيأتهم مهولة جدا. وهكذا ينبغي أن يكون الراعي، لأنه يأتي بالغنم من بلاد بعيدة، فيقطع بها قفارا، وأودية مشحونة بالوحوش والذئاب، فاذا رأوه، فروا منه لهول هيأته لأنه قد يموت كلب حراسته، فيقوم مقامه لردع الذئب عن قطيع غنمه.[4]

أما عن مهنة الرعي في إقليم توات، تقودنا من الناحية التاريخية إلى الحديث عن تاريخ ظهور هذه الحرفة في الصحراء عموما والتي يعتبر إقليم توات جزءاً منها، فتشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن حضارة الرعي وتربية الحيوانات، قد بأت بالظهور في منطقة الصحراء، مع وصول المهاجرين من منطقة النيل العليا، وهم يسوقون أمامهم قطعانا من الأبقار البطيئة، ومع وصول هؤلاء بدأت سفوح وملاجىء تلك المنطقة تغطى بروسومات ذات أسلوب جديد، وتقاليد

---

[1] – الزهراء (حليفي)، مقابلة شخصية بمنزلها، بتاريخ 2019/11/5

[2] – محمد عبد العزيز البلبالي(الغنية)، تح فاطمة حموني، مرجع سابق، ص266

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ص 1676.

[4]–محمود(سعيد القاسمي)، مرجع سابق، ص152

جديدة، وتعبر الأشكال المرسومة على سفوح المرتفعات،كالترحال على ظهور البقر، وحلب البقر والحياة القبلية، بأشكال مختلفة.[1]

حظيت الصحراء الجزائرية بنصيبها من تلك الصور،كتلك البقرة الباكية، بالطاسيلي، ويظهر بذلك أن الإنسان في تلك المرحلة كان قد توصل إلى عملية استئناس الحيوانات، واللوحات العديدة المنتشرة في تلك المناطق أكبر دليل على ذلك، وكنتيجة فإن المنطقة لم تعرف الرعي قبل منتصف الألف السادسة قبل الميلاد، وأن استئناس الحيوانات لم تكن ظاهرة محلية بل جاءت مع المهاجرين،كما يرى معظم علماء النبات، أن الصحراء الكبرى لم تكن في السابق، صحراء قاحلة كما هي الآن، وأن تربية الحيوانات، والزراعة قامت في المنطقة قبل غيرها من مناطق إفريقيا، ويرى هؤلاء العلماء بأن وصول هذه الثقافات والتقاليد الفنية، والحرفية إلى الصحراء الكبرى كان عن طريق موجات كثيرة من المهاجرين الذين انطلقوا من الشرق الأدنى القديم.[2]

أما إقليم توات فقد عرف حياة البداوة الرعوية التي نشأت مع قدوم القبائل العربية من بينها بني هلال (الخنافسة) الذين دخلوا سنة 514هـ-1120م وعمروا صحراء مقيدن وكانوا شبه رحل يرعون ماشيتهم، وجمالهم في صحراء مقيدن في الشتاء، ويرجعون إلى القرى والقصور في فصل الصيف ثم بعد ذلك تطورت حياتهم، وبدوا يجمعون الحطب وينتقلون لبيعه في القصور ويطلقون عليه تسمية(عديلة).[3] وتعد من الحرف النادرة خلال القرن التاسع عشر، إذ يقوم بعض الرعاة، مثل ما هو في الصحراء عموما بتربية الأغنام والماعز التي تعتمد على المواد النباتية التي ترعرعت بفضل الأمطار الخريفية والشتوية، لكنها سريعة الزوال مما يضطر الرعاة إلى التنقل والترحال[4].وحسب ما جاء في المجلة الجغرافية لسنة1901م، أن هذه الحرفة كانت موكلة للعبيد الذين كان من بين عملهم نقل الأغنام، والماعز إلى البساتين.[5]

يشيرDevors، لتربية المواشي، فلاحظ الغياب التام للمراعي، وهو الأمر الذي يؤثر في محدودية رؤوس الأغنام، بحيث يقتصر عمل أصحاب البساتين على تخصيص أماكن من البساتين،

---

[1]-محمد (علي عيسى)، مرجع سابق، ص-ص69-70

[2]-نفسه، ص70.

[3] - مبروك (مقدم)، بنائية التقسيم، مرجع سابق، ص72

[4]-ابراهيم (مياسي)، مرجع سابق، ص22

[5] -Reve du géographie: Op.cit, p3

والمنازل لتربية الماعز والأغنام، وتأتي الأغنام المحلية من تهجين صنف صغير الحجم، وقصير الشعر يسمى"سيداون"، مع الأغنام الصوفية، وهو مقاوم للحرارة، صوفها رقيق، أقل ارتفاعا من السيداون ولكنه يتميز بالسمنة، وهو بأعداد قليلة، ويتم توريده إلى توات، ويوفر الماعز القليل من الحليب بمعدل 5/1لتر في اليوم، وأغلى حيوان في توات هو الحمار الذي يتميز بالمقاومة، وصغر حجمه مقارنة بحمار الشمال، وله القدرة على نقل الأحمال الثقيلة بسرعة عالية، على مدى عشرات الكيلومترات، لكن وقعت مجاعة 1944م-1945م فجعلت الكثير منهم جثثا مثلهم مثل الخيول والبغال.

كما يعتمد سكان توات عادة على تخصيص مكان لتربية المواشي إما في البساتين،[1] أو في المنازل وتسمى تقمي، وتحتوي على عدد من الأغنام، والماعز، والدجاج، ولازالت هذه العادة مستمرة إلى غاية اليوم.

[1] – p. Devors : Op.cit, p234

خلاصة الفصل :

إن هذه الحرف والمهن التي مارسها سكان توات خلال القرن التاسع، رغم بساطتها مكنتهم من القيام بنشاطاتهم اليومية، فكانت المصنوعات المحلية من الأدوات الطينية أو الحديدية أو السعفية الأكثر تداولاً.

لكن عن الملاحظات التي تم رصدها من خلال هذه الدراسة أن هذه الحرف اليدوية ومقارنة مع الأوصاف التي قدمت لنا من خلال المقابلات التي أجريت مع الحرفيات لم يطرأ عليها أي تغيير أو تطور، لامن حيث المواد المستعملة، ولامن حيث الأدوات خاصة الصناعات السعفية والصناعات الطينية، رغم التطور الكبير الذي شهدته هذه الصناعات في المدن الجزائرية الشمالية، أو بلاد المغرب بصفة عامة، إلا أنها ظلت في توات بدائية الصنع و المنتوج، كثيراً ما تفتقد الجوانب الجمالية كالزخرفة، والألون باستثناء بعض الرموز والخطوط التي ترسم فقط دون ألوان، فيما بدأت بعض الحرف في التلاشي تدريجيا كالسقاية وتراجع الكبير حرفة الصياغة أو النقارين العرب خاصة، حيث بقيت حكراً لدى الطوارق ولاتزال مستمرة إلى اليوم.

الفصل الخامس

التجارة وما ارتبط بها من حرف في حواضر توات

خلال القرن 13هـ/ 19م

المبحث الأول: واقع حرفة التجارة في حواضر توات خلال القرن (13هـ/19م)

المبحث الثاني: العملات والموازين والمكاييل والمقاييس المستعملة في حواضر توات

المبحث الثالث: حرف الدلال، والصراف، والجزار.

المبحث الرابع: الحرف المهن المرافقة للقوافل التجارية

.

تمهيد

منذ آلاف السنين كانت الأسر تنتج معظم الأشياء التي يحتاجها الأفراد، فكانوا هم من يقوم بالصيد والزراعة لتلبية حاجاتهم الغذائية، ويصنعون ملابسهم ويبنون منازلهم، ثم بعد ذلك أدرك الناس أنه بالإمكان أن يقوم كل واحد بإنتاج سلعة معينة أو خدمة معينة وذلك عن طريق التخصص والتجارة مع الآخرين. ثم بعد ذلك تقدمت المدنية وأصبح التبادل أمراً عادياً إلى درجة أن بعض الأشخاص أصبحوا لا يعملون شيئا سوى مزاولة التجارة، وأصبح هؤلاء يعرفون بالتجار.

تعتبر التجارة نشاط اقتصادي قديم قدم الحضارات التي مرت بها الإنسانية. لارتباطها بحياة الإنسان اليومية ومعاشه، وبما أننا نهدف إلى الحديث عن الأنشطة التجارية في حواضر توات وخصائصها وأهم الحرف أو المهن المرتبطة بها، لابد من تحديد المفاهيم العامة الخاصة بالتجارة والعناصر الفاعلة فيها، وهو ما يمكننا في نفس الوقت من الطرح التاريخي الدقيق للتجارة في حواضر توات خلال القرن التاسع عشر(13هـ/19م)، ومعرفة خصائصها ومدى اقترابها أو بعدها عن محيطها الإقليمي من تغيرات عبر المراحل التاريخية المختلفة، ومدى تأثر الإقليم بمختلف التغيرات الحاصلة، باعتبار إقليم توات من الواحات الصحراوية، فما هي صورة النشاط الحرفي المرتبط بالتجارة الذي كان سائدا فيه؟

المبحث الأول:واقع حرفة التجارة في حواضر توات خلال القرن(13هـ/19م)

أولا: تحديد المفاهيم والمصطلحات

1.تعريف التجارة لغة واصطلاحا

أ-التجارة لغة:جاء في المحكم:تجر(يتجر) تجارة باع وشرى، قال الفارابي بفتح الجيم في الماضي وضمها في المستقبل، وفي المحكم أيضاً رجل تاجِرٌ والجمع تجّار وتجار وتجر.[1]وجاء في التعريفات الفقهية أن التجارة شراء شيء ليبيعه بالربح أو تقليب المال لغرض الربح.[2]

---

[1]-الخزاعي علي(بن محمد ابن مسعود)، تخريج الدلالات السمعية، مصدر سابق، ص685

[2]-محمد(عميم الإحسان المجددي البركتي)، مرجع سابق، ص 25.

ب- التجارة اصطلاحا: فقد عرف كثيراً من العلماء التجارة وإن اختلفت هذه التعريفات، إلا أنها اتفقت في المعنى، وتلاقت في الأمور التي على أساسها يكون العمل من أعمال التجارة.[1] والتجارة في الإقتصاد الإسلامي: هي التصرف في رأس المال طلبا للربح وقيل هي مبادلة مال بمال، وقيل عبارة عن شراء شيء للبيع بالربح. وقيل التجارة تقليب المال وتصريفه لطلب النماء، والمتجر المكان الذي تخزن فيه سلع التجارة .

التجارة بالإنجليزية تعني (Trqde) وهي مجموعة من العمليات التجارية التي تشتمل على شراء وبيع الخدمات، والسلع وتعرف أيضا بأنها تبادل مجموعة من الأشياء من خلال صفقة تجارية تعتمد على بيع أو شراء منتجات أو مواد معينة وأيضا أنها العملية أو الفعل الذي يرتبط ببيع أو تبديل أو شراء السلع سواء عن طريق الجملة أو التجزئة.[2]

تعرف أيضا على أنها عملية شراء وبيع السلع والخدمات، نشأت التجارة لإن الناس يحتاجون أشياء ينتجها الآخرون، وطالما أن الناس بصفتهم أفرادا لايستطيعون إنتاج جميع السلع والخدمات التي يرغبون فيها، وبدلا عن ذلك يتسلمون النقود مقابل السلع التي ينتجونها للآخرين ويستخدمون النقود لشراء الأشياء التي يريدونها ولا ينتجونها، والتجارة نوعان، تجارة تتم داخل البلد وتسمى التجارة المحلية أو الداخلية، وأخرى مع دول أو بلدان أخرى وتسمى بالتجارة الخارجية.[3]

ج- أنواعها:

حظيت التجارة والعقود المنظمة لها بكثير من النصوص في الشريعة الإسلامية، كما اهتم بها كثيراً فقهاء المسلمين، وذلك لأنها من أوسع مجالات النشاط البشري وأهم مجالات العمل وقد عرفها ابن خلدون بقوله:"أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحا.[4] وقد فصل ابن خلدون فيما قد يعتري هذه المعاملة من السلبيات، والمخالفات وأشار إلى أن

[1]- سعيد(أبو الفتوح محمد بسيوني)، الحرية الإقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر 1408هـ -1988م، القاهرة، ص502

[2] -محمد أبوخليف/موقع موضوع/ تاريخ الزيارة 03/28/ 2017 ساعة 16:36

[3] - الموسوعة العربية العالمية، إلكترونية، مرجع سابق، (دص)

[4] -ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 340

الباحث عن الربح إما أن يختزن السلعة، ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه، وإما أن ينقل سلعته بلد آخر تنقف فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي أشتراها منه فيزداد ربحه أيضا. ويشير إلى أن بعض الشيوخ من التجار يعرفون التجارة في كلمتين هما: إشتراء الرخيص وبيع الغالي.[1]

عرفها البيضاوي بقوله: التجارة الربح بالبيع والشراء، وذهب الفخر الرازي إلى اعتبارها ذلك التصرف في المال سواء كان حاضرا أو في الذمة لطلب الربح. وعرفها الزمخشري بقوله التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح.[2]

تمارس التجارة باستخدام النقود، فقد طور الناس الأنظمة النقدية لتسهيل المبادلات التجارية وقبل استخدام النقود اعتمد الناس على مبادلة سلع وخدمات معينة مباشرة بسلع وخدمات أخرى، ويسمى هذا النظام التجاري بالمقايضة،[3]وبالتالي على الشخص الذي يملك التمر ويريد فحما مثلا عليه أن يجد صاحب الفحم الذي يريد التمر، حينئذ يجب على التاجرين أن يتفقا على مقدار قيمة الفحم مقابل التمر وهكذا في معظم السلع التي يتم مقايضتها.

2- التاجر: هو الذي يَبِيعُ ويَشْتَرِي، وهو مأخوذ من التجارة، والتي هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء.[4]

ب. أصناف التجار

لا يمكن الحديث عن التجارة في حواضر توات بمعزل عن المحيط والمغاربي الإسلامي إذ تعتبر هذه الحرفة من الحرف القديمة، فإن التاجر كانت له ضوابط ووصفات، وأصناف متنوعة من التجار في بلاد المغرب التي كانت تجوب المنطقة وصولا إلى ما وراء الصحراء، لذلك يجب معرفة أصناف التجار الذين عرفتهم أسواق بلاد المغرب وصفاتهم ومدى تأثر الإقليم بهم .

وقد اختلفت أصنافهم فهناك من صنفهم بناء على عدد رؤوس أموالهم التي يمتلكونها والطريقة التي يستثمرون بها، فظهرت عدة مجموعات تجارية خلال عصري المرابطين والموحدين وقد صنفهم الأستاذ عز الدين موسى إلى ثلاث أصناف وهي :

[1] – ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص430

[2] – سعيد(أبو الفتوح محمد بسيوني)، مرجع سابق، ص 502

[3] – نفسه، ص 95

[4] –محمود (سعيد القاسمي)، وآخرون، مرجع سابق، ص 63

أولا: من يتاجرون بأقل من مائة دينار

ثانيا: من يتاجرون بمائة أو مائتين وقد يصل إلى الألف دينار.

ثالثا: من يتاجرون بأكثر من ألف دينار وقد تصل إلى ألوف الدنانير.[1]

و هناك صنفا آخر من التجار وهو التاجر الجوال، وهو الذي يتنقل من مكان إلى آخر وهؤلاء أرباحهم مغرية لأنهم يقصدون المناطق النائية التي لم تصلها السلع والبضائع ويتحكمون في أسعارها.[2]

خلال عهد المرنيين لم تتغير هذه التصنيفات بل ظهرت طائفتين من التجار هم تجار الجملة وتجار المفرد ،أما تجار الجملة فكان نشاطهم التجاري واسع أكثرهم من مدينة فاس وأغلب تجارتهم مع الدول الأجنبية، وتجار المدن وتجهيز القوافل إلى بلاد السودان، أما تجار المفرد فهم صنفين الأول:هم الذين يبيعون المواد الثمينة كالأقمشة الرفيعة، والحلي وكانوا يقيمون داخل الأسواق الثابتة، لذلك قيل عنهم أهل اليسار لأنهم يقيمون في أماكن ثابتة ويبيعون مواد غالية الثمن كالجوهرات، أما الصنف الثاني فهم أولئك الذين يبيعون في أحياء المدينة مصنوعات معدة للإستهلاك المحلي خاصة المواد الغذائية كالبيض والزبدة والصابون والفواكه . وكان هؤلاء التجار من الصنف الثاني أقل أرباحاً لأنهم يعتمدون على مجموعة من الناس، كان أغلبهم من الفلاحين والمسافرين ويطلق عليهم التجار الفقراء.[3]

قد ميز الدمشقي أيضا بين أصناف التجار فذكر:الخزان ويعني به تاجر الجملة، فهو يقوم باختيار السلع التي ترسل شملا وجنوبا من حيث أماكن تواجدها وانقطاع الطريق أو أمنها ،وعدل الحاكم وحالة البضائع، والنوع الثاني سمي بالركاض، وهو التاجر المتجول وهذا النوع يتقصى عن البلد الذاهب إليه وعن الوكيل المأمون والموضع الحريز، أما النوع الثالث: وهو التاجر المصدر وقد سماه المجهز، وهذا النوع من التجار يكون له وكيل مأمون يتسلم البضائع التي يجهزها له ولا يرسل

---

[1]-كريم(عاتي الخزاعي)أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات، دن، دس، ص 134

[2] - نفسه، ص135

[3] - نفسه، ص 137

بضائعه إلا مع الثقات.[1] وبالنظر إلى النشاط التجاري في أقاليم توات سنجد معظم هذه الأصناف من التجار متواجدة في أسواق توات المختلفة فهناك تاجر الجملة، وتاجر المفرد والتجار المتجولون (الدلال) والوكلاء وغيرهم .

ثانيا:خصائص ومميزات التجارة في حواضر توات خلال ق(13هـ/19م)

كان للموقع الجغرافي الاستراتيجي للإقليم، وتوسطه أسواق الشمال والجنوب السوداني عاملا مساعدا لسكان الاقليم للإشتغال واحتراف التجارة، فالكثير منهم كانوا تجارا أو وسطاء في هذه الأسواق، ودلالين وسماسرة،كما كانت توات بمثابة مفترق طرق ومكان التقاء القوافل التجارية وتجمع التجار القادمين من مختلف الاتجاهات، فكانت تيديكلت وعلى رأسها عين صالح بحكم موقعها أيضا تقع على مسافة متساوية من الجزائر في الشمال وتمبكتو في الجنوب، وموغادور في الغرب وطرابلس في الشرق، ويشير الفرنسيين إلى هذه النقطة المهمة، والمركزية والتي تلتقي بها تقريبا جميع الطرق التي تربط شمال القارة الافريقية إلى غرب السودان، وتجعل هذه الواحة ملتقى طرقا حقيقيا يجعل من المنطقة ذات أهمية خاصة في التجارة فهي النقطة التي تتجمع فيها السلع والبضائع الموجهة لتزويد تمبكتو والسودان الغربي وهي سلع قادمة من الشمال.[2]

كانت تمنطيط قبل القرن التاسع عشر عاصمة الإقليم السياسية والاقتصادية والعلمية ومركزا رئيسيا لمرور القوافل التجارية على اعتبار أنها دار السكة وموضع الصناعات، إلا أن معظم هذه الصناعات كانت في أيدي اليهود الذين استوطنوا بالإضافة إلى تمنطيط تيطاف وتخفيف وتسفاوت وارتبطوا مع القوافل التجارية، فقويت بذلك شوكتهم وكثرت أنوالهم وسيطروا على دواليب الحياة الإقتصادية والمالية والصناعية والتجارية.وكان حوالي 360 يهودي يعمل بصياغة الذهب والفضة ويشترون التبر من القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان.[3]

[1] – نعمة(عبد السلام الحسين)، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الرحمن حسب الله احمد،كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية ص 133

[2]- p. Soleillet : l´Afrique occidentaile, op.cit,p 251

[3] –محمد (قومي)، دور يهود توات خلال العصر الوسيط، مجلة عصور، جامعة وهران، ع(28)، 2016/01/9 ،ص-ص275-278

وذكر الحاج عبد القادر بن أبو بكر التواتي(ق.19م)في رحلته عن توات، بأنه يوجد بها عدة مدن بها أسواق، شمالا تيميمون، وغربا تيمي عاصمة أدغرا(ادرار).[1]

التجارة في الصحراء عموما لم تكن مهمة سهلة ولم تنجح وتنشط إلا لما توفرت لها الشروط اللازمة، ولعل أهمها ما كانت تذره هذه التجارة من أرباح على أصحابها ما جعلهم يقبلون المغامرة ويعبرون الفيافي في ظروف جد صعبة، وكذلك الدور الكبير لقوافل الحج التي كان لزاما عليها المرور عبر الطرق والمسالك والصحراوية، كما شكلت المراكز التجارية في الصحراء وفي مناطق الساحل، قواعد رئيسية للتجارة الصحراوية، ووظفت العديد من بدو البربر والعرب من شمال إفريقيا، الذين كانوا يعملون كوكلاء، وتجار مقيمين، وأعضاء شركات تجارية،[2]بالإضافة إلى ما ذكره ودونه الرحالة الجغرافيون عن تلك المسالك والمجتمعات فكانت كتاباتهم بمثابة خرائط توجيهية توفر كل المعطيات المتعلقة بالطرق والمراكز التجارية والمسافات بينها، وهي بالتالي تشكل دعم نفسي ومعلوماتي للتجار والعابرين لهذه المناطق.[3]

هذا ما أدى إلى خلق مهن ووظائف مختلفة مرتبطة بالنشاط التجاري عبر القوافل التجارية. وهنا أيضا يجب الإشارة إلى تمتع إقليم توات بحواضره بالأنشطة التجارية المحلية أو البينية الداخلية، والتجارة الخارجية مع جهات مختلفة.[4]حيث كانت توات تمثل نقطة التقاء التجار القادمين من مختلف الجهات محملين بسلع متنوعة بغرض التبادل، ومع بداية القرن السادس عشر انتعشت تجارة العبيد وزاد طلب تجار الشمال على شرائهم، وارتيادهم أسواق توات، وكانت هذه التجارة على هذا العهد مشهورة ورائجة تقودها القوافل السودانية، وتتم عملية البيع عن طريق المقايضة، حيث يحصل البائع على التمور والتبغ، ويحقق أرباحا كبيرة بعد إعادة بيع الصندوق بأكثر من ذلك. ولم تكن توات مجرد محطة استقبال للقوافل التجارية القادمة سواء من الشمال، أو من بلاد السودان، وإنما كانت لها قافلتين كبيرتين تخرج في السنة خلال فترتين زمنيتين باتجاه أسواق تمبكتو، الأولى في

---

[1]- T. Abd alkader: op.cit, p15.

[2] – نعمة(عبد السلام الحسين)، مرجع سابق، ص 132

[3] – عبد الرحمن (بلاغ)، الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط، مقال مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية ،ع (4)، جوان 2013

[4] -A.G.P. (Martin), les Oasis, op.cit, p315-314

النصف الأول من السنة والثانية في النصف الثاني من السنة وتتجمع في أقبلي بأولف، التابعة لحاضرة تيديكلت ويسمى هذا التجمع "بأكابار."[1]

كما اهتم فقهاء توات وعلمائها كغيرهم من علماء المسلمين بالتجارة والبيوع بصفة عامة وأفردوا لها الكثير من المؤلفات والكتب التي حوت العديد من النوازل والفتاوى المتعلقة العمل التجاري الذي يقوم به التواتيون في يومياتهم لتلبية حاجياتهم المختلفة تلك المؤلفات المتواجدة في مختلف الخزائن المنتشرة بحواضر توات الكبرى من قورارة إلى تديكلت مرورا بتوات الوسطى، ولعل أبرزها نوازل الزجلاوي(ت/ق.12هـ) والجنتوري(ت/1747م)، والغنية للبلبالي أما تلك التي تتناول القرن التاسع عشر فنجد على رأسها غنية المقتصد السائل التي جمعها البلبالي(ت/1828م) وابنه محمد عبد العزيز (ت/1845م)، والتي تضم الكثير من مسائل التي تعنى بالبيع والتجارة بمختلف اوجهها والدلالة والسمسرة والصرافة وأنواع المعاملات المرتبطة بها مثل الرهن والقراض وبيع السلم وغيرها.[2]

وردت مسائل في الغنية تخص البيوع بمختلف أشكالها وأنواعها، ومنازعات لها علاقة بالعمل التجاري، ما يجوز منها وما لا يجوز، حينما سئل عن التجارة أو الاتجار بالعشبة المسماة في توات بالتبغ، وقد تمت الإشارة إلى أنه كان من المزروعات التجارية المنتشرة بتوات، هل يجوز أم لا فأجاب بأن حكم التجارة بها ينبني على حكم استعمالها، وقد اختلف فيه المتأخرون بالمنع والجواز ولا نص فيها للمتقدمين لأن استعمالها حادث ولم تكن معروفة في عهدهم، فمن يمنع الإستعمال يمنع التجارة لأن من شرط صحة البيع الإنتفاع به انتفاعاً شرعياً ومن يجيزه يجيزها لوجود ذلك الشرط. كما وردت فيها مسائل تخص السماسرة والوكلاء والدلالين،[3] ومختلف الحرف المرتبطة بالتجارة.

I- التجارة الداخلية بحواضر توات

هي التي تتم عادة داخل حدود إقليم توات في الأسواق المحلية وعموما، وتعتبر الأسواق المحلية في حواضر توات الشريان الرئيسي لاقتصاد الإقليم، والقلب النابض لتجارته الداخلية إذ لا

[1] - H.Bissuel: op.cit, p 32

[2] - محمد بن عبد الرحمن البلبالي، غنية المقتصد، مصدر سابق، ص 138

[3]- ينظر محمد عبد العزيز(البلبالي)، تح فاطمة حموني، مرجع سابق، ص-ص، 268-269-270

يخلوا قصرا من سوق ولعل هذا الامر ليس بوليد القرن التاسع عشر، وإنما يعود إلى فترات تاريخية أقدم من ذلك، وذكرها صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط محمد الطيب ابن بابا حيدة حين تحدث عن قصورها وعلمائها والحياة الاقتصادية والاجتماعية بها.

أشاد بعض الرحالة العرب بالنشاط التجاري في أسواق توات، ومنهم صاحب رحلة الأنس الساري السراج(1040هـ/1630م) الذي مر على برينكان بتسابيت ووصفها قائلا:"...ثم نزلنا توات بمدشر يعرف ببني أركان أول منزلة من البلاد المذكورة بلد طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع ذات عيون جارية، فأقام بها الركب سبعة عشر يوما في نعمة شاملة وآلاء الله عليه متواصلة وبيع وشراء وعطاء فيالها من بلدة ما أحسنها.[1]

أيضا الشيخ مولاي أحمد بن هاشم(ت/ق12-18م)، والشيخ عبد القادر بن عمر (ت/1121هـ-1709م)وعبد الرحمان بن باعومر التنيلاني (ت/1121هـ- 1775م)، والشيخ محمد بن عبد القادر، والشيخ أحمد النحوي صاحب كتاب لذائذ الأقوات في من حضر وعبر بأرض توات، وابن خلدون.وقد أشار،(Martin) إلى هذا النوع من التجارة الداخلية في بداية القرن العشرين(1905م) والتي ترتكز على المواد الغذائية ذات الأصل الفرنسي التي يتم الحصول عليها في قورارة، بينما هي قليلة في عين صالح، وهي تباع في مناطق مختلفة ويتم تحويلها من قصر إلى آخر لتباع بالتجزأة،[2] وفيها سلع تأتي من مدن الشمال مثل الزبدة العربية، والجبن العربي، والصوف، والصابون، والقطن والشموع، والفالفل الأسود، أما المنتجات المحلية المتداولة في السوق المحلية، فإنها تتوزع عبر مختلف المناطق، لكنها تكثر في مناطق وتقل في أخرى، وبعضها يوجه للبيع خارج الإقليم للقواف التجارية مثل التمر والحنطة، والحناء وترتكز بأسواق قورارة، والتبغ الذي يرتكز في أسوق زاوية كنتة.[3]

إن الحديث عن النشاط التجاري الداخلي بحواضر توات، يعتبر ذا أهمية إقتصادية كبيرة ويمكن الحديث عنه ولو بالرجوع إلى الواقع المعاش خلال القرن التاسع عشر، فهذا النوع من التجارة يعتمد على المنتوج المحلي بمختلف أنواعه سواء المنتوج الفلاحي للبساتين والذي يعتمد

[1]- السراج، الأنس السارب، مصدر سابق، ص-ص 28-29

[2] - A.G.P.Martin,les Oasis,Op.cit.p314

[3]- ibid, p314

على الزراعة التقليدية المعاشية، والتي تهدف إلى توفير الإحتياجات الغذائية للأسر والعوائل ثم بعد ذلك التفكير في تزويد السوق بمختلف المنتوجات وعلى رأسها التمور، والحبوب كالقمح والشعير والتافسوت ...، والخضر المتنوعة كالجزر، والبصل والفواكه كالتين والعنب والرمان، أو المنتوج المحلي للأنشطة الحرفية والمتمثلة في بعض الممنتوجات مثل السلال، والألبسة الصوفية كالسلاهم (البرنوس) أو الكسا والأفرشة كالحنابل والزرابي، ولعل المكاييل والموازين المختلفة التي تميز النشاط التجاري في توات لأكبر دليلا على الأنشطة التجارية التي مارسها سكان توات.

1- الفضاءات التجارية:

لقد مارس سكان توات نشاطاتهم التجارية مثلهم مثل غيرهم في البلاد الأخرى، عبر أماكن مخصصة لذلك، ومنها الدكاكين والأسواق بمختلف أنواعها.

1.1- الدكاكين:

تعتبر الحوانيت أو الدكاكين أحد أبرز أماكن التبادل التجاري لسكان قصور توات ونجده داخل القصور فلا يخلوا قصراً من القصور من وجود دكان على الأقل، وقد أشار(جيراردرولف)بعدما ذكر بأنه لم يجد أثراً لليهود في المنطقة عند زيارته 1864م لتمنطيط، إلا بعض من يدعون أنهم أحفادهم بدون دليل، ويعتقد أنهم اندمجوا في المجتمع، ويستدل على ذلك بقتامة بشرتهم لاختلاطهم بزنوج السودان، مع أنهم حافظوا على النشاط المحلي وصناعة أسلافهم،كالتجارة، وجميع أنواع المهن، ولاتزال مزدهرة. وعند وصفه لتمنطيط وشوارعها قال: أن هناك العديد من الشوارع التي تصطف على جانبيها المحلات التجارية الصغيرة، مما يجعلها أكثر جاذبية للأجانب.[1]

هذه الحوانيت إلى اليوم شاهدة على ذلك، وتحدثت بعض المصادر التاريخية عن الصناعات التقليدية التي كانت أكثر بروزا في فترة العصر الوسيط، وهي صناعة الحلي من الذهب والفضة منها تلك المتواجدة بتمنطيط، والتي تعود إلى الفترة التي حل بها اليهود لوجود المحلات الخاصة بهم هناك، ولكون المنطقة تقع على طريق التجارة الصحراوية.[2]ومنها محلات الصياغة وصناعة الفضة، وتشير بعض الروايات إلى وجود عدد من المحلات بعدد أيام السنة360

---

[1]- G. Rohlfs: op.cit, p104

[2] - قومي(محمد) ، دور يهود توات خلال العصر الوسيط، مجلة عصور عدد(28-29)، جانفي- جوان 2016م، ص-ص277-278

محل،[1] ومحلات الإسكافي الذي يتواجد تقريبا في كل قصر لتصليح الأحذية، وتجد محلاتهم داخل القصر، بالإضافة إلى الحدادين أيضا فبحكم مهنتهم والأدوات التي يصنعونها وخاصة المرتبطة بالفلاحة فتجد محلاتهم قريبة من الوسط السكاني، قد امتدت هذه المحلات إلى وقت قريب من الأن خاصة في تمنطيط.

2.1.الأسواق:

تعتبر الأسواق من أكبر المساحات والفضاءات المخصصة للنشاط التجاري، وقد تناولت العديد من المصادر التاريخية هذه الأسواق بمختلف أنواعها، ولعل الموقع الجغرافي للإقليم قد ساعد على انتشار الأسواق بمختلف المناطق والقصور، فكانت هناك الأسواق اليومية والأسبوعية، وقد تضطر للمكوث عدة أيام بسبب الظروف المختلفة، وقد أشار(دوماس)من خلال وصفه لمناطق توات المختلفة وقد فصل في الاسوق التجارية المنتشرة بالإقليم وأنواع السلع والبضائع التي يتم تداولها بين التجار،كما تحدث أيضا(l.voinot)، عن تيدكلت عن أصحاب المتاجر والوسطاء والسماسرة وأسلوب عملهم قبل دخول الاحتلال الفرنسي للمنطقة.[2]

1.2.1– أسواق تيميمون: وهي عاصمة قورارة ومن خلال هذا الوصف يظهر جليا ذلك التنظيم المتبع في إنشاء الأسواق، وكذا أنواعها بحسب المواد التي يتم بيعها في السوق، ووجود سبعة أماكن واسعة، وكثيرة تسمى الرحبات وهي: رحبة أولاد ابراهيم، ورحبة غرمالال، ورحبة المشور ورحبة الجاحاك، رحبة السوق،[3] هذه الأماكن تتجمع فيها الناس لإغراض مختلفة حسب المكان ومنها رحبة السوق، وبالتالي نجد من الأسواق متخصصة لبيع مواد معينة منها [4]:

- سوق السمن:وتباع فيه الزبدة
- سوق السراجين:ونجد فيه الأسرجة وصناع الاحذية.
- سوق الجلابة: وتباع فيه الصوف، والملابس والماشية، والأغنام والجمال
- سوق الرحبة: تباع كل التمور والحبوب المختلفة .
- سوق الدخان وتباع فيه التبغ

[1] – السيد محجوبي، مقابلة شخصية يوم 2021/03/10

[2]- L.Voinot. op.cit.p144

[3]- E.Daumas. op.cit. p 66

[4]- ibid.p68

- سوق الماكلة وتباع فيه الأكولات والاطعمة
- سوق العبيد والصياغة يباع فيه العبيد والتبر ومنتوجات السودان والفضة
- سوق العطارين: ويباع فيه كل ما يتعلق بالتوابل .
-سوق الخضرة: ويباع فيه الخضر والفواكه.

الهدف من هذا التقسيم هو التسيير والتنظيم لتسهيل المبادلات التجارية للأجانب وبين الصحراء والشمال، ومع بلاد السودان وتونس والمغرب، والقوافل التجارية التي تأتي من نواحي الشعانبة من ورقلة ومتليلي والقليعة، ومن بني ميزاب، وتقرت ووادي سوف وغدامس، وأعريب وجميان أولاد سيد الشيخ وفيجيج، وتافيلالت وذوي منيع وغيرهم. ومن السلع التي يتم تداولها أيضاً بين التجار نجد المسدسات والسيوف ومسحوق البارود والملح الذي يؤتى به من السبخة.[1]

2.2.1- أسواق تيديكلت :

أ-**سوق إن صالح**: تعتبر عين صالح عاصمة تيديكلت وتتمتع هذه المدينة بموقع جغرافي استراتيجي مهما جداً، وهي الركيزة الأساسية في التجارة الصحراوية في إقليم توات عموماً ويشار إلى ذلك في العديد من المؤلفات التي كتبها المستكشفون الغربيون، والبعثات العسكرية في تقاريرهم حيث تقع على مسافة متساوية من الجزائر في الشمال، وتمبكتو في الجنوب وموغادور في الغرب وطرابلس في الشرق وطنجة وهذه النقطة المركزية حيث تلتقي تقريبا جميع الطرق التي توحد شمال القارة الإفريقية إلى غرب السودان، وتجعل هذه الواحة ملتقى طرق حقيقي لغرب إفريقيا، موقع إستثنائي يبين أهمية المنطقة التجارية، وهذا المكان تأتي إليه البضائع المخصصة لتزويد تمبكتوا وغرب السودان والتي جاءت بها القوافل من الشمال.[2]وهذا ما جعل عين صالح مركز تسوق وسوقا مهما واستراتيجي للقوافل الوافدة من غات، وغدامس وفزان وبين تمبكتو وميزاب والهقار، وهناك العديد من التجار من هذه البلدان لهم مستودعات يقومون بإدارتها ومعظمهم يقيم بقصر العرب، وقد تحدث(Châtelier)عن سوق عين صالح خلال سنوات1881م، 1882 و1884م، وعن الحركة التجارية التي كانت والمبادلات التجارية التي كانت تتم فيه، فذكر مثلا

---

[1]- E. Daumas. op.cit,p 68

[2] - P. Soleillet, op.cit.p 250

التجارة مع تمبكتو وخاصة تجارة العبيد، والتمور والجهات التي كانت تتم معها المبادلات التجارية.[1]

كما أن هذه السوق تعتبر السوق الرئيسي إن لم يكن الوحيد في شمال الهقار وآهنت لأن الطوارق لا يقومون بنشاط الزراعة لذلك فهم مضطرون للمجئ لهذا السوق لشراء ما يلزمهم من الحبوب من قمح وشعير وتمر، ومعظم الأشياء التي يستهلكونها أويستخدمونها في حياتهم اليومية ويجلبون معهم مقابل ذلك منتجات السودان، وهذا ما يدفعهم إلى إنشاء متاجر ويقومون بتخزين البضائع التي لا يجدونها في وقتها أو عند الحاجة إليها.[2]

ب-**سوق قصر العرب**: أهم السلع المجلوبة التي تباع فيه ريش النعام، وجلد النمر والأسد ولحوم البقر وقرون وحيد القرن، والعطور والبخور ومسحوق الذهب، ومختلف المنتوجات السودانية وتجلب قوافل الشمال منتجات كالقطن الأبيض والأزرق، والسلع الاستعمارية كالخزف الزجاجي والشاشية والشموع والورق والتبغ والشاي والأواني والحبوب والبنادق والكبسولات...الخ [3]

ج-**سوق أولف**:ما يميز أولف أنها تنتج كميات كبيرة من التمور ومن أفضل الأنواع، وبها حوالي ستمائة نخلة، ويوجد بها الملح والشب والجص واليانسون وأقمشة الصوف وتعتبر مركزا وسوقا مهما للطوارق والتبادل التجاري وبشكل كبير.[4]

د-سوق أقبلي: تضم أقبلي سبعة قصور وتعتبر المرحلة الأولى للقوافل القادمة من توات والمارة لتمبكتو، ولها سوق يحظى بشعبية كبيرة ومركز مهم للغاية للقوافل التجارية.

3.2.1.أسواق توات الوسطى:

أشار ابن خلدون إلى توات في المبادلات التجارية وأهميته وفي ذلك يقول :"...وطن توات ...وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار إلى مالي ..."وأشار رولف إلى سوق توات واصفا أياه أنه يصدر منتجات التمور ويشتري منه حميان وذوي منيع وأولاد سيد الشيخ والشعانبة

[1]- M.A.Châtelier : Description de l´oasis d´in.Salah: imprimerie de l´association ouvriére, p.Fontana étcie, Alger, 1886, p 78

[2]- H.Bissuel, op.cit, p 32

[3]- E. Dumas, op.cit, p47

[4]-ibid,p 46

ويزودونهم بالزبدة والصوف وغيرها.[1]وتوات هي الطريق الطبيعي للقوافل التجارية القادمة من المغرب والمتجهة إلى السودان والعكس صحيح، وبالتالي فهذه الأسواق تتميز بتجارة مزدهرة فهناك قوافل قادمة من الشمال محملة بالحبوب، والزيوت والزبدة والسلع الاستعمارية والسلع القطنية والاجهزة المصنوعة من الحديد والنحاس والرصاص، والشاي الذي يستهلكه التواتيون بشكل كبير أما القهوة فلا تكاد تذكر، والقافلة السنوية الكبرى "أكبار" القادمة من السودان، والتي تجلب العاج ومسحوق الذهب والبخور ذو النكهة والرائحة السودانية والأواني الخشبية وريش النعام وخاصة العبيد من الزنوج من جميع الأعمار ومن الجنسين والتي تباع في توات وتيديكلت وتافيلالت، وعدد العبيد الذي يتم بيعهم سنويا حوالي 1200.[2]

أ- سوق تيمي:ووصف(بيسول)تيمي أن بها 39 قصرا وأهمها أدغاغ وعدد سكانها أكثر من 7000نسمة وبها سوقا هاما، وتعتبر ملتقى للطرق من الشمال والشرق والغرب والجنوب نحو تيدكلت مرورا بتاوديني والمبروك.

ب- سوق رقان: وقد عرج الرحالة العرب، والغربيون على الإشادة بالنشاط التجاري في أسواق توات.

ج- سوق سالي:وقد أشار إليه جيراردرولف حينما تحدث عم زراعة الأفيون، مشيرا إلى أنه يزرع وينموا بكثافة في توات ويتناولونه كثيراً، إما بالتدخين أو شم التبغ، وذكر أن سوقه الرئيسية هو سوق سالي، وهو قليل في سوق توات.[3]

د- سوق تسابيت: وقد أشار إليه الحسن الوزان وبالتالي فهو سوقاً قديماً. كما أشار صاحب رحلة الأنس الساري السراج (1040هـ-1630م) تسابيت ووصفها قائلا :"...ثم نزلنا توات بمدشر يعرف ببني أركان أول منزلة من البلاد المذكورة بلد طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع ذات عيون جارية فأقام بها الركب سبعة عشر يوما في نعمة شاملة وآلاء الله عليه متواصلة وبيع وشراء وعطاء فيالها من بلدة وما أحسنها..." [4]

---

[1]- G.Rohlfs: op.cit, p 119

[2]- H.Bissuel: op.cit, p 32

[3] - G.Rohlfs: op.cit, p 119

[4]- أبي عبد الله (محمد بن أحمد القيسي)،أنس الساري والسارب، مصدر سابق، ص-ص28-29

هـ-سوق تمنطيط:وقد أشار جيرهاردولف إلى تمنطيط ووصف قصورها، وكيف أن المحلات التجارية فيها تصطف في شوارع القصر، وأنها هذا المنظر من أكثر المناظر جمالاً في تمنطيط، وهو السبب في جعل الأجانب يقبلون على هذا السوق.[1]

II- التجارة الخارجية:

يتم هذا النوع من التجارة في أسواق توات وتديكلت وقورارة، وقد كانت المنطقة تعيش إزدهاراً إقتصادياً كبيراً منذ القرن السادس عشر باستثناء الحالات التي يسود فيها الجفاف أو الأزمات وذلك نتيجة لما تقدمه القوافل التجارية من تبادل، ما يدفع السكان إلى البحث عن المزروعات الأكثر انتاجية والتي تحقق ربحا تجاريا وفيرا، لذلك كانت أشجار النخيل عماد الزراعة والتجارة خاصة الخارجية منها وتعتبر التمور التواتية من أجود التمور التي يكثر الطلب عليها خارجيا، وقد بلغ عدد النخيل نهاية القرن التاسع عشر ثمانية ملايين نخلة من مختلف الأنواع.[2]

تعتبر عين صالح في حاضرة تيديكلت العمود الفقري للتجارة في الصحراء كلية لا في إقليم توات بحكم موقعها الاستثنائي، فهي نقطة ارتكاز مهمة في تصدير الفائض من التمور مقابل جلب منتجات استهلاكية، تفتقر إليها، وهي أيضا مركزا تجاريا يربط بين توات والمناطق المجاورة خاصة تمبكتو وغدامس وتربطها علاقات صداقة متميزة مع القبائل، وتجار القوافل التي ترتاد سوقها، وتجعل منها مركز تخزين للسلع والبضائع.[3]

III. نظم التجارة: ختلفت أساليب التعامل في تجارة القوافل التجارية بين بلاد المغرب الإسلامي ودول جنوب الصحراء بما فيها إقليم توات كما يلي:

أ.المقايضة :

معاوضة عرض بعرض أي مبادلة مال بمال كلاهما من غير النقود أو مبادلة السلعة بالسلعة، وقد تفي المقايضة باحتياجات المجتمعات الفطرية والبدائية، ولكن مع اتساع نطاق المبادلة، وتطور المجتمعات أصبحت المقايضة عاجزة عن الوفاء باحتياجات الناس لها العديد من

---

[1] - G.Rohlfs : op.cit,p 104

[2]- مبروك (مقدم)، التنظيم الواحي، مرجع سابق، ص 23.

[3]- M.A. Châtelier : op.cit,p 70

العيوب.[1] وكانت أكثر شيوعا حيث استعملت في التجارة مع بلاد المغرب وجنوب الصحراء ومن أوائل النظم التجارية وعرفت بالتجارة الصامتة أو الخرساء، وهي التخلي عن سلعة مقابل سلعة أخرى، وعلى تقديم سلعة بغية إقتناء سلعة أخرى، ويطلق على هذا النوع من المقايضة النقود السلعية، وهي السلع التي تعارف الناس على استخدامها كوسيط في المبادلات:مثل الحيوانات والبن والشاي والتبغ وغير ذلك، وفي الحقيقة أن هذه الصفة لا تزيد قيمة الوحدة منها في استعمالها النقدي زيادة محسوسة عن قيمتها كسلعة في وجوه الإستعمال غير النقدية.[2] ففي 1884م مثلا تم أرسلت قافلة من عين صالح إلى تمبكتو محملة بالقطن الأبيض، والأسود ووقع تبادلاً كبيراً مقابل صفائح الملح المستخرجة من السبخة والتي ينقلها السكان ثلاثة مقابل20 مترا من القطن الأسود.[3] وقد وردت في الغنية مسألة تتعلق بهذا النوع من المبادلات، وبالتالي فإن التجارة في الصحراء لم تتم على أساس وجود بائع يملك السلعة مقابل مشتري يمتلك النقود ومستعد لاقتناء سلعة مقابل نقود، والبائعون والمشترون جميعهم يقتنون سلعا من أجل المتاجرة بها في حلقة جديدة خارج المنطقة.[4]

وأبرز هذه المبادلات ترتكز على المواد الغذائية مقابل مواد غذائية غرض مقابل غرض ومنتج مقابل منتج، وقد استمر التعامل بالمقايضة حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكان التجار يعتمدون على المقايضة مع طوارق الهقار في التجارة الموجودة في عين صالح سنة 1900م كان يتم تبادل القطن الخام المسمى(شوقة) بعرض متر واحد على النحو التالي: 7.50 من شوقة مقابل عترة قيمتها المتوسطة 10فرنك، ويرجع سبب للجوء إلى أسلوب المقايضة عاملين أولهما الفائدة المحققة منه، والثانية انعدام النقد، أما تحديد الأسعار فعند مجيء القوافل تجتمع مجالس الجماعة لتحديده.[5]

[1]- محمد(عثمان شبير)، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، ط6، دار النفائس، الأردن، 1472 هـ-2008م،ص 150

[2] -نفسه، ص 151

[3]-M.A. Châtelier : op.cit, p 78

[4] -الطيب (شنتوف)، مرجع سابق، ص118

[5] - نفسه، ص119

ب-المقايضة النقدية: وهي التخلي عن سلعة مقابل سلعة أخرى أو على تقديم سلعة بغية إقتناء سلعة أخرى، إن العملة لم تكن غائبة تماما وإنما استخدمت بطرق مختلفة مثلا:مقايضة سلعة بسلعة، يسبقها دائما تحديد السعر الذي يقدر نقدا، بالنسبة لبيع الخرفان والصوف والشحوم والكسكس، والزبدة التي يجلبها أصحاب القوافل يتم الدفع بمقايضة المنتجات، ولكن يقيّم سعرها بقيمة نقدية، ووصف الملازم الأول (دوفو)نفس الإجراء سنة 1885م، حيث يتم البدء بتحديد قيمة نقدية لكل سلعة من السلع، فيما يحدد المقايضون السعر استنادا لمكيال التمور ذات النوعية الرفيعة، ومن جهة أخرى يحدد سعر الخروف وجزة الصوف بمكيال من القمح وهكذا يصبح سهلا للمقايضة.[1]

فضل سكان قورارة التعامل بالنقد وابتعدوا عن المقايضة، وكان الهدف من ذلك هو الحصول والتزود بالسلع، وفي نفس الوقت توفير قيمة مالية نقدية، وبالتالي لا يبقى لأصحاب القوافل سوى النقود، ويحدد سعر جديد للصفقات التي يتم مقابل النقد، ويفض سكان الواحات بيع تمورهم وسلعهم التي تزيد عن حاجاتهم والحصول على نقود.[2]

د.التجارة عن طريق العملة:

أن الحديث عن التجارة في الأقاليم الصحراوية أمر صعب لعدم وجود المادة المعرفية المتعلقة بهذا الأمر،كذلك تعتبر العملة من الوسائل الأكثر مساعدة لمعرفة التاريخ الاقتصادي لمنطقة ما غير أن ما ميز القرن التاسع عشر هو قلة الاهتمام بالعملة في هذه المناطق الصحراوية وما وجد من معلومات كانت عبارة عن معطيات متفرقة في مصادر الأرشيف والمنشورات، وتبرز أهمية دراسة العملات في معرفة التاريخ الاقتصادي للمنطقة، وفي نفس الوقت هذا لا ينفي وجود العملة لأنه في فترات تاريخية سابقة للقرن التاسع عشر، وبسبب تزايد النشاط التجاري وتضاعف حجمه بدأت تظهر في الأفق مجالات التعامل بالنقود، وذلك لثبات قيمته ومن هنا ظهر نظام العملات مثل النقود الذهبية، التي عرفت في ممالك غرب إفريقيا منذ زمن مبكر من تاريخها والتي تعامل بها تجار المغرب مع تلك المماليك، ويعتبر النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو الفترة الملائمة لدراسة النقد في المنطقة لأنها تعتبر مرحلة انتقالية، تميزت ببروز بعثات التغلغل التجاري الأوربي

[1] - الطيب(شنتوف)، مرجع سابق، ص119

[2] - نفسه، ص120

سواء من البحر الأبيض المتوسط أو من المحيط الاطلسي، الذي زاد خاصة بعد 1870م نظرا لغياب أي هيمنة عسكرية أو سياسية على هذه المناطق الصحراوية.[1]

ذكر ابن حوقل أن النقد كان مستخدما في مملكة غانا في بعض الأعمال، وأنه كان يتعامل بالنقد الذهبي في مناطق الجنوب حيث مواطن الذهب، وأما العملة الفضية لم تكن رائجة الإستعمال، ولم تشر إليها المصادر وذكر البكري أنها لم تكن مستعملة في أودغست.[2] لكن الحديث عن العملات في القرون الحديثة خاصة القرن التاسع فقد عرفت تطوراً كبيراً، وانتشاراً واسعاً في المبادلات التجارية.

المبحث الثاني: العملات والموازين والمكاييل والمقاييس المستعملة في حواضر توات.

إن التعامل بالنقود ليس بالأمر الجديد، وإنما استخدم منذ فترات تاريخية قديمة، أما بالنسبة للعرب فقد عرف حتى قبل الإسلام، وقد أشار المقريزي في ذلك إلى نوعين من النقود:السود الوافية والطبرية العتقا وعندهم دراهم تسمى الجوراقية،[3] وكانت نقود العرب في الجاهلية تدور بين الفضة والذهب فقط، وتأتيهم من المماليك دنانير الذهب وقياصرة الروم، ودراهم الفضة نوعين سود وافية وطبرية عتق، وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهلية مثل وزنها في الإسلام مرتين، وسمي المثقال[4] من الفضة درهما ومن الذهب ديناراً، ولم يكن من شيء من ذلك يتعامل به أهل مكة في

---

[1] – الطيب(شنتوف)، نفسه، ص117

[2] – حمد (محمد الجهيمي)، العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9و11م)، مجلة الآداب، جامعة عمر المختار، ليبيا، ص17

[3]– وفي الأصل الجورافية، والدراهم الجورافية منسوبة إلى جورفان بالضم، قرية بنواحي همذان كانت هذه الدراهم تضرب فيها وكانت معروفة في صدر الإسلام ، حمد محمد(الجهيمني)، مرجع سابق، ص 45

[4] – المثقال: في اللغة مايوزن به ومثقال الشيء ميزانه، وأيضا ما يكون موزونه قطعة ذهب مقدر بعشرين قيراطا، يساوي أربعة ونصف من ماهجه على وزن الدينار، التعريفات الفقهية حرف الميم ،ص 194، والمثقال وزن معلوم قدره، ويقال أعطه ثقله أي وزنه، ابن الاثير في الحديث لايدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان والمثقال في الاصل: مقدار من الوزن أي شيء كان قليل أو كثير فهي مثقال ذرة وزن ذرة والناس يطلقونه في العرف على الدينار وقول ابن الاثير في ذلك تجوُّز فإن عنى شخص الدينار فالشخص منه قد يكون مثقالا أو أكثر أو أقل، وإن كان عنى بالمثقال الوزن المعلوم، فالناس يطلقون ذلك على الذهب والعنبر وعلى المسك وعلى الجوهر وعلى شياء كثيرة قد صار وزنها بالمثاقيل معهودا، وزنة المثقال المتعامل به الآن :درهم واحد وثلاثة أسباع درهم على التحرير ويوزن به ما أختير وزنه به. وقال ابن سيده في معنى قوله تعالى:" إنها إنْ تكُ

الجاهلية، وإنما كانت تتعامل بالماقيل وزن الدرهم ووزن الدينار، وكانت مبادلاتهم التجارية من بيع وشراء تتم بواسطة أوزان أصطلحوا عليها فيما بينهم الرطل.[1]وكان الدينار في الجاهلية يسمى لوزنه ديناراً وهو تبراً ويسمى الدرهم لوزنه درهماً وهو فضة، وكان زنة كل عشر دراهم ستة مثاقيل[2].

المثقال وزنه إثنان وعشرون قيراطاً إلا حبة وهو أيضا بزنة إثنتين وسبعين حبة شعير، والمثقال منذ وضع لم يختلف في الجاهلية والإسلام. وقيل أن الذي اخترع الوزن في الدرهم الأول بدأ بوع المثقال أولاً فجعله ستين حبة، زنة مائة حبة من حب الخردل البري المعتدل، ثم ضرب صنجة[3]بزنة مائة من حب الخردل وجعل يوزنها مع المائة حبة صنجة ثانية، ثم صنجة ثالثة حتى بلغ مجموع الصنج خمس صنجات فكانت صنجة نصف سدس مثقال، ثم أضعف وزنها حتى أصبحت ثلث مثقال فركب منها نصف مثقال ثم مثقالا، وخمسة وعشرة وفوق ذلك، وعلى هذا تكون زنة المثقال الواحد ستة آلاف حبة، ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أقرأ أهل مكة وقال: الميزان ميزان أهل مكة، وفي رواية أخرى ميزان المدينة، وفرض زكاة الأموال على ذلك.

جاء ظهور النقود المعدنية بعد الصعوبات التي عرفتها المقايضة، فبدؤا باستخدام النحاس والبرونز، ثم اهتدوا إلى الذهب والفضة، فوجدوا فيهما من المميزات التي لا توجد في غيرهما من المعادن كما يقول أبو الفضل الدمشقي:"نظرت الأوائل في شيء يثمن به جميع الأشياء فوجدوا جميع ما في أيدي الناس إما نبات أو حيوان، أو معادن، فأسقطوا النبات والحيوان عن هذه المرتبة.أما المعادن فاختاروا منها الأحجار الذائبة الجامدة ثم أسقطوا منها الحديد والنحاس

=حبةٍ منْ خَردَل فتَكُنْ في صخرة أو في السموات أو في الأَرْضِ يأْتِ بها الله."قال المعنى أن فعلة الانسان، وإن صغرت فهي في علم الله تعالى يأتي بها، والمثقال: واحد مثاقيل الذهب ومثقال الشيء: ميزانه من مثله .لسان العرب، حرف الثاء، ص-ص 493-494.

[1] – الرطل: الرطل ثمانين واربعمائة درهم والنش وهونصف الأوقية حولت صاده شينا فقيل نش وهو عشرون درهما والنواة وهي خمسة دراهم والدرهم الطبري ثمانية دوانق، والدرهم البغلي أربعة وقيل العكس والدرهم الجوراقي أربعة دوانيق ونصف الدانق ثماني حبات وخمسا حبة من حبات الشعير المتوسطة التي لم تقشر .

[2] – محمد عبد الرؤوف (بن تاج العارفين بن علي المناوي)، النقود والمكاييل والموازين، تح رجاء محمود السامرائي، دار الرشيد العراق،1981، دط، ص 48

[3] –صَنجة الميزان وسنجته لفظ فارسي معرب، والصُنُج بضمتين هو: قصاع الشيزى (خشب الآبنوس)، ينظر، القاموس المحيط، حرف الصاد. ص950. ومعناه بالفارسية سبكة أي الحجر ويقصد به في الإصطلاح: المعيار أو الوزن بلفظ مثقال أو ميزان أي مقدار ثقل الصنجة التي تعير عليها قطعة العملة . محمد عبد الرؤوف، نفسه، ص48

والرصاص...ووقع اجتماع الناس كافة على تفضيل الذهب والفضة،"[1]وذلك لما يتميز به من سرعة المواتاه في السبك والطرق والجمع والتفرقة والتشكيل بأي شكل أريد مع حسن الرونق، وعدم الروائح والطعوم الرديئة،... ورأو أن الذهب أجل قدر في حسن الرونق.[2]

أولا- العملات المستعملة في حواضر توات

إن الحديث عن النظام المالي في حواضر توات ليس من الأمر السهل أو البسيط،كون هذه الحواضر لم تكن خاضعة لسلطة سياسية متكاملة تشرف على كل الإجراءات المالية، وإنما كانت تحت تجاذبات سلط مختلفة خلال الفترات التاريخية قبل القرن التاسع عشر. فاستخدم المثقال وقد كان مستخدما منذ القرن الثامن عشر وأشار إليه العياشي في رحلته، حيث قال:" أن عدد المثقال عندهم أربع وعشرون موزونة، ويقولون للمثقال الأربعيني مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة.[3]وقد أشارت بعض الكتابات الفرنسية إلى صعوبة النظام النقدي ومنهم (L.vionot) الذي تحدث عن النقد في تيديكلت، واصفا أياه بالمعقد والوحدة هي المثقال.[4]

كما تحدث (مارتان) عن استخدام العديد من العملات كالدرهم الشرعي والمثقال، وأشار إلى أنها كانت تسك من طرف مختلف سلاطين وأمراء المغرب ، وكانت أحياناً مربعة الشكل، وأحيانا دائرية، وتحمل على وجهها إشارة إلى المكان الذي سكت فيه مثلا:تطوان، الرباط، مراكش، فاس خاصة عملات مولاي رشيد في القرن 17م ومولاي سليمان في نهاية القرن.وتأخذ عدة مسميات، منها: الدرهم غير الشرعي، يسمى الدرهم السلطاني أوعلى إسم السلطان الحاكم، الدرهم الرشيدي، الدرهم الإسماعيلي، الدرهم السليماني، وهناك قطع من البرونز، أو النحاس والموزونة هي الدرهم مقسم إلى أربعة.كما ظهرت العملة الفضية التركية (العثمانية) المسكوكة باسم مثقال وقيمتها 10درهم، وكانت العملات الوطنية الأجنبية من مختلف الجهات تصل واختلطت العملات الفرنسية مع العملات الأخرى، وكانت هناك عملة تحمل إسم القوراري، لكن لم تذكرها الوثائق التواتية، ولا الحسابات الشريفية.[5]

[1] - محمد(عثمان شبير)، مرجع سابق، ص ـص 152-153

[2]- محمد(عثمان شبير)، المرجع نفسه، ص153

[3] - أبو سالم(العياشي)، مصدر سابق، ص80.

[4]- L. voinot: op.cit, p 146

[5]- A.G.P Martin, Oasis, op.cit, p 20

استخدم القنطار كثيراً كوحدات احتساب، ويؤدي التقدير النقدي للأسعار في الغالب لاستخدام المثقال.وتساوي قيمته في المغرب الأقصى 29غرام من الفضة الخالصة، وفي القرن 19م أصبحت قيمته تساوي 10درهم متداولة فعليا في قورارة. وتوات وتيديكلت بقي وهمياً، وذكر رولف القنطار وحسبه كان القنطار في 1864يساوي 1000مثقال أو1600فرنك وفي المغرب يساوي 100مثقال[1].وكان المثقال خلال القرن التاسع عشر ينقسم إلى وحدات 1مثقال يساوي 10دراهم أو أواقي[2]و1درهم يساوي 10موزونات و1موزونة تساوي 6 فلوس.[3]

1.الكوري(الودع):هو عبارة عن صدفة صغيرة مخروطية الشكل،[4]وكان استخدام الودع منذ القديم ففي مملكة غانا كان له قوة النقد، وقد ذكر أنه كان يستخدم منذ القرن الثالث الهجري 3هـ التاسع ميلادي9م، وكان التجار يحضرونه من بلاد المغرب منذ أن كانت التجارة بين الطرفين وازدهرت لاهتمام سلاطين، وخلفاء الجانبين بتأمين الطرق والمراكز التجاري، والتي كانت تستقر فيها القوافل التجارية العابرة للصحراء ذهابا وأيابا.[5]وقد ذكر الحسن الوزان بأنه في مطلع القرن العاشر كانت أربعمائة ودعة تساوي ما قيمته أوقية واحدة من الذهب،كما أصبحت قيمته غير

---

[1] – الطيب (شنتوف)، مرجع سابق، ص121

[2] – الأوقية :الأوقة في اللغة هبطة يجتمع فيها الماء وجمعها أوق والأوق :الثقل والأوْقية بضم الهمزة وتشديد الياء :زنةُ سبعةِ مثاقيل، وقيل :زنةُ أربعين دِرهماً، لسان العرب ،مصدر سابق، ص 171.وقيل الرطل إثنتا عشرة أوقية والأوقية أستار وثلثا أستار والأستار أربعة مثاقيل، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستة دوانق والدانق قيراطان، والقيراط طسّوجان والطسّوج (الأصل شطوجان)حبتان والحبة سدس ثمن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزء من درهم، واعترض بعض المحققين على هذا القول المنسوب من الكرملي للسيوطي أنه أحال معرفة الدرهم على معرفة الدرهم، حيث عرفه بالدوانيق ثم الدانق بالقيراط إلى أن انتهى بالحبة فعرفها بأنها جزء من الدرهم وذلك دور ظاهر وأنه أحال معرفة المثقال عليه والمناسب عكسه لأن المثقال أصل متفق عليه ولم يختلف لا في الجاهلية ولا في الإسلام ،محمد عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص–ص 36-35

[3] – روس. إدان، المقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، مرجع سابق، ص142

[4] – الطيب (شنتوف)، نفسه، ص121

[5] – حمد محمد الجهيمي، مرجع سابق، ص15

ثابتة حيث تزيد أحيانا وتنقص أحيانا أخرى وذلك حسب وقته،كما استخدم الودع أيضا في طرابلس، ولكنه كان أكثر استخداما في بلاد السودان الغربي والأوسط.[1]

واستخدم الودع في المقايضات في بعض الحلقات التجارية، واستعمل بين توات وتيديكلت والسودان ولا يتعدى مجاله عين صالح وتيميمون، وعندما يستخدمه السودانيون مع تيديكلت وتوات فقط من أجل دفع فروق القيمة إن تعيّن ذلك. ويقبل السكان المحليون هذه العملية رغم أنها غير متداولة ببلدهم لكن لا يستخدمونها في بلاد السودان، وفي النصف الثاني من القرنِ التاسع عشر استورد الإنجليز الكوري من المحيط الهندي بكميات كبيرة إلى منشآتهم في النيجر ونينوى حيث يمثل العملة الوحيدة.[2]

2. العملات:

ما ميز حواضر توات أنه لم تكن لها عملة خاصة، وإنما كانت هناك عملات رائجة من مختلف الأصول، أوروبية ومغاربية قديمة، والفرنسية التي استحوذت على أكبر تواجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر 19م، وبقيت العملات مختلفة في توات، وقورارة وتيديكلت مغربية وجزائرية قديمة، وعملات أوربية (القروش، والتالر،[3]والنقود الفرنسية).[4]

كما استعمل التجار العملات الجزائرية القديمة في قورارة وتوات وتيديكلت، والنقود المسكوكة التي سكها الباي أحمد بقسنطينة، والأمير عبد القادر ما بين 1832 -1847 وبداية من 1849م سحبت العملات الجزائرية من التداول، وتم إرسالها إلى دار السكة بباريس لصهرها، وكذلك النقود التي تحمل ختم الدايات.ورفضت العملات المسكوكة بعد فترة الدايات بشدة ولذلك بقيت متداولة واستمر البوجو والسلطاني في بعض ولايات التل ومناطق قورارة وتوات

[1]- فاطمة(علي أمحمد احويلات،)، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة من 600هـ-1164هـ(1303-1750م)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، اشراف عبد الفتاح محمد الكباشي،كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الاسلامية، السودان،1437هـ-2016م، ص104

[2] -الطيب (شنتوف)، مرجع سابق، ص121

[3] -عملة نمساوية، فضية (ليرة مارياتريزا)، والتي تعرف بريال بوطير المسكوكة سنة 1780م، فاطمة(علي أمحمد احويلات) مرجع سابق، ص104

[4] - الطيب، (شنتوف)، مرجع سابق، ص123

وتيديكلت وفي 1986 كانت القطعة النقدية التركية المسماة ثمان أوقيات التي تعادل نصف سلطاني لاتزال مستعملة في قورارة.[1]

استعملت أيضا عملات مغربية وفي1876م عدل النظام النقدي المغربي من طرف السلطان مولاي حسان الذي سك جملة من العملات الفضية في باريس تحمل إسم الحسيني (درهم شرعي)وأشار(Martin)إلى أنه يساوي 50حبة شعير.[2]وبعده سك مولاي عبد العزيز نقود مماثلة (العزيزي) و في 1901م سك العزيزي الجديد منقصا من وزنه 12% لكن بعد 1876م كانت العملات المغربية متداولة في توات وقورارة، وتيديكلت، وفي 1856م كانت تستخدم الأوقية المغربية وقطعة اخرى تسمى(الربعية)أوربع ريال،[3]وفي 1874كانت العملات الرائجة في تيديكلت العملة المغربية وعملات اخرى ولم تظهر العملة التونسية الاسنة18، وقد تم تداول القطع النقدي الأوربية بشكل كبير مع مطلع القرن التاسع عشر، وبدأ رواجها مع السلع الأوربية ومن هذه العملات الاسبانية في 1860م وهي (دورو بومدفع) تم تداوله في قورارة وتعادل قيمته (6) فرنك وقيمته في تيديكلت (5.35)فرنك ،التالر النمساوي. والعملة الإيطالية وصلت من ليبيا عبر غدامس ومنطقة ميزاب وهي قليلة التداول .[4]

في النصف الثاني من القرن التاسع بدأت العملات الفرنسية تسيطر على المبادلات التجارية في قورارة وتوات، وتيديكلت على حساب العملات المغاربية، وفي 11أوت 1851م أصدرت السلطات الفرنسية قراراً على أن العملات الجزائرية، والقروش الإسبانية لم تعد مقبولة تحت أي ظرف من الظروف، للتداول في الصناديق العامة. ومنذ القرن التاسع عشر لم تكن العملات الفرنسية سهلة التداول في توات وتيديكلت إلى غاية 1860م مثل الدورو الذي تواجد في تيمي وقيمته تعادل (5.35) فرنك، بينما أشار جيرارد رولف الذي زار المنطقة في 1864م وفي 1874م كان الدورو الإسباني الذي يمثل العملة الأكثر تقديرا حيث يقسم إلى(20) جزء

[1] – الطيب، (شنتوف)، مرجع سابق، ص124

[2]- A.G.P .Martin: Oasis,op.cit, p 20

[3] – الطيب (شنتوف)، المرجع نفسه، ص124

[4] – نفسه، مرجع سابق، ص125

اعتبر كل واحد منها (20/1دورو) قطعة 20سنتيم، وكانت قطعة (5)فرنك تستبدل ب 18أو 19 قطعة بسبب ندرة القطع النقدية الصغيرة.[1]

كما عرفت الفترة الممتد بين 1860م أزمة تمثلت في ندرة النقود خاصة القطع النقدية الصغيرة مقارنة مع القطع النقدية الذهبية محدودة التداول، وتغلبت العملات الفضية المغاربية على تلك الأوربية بكثير، عن العملات النحاسية، والذهبية، ولم تكن النحاسية تقبل نهائيا، والذهبية تقبل بصعوبة لأجل المبادلات مع تافيلالت.وفي تيديكلت تقبل النقود الذهبية من طرف البعض فقط. وفي 1864م وجد جيراردرولف صعوبة في صرف عملته الذهبية بتيديكلت فعرض عليه تاجر من غدامس صرفها بخسارة 50% واقترح عليه آخر وزنا كمسحوق ذهب وتقييمها بالمثقال فيخسر بالتالي5% لكنه عدل عن رأيه، وقد أشار جيراراد رولف إلى رفض القطعة النقدية الذهبية النفيسة[2] .

ثانيا- المكاييل والمقاييس

1.المكاييل

يعتبر إقليم توات بحواضره الثلاث امتداد جغرافي وحضاري لبلاد المغرب الإسلامي فيتأثر بما يجري في مدنه الشمالية شرقا أو غربا، وكانت المكاييل متنوعة شأنها في ذلك شأن البلاد الأخرى، حسب تنوع السلع والمواد المتداولة، فهناك مكاييل خاصة بالحبوب وأخرى خاصة المواد السائلة، وبعضها مخصص للمواد الصلبة.

الأمر ذاته بالنسبة لأهل توات فقد استطاعوا التعامل بالمقاييس والموازين، والمكاييل النبوية الشريفة منها الصاع.[3] والمد[4]والمثقال والحبة والدنانير، والدراهم وغيرها التي تم الحديث عنها سالفا، ومع ذلك فإنهم أوجدوا مجموعة من الأدوات المرتبطة بالعرف والبيئة الصحراوية، والهدف من ورائها الإنصاف واحترام الحقوق والإلتزام بالشرع الحنيف، وتساهم في نفس الوقت في تنظيم العلاقة الإنتاجية داخل المجتمع وفق النمط الإنتاجي الخاص الذي كان سائداً في الإقليم خاصة(الخماسة

[1] -الطيب (شنتوف)، مرجع سابق، ص 127

[2] - نفسه، ص128

[3] -أربع أضعاف المد. محمد الصالح (حوتية)، مرجع سابق،ج1، ص161

[4] - حفنة باليدين المتوسطتين يستعمله التجار والعامة عند كيل المواد الجافة كالتمر والحبوب ويكثر استعماله عند اخراج زكاة الفطر في مناسبة عيد الفطر، نفسه، ص161

والخراصة) واعتبارا أيضا من أن الإقليم كان محطة عبور للقوافل التجارية، مما حتم عليه أن ينظم سيرورة العملية التجارية وتقنينها وفق مبادئ الشريعة الإسلامية مصداقا لقوله تعالى:« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالْقِسْطِ».[1] وقوله تعالى:« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلاً »[2] ونهيه أيضا عن التلاعب بالكيل والميزان والتطفيف فيقول تعالى:« وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُم يَخْسِرُونَ أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيُومٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ »[3].

إن هذه الضوابط كانت مسايرة وملازمة لنظام الضبط العرفي المتمثل أيضا في كراء وشراء وإنتاج مياه الفقارة. إن نظام المكاييل في توات تمثل في استخلاص الأوعية والمواعين المتمثلة في استخلاص العلاقة التالية(قوة العمل +مدة زمنية = ملء وعاء).[4]

ما يميز هذه المقاييس والمكاييل، والموازين في توات عن غيرها من الأماكن هو ارتباطها بالظروف الخاصة بالفقارة التي تعتبر عصب الحياة في النشاط الإقتصادي للمنطقة، وخاصة الزراعة من خلال قوة صبيبها أو ضعفه، فكلما كان منسوب الفقارة كبيرا كلما كانت الموازين صغيرة والعكس، لأن هناك ما يشبه القاعدة (قوة صبيب الفقارة = وعاء أقل) ـــــ ارتفاع سعر المنتوج ضعف صبيب الفقارة = أوعية أكبرـــــ ضعف الإنتاج.وهذا ما جعل هذه المكاييل تختلف من منطقة إلى أخرى إضافة إلى بعد المسافة وتباعد الواحات عن بعضها البعض ومن هذه الكاييل والموازين:[5]

1- الهبظة : وهي كمية ما تحمله قبضة يد رجل متوسط، وهي أصغر وحدة كيل.[6]

2- الكمشة: هي أكبر بقليل من الهبظة، 6 كمشات = مسطمن

3-ربع ثمن:3 كمشات

4-أمسطمن:6 كمشات يقدر برطل، نصف كيلوغرام

---

[1]- سورة الأنعام، آية 152

[2] - سورة الإسراء، آية 35

[3] - سورة المطففين، الآية(6)

[4] - مبروك (مقدم)، الأنماط الانتاجية مرجع سابق، ص73

[5] -مبروك (مقدم)، نفسه، ص 70

[6]- نفسه، ص70 ينظر الملحق رقم(44)، ص432

5-الثمن:2 مسطمونة

6-الربع:4 مسطمونة

7- أزلوف:8مسطمونة

8- أزقن:8مسطمونة

9- الرابعة:أزقن ونصف أي12مسطمن

10-الكوز:2أزقان

11- القروي:3أزقان

12- القلبة:6أزقان

13-القصعة[1]:12أزقان أي قلبتان

14- لغرارة:5 قلبات أي نصف حمل

15-الحمل[2]:12قلبة أي 72أزقن

كما تميزت هذه الموازين والمكاييل بالإختلاف أحيانا في المسميات من قصر إلى آخر وكانت وحدة القياس للموازين تساوي(المثقال الذهبي)الذي يساوي 24قيراط أو 24موزونة أو خروبة.وكانت هذه الموازين هي أساس التعامل مع القوافل التجارية التي تمر بالإقليم متجهة نحو إفريقيا الغربية، وكذلك إلى الشمال والمشرق العربي أيضاً خلال القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي.وقد أشار(Martin)إلى أن المثقال قيمة متغيرة، والقنطار يساوي 400 مثقال من الفضة،[3]وأن سكان توات موازين خاصة بهم فهناك الحمولة، وهي حمل الجمل والقصعة، والأزقن وهذه توزان محلية، وهي الأشياء الأكثر استخداما في السجلات لذلك تختلف من منطقة إلى أخرى، ومثلا في تيمي الأزقن 2/21لتر، والقصعة .12أزقن.[4]

---

[1] – تستعمل في قصور توات وتعادل 2.5كغ قد تزيد أو تنقص من منطقة إلى أخرى، محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، ج1، ص161

[2] – يعادل ستين صاعا، محمد الصالح (حوتية)، ص162

[3] – A.G.P Martin,Oasis,op.cit, p22

[4]- ibid,p22

تحدث(L.voinot) عن الموازين والمقاييس في حاضرة تيديكلت، وقال أن الرطل هو الوزن الوحيد المستخدم، ويمثّل بحجر وزنه 500 غرام(قطعة بخمسة وعشرين فرنك)، والميزان بدائي للغاية،[1] ويتكون من سلتين معلقتين بخيوط في عصا مصنوعة من جريد النخلة، والحبوب والتمور تباع بالحجم أو الكيل ووحدته هي "القصعة": وحدة أو مقياس عبارة عن طبق خشبي توضع عليه الأشياء المراد وزنها، وهي تساوي 12أزقن(وهو عبارة عن يد خشبية صغيرة أجوفها غير مرئي وتملأ بنفس طريقة القصعة، وبالتالي ليس لهما نفس القيمة بل تختلف من منطقة إلى أخرى.[2]وهذه قيم تقريبية للأزقن: حسب مناطق تيديكلت.

0.063 بـ أقبلي

0.072 بـ فقارة الزوى

0.052 بـ عين صالح

0.522بـ أولف الشرفة تيمقطن

0.591بـ الساهلة وإيقوسطين، حاسي الحجار

0.571بـ إينغر،تيط،أولف العرب.

والكيل يختلف بين القصور فمثلا بين تسابيت وتيمي الأزقن التيماوي يزن مرتين بالأزقن التسابيتي وهناك مثلا يقال:"قصعة تيماوية ولا قلبة تسابيتية"[3] وبقصد قصعة تيمي وقلبة تسابيت.

2.المقاييس والأطوال):

لقد كانت المقاييس معتمدة بشكل كبير خاصة عند شراء، وبيع القطع الأرضية تحديداً كالأراضي المخصصة لبناء القصبات والقصور، أو لتحديد مسافة وحدود البساتين أو الجنائن أو ما يطلق عليه المرافق العامة مثل(الرحيبة) التي تستغل للجلوس في الشتاء بحثا عن الدفئ الطبيعي المنبعث من الشمس، وللراحة و المرقد صيفا.[4] وللمقاييس أدوات منها:

[1]- ينظر الملحق رقم (42)، ص430

[2] - L. (voinot),Op. cit, p145

[3]-الحاج سالم(صرندي)، مقابلة شخصية بمنزله بتسابيت، يوم 2020/05/13م

[4]-مبروك (مقدم)، الفقارة في قصور توات، مرجع سابق، ص181

1- القدم:لقياس الأرض وتحسب قدما بعد أخرى، ويستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال.[1] يساوي 30.48 سنتمتر.[2]

2- البرد: يساوي 91.44 سنتمتر1

3- الميل: يساوي 1609.34 متر

4-الذراع: وهو وحدة الطول ويحدد الذراع ما بين المرفق ونهاية الوسطى،[3] ويساوي 53سنتمتر عند المالكية.[4]

6- الدوم: يساوي1000م2

7- الهكتار: يساوي 10.000م2

8- الأصبع يساوي 3على 3/4 البوصة، 1.4722سنتمترا

9- الكف يساوي 3 بوصات 76 مم

10- الشبر يساوي المسافة ما بين الابهام و الخنصر،[5] ويعادل عند المالكية 8.8332سنتمترا[6]

11- القصبة:6 أذرع أي 105 بوصة 2.67 مترا

12- القامة:وهي طول الرجل المتوسط تساوي 4 أذرع أي 1.85 متر

13- الفرسخ:يساوي أميال أو ما يعادل 5.565 كلومتر.[7]

14- البريد:يساوي أربعة فراسيخ، وهو يساوي 22.26كلم.

15- كلم:يساوي2000 ذراع أي1.75 48=84كلم

16-المرحلة:44.52048كلم.

17- الميل وهو عند المالكية يساوي1855مترا

18-الباع ويساوي2.12 متر

19-القبضة وتساوي عند المالكية 8.8332 سنتمترا 696

---

[1]- محمد (حوتية)، ج1 مرجع سابق، ص163

[2]- غالب محمد(أكريِّم)، ملحق الموازين والمكاييل، ص696

[3] - محمد حوتية، ج1 مرجع سابق، ص163

[4] - غالب محمد (أكريِّم)، ملحق الموازين والمكاييل، ص696

[5] -مقدم (مبروك)، الفقارة، نفسه، ص181

[6] - غالب محمد (أكريِّم)، نفسه، ص696

[7] - نفسه، ص 697

تعتبر القوافل التجارية هي العصب الرئيسي للتجارة الخارجية الصحراوية، فكانت القواقل القادمة من الشمال والغرب.

ثالثا: المبادلات التجارية الخارجية في حواضر توات :

لقد ازدهرت واحات توات اقتصاديا فكانت تستقطب القوافل التجارية من المغرب الأوسط نحو أسواق مالي وأيضا من سجلماسة وإيولاتن، وباعتبارها من أهم المراكز التجارية التي التي يحط بها ركب التجار والحجاج، فكان التجار يقصدونها للتزود بما يحتاجونه من قوت وماء وبيع بضائعهم، وقد أشار الرحالة إلى ذلك في غير ما موضع.وذلك بحكم الموقع الذي حظي به الإقليم والذي يجعل منه بحواضره الثلاث توات، تيديكلت وقورارة نقطة عبور أساسية للذهاب نحو غرب إفريقيا، ومما ساهم في ذلك غنى الإقليم بواحات النخيل التي يتخد منه العابرون مزاكر للراحة والإتجار، وفي ذلك يقول ابن خلدون:"وطن توات ...وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار وإلى مالي ..."[1]ومن المراكز القديمة للتجارة لخارجي أول مدخل لتوات من جهة الساورة قصر تسابيت وقراه وعلى رأسهم قرية الولي الصالح عريان الرأس، التي ذكرها العياشي في حديثه عن سوقها وما وجد فيه. إضافة إلى ما ذكره الوزان عن تسبت:"إقليم مأهول في صحراء نوميديا على نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة ومائة ميل من الأطلس، يضم أربعة قصور وقرى عديد في تخوم ليبيا على الطريق المؤدي من فاس، وتلمسان إلى مملكة أكدز في بلاد السودان.[2]

ويقول أيضا عن تيجورارين أن بها أراضي كثيرة صالحة للزراعة إلا أنها تحتاج إلى السماد."يقول أيضا "أن سكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم."[3]

1.المحاور الرئيسية للتجارة الخارجية للإقليم:[4]

المحور الأول: المبادلات التجارية مع أسواق السودان الغربي

المحور الثاني: المبادلات التجارية مع أسواق سجلماسة، وتافيلالت ومراكش بالمغرب الأقصى.

المحور الثالث: مع أسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس.

---

[1]- ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص، 118

[2]- الحسن (الوزان)، مصدر سابق، ص133

[3]- نفسه، ص133

[4] - فرج محمود(فرج)، مرجع سابق، ص 82

المحور الرابع: مع قبائل الطوارق والبربر جنوب توات.

المحور الخامس: مع أسواق الشمال الجزائري .

2.الطرق التجارية:

لقد اهتم الفرنسيون كثيرا بالطرق التجارية الصحراوية خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك بحثا عن الولوج لأسواق السودان الغربي مرورا بالصحراء الجزائرية، وقد أعدت العديد من التقارير من طرف مستكشفين وعسكريين، بغية الحصول على معلومات للسيطرة على الطرق والمبادلات التجارية ويقول: Malt(1775م-1826م)أن الطوارق كانوا يسيطرون على الطرق التي تتدفق منها التجارة نحو السودان، ومن السهل عليهم إفشالها أو إنجاحها طالما أنهم يجنون أرباحا هناك من خلال حمايتهم للقوافل التجارية ولا غناً عنهم، وتكون مقابل رسوم معينة يدفعها أصحاب القوافل.وكانت السلع المتداولة بين طرابلس وفزان وبرنو تقتصر على العاج، أما التجارة بين شرق السودان وغرب جبال الهجار والتي تنطلق من غات، فقد كانت فوافلها كبيرة وتضم من 1000 إلى 3000جمل إلى الهوسا وتحمل الأقمشة، والحرير وكميات كبيرة من التوابل، والنحاس، وكميات كبيرة من الأحزمة الحريرية، والخيول للبيع والأقمشة القطنية الزرقاء والجلود المصبوغة بالأحمر والأصفر، المطلوبة في تونس وطلرابلس، والزنجبيل والأواني الخشبية التي يصنعها الزنزج، والأقمشة الصوفية، والسروج والجمال والدروع والرماح والخناجر، والثيران والأغنام والبخور، والأرز والذرة الرفيعة والعسل، أما التجارة الرئيسية التي يتم تداولها بين غات، وقوافل غرب السودان والتي تلتقي في إن صالح مع قوافل توات فهي مسحوق الذهب، بالإضافة إلى السجاد المصنوع من طرف الزنوج.[1]

وفي هذا يقول: (soleillet) بعد العديد من الصعوبات غادرت الجزائر العاصمة في27 ديسمبر 1873م في رحلة كان الهدف منها الوصول إلى واحة عين صالح الغامضة التي يصعب اختراقها، من طرف المسيحيين أكثر من تمكتو، ويقول":(M.Deverrier) لقد وعدت الغرفة التجارية العامة بالجزائر والحكومة، والجمعية الجغرافية بالإنتقال من الجزائر العاصمة إلى واحة عين صالح، وإحضار تجار توات محملين بالمنتجات الصحراوية والسودانية."وترى فرنسا من خلال امتلاكها للجزائر أن كل غرب افريقيا من بحيرة تشاد إلى بينين، وإلى الجزر الخضراء، ومنها إلى

[1]-Malt. Brun, Op, cit, p110

السنغال ثم إلى تمبكتو وصولاً إلى المغرب كلها ستكون مفتوحة أمام التجارة، والصناعة الفرنسية لقوتها وحضارتها.[1] وقد أشار(L.voinot) الذي كان من العسكرين المشاركين في غزو عين صالح وإقليم توات إلا أن التجارة في تديكلت ليست كبيرة ولكنها تسير بشكل عادي، وأن أبرز التعاملات التجارية تخص المواد الغذائية التي يؤتى بها من غرداية ولقليعة، وورقلة وأيضاً من توات وقورارة، والسودان ومناطق الطوارق، أما القوافل القادمة من شمال فتضم من عشرة إلى أربعين جملا ويمتلك بعضهم في الهقار، وأدرار أكثر من مائة جمل وقد يصل إلى مائتي جمل وتحضر لحمل التمر.[2]

كانت العلاقات التجارية بين بلدان شمال إفريقيا ووسطها تتم حصريا من المغرب وطرابلس وتجتمع هذه القوافل في طرابلس، وفي مرزوق عاصمة فزان، التي ترتبط بأوروبا عن طريق طرابلس أو بنغازي أو مصر، ثم تتجه نحو بحيرة تشاد عبر باليما إلى أغاديس عبر تشاد ثم إلى تمبكتو عبر عين صالح،كما تتنقل من طرابلس إلى غات ثم إلى أغاديس وصولاً إلى بحيرة تشاد، وتمر بعين صالح للوصول إلى تمبكتو.[3] .

أما في المغرب فكل سنة تنظم قافلة تجارية كبير قبل نهاية سبتمبر من داكاً مرورا بتندوف وصولا إلى تمبكتو،كما يتم تنظيم قوافل تافيلالت أحيانا تذهب مباشرة إلى تمبكتو، لكن في أغلب الأحيان تمر على عين صالح ثم أغاديس من عين صالح وتيميمون وكل توات، التي يوجد بها نشاط تجاري قوي حيث تجهز القوافل للتوجه أيضا نحو موغادو، وتمبكتو فأغاديس ثم كانو وغات ثم غدامس والنقطة الرئيسية والمركزية هي عين صالح.[4]

أما بالنسبة للجزائر فإن الطرق من الشمال إلى غرب ووسط إفريقيا فهي نفس الطرق التي كانت مستخدمة خلال العصور الوسطى والأكثر اختياراً من التجار.

1-من تلمسان إلى عين صالح عبر واد جير الذي واجهه الجنرال وينبلفن في آخر رحلة إستكشافية له لعين صالح.

---

[1]- paul(Soleillet) : Exploration du Sahara centralavenir:de la France en Afrique, p1

[2]- L. voinot, Op.cit, p38

[3]- p. Soleillet, ibid, p5

[4]- ibid, p5

2- من جرفيل بتيميمون وصولاً إلى توات: سافر من خلاله القائد كولونيو عام 1860م.

3 – الطريق من قسنطينة والجزائر إلى ورقلة ومن هناك باتجاه هوسا بالسهل وسبخة أماغور، وكان هذا الطريق من أهم الطرق في الصحراء بأكملها، وكانت ورقلة قبل قرن من الزمن مركزا تجاريا كبيرا حيث كانت بها العديد من مكاتب الصرف التجارية ويتم التعامل مع أغاديس والسودان لكن الصراعات التي كانت تقع في ورقلة وعند الطوارق وفي أغاديس قضت على هذه المراكز التجارية.

4-الطريق من قسنطينة إلى غدامس عبر توقرت ووادي سوف، هذا الطريق سلكه العديد من المسافرين الفرنسيين لاسيما منهم السيد (Bornemain)في 1856، وهنري دوفيري (M.Henri Duveryrier) في1860م، والجنرال(Mircher) وبعثة غدامس في 1862م أخيرا (Duperré Dourneaux)، (Joubart. Moris)اللذان قتلا بين غات وغدامس.

5- الطريق من الأغواط نحو غات عبر ورقلة والبيوض الذي سلكه اسماعيل بوضربة 1858م.

6- طريق الجزائر النيجر طريق مباشر من لغواط إلى ميزاب ثم القليعة إلى عين صالح وصولاً إلى تمبكتو، هذا الطريق الأخير هو الطريق الأكثر أهمية ليس للجزائر وفرنسا فحسب وإنما حتى للدول الأخرى، فاعتبرت فرنسا أنها المستعمرة التي توحد بها مستعمراتها في إفريقيا والتواصل عبر الصحراء والمحيط إلى البحر الأبيض المتوسط وأمريكا وأوروبا، ومدى التحول الذي يتم فيه الاتصال بالمحيط.[1]

المبحث الثالث:حرف الدلال والصراف، والجزّار :

أولا: الدلال

أ.تعريف الدلال لغة:

من الفعل دَلَّلَ يقال: دَلَلْتُكَ عَلى الشيءِ دلالة ودَلالة بفتح الدال إذا أرشدتك إليه أي أرشد المشتري إليه فكان سمساراً بينهما. والدَّلاَّلُ من يجمع بين البيعَين والإسم الدِّلالة أيضا والدّلالة ماجعلت له.وهو من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة.[2]وقال ابن دريد الدَّلالة بالفتح حرفة الدَّلال.[3]

---

[1]- p. Soleillet, Op.cit, p7

[2] – أحمد (الشرباصي)، مرجع سابق، ص162

[3]–ابن منظور، مصدر سابق، ص1414

ب.تعريف الدلال إصطلاحا:

هو إسم لمن يبيع حوائج الناس، وهو إما أن يكون مقيدا بسوق مخصوص تباع فيه حوائج الناس كسوق الخيل وسوق الحمير وأشباهها، وإما أن يكون مطلقا كدلالي البيوت والدكاكين ومنهم دلالون سرا، وهو من يريد بيع داره أو عقاره سرا فيطوف الدلال على من يرغب في الشراء من الذوات وغيرهم في بيوتهم ومراكزهم. وهذه الحرفة مكروهة، لكن الدلال المقيد بالسوق أشد إثما لما يرد عليه من كثرة دلالة الحوائج التي تباع.[1] ويعرف أيضا على أنه السمسار أو الوسيط الذي يعمل على إنجاز معاملة بيع وشراء السلع بين البائع والمشتري سواء كانت الصفقة لشراء عقار أو أي صفقة تجارية من أي نوع أخر ويجيد الدلال عادة مهنة التسويق أو إغراء المشتري لدفع المبلغ المطلوب، وتشجيع البائع على التنازل على جزء من سعر العرض بهدف إكمال الصفقة والحصول على نصيبه من العمولة.[2] والسمسار هو متولي العقد بين البائع والمشتري، وكان التاجر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، يسمى تاجرا، وفي حديث قيس ابن أبي غرزة: كنا نسمى السماسرة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فسمانا التجار، والسمسرة البيع والشراء، وقد يطلق على بائع الثياب.[3]

ج.خصائصها

قال الإمام الغزالي مشيرا إلى كراهته: لعل السبب فيه عدم استغناء الدَّلال عن الكذب والإفراط في مدح السلع لترويجها، ويظهر من خلال قول الإمام الغزالي أن سبب كراهة هذه الحرفة هو أن صاحبها يتميز بالصفات التالية:

-لايستغني عن الكذب

-الإفراط في مدح السلع

-إغراء المشتري لدفع المبلغ المطلوب

---

[1] -محمد سعيد (القاسمي) وآخرون، مصدر سابق، ص146

[2] - محمد (عبد الهادي جمال)، الحرف والمهن والأنشطة التجارية القديمة في الكويت،(دط) مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 2003 م، ص308

[3] -أحمد (الشرباصي)، مرجع سابق، ص227

– لاينظر في مقدار الأجرة إلى قدر قيمة الثوب بل ينظر إلى قدر التعب، فلو أخذ أجرة على قدر قيمة الثوب لأخذ على كل قرش مثلا شيئا معلوما، كما هو العادة لكان ظلما محضا وأن العمل في هذه الحرفة لا يتقدر.[1]

–من خصال الدلاّلين المذمومة شرعاً وعرفا إذا أخذ أحدهم السلعة ليبيعها يزيد بها لنفسه وينادي بأعلى صوته أنها بكذا، فإذا جاء شخص ممن لا معرفة له بأحوالهم يزيد بها، ويجعلها عليه بتلك لزيادة وتارة يزيد بها صاحبها، وهي من أعظم المنكرات.[2]

–أحيانا تكون هذه السلعة قابلة للزيادة، فيرتشى عليها من شخص فيجعلها عليه، ولا يقبل زيادة أحد، وهكذا لهم فعال خبيثة بل اعظم من ذلك.والحاصل كأن الأمر بيدهم فإن شاءوا زادوا وحسنوا السلعة وان شاؤوا بخسوا.

د.عمل الدلال في توات

أنتشرت هذه المهنة في حواضر توات ومقاطعاتها مثلها في ذلك مثل باقي المناطق في بلاد المغرب، وقد عرفت هذه الحرفة في مدن الشمال ومنها مدينة الجزائر، وهي من المهن القديمة وتشير عاشة غطاس إلى أنها كانت من المهن المربحة خلال القرن الثامن عشر، وعرفت بها بعض النساء، منهم على سبيل المثال"عويشة الدلالة المتوفية سنة 1792م، وتركت ثروة قدرت بـ 1518 ريال،[3] وقد انتشرت هذه المهنة في توات وذلك ما تؤكده الروايات الشفوية، وتظهر لنا أيضا بعض النوازل تعاطي أهل توات لهذا النوع من المهن لتسويق منتجاتهم وبيعها، وقد إختص بهذه الحرفة الرجال والنساء على حد سواء فهم ينتقلون عبر الأحياء، والقصور يجوبون الشوارع حاملين معهم تلك السلع والبضائع المختلفة التي يرغبون في بيعها منها مواد الزينة، وسلاسل الذهب، والفضة وكذا أنواعاً مختلفة من الكتان، والعطور والبخور وبعض المنتجات المحلية التقليدية خاصة، وينتقل هؤلاء حتى إلى المنازل فالرجال يبيعون خارج المنزل بينما تدخل المرأة عادة للمنازل. وقد عرفت بعض النساء في قصور مدينة أدرار خلال القرن التاسع عشر والعشرين بهذه الحرفة منهم سيدة تدعى"أما فاطنة مطواية"، وأما هندة، بقصر أولاد علي، ومن الرجال المدعو:قنقارة، وأيضا المدعوا مولاي أحمد، ولم تكن بالنسبة لهؤلاء مصدرا للثراء بل كانت لتوفير حياة كريمة فحسب.

[1] – محمد (سعيد القاسمي) وآخرون، مرجع سابق، ص 147

[2] –نفسه، ص147

[3] – عائشة (غطاس)، مرجع سابق، ص 317

كما تغتنم المرأة الدلالة المناسبات سواء كانت أقراحاً أو أفراحاً للترويج لسلعتها كالولائم، والأعراس وغيرها، ويلقى الدلالون إقبالا كبيراً من المشترين خاصة أن بعض العائلات تمنع النساء من الخروج من البيوت، وكذلك أحيانا عدم وجود سوق قريب من مكان السكن، وانتشر الدّلالون كذلك في الأسواق لبيع مختلف السلع التي يرغب أصحابها بيعها عن طريقهم لضمان إتمام عمليه البيع، ويكون الدلال أيضاً شاهداً عليها، ويتراوح نشاط الدلال بداية بإنجاز صفقة البيع العقار إلى بيع، وشراء المواد الغذائية والأغنام والمواشي والخضر وأيضا بيع الأفرشة والزرابي.[1]

أمدتنا نوازل الغنية للبلبالي بمسائل تؤكد على تداول وانتشار هذه الحرفة في قصور توات كاملة ومنها:مسألة:[عمن وضع مبيع عند الدلال ليبيعه فضاع وادعى الدّلال أنه أمانة]وسئل الإبن عمن وضع حاجة عند الدَّلال للبيع فضاعت وادعى الدَّلال أنها أمانة وأجاب.ظاهر ما ذكروه عند قول خليل وقال:قرض في قراض ..الخ. أن القول للمالك و لأن الأمانة نادرة.[2]

مسألة أخرى:[دلاّل باع كساء لرجل فالتبس عليه المشتري وتنازع رب الكساء والمشتري في ثمن الكساء] . وسأله عمن أعطى كساء لدلال ليبيعها، فقال له/ بعتها من فلان بمثقالين وشهد على قوله عدل، فرضي ربها بالبيع بذلك، وطالب المشتري بالثمن، فقال:ما اشتريت شيئا منه،وإنماكذب علي في طلب السمسار،فلم يوجد.وأخبر المالك أنه هرب،ولم يعلم موضعه.ثم أخبر أيضا أنه إنما باعها الدلال من شخص آخر، فاستخبره، فأقر له بأنه اشتراها بمثقال ونصف وخمس موزونات، وشهد على إقراره شاهد، فما تقولون في بيع هذا الدلال الفضولي.[3]

ما يستشف من هذه النوازل أيضاً مدى اهتمام التواتيين بأحكام الدين الإسلامي في هذه القضايا واستفسارهم عنها، وحرصهم على اتباعها، وحفظ الأمانة،كما تظهر لنا أيضا أن هناك من لم يكن أمينا في عمله، وتلاعبه بسلع الناس وبضائعهم، وأيضا بعض المشاكل التي يمكن أن تقع للدلال مثلا كأن لايعرف أويلتبس عليه الشخص الذي اشترى منه، ورد فعل صاحب البضاعة. ويظهر أيضا من بين ما كان يتم بيعه عن طريق الدلال الألبسة، أو الأكسية التي كانت موجودة خلال تلك الفترة من القرن التاسع عشر.ويبدوا أن صاحب الكساء لم يقبل وتخاصم مع الدلال حول الثمن.

---

[1] – الحاج سالم(صرندي)، مقابلة شخصية بمنزله، يوم 2020/05/13

[2] – محمد عبد العزيز(البلبالي)، غنية المقتصد، تح فاطمة حموني، مصدر سابق، ص 268

[3] –نفسه، ص–ص 268-269

ثانيا:الصراف:

1.تعريف الصراف لغة واصطلاحا

أ.لغة: الصَّيْرَفِي: الصرَّاف،من المِصَارفةِ، يقال:صَرَفت الدراهم بالدنانير، وبين الدرهمين صرف، أي فضل لجودة فضة أحدهما.[1]

ب.اصطلاحا:الصرف بيع ثمن، والصرف في الأصل رد الشيء من حال إلى حال، أو إبداله بغيره وصرْف النقود تغييرها.والمَصرِف مكان صرف النقود، والذي يقوم بالصرف يقال له:صرَّاف، وصَيْرف وصيرَفي.والصرَّاف والصّيْرف:النقاد، والجمع صيارفة.والصرف فضل الدرهم على الدرهم، والدينار على الدينار، والصرف أيضا بيع الذهب بالفضة، والتصريف في جميع البياعات:إنفاق الدراهم.[2]

تمت الإشارة إلى عمليات الصرف التي كانت تتم في توات، في رحلة العياشي منذ القرن(11هـ/17م) عند مروره بتسابيت، حيث أشار إلى أن حجاج تافيلالت يؤخرون صرف الذهب إلى غاية مجيئهم إلى توات لغلائه هناك، وقال في ذلك:" أن كثيراً من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف إلى توات فإن الذهب فيها أرخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر، وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تنبكت، ومن بلاد أكيدز من أطراف السودان، ويوجد فيها البضائع، والسلع التي تجلب من هناك شيئ كثير، السلع التي تجلب من الغرب مما هو خرج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحرير، فإذا قدم الركب إليها كان السوق حافلا."[3]

أشار الرحالة الألماني جيراردرولف، في رحلته من المغرب إلى توات عام 1864م حيث ذكر أن هناك أربع قوافل للتجارة بين توات والفرنسيين، والعكس، وقال: أن النقود تتغير قيمتها ففي جهات المغرب القطعة الفرنسية بخمسة فرنك، والدورو في توات بـ 25 أونصة، وهنا يساوي 33أونصة مقابل قطعة بخمسة فرنك"، ويقصد كرزاز بالساورة، وتحدث أيضا عن سعر الحبوب

[1]-الجوهري اسماعيل(ابن حماد)، الصحاح، ص1386

[2]- أحمد (الشرباصي)، مرجع سابق، ص 253

[3]- العياشي، مصدر سابق ج1، ص79-80

وذكر أن سعرها باهض الثمن لذلك أرسل شيخ كرزاز قافلة إلى توات لجلب الحبوب والتمر، وذلك دليلا على رخص سعره في توات.[1]

وردت في نوازل الغنية مسائل عن الصرف منها المسألة التالية:[الخلاف بين المصطرفين في الصرف] وسئل عن مصطرفين اختلفا بعد الخلاص في المقدار الذي وقع عليه الصرف بأن ادعى أحدهما أن الذي أخذه الآخر أكثر مما تعاقدا عليه وأنكر الآخر.

فأجاب أن المصطرفين إذا تخالفا وتفاسخا والله أعلم.[2]

وقد وردت مسألة أخرى عن السكة التي يدفع بها الدين في حال استبدال العملة، وجاء فيها:[بما تؤدى الديون عند استبدال العملة.]وسئل الشيخ أبو زيد (سيدي عبد الرحمن بن عمر)التنلاني عما أجاب.عنه بقوله: وبعد فلا يلزم المشتري إلا السكة التي كانت بين الناس يوم البيع، فإن عدمت، فعليه قيمتها ذهبا أو عروضا والله أعلم.[3]

ثالثا: حرفة الجزارة :

أ–الجزار لغة: الجُزارةُ: أطراف البعير: اليدان والرجلان، والرأس، سميت بذلك لأن الجزّار يأخذها، فهي جُزارته، كما يقال: أخذ العامل عُمالته و(أجْزرتَ)، من أجز البر، إذا حان له أن يُجز وجَزْرتُ الجُزورَ أجزُرُها بالضم واجتزرتُها إذا نحرتَها وجلدتَها. والمجَزِر بكسر الزاي: موضع جزرها.[4] وهي بمعنى النحر.

ب–الجزار إصطلاحا: يقال له اللَّحَام، والجِزارةُ: الصنعة والمجزرة موضع الجزر، أي الذبح والمسمى الآن بالمسلخ،[5]الشخص الذي ينحر البعير أو الجزور وحرفته الجِزارة، ويطلق عليه أيضا القصاب وهو الشخص الذي يقوم ببذبح الذبائح وكذلك بائع اللحم في الأسواق. وقد امتهنت بعض

---

[1] -G. Rohlfs, op,cit, p 89,92

[2]– ينظر محمد عبد العزيز (البلبالي)، غنية المقتصد، تح، فاطمة حموني، مرجع سابق، ص227

[3]– محمد عبد العزيز (البلبالي)، نفسه، ص214

[4] –نفسه، ص–ص112–113

[5] – محمد سعيد القاسمي، مرجع سابق، ص،ص80–400

العائلات هذه المهنة أبا عن جد. وكانت عند البعض تعتبر صنعة غير شريفة كالإسكاف والحجام. ومما ينسب للإمام الشافعي في بعض المجاميع قوله:[1]

تجنب عشرة الأنذال تنجو	لتصحبك السعادة في أولئك
فست ليس يصحبهم لبيت	فإن أعددتهم فهمو أولئك
جزار وبواب وعبد	وحجام وإسكاف وحائك

بينما فضل أبو الحسين الجزار الشاعر المشهور صنعة الجزارة على حرفة الشعر بقوله:

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت	حفاظا وأرفض الآدابـــــا
وبها كانت الكلاب ترجيني	وبالشعر صرت أرجو الكلابا

وجاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى:من باب ما قيل في اللحام والجزار بسنده عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال:جاء رجلٌ من الأنصار يُكْنَى أبا شعيب، فقال لغلام له قصاب: إجعل لي طعاما يكفي خمسة فإني أريد أن أدعوا النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمس، فإني قد عرفت في وجهه الجوع فدعاهم فجاء معهم رجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:« إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت أن يرجع رجع.» فقال: لا بل أذنت له.[2]

هي من الحرف التي وجدت في المجتمع التواتي كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية غير أنها تشترك في أن هذه البلدان تضعها أو تصنفها ضمن الحرف الوضيعة في المجتمع لذلك فإن الإقبال عليها قليلا. وقد أشار(ديبورتر) إلى ذلك حين قال: أن مهنة الجزار يمارسها الحراثين أو الزنوج المحررين أو العبيد. ويتميز أصحابها بأن لهم بنية قوية، ويتميزون بطباع حادة،[3]وعرفت هذه الحرفة في كل مناطق توات، ولكن قد لا تكون في كل القصور، ولهذا برزت بعض الأسر التي امتهنت هذه الحرفة دون غيرها، ونجد معظمهم يحملون ألقابا تشير إلى ذلك، منها مثلا عائلات تحمل لقب الجزار أو جزاري، أو ينعتون بأولاد الجزار، أو القصاب، عادة ما يتعاون أفراد هذه الأسرة من خلال توزيع المسؤوليات فيما بينهم، فالبعض يقوم بشراء الأغنام، وآخرين يقومون

---

[1] – محمد سعيد القاسمي، وآخرون، مرجع سابق، ص80

[2] –الخزاعي علي(ابن محمد)، مصدر سابق، ص742

[3] –محمد سعيد(القاسمي)،نفسه، ص80

بعملية الذبح والسلخ فيما يتولى آخرين عملية البيع في الدكاكين والأسواق، وقد يكون بعض الجزارين متنقلين، وليسوا أصحاب دكاكين وإنما يقومون بالذبح فقط.

تشير النازلة التالية من نوازل الغنية، إلى الخصومات التي تقع بين الجزارين والأشخاص، وبعض السلوكيات الخاصة بالجزارين، والدور الذي يقوم به الجزار داخل المجتمع.

موضوع المسألة حول القضاء في الجزارين، وتطرح فيها أسئلة عن ضمان الجزار، وكذلك هل يعتبر تاجرا، على أساس أنه يبيع ويشتري، وكذلك مسألة استئجاره، هل يذبح بأجرة أم لا؟ وجاء في نصها": ومما كاتب الشيخ به القاضي:[وبعد فالعجب منك في هذه النازلة سألتني عنها فأجبتك بما ظهر لي، وبعثت في الخصمين فكلفتهما بحجة، وأخبراكا بخلافها فأعلمتك بما قلت لهما وهذا نحو شهرين، وأنت لم تراجعني في ذلك ولم تنس أمرهما. وأعجب من ذلك أنك جعلت الجزار من الصناع الذين يضمنون لنصبهم أنفسهم لجميع الناس، مع أن الجزار إنما هو تاجر من التجار يشتري البهيمة ويذبحها ويبيع لحمها رجاء أن يفضل له شيء، ولا يذبح بأجرة إلا نادرا ومع ندوره، فقصد من يستأجره، إنما هو توكيله على البيع، وقبض لا على مجرد الذبح والسلخ والقطع التي هي صنعته فاين نصبه نفسه الصنعة التي يوجب ضمانه للمصلحة العامة ولو فرضنا أنه من الصناع. فانه لم يدع التلف و إنما اختلف (اختلف مع رب البقرتين في قدر ثمنهما. فيكون القول قوله لأنه ضامن كالصانع إذا اختلف مع رب المصنوع في قدره فإنه يكون القول قوله. لأنه مدعى عليه ثم جعلته ثانيا وكيلا.ثم ثالثا سمسارا وهذا تخبطا صدر من غير تأمل انتهى."][1]

خبر البقرتين نص ما كتب له القاضي في شأنهما: سيدي وشيخي الخ..."فقد كنت أتأمل في نازلة البقرتين اللتين حضر عندي المتخاصمان فيهما كيف يكون القول ؟ قول ذابحهما مع أنه أجير غير خاص، وقد نصب نفسه للعمل، ولم يكن رب البقرتين ملازماً له، ولا حاضراً معه بل غاب عنه وتركه، ولا كان في بيت صاحب تينك البقرتين المذكورتين. فإن ادعى الأجير الضياع وبحال ما وصف به، أو غير ذلك مما يكون فيه القول قول الأمناء. فلا يكون القول قوله لما ذكرناه وأيضا الذابح وكيل و الإنكار وقع في الموكل جوراً. وما كان كذلك ففيه قولان فإن حكم حاكم

[1] – محمد بن عبد الرحمن(البلبالي)، مخطوط الغنية، ورقة، 198

بأحدهم. فلا يحل نقضه إجماعا لما نقله البرزلي في ديوانه في حكم الحاكم إذا صادف قول قائل وأيضا الجزار فيما ذبح سمسار للحمه فيراعى فيه الشهرة بالخير وعدمها الخ..."[1]

كما وردت مسألة عن نشاط الجزار تتعلق بالبيع والشراء للشاة هي:[بيع رأس من الشاة حية بالطعام إلى أجل]وسألته عن من يريد بيع بهيمة بالطعام إلى أجل، فيقول له بعض من حضر: أنا اشتري منك الرأس وحده بالطعام إلى الأجل الذي تريده فتوقف فيه فذهبت إلى الشيخ العلامة السيد عبد الرحمن بن بعمر وسألته عن ذلك فقال: لي إذا كان الأمر على ما وصفت فلا بأس وقد نصوا على جواز اشتراء الرأس والبهية حية ولم يفرقوا في ذلك بين اشترائها بالدراهم أو بالطعام فيحمل ذلك على الإطلاق أيضا فإن الجبر على الذبح هنا منتف انتهى كلامه.] وهناك نازلة أخرى من نوازل الزجلاوي(ت1212هـ) [بيع اللحم وزنا من الشاة حية]للإطلاع أكثر ينظر نوازل الزجلوي.[2]

المبحث الرابع:الحرف والمهن المرافقة للقوافل التجارية

نظرا لأهمية القافلة التجارية والعدد الكبير من الأشخاص والجمال التي تسير فيها والمسالك الصعبة والخطيرة التي تم وصفها من قبل الرحالة الذين مروا بها خاصة في الفترة القرن 19م، ومنهم جيرارد رولف لما وصف الطريق الرابط بين واد الساورة بتوات وشخّص الصعوبات، بإشارته إلى خمس أشخاص ماتو بالعطش في هذا الطريق، وآخر في طريق برينكان واعتبر أن الماء ضروري في الرحلة ومعرفة أماكن الآبار شرطا مهما أيضا، كما يجب أن تكون المسافة قصيرة، وصعوبة الحصول على الجمال لأنها الأفضل في الرحلة، وأن أفضل وسيلة للسفر إلى عين صالح هي الإبل المأجورة، ومن الصعب العثور عليه وإن حصل عليه فلن يكون بأقل من 300 فرنك كما وصف العرب بالتعصب وكرههم للغرب،[3]وتعرضه للسرقة من طرف الشخص المرافق له.[4]

---

[1] – محمد بن عبد الرحمن(البلبالي) المرجع نفسه، ورقة 199

[2] –محمد(بن أحمد بن أبي بكر بن بلقاسم الزجلوي)، نوازل الزجلوي، مخطوط بخط يد، شاري الطيب، خزانة شاري، كوسام، ادرار، ورقة 53-57

[3] -G.Rohlfs: op,cit, p85

[4] -ibid, p 87

بالرغم من أن الرحالة الغربيين قد يبالغون في وصفهم للمجتمعات العربية والإسلامية لدوافع تهم أبحاثهم والمهمات التي أرسلوا من أجلها، إلا أن هذا لا يمنع من أنهم أعطو وصفا دقيقا للمسالك الصحراوية.

أولا–رئيس الركب(شيخ القافلة)

هو المسؤول عن تنظيم الرحلة ويناقش التكاليف وتقسيمها على أعضاء القافلة بنسبة وزن الأحمال التي يحملونها ويحدد مواقيت الذهاب والنزول ومحطات التوقف ومن شروط اختيار الرئيس أن تكون له القدرة التسيير وعلى إرضاء اطراف المساهمة في الرحلة وزعماء القبائل التي تختار القافلة أراضيهم من جهة أخرى.[1]

حسب ما ذكر الوزان من خلاله ذهابه مع القوافل التجارية أن من مهامه التفاوض وفي ذلك يقول:أن شيخ القافلة التي كان بها يفاوض مع الطوارق، ودفع لهم أتاوة لمرور كما أنه يأمن القافلة من التيهان وسلوك أيسر الطرق والمسالك. ويقول في ذلك العياشي:"كان رحلينا من من هذه البلاد "أوكروت"وأخدنا على طريق واد ايمكيدن ومعنا رجل من عرب الخنافسة اكتراه أمير الركب يدلهم على الطريق."[2]

ثانيا– الدليل

– **الدليل في اللغة:**ويسمى المخبر أو المرشد وهو ما به يرشد.[3] الدليل ما يستدل به والدليل:الدال وقد دله على الطريق يدله دلالة.[4]

– **الدليل في الاصطلاح**: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، وقد ذكره ابن خلدون والدليل له معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية ودراية بنجوم ومنازلها لا يهتدي فيها للسبل ولا يمر الوارد الا بالدليل الخريث الملثمين الظوعن في ذلك الفقر يستأجره التجار البذرقة.[5] كما أن علم الفلك كانت له أهمية معتبرة في المعارف التي يتزود بها التاجر أو الدليل أو رجل البادية كما كان

[1] – عفيفة(حوتية)،حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13هـ 19م، مذكرة ماجستير تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور إشراف، عبد الكريم (بوصفصاف)،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم العلوم الإنسانية 1435-1436هـ 2014-2015، ص82

[2]– العياشي، مصدر سابق، ص107

[3] – محمد(عميم الإحسان المجددي)، مرجع سابق، ص69

[4] – ابن منظور، لسان العرب، ص144

[5] –ابن خلدون، العبر، ج7، مصدر سابق، ص118

علم الفلك من أهم العلوم التي أعطت للوقت قيمته وأعطت للحياة نظامها كما أن مسؤولية الدليل كانت صعبة ومهمة في آن واحد أي أن ينجح في اختيار المسلك الصحيح، وفي اجتياز الصحراء دو تسجيل حوادث تعود بالخسارة على القافلة.[1] بمثابة بوصلة القافلة وبدونه تتيه قافلة في الصحاري.

ثالثا:المرافقين للقافلة

1-الكتاب: يقومون بتحرير عقود البيع والشراء خلال الرحلة.

2-صاحب التكشيف:كان يسبق القافلة لاكتراء البيوت والدور قبل أن تصل القافلة إلى المركز المقصود.[2]

3-الأئمة والفقهاء: إمامه الناس في الصلاة خلال الأوقات المفروضة، وإلقاء الخطب في صلاة الجمعة الدروس والمواعظ، وإصدار الفتوى الفصل في النزاعات بين التجار.[3]

4-الطليعة أو الحامية:عبارة عن مجموعة من المحاربين والعارفين للأحوال الطرق القافلة كانوا سيبقون قليلا أو كثيرا لتوفير الأمن والتعرف على أحوال المسالك والإتجاهات التي لم تصلها القافلة بعد ويتمركز بعضهم وراء القافلة على بعد مسافة معينة حتى يبقوا على الاطلاع لما يحدث تحت امرتهم عبيد مسلحون.[4]

5-الحراس: كان عددهم كثيرا وهو مسلحا بشكل جيد.

6-الوكلاء: تسيير كتب الرحالة والجغرافيين أن القافلة كان بها وكلاء أو دلالين وهم وكلاء للبائعين يتعهدون للسلع والبضائع من أصحابها لبيعها لهم في أسواق أخرى مقابل أجرة.[5]

[1] - جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري 9 هـ - 11م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير اشراف: إبراهيم فخار،كلية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص58

[2] - عفيفة حوتية، مرجع سابق، ص82

[3] - نفسه، ص 82.

[4] -عفيفة (حوتية)، نفسه، ص83

[5] - عبد الرحمان(بلاغ) الحرف والمهن المرافقة للمسالك القوافل في المغرب الاوسط مركز المسالك الصحراوية نموذجا : جامعة بشار مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية العدد الرابع، جوان 2013 ،ص512

7- العمال والمنجميون: ومهامهم تتمثل في تسوية الآبار التي تتعرض للردم بسبب الرياح والزوابع الرملية، وكذلك استخراج الملح حيث يشار إلى بعض العاملين في أماكن استخراج الملح مثل تغازا هم من خارج البلدة و كانوا يأتون مع القوافل كمنجمين.[1]

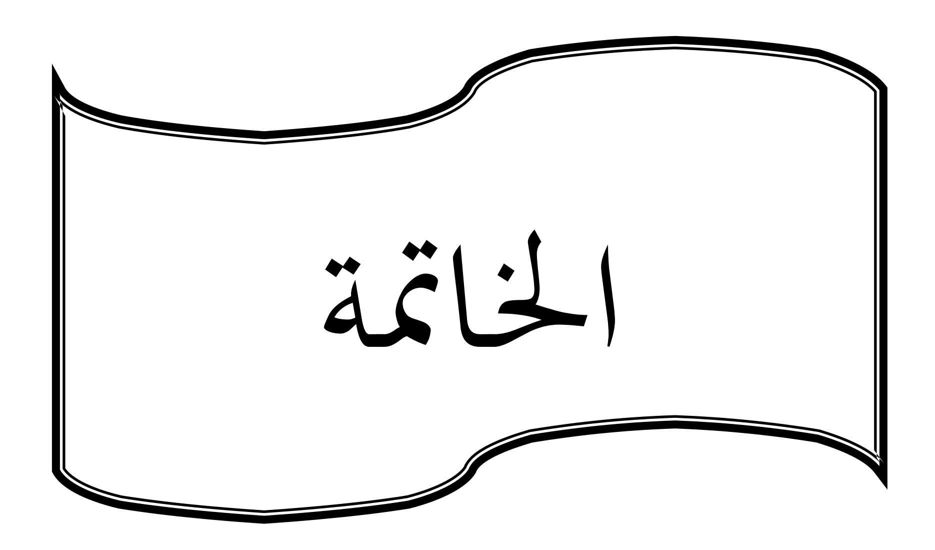
8-التراجمة والحمالون: خاصة أن هذا القوافل كانت تجوب الصحراء وتمر على قبائل وشعوب مختلفة، فكان لزاما عليها الاستعانة بالمترجمين خاصة بأرض السودان أوحتى مع قبائل البربر.[2]

[1] - عبد الرحمن بلاغ، المرجع نفسه، ص 513

[2] -نفسه، ص513

خلاصة الفصل:

ما يمكن استخلاصه من هذا الفصل أن النشاط التجاري وإن كان نَشِطا في النصف الأول من القرن التاسع عشر(13هـ/19م) إلا أن النصف الثاني منه، وبالخصوص السنوات العشر الأخيرة منه لم تكن كذلك، فالملاحظ هو التراجع الكبير للنشاط التجاري للقوافل التجارية ويعود سبب ذلك إلى الظروف الداخلية والخارجية لأقليم توات، وخاصة بعد وقوع مدن الشمال تحت الإحتلال الفرنسي، وبسبب سعي الفرنسيين للسيطرة على الصحراء الجزائرية، وعلى رأسها واحات توات، وإطلاقها لعدة رحلات استكشافية، واستطلاعية خلال النصف الثاني من القرن 19م، فقد انعكس ذلك على نشاط القوافل التجارية، كما تراجعت كذلك تجارة الرقيق التي كانت تعتبر العمود الفقري للتجارة مع دول غرب إفريقيا، بالإضافة إلى تحول النشاط التجاري إلى المحيط الأطلسي،كما لم يكن لإقليم توات بمختلف حواضره مواداً محلية كثيرة قابلة للتبادل التجاري، وإنما كانت هناك بعض المنتوجات القليلة التي كان عليها الطلب في الأسواق الخارجية وعلى رأسها التمور، والبتغ.ومعظم الفوافل كانت محملة بالسلع والبضائع الضرورية التي يحتاجها السكان من مواد غذائية، وملابس، وصوف، وغيرها...، إلا أن الموقع الجغرافي لحواضر توات جعل منها مراكز مهمة للتبادل التجاري وهمزة وصل بين مدن شمال إفريقيا، وغربها وجنوبها، وشرقها.كما عرف الإقليم عدداً معتبراً من العملات التي كان يتم التعامل بها.


الخاتمة

خاتمة

يضم إقليم توات مكونات بشرية وطبيعية، جعلته يزخرا بمعالم ثقافية وحضارية تستحق الإلتفات إليها، وإظهارها بل والحفاظ عليها، والسعي لتطويرها، إن الموروث الثقافي المادي والمعنوي الذي يحوزه الإقليم له دلالة واضحة على عراقته، وأصالته.كما أن هذه الدراسة قد مكنت من الوقوف على العديد من تلك المكونات، التي رغم بساطتها إلا أنها تعطي صورة عن مجتمع ظل متماسكا رغم الصعاب، والظروف، والصراعات، التي مر بها، وبقي مترابطاً في نسيجه العمراني، وبين أفراده رغم كل الفوارق، فإن الإسلام كان الرابط الأقوى والخيط المتين الذي لم يستطيع أحداً قطعه، فامتزجت المكونات البشرية، وشكلت مجتمعاً واحداً هيأ لنفسه ظروف البقاء في وسط صحراوي صعب. ومن خلال هذه الدراسات فقد توصلت إلى النتائج التالية:

-أن الظروف الطبيعية، والمناخ الصحراوي لإقليم توات، الذي فرضه الموقع الجغرافي، لم يكن أبداً حائلاً بينه، وبين نموه وبقائه شامخا، واستطاع مجابهة هذه الصعاب الطبيعية بأن أنتج له نمطاً معيشياً يتماشى مع بيئته فحفر الفقاقير، وجعل الماء الكامن في باطن الأرض يمشي على وجهها، من خلال السواقي، واستغله أحسن استغلال، بأن جعل له طرقاً للمحافظة عليه من الضياع، ومن تبخره، هذه الطرق التي تعجب لها كل من زار الإقليم. واستعمل في الوقت ذاته الحساب والدقة في ضبط نصيب المستفيدين من مياه الفقارة، بواسطة الحلافة، وخلق معها وظائف كثيرة فكانت الزراعة، والكيال، والخبير، والنقال، والحصاد، وغيرها،كما يجب الإشارة إلى السجل الذي لايغفل عن أي كبيرة أو صغيرة، إلا وسجلت فيه، وهو الزمام الذي يحفظ حقوق المستفيدين، وكانت الماجن حاضنة الماء، ومقياسه وأيضا الحبة، والقيراط.

وقد انعكس ذلك على حرفة الفلاحة، التي كانت لها أهمية كبيرة، وكانت الركيزة الأساسية للحياة في المجتمع التواتي، وأولاها السكان والأئمة إهتماما كبيراً في النوازل، بحيث كانت النشاط الأول، والمجال الأكثر استقطابا لليد العاملة حينها، وتمكن الفلاح من تسخير الموارد المحلية، والتقنيات السالفة الذكر، وتوظيفها في عمله، وبذلك استطاع زراعة أنواع مختلفة من الخضر والفواكه، والحبوب وزراعة النخيل، والحصول على أنواع كثيرة، ومتعددة من التمور، بجودة مختلفة، وذات استعمالات متنوعة. وبالتالي الحصول على ما تحتاجه الساكنة من متطلبات العيش. كما

يجب الإشارة إلى الإعتماد الكبير على نمطي الخماسة والخراصة في الفلاحة، أكثر من الإعتماد على المعاملات الشرعية: المغارسة والمساقة والمزارعة، وذلك بالنظر للعدد الكبير من النوازل والمسائل التي وردت فيها.

- لم تعرف حرفة الزراعة أي تطور في مجتمع توات خلال القرن التاسع عشر، وبقيت بدائية باستخدام وسائل بدائية، إذ لم نرى ذكر للمحراث الذي تجره الحيوانات مثلاً، رغم أنه هو الآخر قديم، كما كان الحال في مدن الشمال،كما لم يكن هناك أي اهتمام من طرف الفلاحين بتطوير بعض المحاصيل الزراعية التجارية التي عرفت بها صحراء توات مثل: القطن والحناء، والذرة، والتافسوت على الرغم من أنها كنت مطلوبة في إفريقيا جنوب الصحراء، وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم.

- عرفت التجارة عبر القوافل رواجاً كبيراً في الإقليم، بحواضره الثلاث توات تيديكلت، وقورارة باعتبارها مراكزا رئيسية طيلة القرن التاسع عشر، إلى غاية دخول الإستعمار الفرنسي أين بدأت تقل تدريجياً مع رواج السلع الفرنسية، كما نتج عن هذه التجارة العديد من الحرف، والمهن التي كانت ترافق القوافل التجارية من وسطاء، وأئمة، وفقهاء، وحراس، ودليل، وكتاب، وغيرهم.

-استعمال سكان توات لعملات مختلفة منها المعدنية مثل: العملات الجزائرية العثمانية، والإسبانية والإيطالية، والمغربية، والفرنسية، وكذلك استخدم الودع والملح في المبادلات التجارية.

-شكلت التجارة جسراً للمبادلات، وربط العلاقات التجارية، والثقافية مع البلدان المجاورة الأمر الذي أظفى تنوعاً، ومزيجاً وثراء في الطبوع الفنية، ناهيك عن الحركة العلمية، وتنقل العلماء من وإلى الإقليم من مختلف الجهات، وانتشار المخطوطات، والخزائن في الإقليم.

-على رغم من أن الإقليم كان بعيداً عن مراكز الصراعات، وانشغاله بصراعاته الداخلية إلا أنه استطاع أن ينشأ له إدارة محلية مبنية على العادات والتقاليد والعرف، فكان نظام "الجماعة" هو السائد والرابط الذي حافظ على تماسك المجتمع التواتي، واستمرار الحياة به فكان نظاًما قصوريا بامتياز، والقضاء القاعدة الرئيسية للهذه الإدارة التي كانت تسعى قدر المستطاع للحفاظ على حقوق الناس، وحل النزعات المختلفة بين الأشخاص، وفي الحقيقة لم ترق تلك الإدارة ليطلق عليها نظام حكم بالمعنى المتعارف عليه، طيلة القرون الماضية، نظاماً بمقدوره مسايرة جميع

جوانب الحياة اليومية للسكان، والعمل على تطوير المجتمع، أو على الأقل الإستفادة من الموقع الجغرافي، وتبادل الخبرات مع المجتمعات الأخرى المجاورة للإقليم في مختلف المجالات الإقتصادية عموما، والحرفية خصوصا.

-ما ميز المجتمع التواتي هو الإهتمام بالوظائف الإدارية والدينية، وإيجاد طرق مختلفة لدفع أجرة للعاملين بمختلف أنواعها سواءً المهن أو والظائف الإدارية، أوتلك المتعلقة بالنشاطات الدينية، والطب وغيرها، فقد اختلفت بحسب كل مهنة، فهناك من كان يتقاضى أجرته، من مداخيل الأحباس مثل: الأئمة ومدرسي القرءآن، ومنهم من كان يدفع له قدر معين من الحبوب، أو جزء من لحم الشاة المذبوحة، وفي حال وجود النقد يقدم له النقود.

-أن المجتمع كان منقسما سياسيا حسب الكتابات الفرنسية، إلى فئتين هما: يحمد وسفيان، والتي كانت تقع بينهما صراعات كثيرة كان آخرها حسب الرحالة جيرارد ولف سنة 1848م.

-أن التركيبة البشرية لإقليم توات، وحواضره كانت محل دراسات كثيرة نظراً للتنوع الموجود به ومن خلال الدراسة أن نرى مجتمع توات كان مجتمعا طبقيا، لكل طبقة منه أدوارها داخل المجتمع خلال الفترة المدروسة، وقد انعكس ذلك على الجانب الثقافي، والرقصات والأغاني، فقد تميزت طبقات معينة بأداء طبوع معينة مثلما أشرنا له، ورغم أن تجارة الرقيق قد بدأت بالإنحصار إلا أن المجتمع كان، ولا يزال حينها يعتمد على الطبقات الإجتماعية الهشة من الحراثين، والعبيد في جميع الأنشطة، هذه الفئات التي تمكن إقليم توات بواسطتها من الصمود في وجه هذه الظروف القاسية إذ اعتمد عليها في حفر الفقاقير وخدمتها، والزراعة، فيما اكتفت الطبقات الميسورة بممارسة النشاط التجاري، والإستفادة من الأراضي الزراعية التي كانوا يحوزونها، وامتلاكهم لمياه الفقارة، والإستفادة منها بطرق مختلفة كالخماسة، أوالخراصة.

- أن إقليم توات لم يستفيد لاسياسيا، ولا عمرانياً من محاولة سلاطين المغرب بسط سيطرتهم عليه، إذ لم تكن هناك أي مظاهر للعمارة التي عرفتها بعض المناطق التي خضعت لهم في غرب إفريقيا، فلم يعرف الإقليم أي تطورٍ في نمط البناء، لا في المنازل، ولا المساجد، ولا الطرق، وخاصة من ناحية المواد المستخدمة إذ لم تعرف مواد البناء خاصة الطوب أي تطور، إذ يستغرب المرء كيف تمكن السكان في دول غرب إفريقيا من استخدام الطوب المحروق، فيما لم يستخدم في

توات، ولم يسعى هؤلاء السلاطين للعمل على تهيئة الإقليم من النواحي العمرانية واكتفوا بفرض الضرائب، والغرامات على السكان وفرض الولاء.

-أن الحرف اليدوية، لم تعرف أي تطور، وبقيت بدائية إلى اليوم، وقد يتساءل المرء كثيراً لماذا لم تظهر بعض الأدوات البسيطة المستخدمة في الصناعات الحرفية، في توات كالعجلة الخاصة بصناعة الطين على سبيل المثال مع أنها قديمة، وكانت موجودة في مدن الشمال.

-صناعة الفخار لم تعرف أي تطور لا من حيث الوسائل، ولا من حيث المنتوج بالرغم من وجود الفخار الأسود ذو النوعية الجيدة، إلا أنه بقي حبيس تمنطيط والبيوت، ولم يعرف الحرفي التواتي أفرانا لحرق الفخار وظل الأمر مقتصراً على والحطب، واستخدام الحفر، ولعل هذا أحد الأسباب التي أدت إلى عدم تطورها، لقلة الإمكانيات والمواد الأولية، وصعوبة الحصول عليها، نظراً للمشقة التي يتلقاها الحرفي، والجهد البدني الكبير المبذول لأجل ذلك.كما لم تعرف الدباغة أي تطوراً، وظلت مقتصرة على بعض الصناعات الجلدية البسيطة،كصناعة النعال، والأحذية التي عرفت بها منطقة تديكلت، ورغم جودتها لم تجد الإهتمام اللازم.

– عرفت صناعة النسيج نوعا من التغيير توصل إليه الحرفيون بأنفسهم من خلال إدخالهم على بساط أو دوكالي فاتيس الرسم، والزخرفة من المحيط المعاش، وقد برعوا في ذلك وأظهروا إحترافيتهم، وأجبروا الفرنسيين على الإعتراف بجودتها و أصالتها بل، وفرضت نفسها على أسواق الشمال، كما كان لهذه الرموز دلالات خاصة بالمجتمع الصحراوي والفاتيسي على الخصوص. وتميزت بكونها تجمع بين خصائص الزريبة من حيث الأشكال والألوان والزخرفة، والبساط من حيث طرقي الصنع والشكل.

– حرفة الخياطة ظلت بدائية، وكانت تتم يدوياً، ولم تعرف تطوراً إلا خلال القرن العشرين، مع دخول الإستعمار الفرنسي للإقليم، حيث بدأت ياالإنتشار، وبروز بعض الخياطين، ودكاكين خاصة بهم، داخل المدن.

-أن هذه الحرف كانت بعيدة عن التنظيم الذي عرفته الحرف في مدن الشمال حيث كان هناك تنظيمات خاصة بكل حرفة، وأمناء، ويعود ذلك لنمط المجتمع وانعدام السلطة السياسية، والتنظيمية للإقليم، والموقع الجغرافي البعيد عن المناطق الحضارية.

توصيات:

يمكن صياغة بعض التوصيات علّها تساهم في الحفاظ على هذا الموروث الثقافي المتنوع وهي:

– ضرورة العمل على الحفاظ على الحرف اليدوية وتطويرها، وتشجيع الشباب على مزاولتها.

– دعم صناعة النسيج خاصة زربية الدوكالي لتنال مكانتها التي تستحقها.والنهوض بمنطقة قورارة

– دعم صناعة الفخار الأسود والإستفادة منها وجعل تمنطيط قلعة لهذه الصناعة.

– دعم صناعة الدباغة وجعل تيديكلت مركزا لهذه الصناعة لاشتهارها بصناعة الأحذية والنعال.

– مساعد الحرفيين للانفتاح على قطاع السياحة.

– ضرورة مساهمة جامعة أدرار في الدراسات الأثرية، والبحث في البقايا والأدوات الحجرية والمقتنيات الأثرية المتواجدة بالمتاحف، وتلك الموجودة لدى جمعية الأبحاث التاريخية لولاية ادرار، والتي قد تساهم في تحديد بعض الأدوات المنتجة محليا، وتلك التي كانت تقتنى من القوافل التجارية، لتحديد تاريخ صناعتها، مواصفات الصناعات المحلية بدقة والوقوف على جودتها، ونوعيتها ومصدر المواد المستعملة في صناعتها.وهذا ما يساعد الباحث التاريخي في كتابة تاريخ المنطقة.

–يجب الإهتمام بالمواقع الأثرية والرسومات، لما لها من أهمية إذ يستطيع الباحث من خلال الرسومات مثلا معرفة تاريخ إعمار المنطقة، والسكان الأوائل، أو تحديد تاريخ ظهور النشاط الزراعي مثلا، أو وجود الرعي من عدمه.

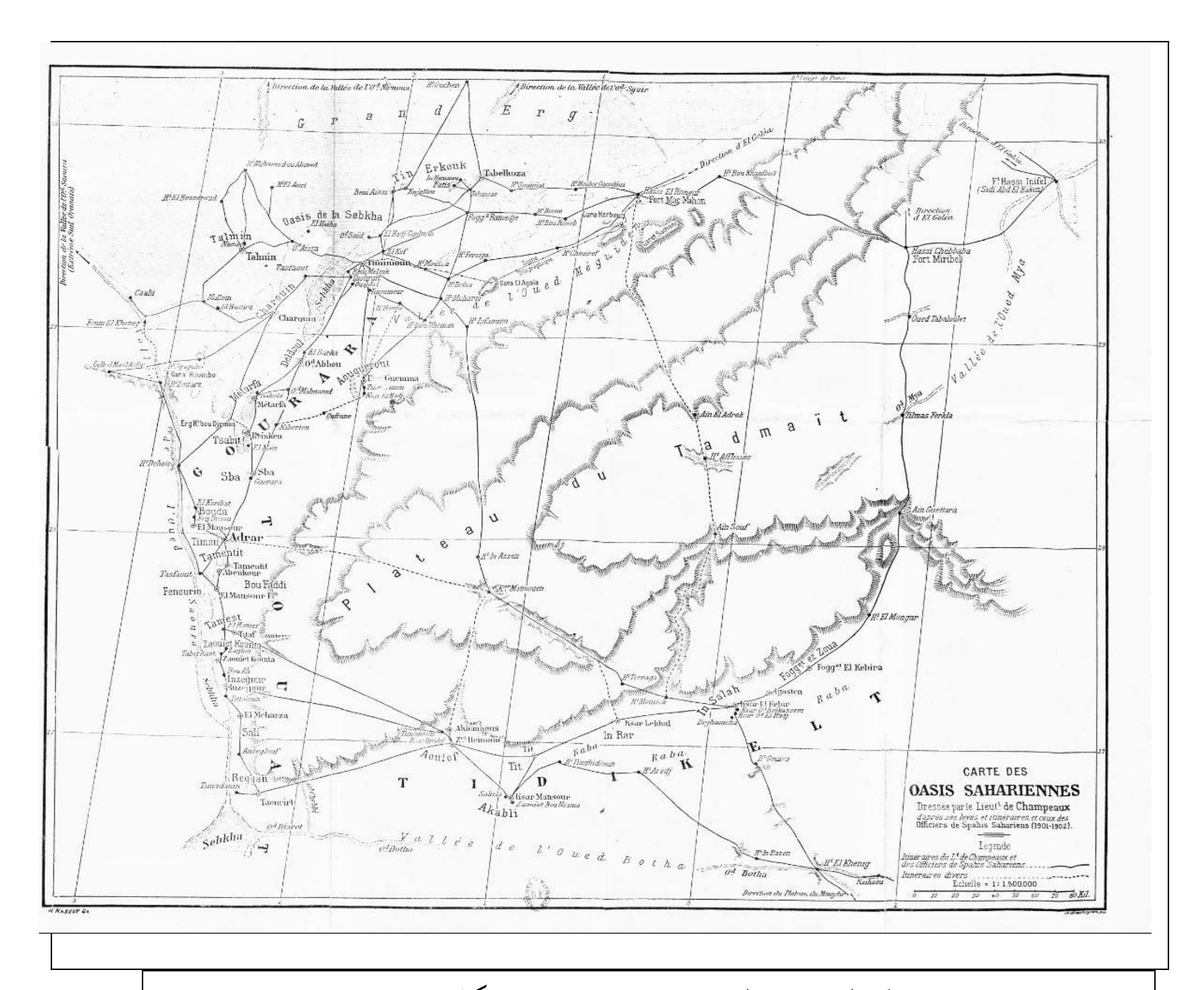
–ضرورة الحفاظ على نظام السقي عن طريق الفقارة، لما له من انعكاس إيجابي على البيئة الصحرواية وطابعها الواحاتي، والحفاظ على البساتين.

– ضرورة العمل على توجيه الباحثين إلى مواضيع متخصصة، مثل الزراعة التقليدية، أو السقي التقليدي، أو حرفة معينة لأن هذه المواضيع تستحق الدراسة خاصة في القرن العشرين لوجود المصادر، والتطور الحاصل فيها مثلا :الصناعات التقليدية والتغييرات التي جاءت خلال الفترة الإستعمارية، والبرامج التي وضعتها الدولة الجزائرية، أو النشاط الحرفي للمرأة خلال القرن العشرين فهذه مواضيع تستحق البحث والدراسة.

- على الجامعة أن تنخرط في ترجمة الكتب الأجنبية التي تتحدث عن إقليم توات والصحراء عموما فالكثير منها لم يعد صالحا للقراءة، ولتسهل على الباحث القيام بعمله، وتفاديا الترجمات العشوائية.

الملاحق

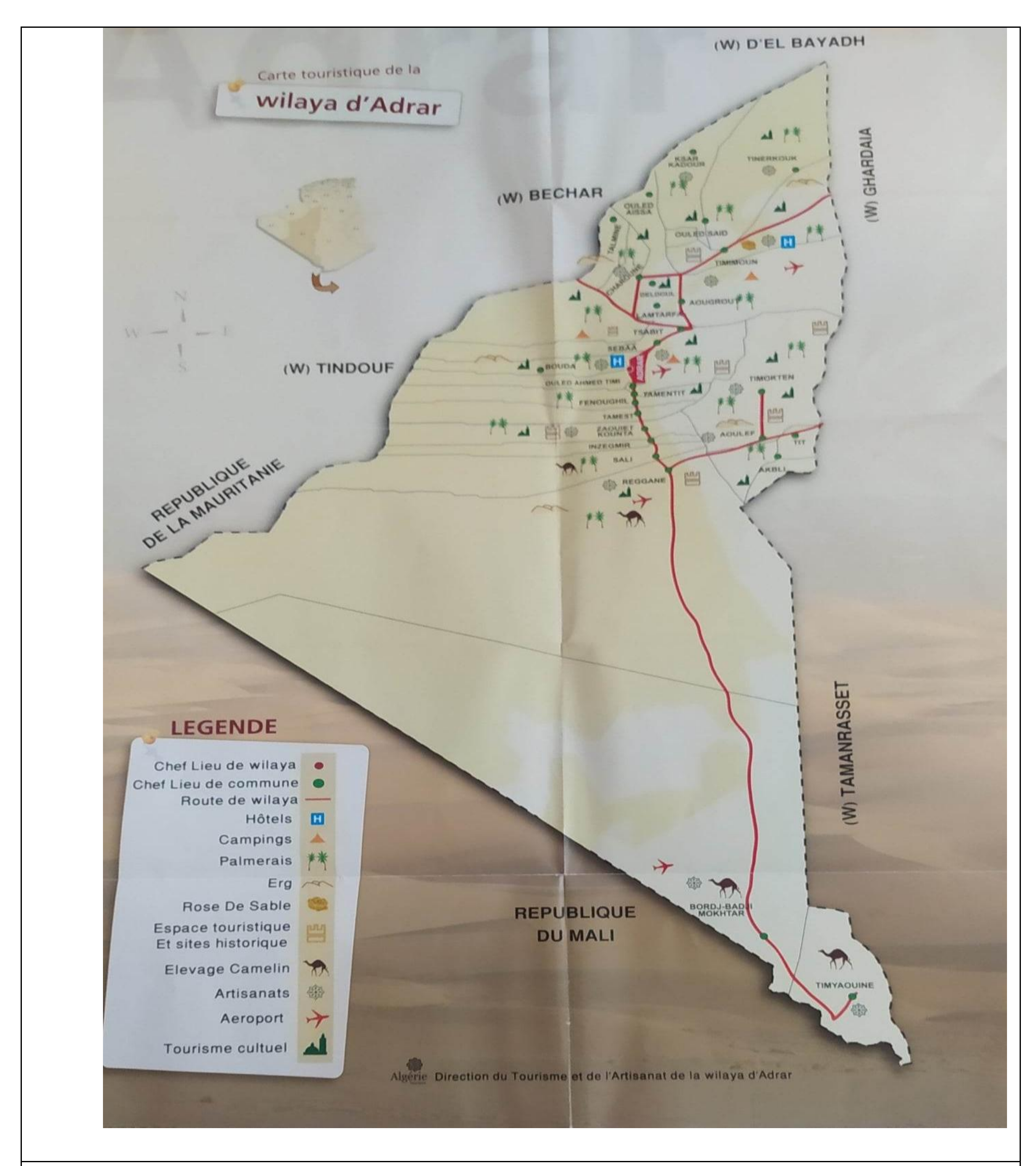
الملحق رقم : 01



خارطة الواحات الصحراوية(توات –تيديكلت – قورارة)

المصدر: Gouluim Champuo,Op,cit,p111

الملحق رقم: 02



خارطة ادرار سابقا

المصدر :مديرية السياحة لولاية ادرار

الملحق رقم:03



أدوات الكتابة(الدواية السداسية لوضع المداد)

المصدر:خزانة الطيب شاري كوسام، ادرار، الجزائر

الملحق رقم:04



قلم الكتابة، والصلصال لمحو لوح القرآن، والصمغ

المصدر: جمعية الأبحاث التاريخية لولاية ادرار

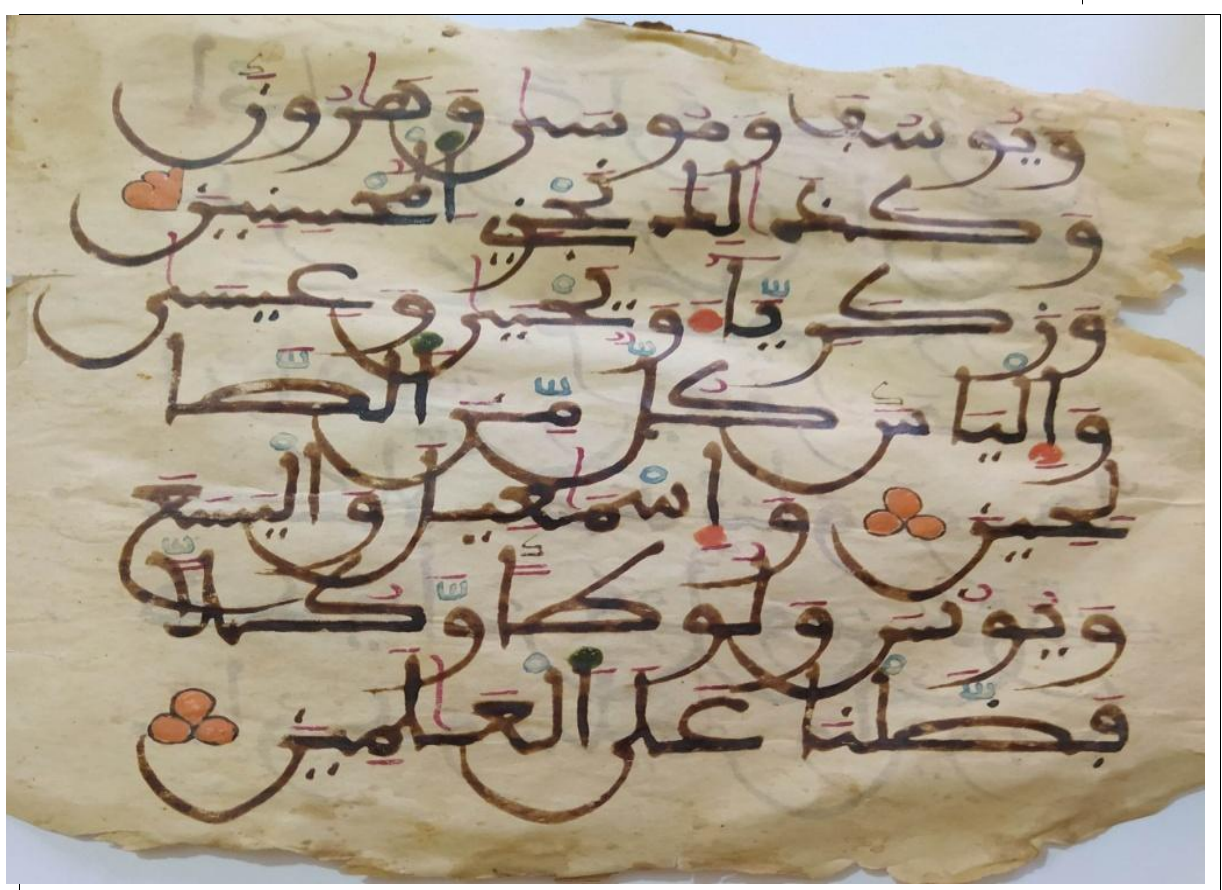
الملحق رقم:05



آلة لتغليف الكتب

المصدر: خزانة الطيب شاري، كوسام، ادرار، الجزائر

الملحق رقم:06


ويوسف وموسى وهرون
وكذلك نجزي المحسنين
وزكريا ويحيى وعيسى
والياس كل من الصا
لحين واسمعيل واليسع
ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العلمين

ورقة من مصحف كُتب على جلد الماعز

المصدر:خزانة محجوبي، تمنطيط، ادرار، الجزائر

الملحق رقم:07



صورة لمخطوط نيل المراد في كيفية عقد المداد

المصدر: سليماني علي، خزانة أدغاغ، ادرار، الجزائر.

الملحق رقم:08

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يقول العبد الفقير الحقير الذليل الفاني عبيد الله تعالى
يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني أسكنه الله دار النعيم
[illegible] المعاني

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد والصلاة والسلام على سيدنا محمد سر الوجود و
سيد الأحمر والأبيض والأسود صلاة ننجو بها يوم لا ينفع
والد ولا ولد وببركتها عن النبي أن نبعث ونحشر مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين في الجنة أبد الآبدين.

وبعد فإنه لما من الله تعالى علي بتعلم الخط وشغل
بالي به أردت أن أقيد لنفسي تقييدا لعقد بعض ألوان
المداد مما قيده لي بعض الطلبة ومما سمعته من بعضهم
الممارسين لذلك وسيأتي تعريف البعض منهم مسطرا
وتعريف البعض منهم مبتكرا وتعريف البعض منهم
موسطا ومنهم مؤخرا.

الموسط منهم ليس ممارسا له غير أنه رواه عن شيخ
ممارس له وهو السيد الطاهر كما سيأتي.

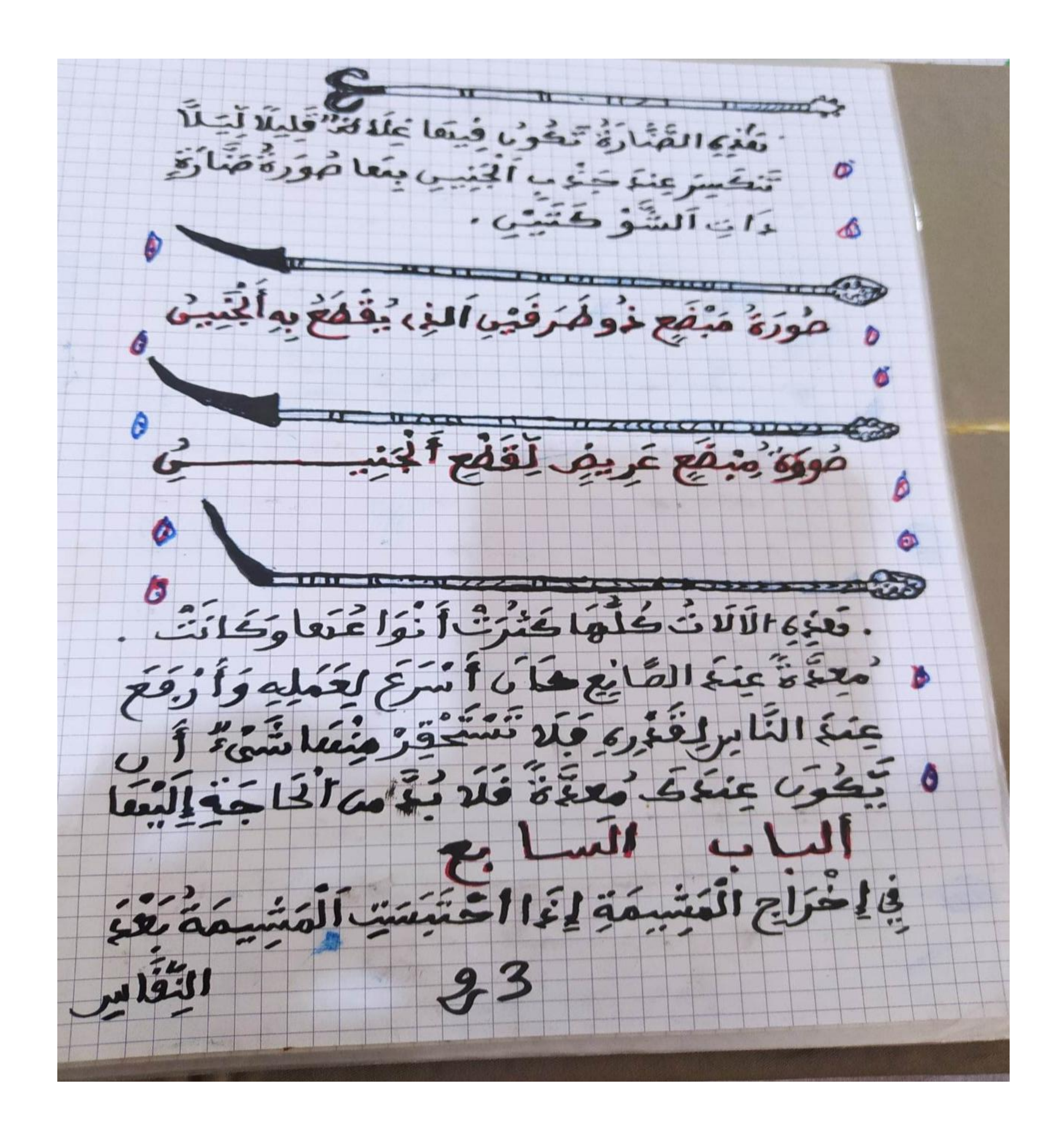
والله أسأل أن يكون من العمل المتقبل المرفوع
وأن ينفع به من قرأه أو نظر إليه بعين الرضى غير الممنوع
محتويا على تنبيهين وفذلكة وتتمة وكيفيات
كل كيفية في عقد لون من الألوان فقلت والله
سبحانه المستعان إنه الحنان المنان.

الكيفية الأولى: وهي كيفية عقد المداد الأسود
وقد جمع بعضهم أجزاء عقده في بيت فقال

ورقة من مخطوط التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع للشيخ يوسف بن عبد الحفيظ بخط شاري الطيب

المصدر: خزانة شاري الطيب كوسام، ادرار، الجزائر

الملحق رقم:09



نعني الصنارة تكون فيها علاقة قليلا قليلا
تنكسر عند جذب الجنين بها صورة صنارة
ذات الشوكتين.

صورة مبضع ذو طرفين الذي يقطع به الجنين

صورة مبضع عريض لقطع الجنين

نعني الآلات كلها كثرت أنواعها وكانت.
معدة عند الصانع كان أسرع لعمله وأرفع
عند الناس لقدره فلا تستحقر منها شيء أن
يكون عندك معدة فلا بد من الحاجة إليها

الباب السابع

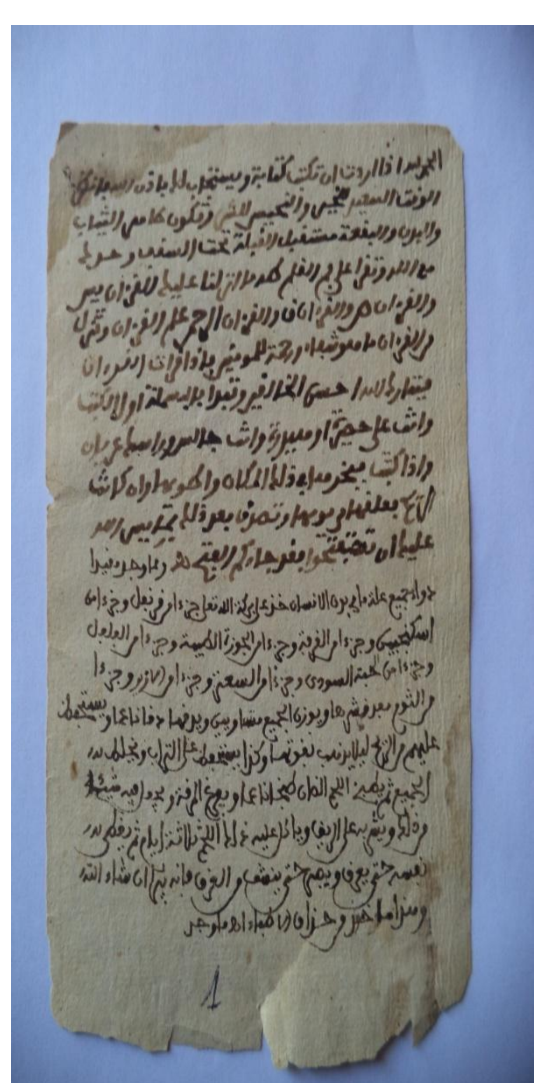
في إخراج المشيمة إذا احتبست المشيمة بعد
النفاس

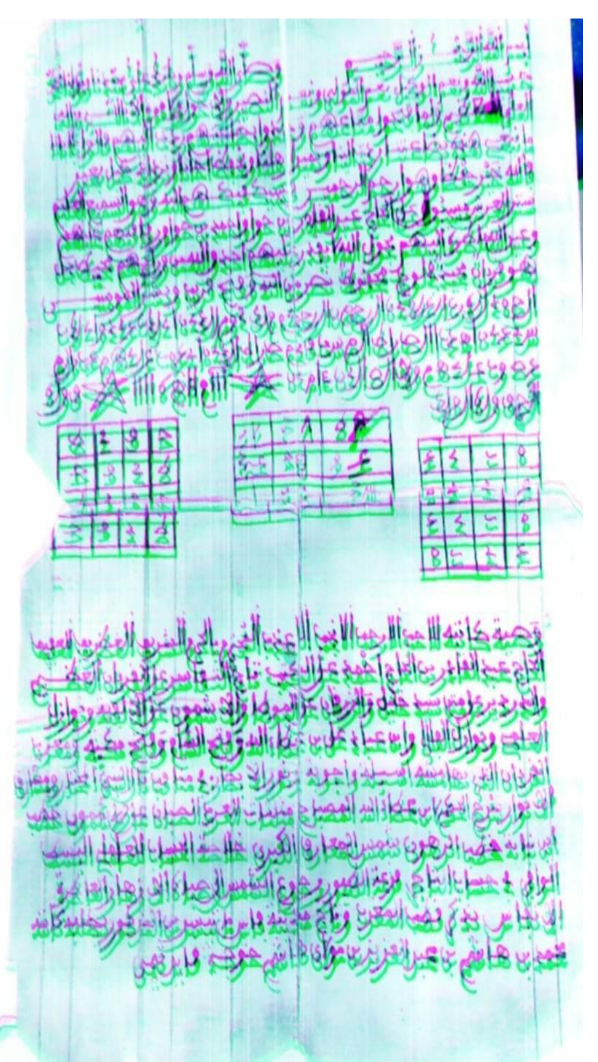
23

ورقة رقم 23 من نسخة لمخطوط في الطب والجراحة ينسب لجالينوس

المصدر: خزانة شاري الطيب،كوسام، ادرار، الجزائر.

الملحق رقم:10





تقاييد في العلاج

المصدر: خزانة علي سليماني بقصر أدغاغ، أدرار، الجزائر

ملحق رقم: 11

ورقة من مخطوط كشف الرموز

المصدر:خزانة علي سليماني، أدغاغ، ادرار، الجزائر

الملحق رقم: 12



مراحل صناعة الفخار الأسود

المصدر:موقع:

https://.fb.watch/kBWBpbQPE4/?mibextid=CDWPTG

الملحق رقم: 13



نماذج من نسيج دوكالي فاتيس

المصدر: تصوير الباحثة

الملحق رقم :14

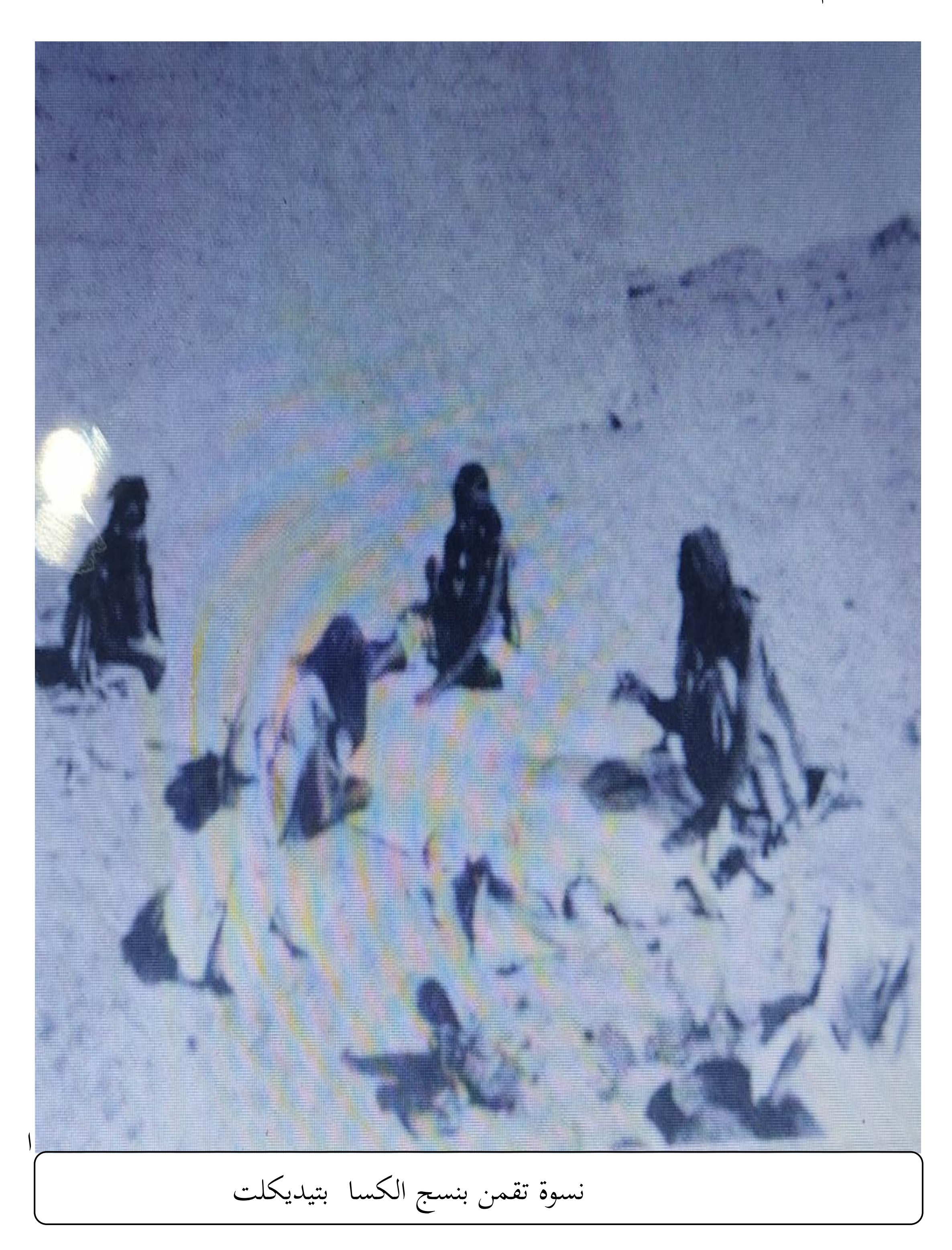


غزل الصوف بالمغزل اليدوي

المصدر: الموقع

https://.fb.watch/kBWBpbQPE4/?mibextid=CDWPTG

الملحق رقم:15



نسوة تقمن بنسج الكسا بتيديكلت

المصدر: L.Voinot,Op,cit,p169

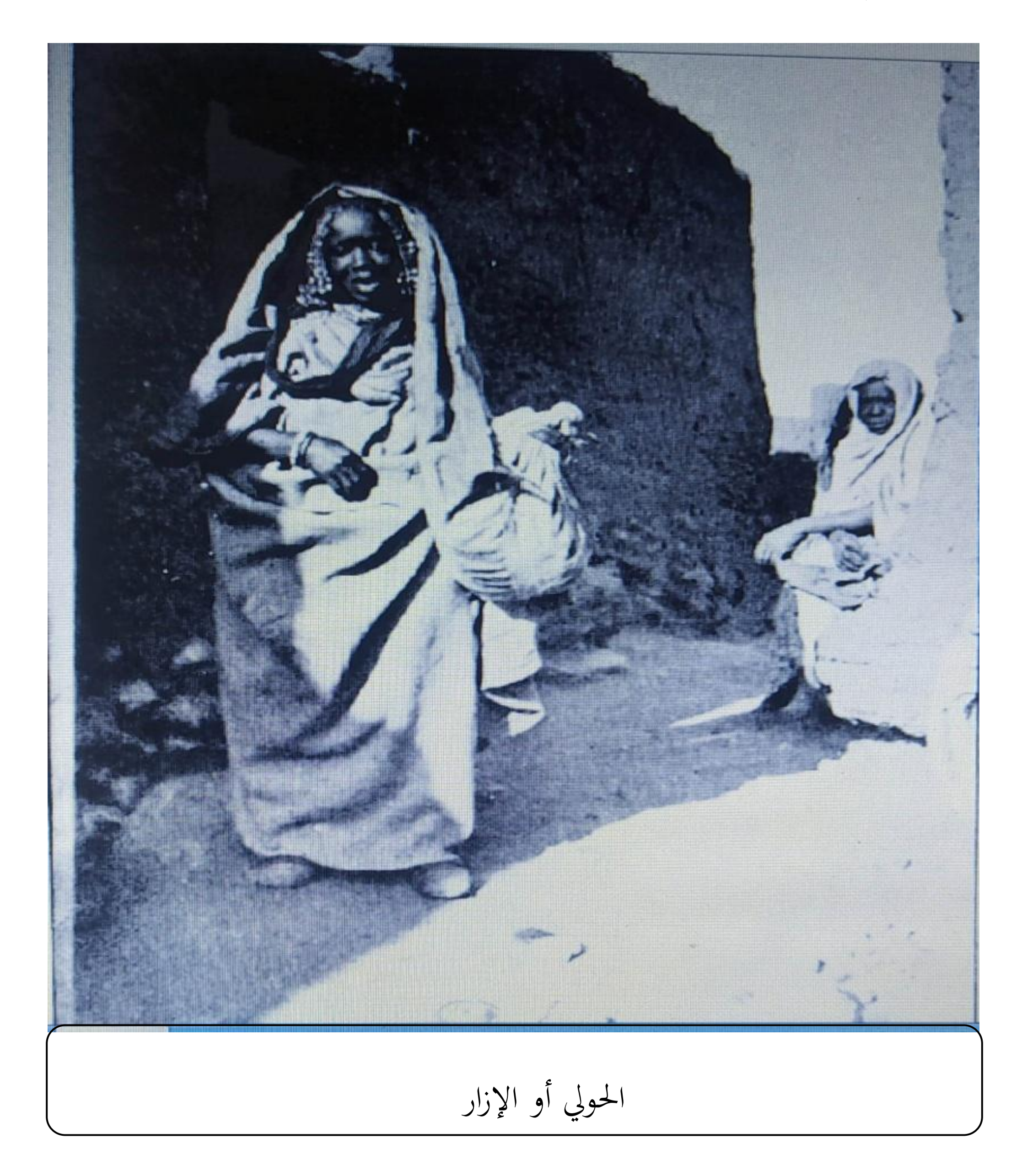
الملحق رقم:16



جلابة من وبر الجمل

المصدر: تصوير الباحثة

الملحق رقم: 17



الحولي أو الإزار

المصدر: L.Voinot,Op,cit,p168

الملحق رقم: 18



النساء في احتفالية عيد الفطر وهن ترتدين الحولي(الحايك)

المصدر: L.Voinot,Op,cit,p168

الملحق رقم:19





أحذاية جلدية

المصدر: مديرية السياحة لولاية ادرار

الملحق رقم: 20



منسوجات سعفية

المظل- الطبيقة – الطبق- الكساس

المصدر: تصوير الباحثة

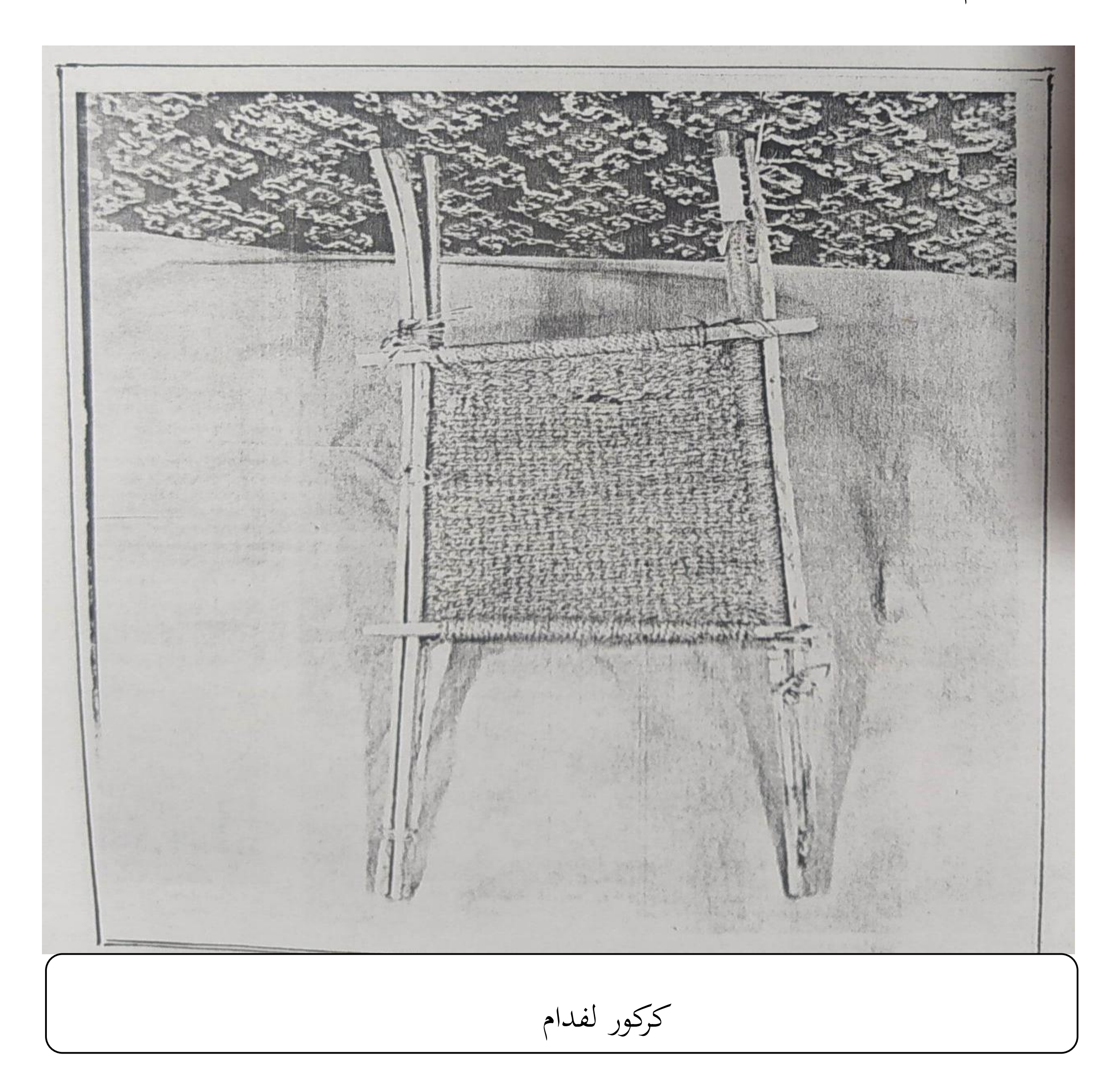
الملحق رقم: 21



الغرارة

المصدر:جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار

الملحق رقم: 22



كركور لفدام

المصدر: مكي قلوم، مرجع سابق

الملحق رقم: 23



وسادة من الفدام

المصدر: حضارة النخيل، مكي قلوم، مرجع سابق

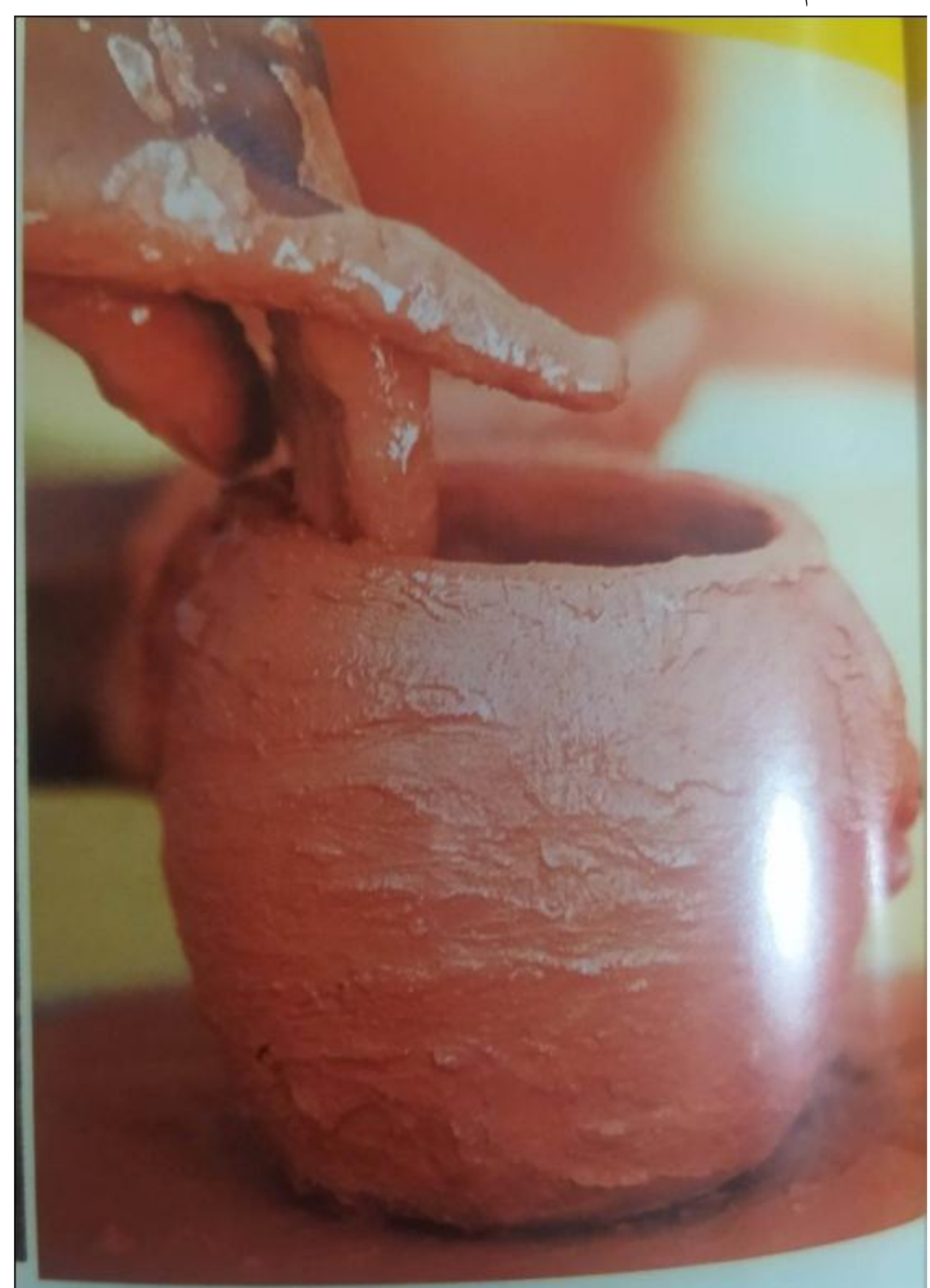
الملحق رقم:24



تاسوبلة إبرة خياطة السعف، والسعف

المصدر: تصوير الباحثة

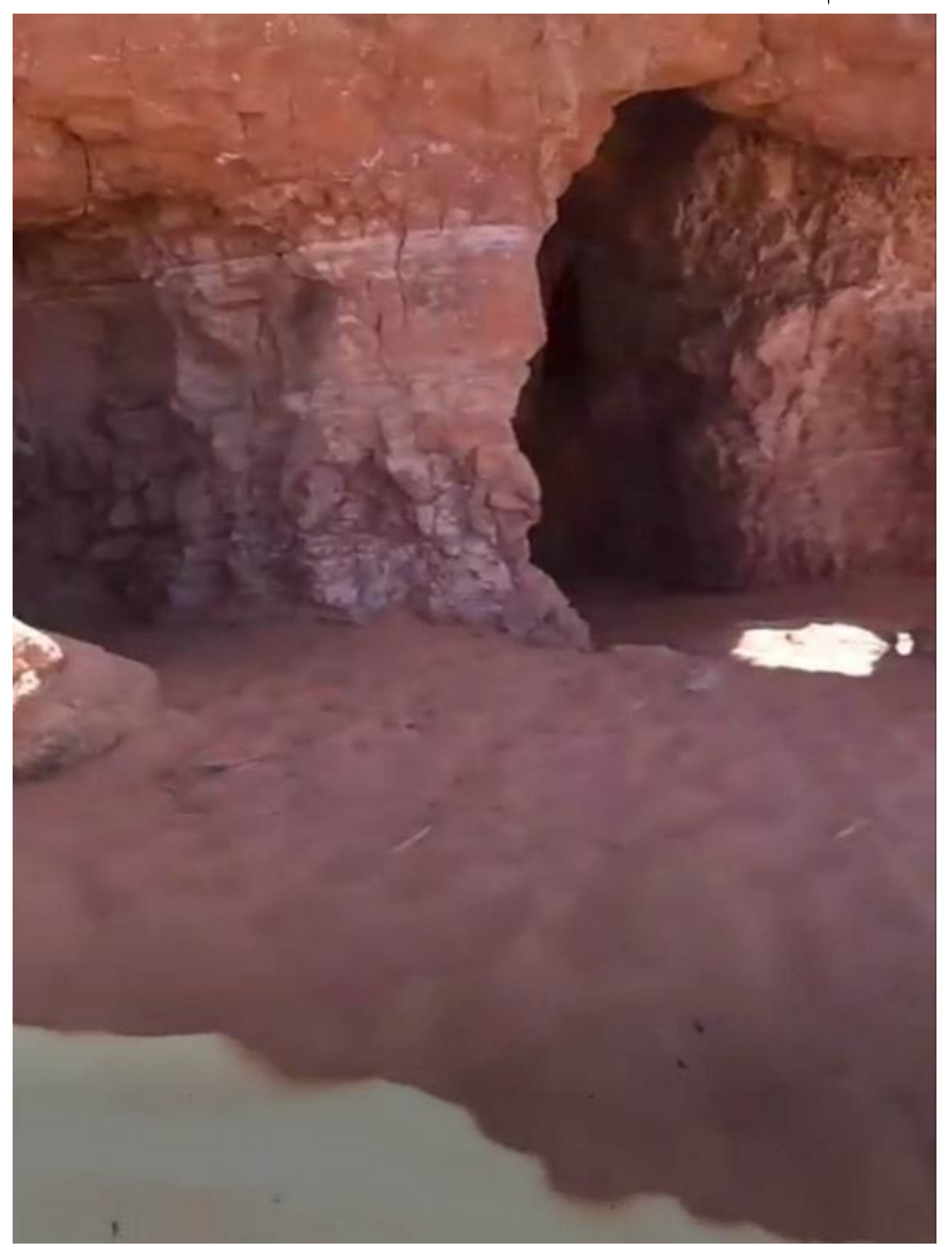
الملحق رقم:25



صناعة الطين الفخار

المصدر: مديرية السياحة لولاية ادرار

الملحق رقم: 26

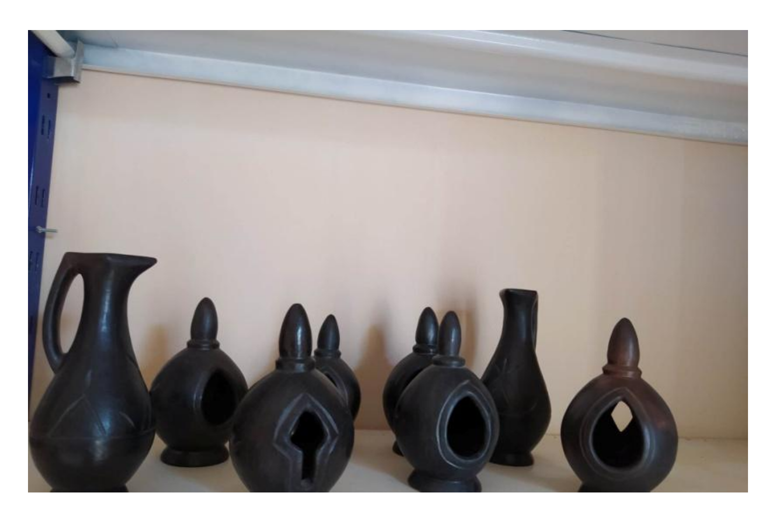


تكاز الطين بأنزجمير(مكان إخراج الطين)

المصدر: متاح على الأنترنيت.

الملحق رقم:27









الفخار بنوعيه الأحمر والأسود

المصدر: تصوير الطالبة

الملحق رقم:28





مصنوعات حجرية

المصدر: جمعية الأبحاث التاريخية لولاية ادرار

الملحق رقم:29



حلي وأدوات الزينة التقليدية:الخلالة، البياضة، البريم، لحدايد

المصدر:تصوير الباحثة

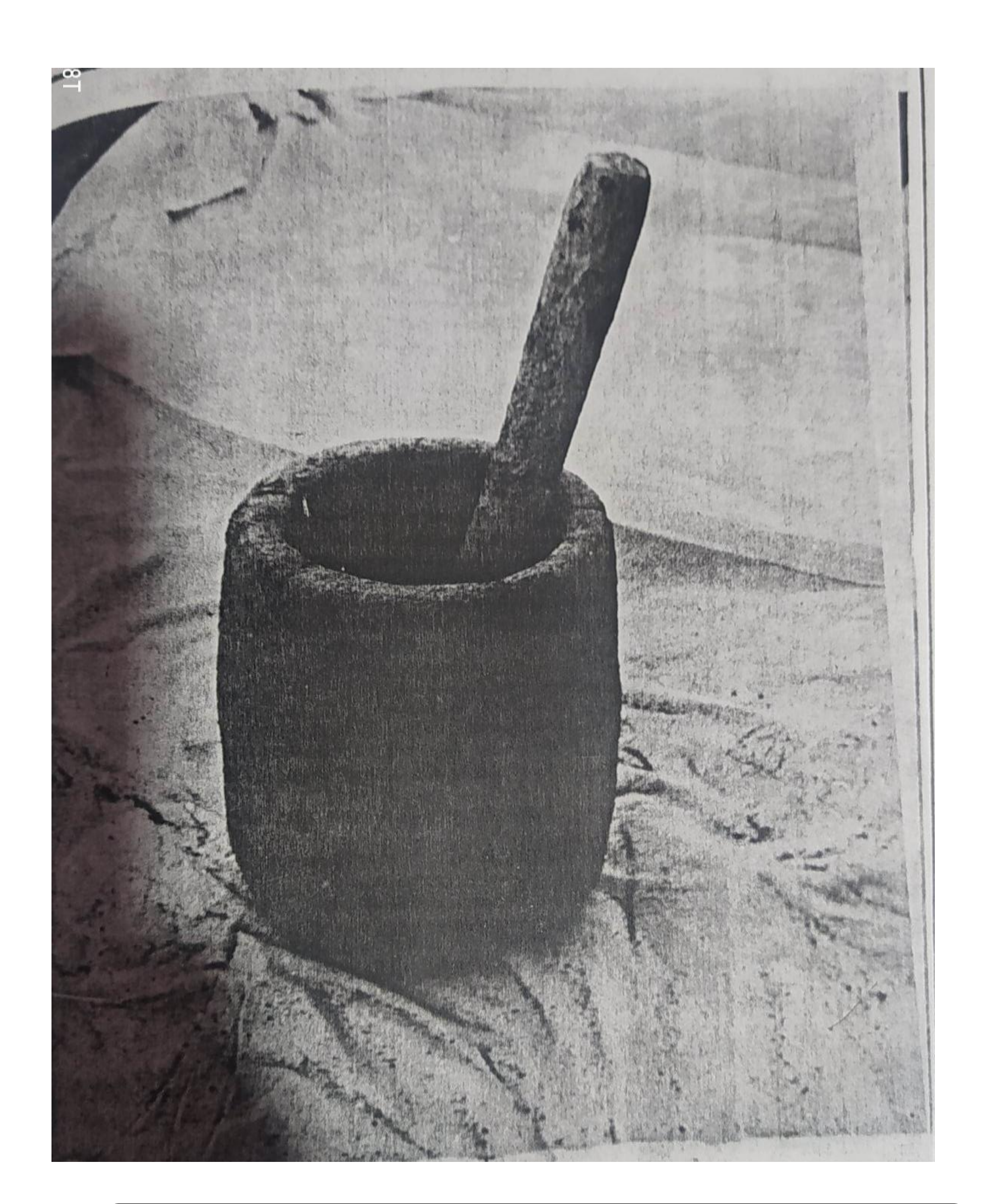
الملحق رقم: 30



مشربيات خشبية وقسري من الطين لفتل الكسكس

المصدر:تصوير الباحثة بقصر تمنطيط

الملحق رقم :31



مهراس

المصدر:مكي قلوم مرجع سابق

الملحق رقم: 32



حرفة المشاطة

المصدر: L.Voinot, Op, cit, p166

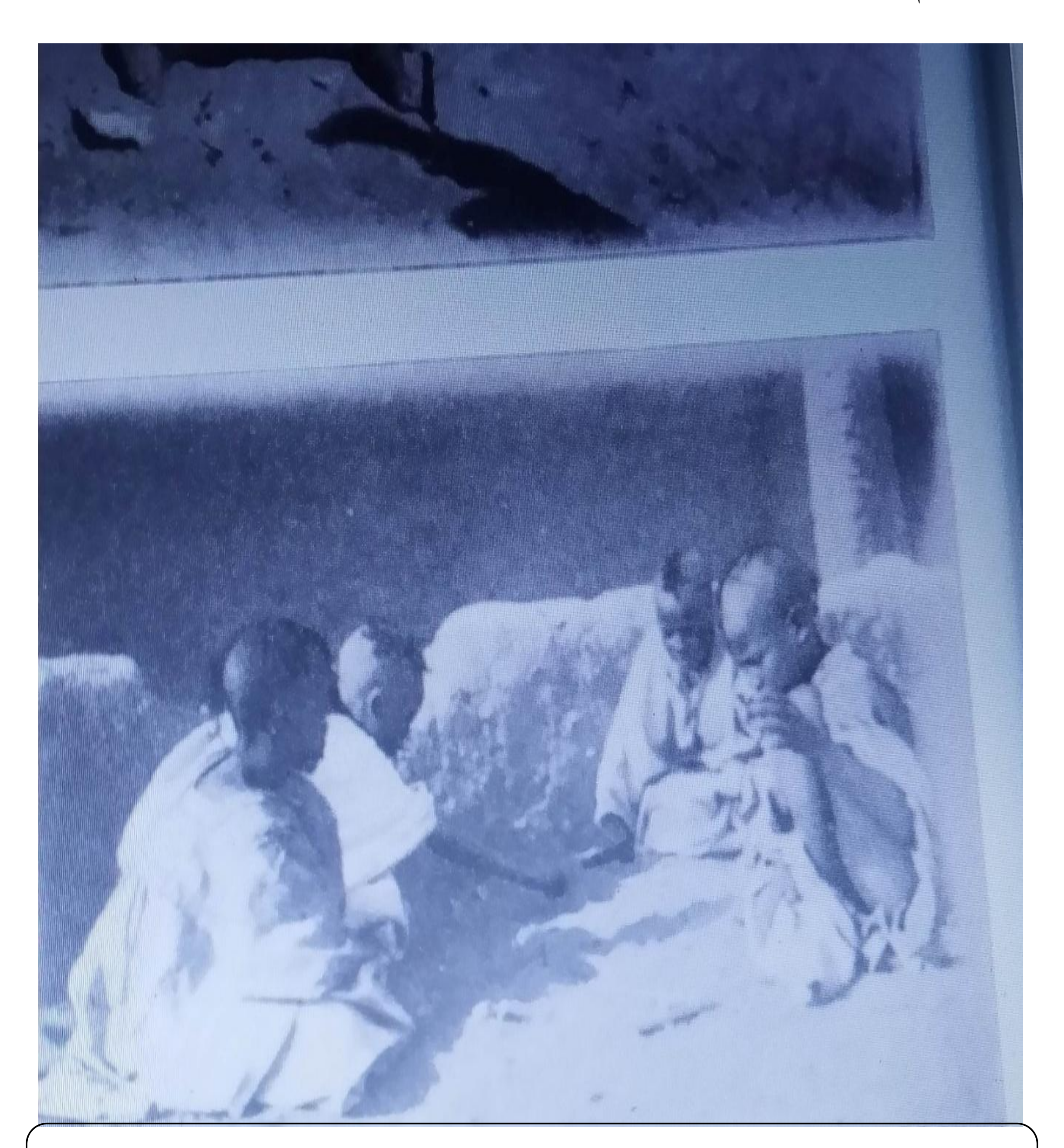
الملحق رقم: 33:



الخطارة المستعملة في السقي

المصدر: G. Champeaux, Op, cit, p 19

الملحق رقم: 34



نماذج من حلاقة الأطفال(التحسان)

المصدر: L.Voinot, Op, cit, p156

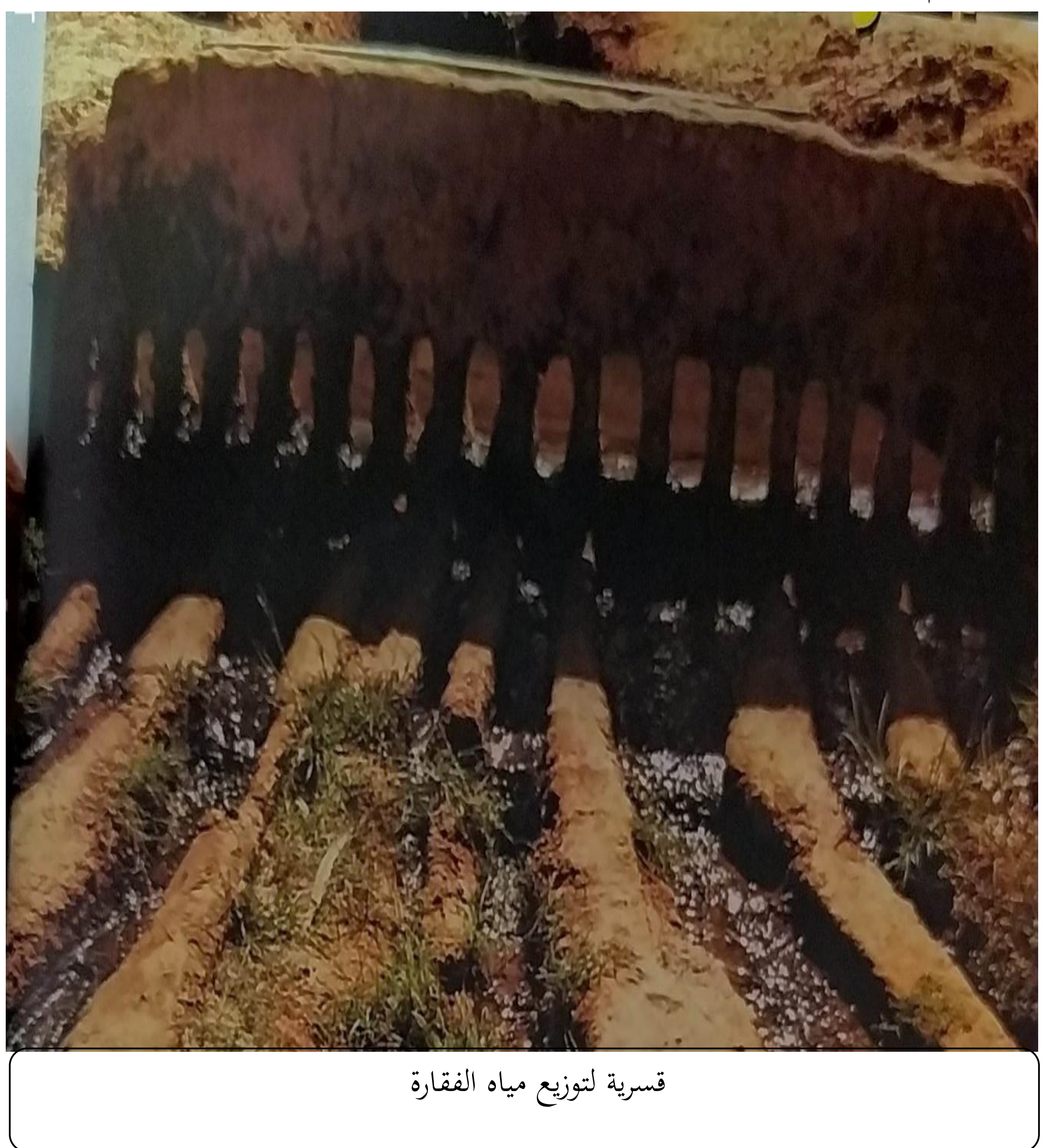
الملحق رقم :35



نوع الطوب المستعمل المستطيل والمثلث

المصدر: تصوير الباحثة

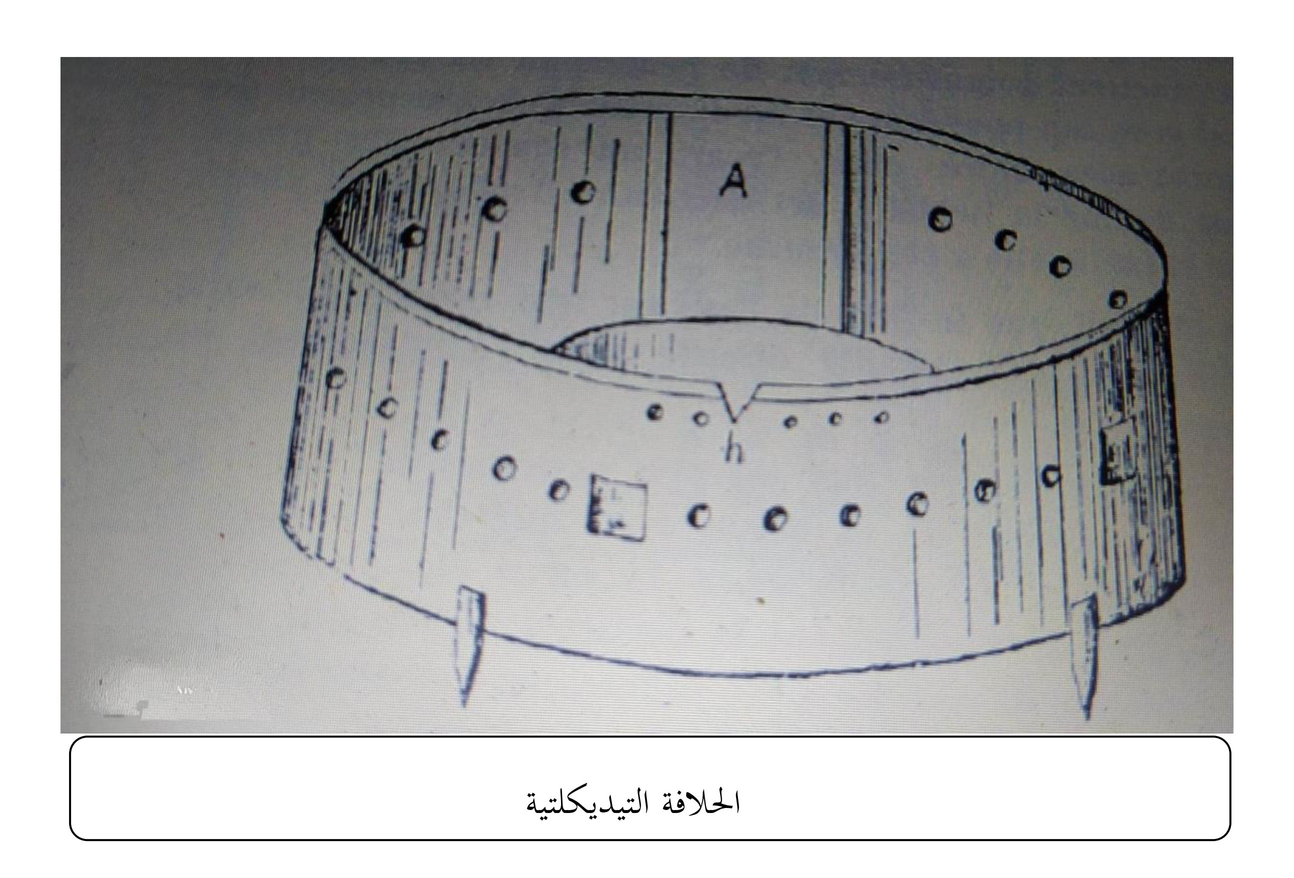
الملحق رقم:36



قسرية لتوزيع مياه الفقارة

المصدر: مديرية السياحة لولاية ادرار

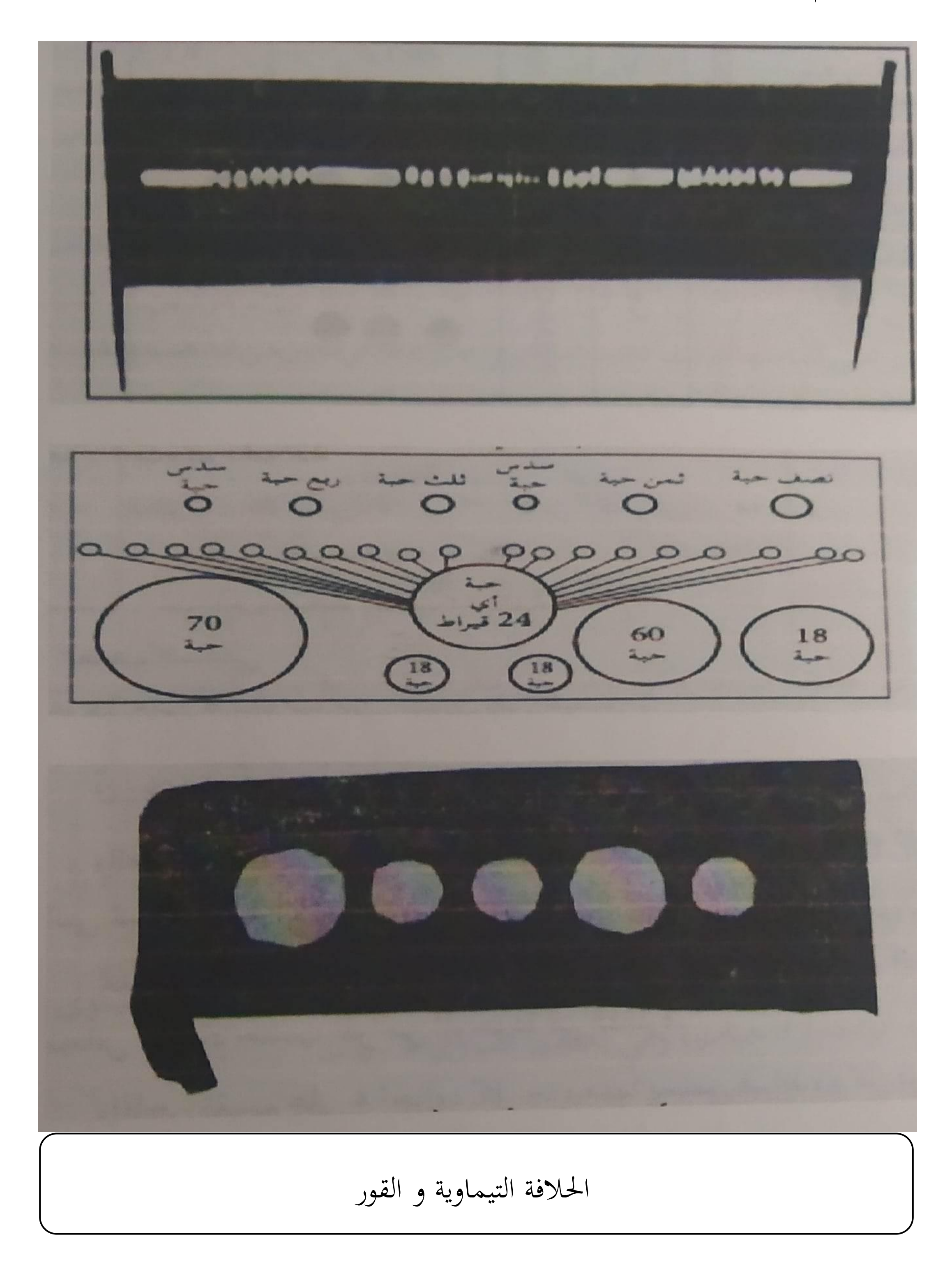
الملحق رقم:37



الحلافة التيديكلتية

المصدر: L.Voinot,Op,cit, p137

الملحق رقم:38

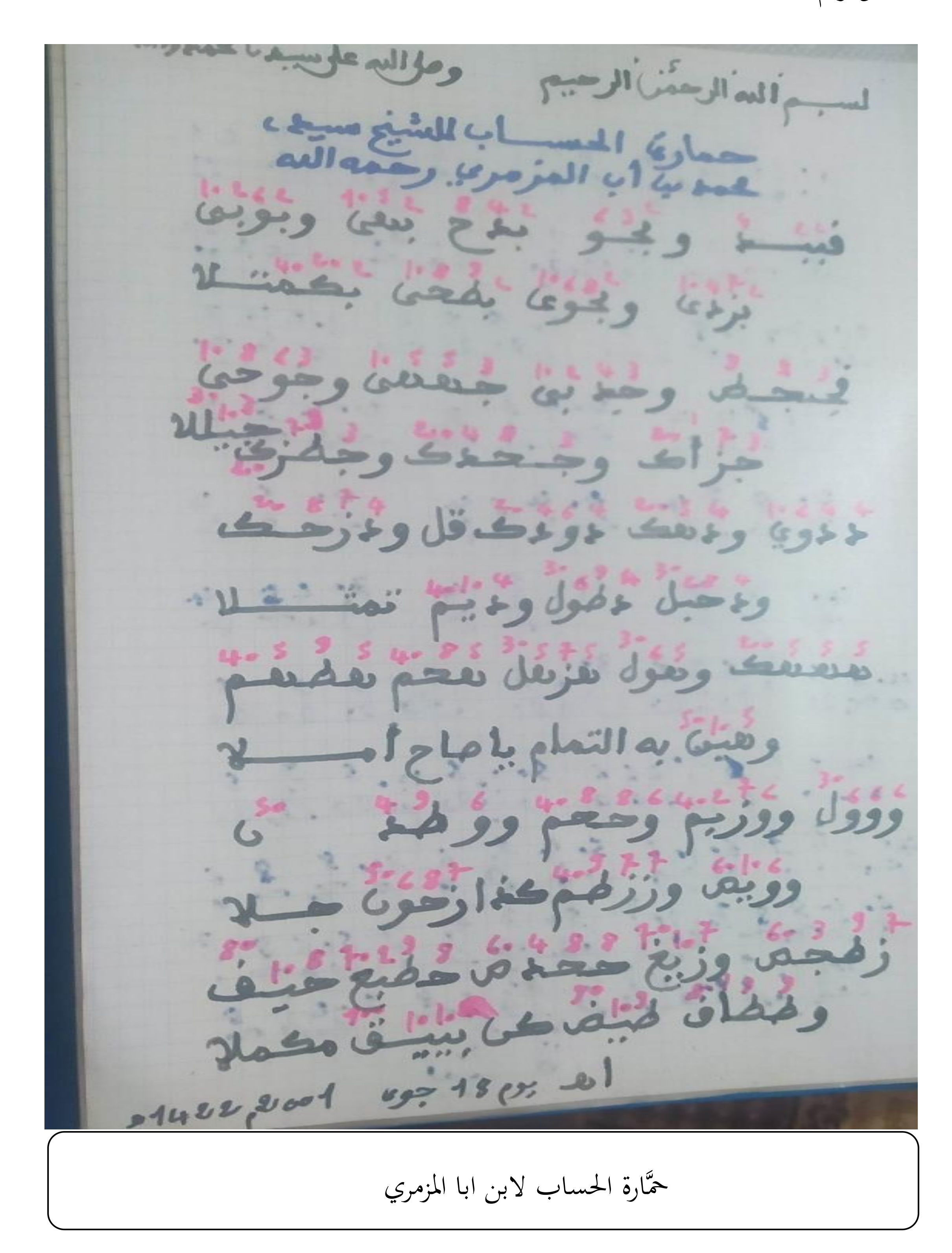


الحلافة التيماوية و القور

المصدر: مبروك مقدم، تغيير البنيات الزراعية في المجتمع

التواتي، مرجع سابق، ص68، 74، 75

الملحق رقم:39

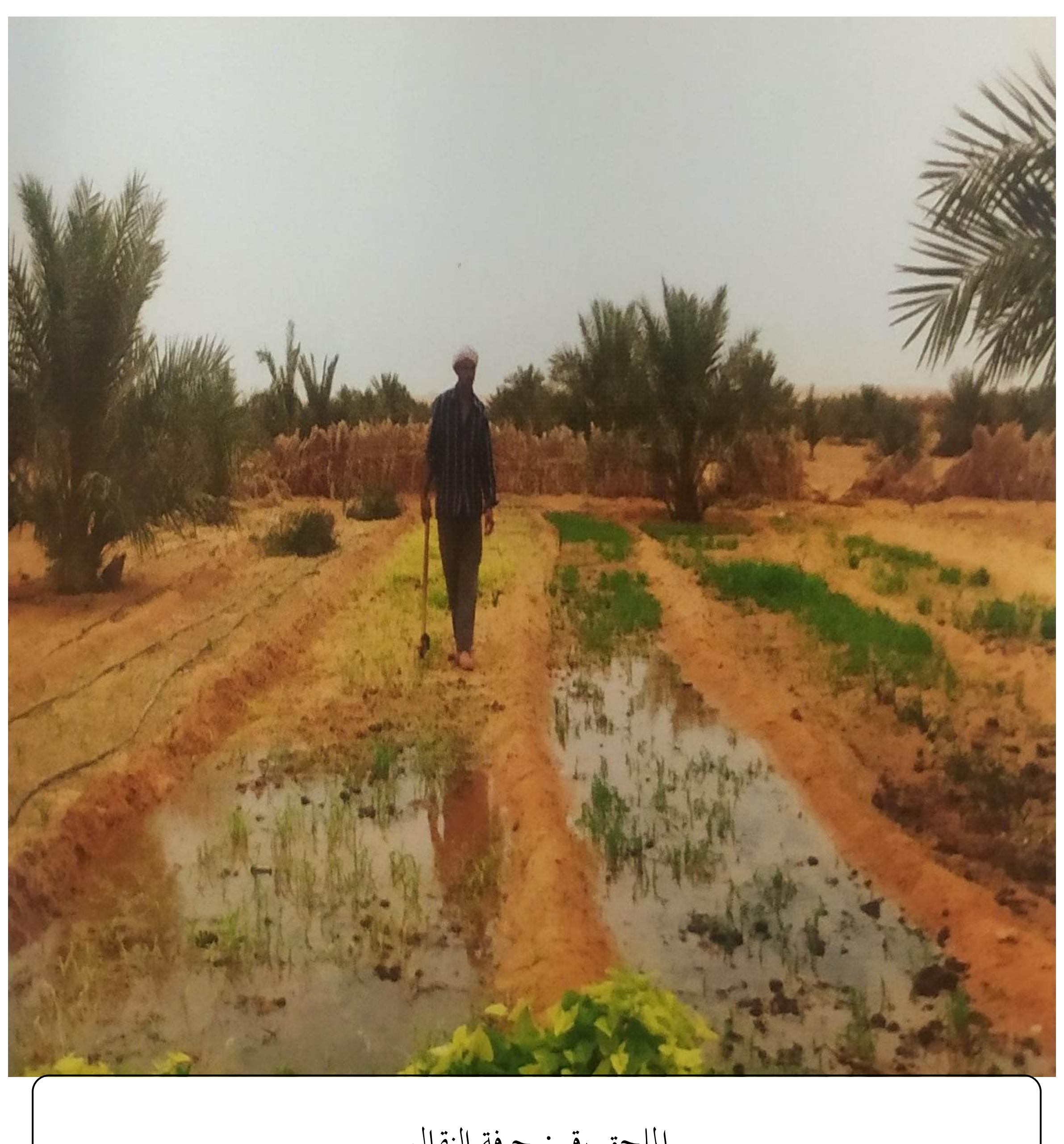

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

حمارة الحساب للشيخ سيدي محمد باي أب المزمري رحمه الله

حمّارة الحساب لابن ابا المزمري

المصدر:خزانة الطيب شاري، كوسام، ادرار، الجزائر.

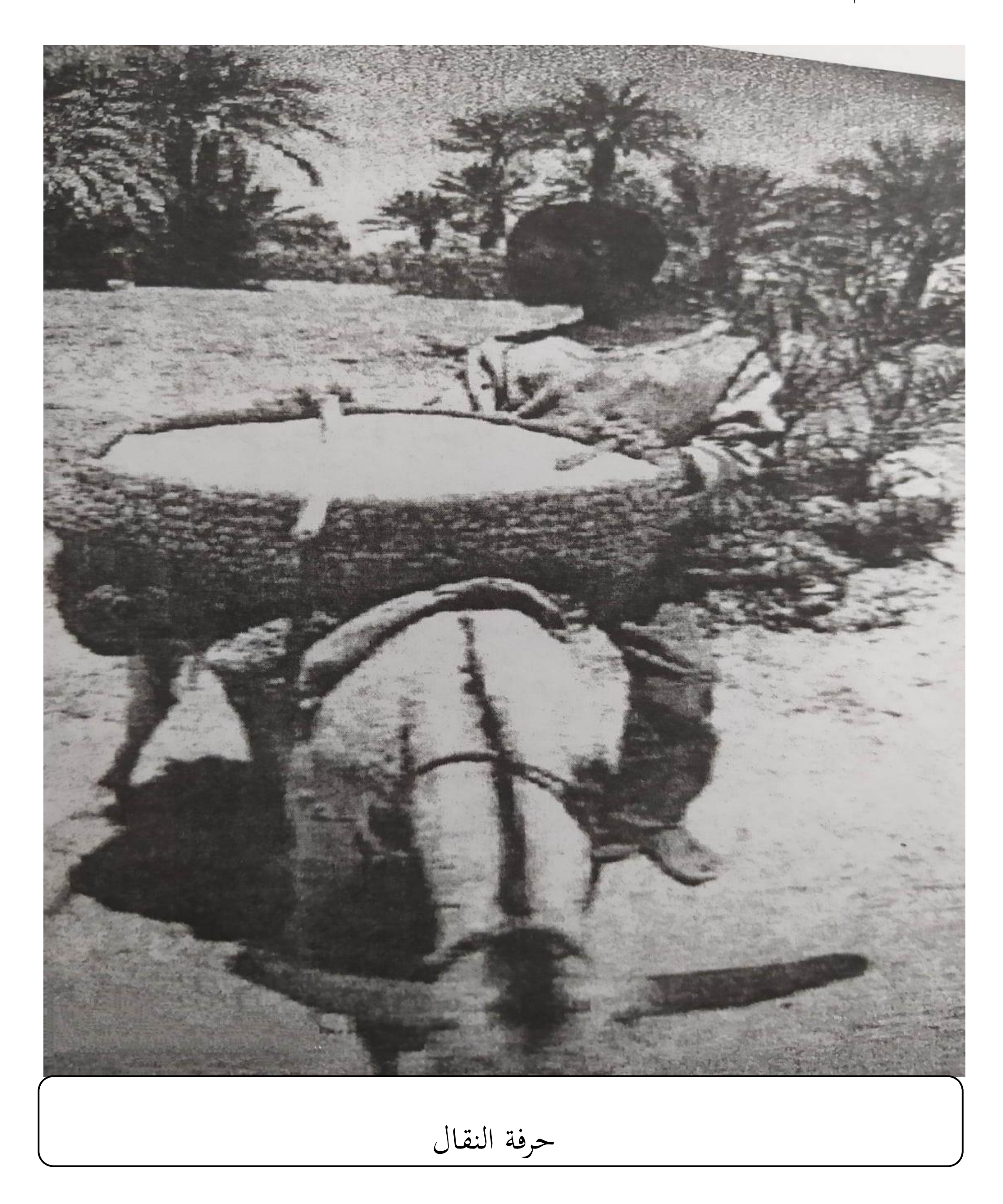
الملحق رقم :40



الملحق رقم: حرفة النقال

المصدر: مديرية السياحة لولاية ادرار

الملحق رقم: 41

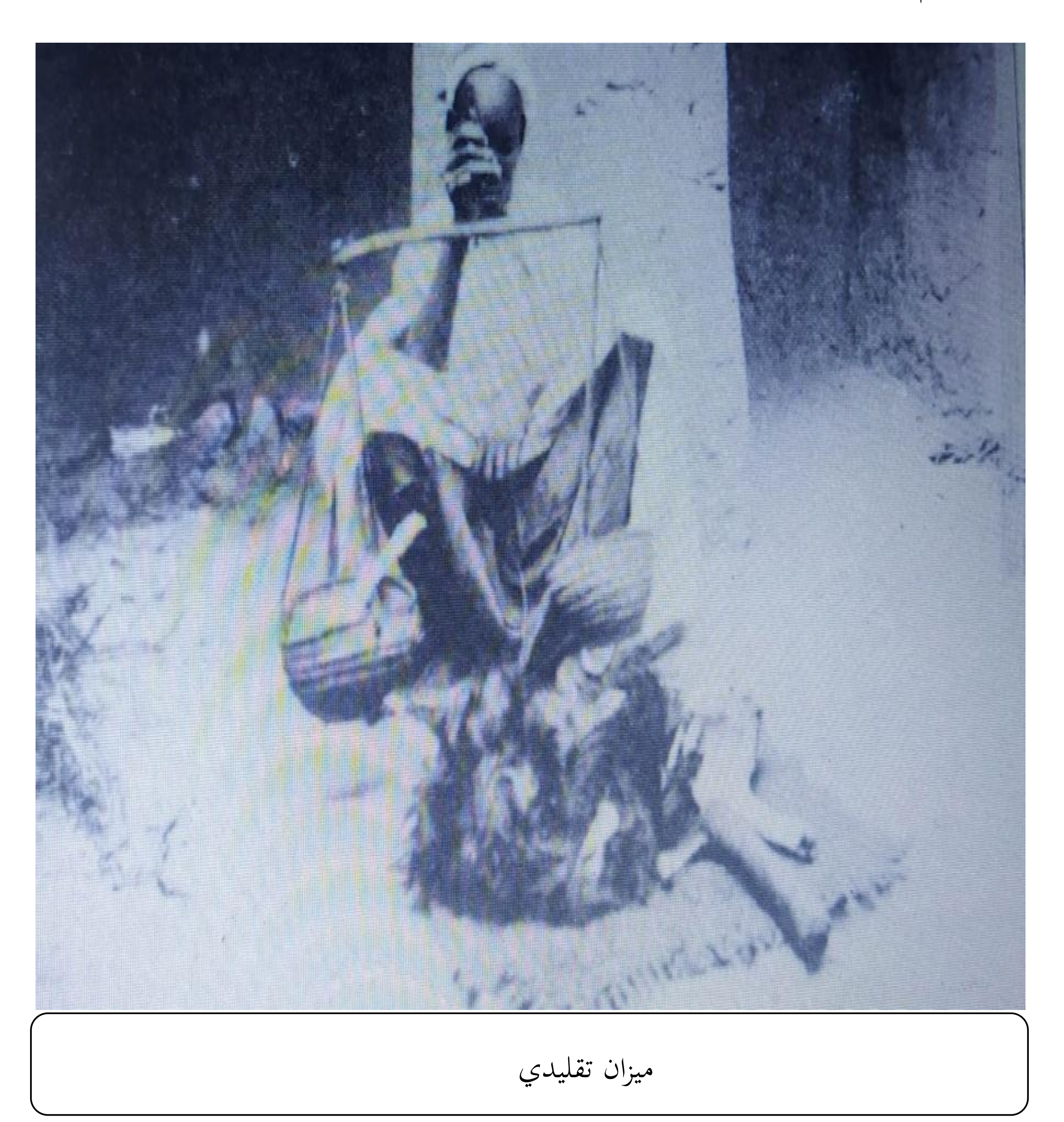


حرفة النقال

المصدر:مبروك مقدم، الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية

مرجع سابق، ص44

الملحق رقم: 42



ميزان تقليدي

المصدر: L.Voinot, Op, cit, p 170

الملحق: رقم (43)

الرقم	أنواع اقمح المحلي	أنواع الشعير المحلي	أنواع الحبوب الجافة	أنواع التوابل المزروعة	أنواع علف الحيوان
01	بلمبروك	الصفراء	الفول المحلي	الحلبة	الكبال
02	أم ركبة	بوربعة	العدس المحلي	السنوج	البشنا
03	بحموا	راس القط	التدلا غ	الكمون	التفسوت
04	الحمراء		الدمشي	البسباس	الحرة
05	بلبالي		الكاكاو منتقى	حب الرشاد	التين
06	شاطر			الكسبر	الفصة
07	بنت مبارك			الحلبة	البرومي
08	منتقا				الحشف
09	مومنا				الخزو
10	سبقا				الزودعا
11	سكندرية				التاقة
12	تواتي				العلف
13	علي بمخلوف				
14	الفرح				
15	مصرف				
16	حيحة				

جدول يبين أنواع الحبوب والتوابل المحلية

المصدر:مبروك مقدم، نشأة القصور، مرجع سابق، ص49

الملحق رقم44:

الوحدات	الرقم	الوحدة	محتواها	كمية وزنها بالكلغ تقريبا	ملاحظة
أولا	01	الهبطة	ضمة اليد	50 غ	تختلف هذه الكمية من منطقة إلى أخرى
	02	الكمشة	محتوى اليد	55 غ	
	03	اليد	ملء راحة اليد	110 غ	
	04	ربع ثمن	يساوي 3كمشات	165 غ	
	05	ثلث ثمن	يساوي 4كمشات	220 غ	
	06	لمسطمن	أو يساوي 6كمشات	330 غ	
ثانيا	01	01 الثمن	2مسطومنة	660 غ	تختلف الكمية بحسب منسوب الفقارة
	02	02 الربع	4مسطومنة	320 غ	
	03	03 أوزلوف	3مسطومنة 4 ثمونة أو 8مسطومنة	1.980 غ	
	04	04 أزقن	ملء راحة اليد 4أضعاف اليد	640.2 غ	
	05	05 المد		75سل يساوي ما يعادل3 لترات تقريبا	
	06	06 الصاع			
ثالثا	01	الرابعة	3اربوعة أو 12مسطمن	960.3 غ	تختلف الكمية بحسب كمية سيلان الفقارة ارتفاعا وانخفاضا
	02	القروي	3أزقان	920.7 غ	
	03	نصف قروي	2ربعات	960.3 غ	
رابعا	01	القلبة	2غرارات أو4 أو6 أزقن	840.15كغ 680.31كغ	يختلف الوزن والكيل بحسب صعف قوة الفقارة

	02	القصعة	2قلبات أو 12 أزقن		
			6قلبات		
	03	لغارة	12قلبة	040.95كغ	
	04	الحمل		080.190كغ	

يبين العلاقة بين الكيل وميزانه بالغ

المصدر: مبروك مقدم، الفقارة في قصور توات وأحوازها

مرجع سابق، ص123-124

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

– الحديث النبوي الشريف:

- صحيح البخاري
- سنن الترمذي

أولا:المصادر

1– الوثائق الأرشيفية

أ.سجلات المحكمة الشرعية

– عقود المحكمة الشرعية للقضاة البلباليين 1900-1935، ترتيب بابا عبد الله، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.

– سجل الطلاق والزواج 1955، ترتيب بابا عبد الله، خزانة، أولاد القاضي، تمنطيط، ادرار، الجزائر.

– سجل المنازعات 1943-1951، ترتيب بابا عبد الله، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط، ادرار، الجزائر.

ب.التقاييد

– تقاييد في الطب الشعبي في توات، خزانة ابن الوليد، باعبد الله، أدرار، الجزائر.

– تقاييد في فوائد النبات والفواكه، خزانة سليماني، أدغاغ، أدرار، الجزائر.

– تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من القصور ووثائق اخرى، المطبعة الملكية الرباط،1321هـ -1962م.

– تقاييد في الرقية الشرعية، بخزانة الطيب شاري، كوسام ادرار،الجزائر.

2.المصادر المخطوطة

1.البداوي(محمد بن مبروك، بن عمر بن محمد)، نقل الرواة في من أبدع بقصور توات، مخطوط بخزانة أدغا، أدرار.

2.البلبالي(محمد بن عبد الرحمن)، غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل جمع عبد العزيز البلبالي، مخطوط بخزانة، المطارفة، ادرار، الجزائر.ونسخ مصورة.

3.البلبالي(محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك)، مسائل ملتقطة من غاية الأماني في أجوبة الشيخ أبي زيد التنلاني، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي.

4. البكري(بن عبد الرحمن)، قصيدة من مخطوط الديوان ب خزانة غوزي زاوية سيد البكري، ولاية ادرار

5.الزجلوي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن بلقاسم)، نوازل الزجلوي، مخطوط بخط شاري الطيب، خزانة شاري،كوسام، ادرار.

6.المزمري (محمد بن اب بن أحميدة بن عثمان)، مخطوط تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس، نسخة بخط الطيب شاري، خزانة سيدي عبد الله البلبالي.

7. بن سيد البركة (محمد الصافي)، نيل المراد في كيفية عقد الوان المداد، مخطوط بخزانة سليماني أدغاغ، ورقة1

8- بن سيد البركة (محمد الصافي)، رحلتي إلى تيديكلت، مخطوط بخزانة سليماني علي، أدغاغ ادرار، الجزائر

9.بن عبد الحق التمنطيطي(محمد بن عبد الكريم،)،درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة، ابن الوليد، باعبد الله ،ادرار.

10.بن عبد الحق التمنطيطي(محمد بن عبد الكريم،)، جوهرة المعاني، فيما ثبت لي من علماء الألف الثاني، مخطوط بخط يد السيد شاري الطيب،خزانة كوسام، ادرار، الجزائر.

11.بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني (محمد عبد القادر)،الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف والعلويين وما فيها من قبور الزيارة من شرفاء ومرابطين، مخطوط،نسخة مصورة.

التنلاني (يوسف بن عبد الحفيظ)، التقييد المجموع لمن هو هذا الفن مولوع، بخط يد شاري الطيب، مخطوط بخزانة كوسام، شاري الطيب.

12.مخطوطة القصيدة العنبرية، بخزانة الطيب شاري،كوسام، ادرار

3.المصادر المطبوعة

13-إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء،ج1، تح خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي، سي آي سي.

14-ابن بابا حيدة (محمد الطيب)،القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق، فرج محمود فرج ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.

15- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1،ط1، تح وتق، محمد عبد المنعم العربان، دار إحياء العلوم، بيروت،1407هـ-1987م

16-الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج8،(د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م.

17-الإفراني (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،تح عبد اللطيف الشاذلي،ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء،1998م.

18-الوزان(الحسن بن محمد) ،وصف إفريقيا:ط2،ج2، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.

19-السعدي، (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر) تاريخ السودان، طبعة هوداس باريس، 1964.

20-السراج(أبي عبد الله محمد ابن أحمد القيسي)،أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب1040-142هـ/1630-1633م، تح، وتع الفاسي محمد، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المملكة المغربية، 1968 م.

21-المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، منح الوهاب، تح، مبروك مقدم، دار القدس العربي،2011.

22-السلاوي (ابو العباس احمد ابن خالد الناصري)، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، ب ط، ج5، تح وتع الصافي جعفر، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1955.

23-الفشتالي(عبد العزيز)، مناهل الصفا ومآثر موالينا الشرفا، تح عبد الكريم كريم، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط 146هـ/2005م.

24-فيليكس غوتييه إميل، ماضي شمال إفريقيا، تر. هاشم الحسيني، نشر الفرجاني، ليبيا 1970م.

25- الرصاع (محمد أبي عبد الله الأنصاري)، فهرست الرصاع، تح محمد (العنابي)، دار الكتب الوطنية، تونس، (دس).
26-الرصاع(محمد)، شرح حدود ابن عرفةج2، تح محمد(أبو الأجفان)، الطاهر(العموري)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1993م.
27-الرازي(أبي بكر محمد بن زكرياء)، أخلاق الطبيب،ط1، تح، عبد اللطيف محمد العبد، دار التراث، القاهرة،1977م
28-الشيرزي (عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح محمد اسماعيل (د.ط)، أحمد فرير المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
29-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون، ط2، جمع هيثم جمعة هلال، شركة دار مكتبة المعارف ناشرون، بيروت، لبنان، 2015 م.
30-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج7، ج6 القسم الأول، دار الكتاب اللبناني، 1983.
31-الخزاعي (علي ابن محمد بن مسعود)، تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ط1، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.
32-الغزالي(أبي حامد محمد بن محمد)، إحياء علوم الدين، مج2، ط1، شركة القدس للنشر والتوزيع، 2012م.

ثانيا.المراجع

33-أحمد العلي (صالح)،المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،2003.
34-أبورقيبة (حسن راضي)، فنون الصياغة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000.
35-إسماعيل (محمود) سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الإزدهار، الخلفية السوسيو تاريخية ،ط1 مؤسسة الإنتشار العربي،القاهرة،2000.

36-ادريس عبده (أحمد)، فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك مع المقارنة مع المذاهب الأخرى في أصول المسائل وعيونها، دار الهدى، الجزائر، 2000، ص524

37-إ.دان (روس)، المقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912م، تر، أحمد بوحسن، مراجعة، عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2006م.

38-أعفيف (محمد)، توات مساهمة في دراسة مجتمع الواحات وتاريخها، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط،2014م.

39-إسكندر المعلوف (عيسى):تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م.

40- باي بلعالم (محمد): الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات:ط2،ج1، دار المعرفة، الجزائر،2011م.

41-بكري (عبد الحميد)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، (بط)، الطباعة العربية العصرية 2010.

42-بليل (رشيد)، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية تر عبد الحميد (بواير)، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ والأنتثربولوجيا والتاريخ ،2008.

43-بلامة مرزاية (عائشة)، المهن الحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة ادرار، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي محطة الأبحاث والتجارب الفلاحية بأدرار، 2007

44-بلغيت (الحاج محمد)، إيقاعات شعبية عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي الجاحظية، الجزائر 2003.

45-بومرزوق(زين الدين)، يومياتي في قصور قورارة، دار الكتاب العربي،(دط)، الجزائر، 2006.

46- بوشارب عبد السلام) الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الرويبة الجزائر،1995

47-بوتشيش (ابراهيم القادري)، تاريخ المغرب الإسلامي، قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1994.

48-البغدادي (أبو بكرأحمد بن علي بن ثابت)،تح نور الدين عتر، ط1، دار الكتاب، بيروت 1395-1975م.

49- بنميرة (عمر)النوازل والمجتمع في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الرباط 2012.

50-بركات(حليم)، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي،ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت ،1884م

51- بربندي (عبد الرحمن) شجرة النخيل زراعتها وأهميتها الآفات الحشرية والمرضية، دار مؤسسة رسلان للطباعة، سوريا، 2014.

52-جعفري (أحمد أبا الصافي)، اللهجة التواتية الجزائرية، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر 2014.

53-جعفري (مبارك)، مقالات وأبحاث حول تاريخ منطقة توات، دار الكتاب العربي، 2016.

54-جورجي (زيدان)، تاريخ التمدن الإسلامي،ج5، دار الهلال، القاهرة، 1972.

55-هدية (محمود)، اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة،2017.

56-هريدي (صلاح أحمد)،الحرف والصناعات في عهد محمد علي(دط)، تح عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، 1405 هـ-1985م.

57-الزحيلي وهبة، الفقه المالكي الميسر ج1-2، دار الكلم الطيب، دمشق،1431هـ-2010م.

58-حوتية (محمد الصالح)، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية،ج1دار الكتاب العربي، الجزائر،2007م.

59-الحاج التومي (سعيدان)، سكان تديكلت القدماء والإتكال على النفس.دس

60-حسن محمد (نبيلة)، من تاريخ الحضارة الاسلامية، دار المعرفة الجامعية، السويس.دس

61-كاظم محمد الهاشمي(رحيم)، عواطف محمد العربي شنقارو، الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.دس

62-الميلي (مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2،تح، محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004.

63- مقدم (مبروك)، مدخل مينوغرافي في المجتمع التواتي، دط،ج1، دار هومة، الجزائر 2008م.

64- مقدم(مبروك)، مدونة الفقه الجدلي- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وآثار، دار القدس، الجزائر،2011م.

65- مقدم (مبروك)، بنائية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016.

66- مقدم (مبروك) الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف. ديوان المطبوعات الجامعية، 2016.

67-مقدم (مبروك)، الشيخ محمد ابن أبا المزمري، عبد الرحمان بن عمر التنيلاني حياتهما وآثارهما، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016.

68-مقدم(مبروك)، الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية،ج5،دار هومة، الجزائر، 2000

69- مقدم(مبروك)، نشأة القصور وعمارة الأرض بمناطق توات وأحوازها، ديوان المطبوعات الجامعية، 2016.

70-المؤذن (عبد الرحمن)، تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعدي للسودان، المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، سلسلة ندوات ومناظرات، الرباط، من 23-25 أكتوبر1992م.

71-محمد علي(عيسى)، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط2، دار الكتب الوطنية ليبيا ،2012.

72-مقلاتي (عبد الله)، رموم (محفوظ)، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية-دراسة-،ط1، وزارة الثقافة، الجزائر،2009.

73-محمد عبد العزيز (مرزوق)، الفنون والزخرفة في بلاد المغرب والأندلس(ب.ت).

74-مارتن (ليفي)، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في بلاد الرافدين، تر:محمد فياض، (دن) بغداد، 1980.

75-مرعي(حسن)، النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية ، وزارة الزراعة، المملكة العربية السعودية،1391هـ-1971م.

76-محمد بسيوني (سعيد أبو الفتوح)، الحرية الإقتصادية في الاسلام وأثرها في التنمية، ط1، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، 1408هـ-1988م.

77-الموسوي (مصطفى عباس)،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982م.

78-محمد عبد العظيم الجمل (أحمد)، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الإقتصادية ،المعاصرة ط1، دار السلام للطباعة والنشر، 1428-2007.

79 -المشيقع (خالد بن محمد)، الأوقاف في العصر الحديث،كيف نوجهها لدعم الجامعات وتنمية مواردها-دراسة فقهية، د.س، د.ت.

80-المناوي (محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي) ، النقود والمكاييل والموازين،(دط)،تح رجاء محمود السامرائي، دار الرشيد، العراق،1981.

81-مياسي ابراهيم، توسع الإستعمارالفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،(دس)

82-نصر الله، محمد علي تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام(نموذج أراضي السواد)، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان، 1982م.

83-بن سويسي(محمد)، دراسة المجموعات الأثرية لمتحف أدرار جردها،طبع الجاحظية، الجزائر، 2003.

84-سعد الله(ابو القاسم)،تاريخ الجزائر الثقافي،ط1،ج1،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988م.

85-سيدي عمر محمد عبد العزيز، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دن، تيمي، الجزائر، 2002م.

86-السيد حنفي (عوض)، العمل وقضايا الصناعة في الإسلام، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر التوزيع، الشاطبي الإسكندرية، (دس).

87-الساسي العوامر (ابراهيم محمد)، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تح الجيلالي بن ابراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر،2007م.

88-سعيد(أبو الفتوح محمد بسيوني)، الحرية الإقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر1408هـ-1988م، القاهرة.

89-عاتي الخزاعي(كريم)أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات،دن،دس

90- عميراوي (أحميدة)،سليم زاوية، وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 11.

91- العماري (أحمد)، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850إلى 1902 ط 1، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية فاس، المغرب 1408هـ/ 1983م.

92- عباس ابراهيم (محمد)، التحديث والتغيير في المجتمع القروي(دراسة في مكونات القيم الثقافية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.

93-عطية (عاطف)، في الثقافة الشعبية العربية الرحمة والحكمة في الطب والأمثال، ط1، جرّوس برّس ناشرون، لبنان، 2019م.

94-عيسى(محمد علي) ،الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثربولوجية واللغوية، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2012، ص80.

95- فرج (محمود فرج):إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر للميلاد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007،

96- الفيلالي (عبد العزيز)، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى الجزائر 2014م.

97- قلوم (مكي)، قراءة في معرض حضارة النخيل، دراسة غير منشورة، 1986 م.

98-قويدر(بشار)وحساني (مختار)، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ، وعلم الإنسان والتاريخ، 1999 م.

99-القاسمي (محمد سعيد)، وآخرون قاموس الصناعات الشامية، ط1، تح، ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسة والترجمة والنشر،1988 .

100-القفاري (ناصر بن عبد الله)، الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية، ط1، مركز التأهيل للدراسات والبحوث، السعودية،1437هـ-2016م.

101-ريسلر (جاك)، الحضارة العربية، تر، خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1993م.

102-الرزي (حميد ناصر)، مفهوم العمل في الاسلام وأثره في التربية الاسلامية، ط1، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة الامارات العربية المتحدة، 1998.

103-شنتوف (الطيب)، دراسات في تاريخ الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ديوان المطبوعات الجامعية.

104- التايب (عائشة)، النوع وعلم اجتماع العمل والمؤسسة، ط1، منظمة المرأة العربية، مصر 2011.

105-تواتي دحمان، وآخرون، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956-1962.

106-الغزالي (محمد)، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط 3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر، 2008 .

107- غيتاوي (مولاي التهامي)، لفت الأنظار فيما وقع من النهب والتخريب والدار لولاية أدرار إبان الإحتلال والاستعمار.

108- مجهول، النباتات في منطقة قورارة – هضبة تدمايت – توات –تدكلت –تنزروفت ،مكتبة دار الثقافة أدرار 2008.

109- مقتنيات متحف جمعية الابحاث التاريخية لولاية أدرار، مقر مسرح الهواء الطلق أدرار، طريق الجامعة.

ثالثا:الرسائل الجامعية

110-بعثمان (عبد الرحمن) القضاء في منطقة توات خلال القرنين 18/17، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف محمد معمر، جامعة وهران-1- ، 2015-2016.

111-بابا (عبد الله)، الحياة الإجتماعية والإقتصادية بتوات إبان الإحتلال الفرنسي 1900-1962 من خلال سجلات المحكمة الشرعية ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مبارك جعفري، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة أحمد دراية، 1439-1440ه/2018-2019م.

112-بوسعيد أحمد، الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12ه-18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، إشراف محمد حوتية،كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، 143 ه-1433ه/2011م-2012م.

113-بشار حسن محمد الصوفي (شدى)، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أثار قديمة، جامعة الموصل، العراق،2004.

114-جعفري (عز الدين)، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات،إشراف شعيب مقنونيف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ التراث اللامادي)الجزائري،كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2017-2018م.

115-حوتية (عفيفة)، حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13ه 19م، مذكرة ماجستير تخصص التاريخ الإجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور اشراف، عبد الكريم (بوصفصاف)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية قسم العلوم الإنسانية، 1434ه-1436ه/ 2014-2015م

116-حموني فاطمة، غنية المقتصد السائل، فيما وقع من قضايا ومسائل، لمحمد عبد العزيز البلبالي (1261ه)من بداية باب البيوع إلى باب الإستحقاق، دراسة وتحقيق، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية،إشراف محمد خالد اسطنبولي،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، ادرار، 1435ه-1436ه/2014م-2015ه.

117-هرباش (زاجية)، الوضع الإقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12و13الهجريين 18و19 الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بن نعيمة عبد المجيد،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م.

118-لخضر(العربي)، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني(6هـ/1235م-962هـ/1554م)، اطروجة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف محمد معمر،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1أحمد بن بلة، 1438هـ-2017م-1439هـ-2018م.

119-مقدم (مبروك)،البنيات الإجتماعية وإكراهات الوصم مجتمع أدرار أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علم الإجتماع العنف وعلم العقاب، اشراف جمال معتوق، جامعة البليدة لونيسي علي،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم علم الإجتماعية، السنة الجامعية 2019-2020.

120-المتولي (خوالة أحمد)، مدخل لدراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور،أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 1992.

121-بن موسى (جميلة) ، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان العربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري9 هـ– 11م،مذكرة لنيل شهادة ماجستير اشراف: إبراهيم فخار،كلية ،جامعة، 2000-2001.

122-سليماني (حليمة)، قصر أدغاغ بإقليم توات دراسة اجتماعية وثقافية من القرن 12هـ/18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ/20م،مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ، تخصص التاريخ الإجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف عبد الكريم بوالصفصاف،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية،جامعة أحمد دراية، 1436هـ-1437هـ-2015م-2016م.

123-علي أمحمد احويلات (فاطمة)تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة من 600هـ-1164هـ(1303-1750م)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ

الإسلامي، إشراف عبد الفتاح محمد الكباشي،كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الاسلامية، السودان،1437هـ-2016م.

124-عبد السلام الحسين (نعمة)، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الرحمن حسب الله أحمد،كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية.

125-ابن العمودي جليلة، استرتيجية تنمية قطاع الصناعات التقليدية والحرف بالجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اقتصاد وتسيير، جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان - 2012.

126- الصافي (ختير)، النضال السياسي والثوري في إقليم توات مابين 1956-1962 تخصص، اشراف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،كلية الآداب واللغات والعلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة بشار،2011 -2012،

127-قعر المثرد (السعيد)،الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146ق.م)، إشراف محمد الصغير(غانم)، رسالة ماجستير، التاريخ القديم، تاريخ وحضارات البحر الابيض المتوسط،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة،2007م-2008،ص153

128-رقاني (الزهرة)، الواقع الأجتماعي والمهني للحرف بالجزائر دراسة حالة"حرفة صناعة الجلود بمنطقة أولف-ولاية أدرار- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع،تخصص تنظيم إشراف عبد الفتاح دحمان،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم الاجتماع والديمغرافيا، السنة الجامعية:1435هـ-2013م.

129-غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830مقاربة إجتماعية إقتصادية أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،ج1،إشراف مولاي بن حميسي، جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ2000-2001م.

130-غالب(مصطفى الزغلول جهاد)، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الأردنية ،1994.

رابعا:الدوريات والمجلات والملتقيات والندوات

131- بلبالي ابراهيم، نوازل منطقة توات ودورها في خدمة المذهب المالكي"دراسة تطبيقية على نوازل الزجلوي"مجلة المناهل، ع(02)،ربيع الأول 1438ه/ديسمبر 2016م، معهد العلوم الإسلامية ، جامعة الوادي.

132-بلاغ عبد الرحمن، الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط، مقال مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية ع (4)،جوان 2013.

133-الجهيمي حمد محمد، العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9و11م)،مجلة الآداب، جامعة عمر المختار.

134-الجزيراوي محمد، الرموز ودلالاتها في النسيج التقليدي بالجنوب التونسي، مجلة الثقافة الشعبية العدد 33،2016 ،للدراسات والبحوث والنشر، البحرين .

135-الحمدي (أحمد)،تحديد وضعية عبيد توات من خلال الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا التنبكتي،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران.

136-كرزيكة(علي)أثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بأقليم توات، مجلة آفاق علمية مجلد (9) (ع 14)، المركز الجامعي تامنغست الجزائر.

137-مرزاية بلامة عائشة وعبد النبي (زاكي)، دراسة إثنوبوطانية حول نخيل توات، مجلة البحث الزراعي، ع (12)، جامعة، الجزائر21/06/2008.

138- مقدم (ام الخير)، البناء والعمارة الطينية في واحات توات"دراسة في الدلالات الثقافية والأبعاد التاريخية والمعالم"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج(07)، ع(03)، ديسمبر2021.

139- مقدم (ام الخير): كيال الماء والتقمان حرفتان قديمتان بقصور توات تصارعان من أجل البقاء، مجلة رفوف، مج(11)، العدد (01)،جانفي 2023، ص-ص933-934.

140-بن محمد بن أحمد الحبيب بن محمد الصافي(علي)، شخصية العالم المؤلف سيد الصافي، أعمال الندوة السنوية الثامنة لإحياء مآثر الشيخ سليمان بن علي، أولاد أوشن، ادرار 2013/05/14.

141-نيكلو عبد القادر،" المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي لتوات، معارك إينغر"مجلة النخلة، ع(الثاني)، أدرار، مجموعة القروط شركة تمسلقلوت، 2006.
142-سامر ابراهيم، الفرق بين الحرفة والمهنة، مجلة سيدتي، sayidaty.net، 2022/02/1
143-بن عبد الله(نور الدين)،دور المناخ في تشكيل عمارة الصحراء(قصور قورارة أنموذجا) مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الإجتماعي، والممارسات الحضارية.
144- عبد المعطي بن محمد المعطي(سمسم) المنظور الإجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي،مجلة كلية التربية الأساسية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل ع(26)، 2016 .
145-عولمي الربيع، التجهيزات العسكرية للفرق المساعدة النوميدية، والموريطانية في الجيش الروماني، مجلة الحوار الفكري، ع(11)،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أحمد دراية، 1438هـ-2016م.
146-قرقب (عيسى)وآخرون، الإسلام في افريقيا الغربية ودور توات في نشر الثقافة العربية ، وحدة بحث، جامعة أدرار ،قسم التاريخ 2007-2008.
147 -قومي(محمد)، دور يهود توات خلال العصر الوسيط، مجلة عصور، جامعة وهران ع(28) 2016/01/9 .

148-شاهين(محمود) الحرف اليدوية في العالم الإسلامي، فنون تغازل المادي والروحي (20يونيو 2014)البيان:صحيفة الكترونية الموقع :http//www.albayan.ae تاريخ الدخول للموقع 2018/10/60،

خامسا:الموسوعات

149-عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.
150-خضر رحاب، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ، والفلسفة، ط1، ج2، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.

151-الموسوعة العربية،(دص)الكترونية، موقع arab-ency.com.sy

152- الموسوعة العربية الميسرة.

سادسا:الحوامل الإلكترونية

153-برنو محمد الرئيس السابق لجمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية لقصر فاتيس،زربية فاتيس، متاح على اليوتيوب، الرابط:

154- هبة عريية، النسيج عبر العصور المختلفة، بوابتك إلى مصر،الهيئة العامة للاستعلامات، مصر 2015/12/14//موقع sis.gov.eg/? Lang=ar

155-زياد محبك أحمد الحرف اليدوية في الحكايات الشعبية، موقع ديوان العرب https://www.diuanalarab.com/#panel1-2

156-كاظم درجال الربيعي علي، تاريخ صناعة السعف (الخوص)في العراق وشبه الجزيرة العربية صفحة صور نادرة من العراق، faceboo.com/maw6ny

157-محمد علي الشيخ حسين عادل،نخلة التمر في المصادر العربية،شبكة الآلوكة ،(دص) موقع: www.alukah.net

158-بن عبد الصابر قديري بلال،عناية الإسلام بالمهن والحرف، شبكة الآلوكة الشرعية، تاريخ الدخول،2019/05/17.إلكترونية (دص)www.alukah.net

159- عبد الرازق عامر، صناعة الخوص في العراق تقاوم الزمن، موقع الجزيرة https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2019/3/4يوم2019/07/6 على الساعة .15:00

160-السكري مي، الجلود ...أقدم صناعة في التاريخ، صحيفة القبس، موقع alqabas.com/article/57554 27/02/2022

161-سرحان، سعد الكسكس شيخ الأطعمة وأيقونة الطبخ المغربي من ديوان المائدة. موقع hespress.com/orbit/255010.ntml،(دص)

162-القبندي عنود، الفخار الأسود:أصوات الموسيقى تتناغم مع أصوات الطين الصلصالي:مجلة بيئتناالعدد129إلكترونيةموقع beatona.net/ar/knowledge-hub/magazine/issue-19

163- خضر مجد ،موقع موضوع كوم ، https://mawdoo3.com 23ديسمبر2019 يوم 2019/7/6،الساعة :11:00 زوالا.(دص)

164- أبوخليف محمد / موقع موضوع / 03/28/ 2017 ساعة 16:36

165- موقع موضوع mawdoo3.Com

166-موقع إسألني كيمياء ask-chemistry.Com بتاريخ/2022/0/24 الساعة، 13:00 زوالا.

167-موقع اليوم السابع، تعرف على أهم الأكلات الشعبية في مطابخ الدول العربية. الموقع الإلكتروني youm 7.com/story/2019/6/11/4280953

168-موقع ويكيبيديا n.wikipedai.org

سابعا:المعاجم والقواميس

169-بينيت طوني ولورنس(غروبسبورغ)وآخرون، مفاتيح إصطلاحية جديدة-معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع،ط1،ترسعيد(الغانمي)،المنظمة العربية للترجمة ، ،بيروت،2010. 154- الجوهري

170-اسماعيل ابن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ،ط2،ج1، بيروت ،1399هـ-1979م .

171-المجددي البركتي محمد عميم الأحيان،التعريفات الفقهية،ط2003م-1424هـ،دار الكتب العلمية،لبنان،1424م،ص 142

172- ابن منظور ،لسان العرب ،مج2،ط1،تح عبد الله علي الكبير وآخرون ،دار المعارف ، القاهرة ،دس ،ص .893

173-عبد الجواد ابراهيم رجب ، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الافاق العربية، القاهرة.

174- فريد وجدي محمد دائرة معارف القرن العشرين، مجلد5، دار الفكر، بيروت 1971.

175- الفيومي أحمد(بن محمد بن علي الحموي) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط2، ج2، تح، عبد العظيم الشاوي،دار المعارف، القاهرة،2016م.

176-فيريول جيل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر انسام محمد الأسعد ،دار الهلال بيروت،ط،2011.

177- الشرباصي أحمد المعجم الإقتصادي الإسلامي ، دار الجيل، دب، 1401-1981.

178- معجم المعاني الجامع almaany.com

179- معجم اللغة العربية المعاصرة ، arabdct.com

180- نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ط3، مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف، 1436هـ /2015م.

ثامنا:الحصص التلفزيوية

181-(جعفري أحمد)، مخطوطات أدرار وخزائن التراث، التلفزيون الجزائري القناة الثالثة، 22 فبراير 2022.

تاسعا:التسجيلات الشفوية

182- بلحاج صفية، حرفية بجمعية المحافظة على التراث للفخار الأسود، صناعة الفخار، مقابلة، مقر الجمعية تمنطيط، يوم2021/03/4

183-بنوة فاطيمة، أستاذة مساعدة في الصناعة التقليدية، مقابلة شخصية، بمركز التكوين المهني بأقروت، تاريخ 2018/03/20

184-بلحاج (جمعة)،حرفية بجمعية المحافظة على التراث للفخار الأسود،صناعة الفخار،مقابلة،مقر الجمعية تمنطيط ، يوم 2021/03/4

185-بالحوسين خديجة، الطب الشعبي، مقابلة شخصية بمنزلها، قصر أولاد أوشن أدرار، يوم 2022/08/20

186-برنو الزهرة، نائب رئيس جمعية الجنوب الكبير لقصر فاتيس، مقابلة شخصية بمقر الجمعية، يوم 30/11/2021

187- بوحوية، حاجة رئيسة جمعية أنامل فتية خلف الجدران، مقر السويقة، ادرار، يوم نوفمبر 2018

188- بارودي عائشة، حرفية في الخياطة التقليدية، مقابلة شخصية، بمقر جمعيتها

189-براكو فاطنة، حرفة التوليد، مقابلة شخصية بمنزلها، بقصر تنقلين أوقروت، تيميمون، بتاريخ 2019/12/5

190-جامعي زينب، عضو جمعية الجنوب الكبير للصناعة التقليدية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية يوم وفي 2021/11/30م وفي يوم 23 /2022/03

191- هندي، الزهرة حرفة التوليد، مقابلة شخصية، بمنزلها بقصر أولاد علي، أدرار، بتاريخ 11 / 11 /2019.

192- هندي الزهرة، حرفية توليد، مقابلة شخصية بمنزلها، بقصر أولاد علي، أدرار بتاريخ 2019/11/15 ، يوم 2019/12/18م، يوم 2021/03/20م، يوم 2/02/ 2022

193- هندي فاطنة، مقابلة شخصية بالمنزل، بقصر أولادعلي، ادرار،يوم 2019/02/13

194-زهواني مباركة، حول طقوس الولادة في قصور توات، مقابلة شخصية بمنزلها، يوم 2019/11/13، ويوم 2019/12/18

195-حليفي الزهراء، حول طقوس الولادة في توات، مقابلة شخصية، بمنزلها يوم 2019/11/02 و 2021.

196- حليفي الزهرة، حول حرفة التبركيش في القديم، مقابلة أجريت في 2022/01/1

197-كريكرة جمعة حرفية (نساجة) ،مقابلة شخصية بمنزلها بقصر الهبلة بلدية تسابيت ،يوم 2021/07/18

198-محفوظي فاطمة، مقابلة شخصية، بقصر فاتيس، بتاريخ 2022/03/23

199-محجوبي (عبد العزيز) أمام مسجد عمر بن عبد الرحمان، تمنطيط ، مقابلة بتاريخ 2020/03/12

200-مقدم مبروك، مقابلة شخصية بالمنزل، يوم 2018

201-مقدم محمد، مقابلة سابقة.بتاريخ2019/03/05

202-ناصري مبروكة، مقابلة شخصية بمنزلها بقصر فاتيس بتيميمون.

203-عودالي (مبروكة)،حرفية، مقابلة شخصية بمقر الجمعية بمركز الشباب بأدرار، يوم 2021/09/15

204-عودالي، جمعة مقابلة شخصية، بمقر الجمعية بمركز الشباب بأدرار، يوم 2021/09/15

205- صرندي الحاج(سالم)، مقابلة شخصية، ببيته، يوم 2019/12/12 ويوم15 122019/

206- صرندي الحاج سالم ، مقابلة شخصية بمنزله بقصر الهبلة بتسابيت، يوم 2021/07/20 ويوم 2021/12/15

207-رقاني الزهراء، رئيسة جمعية الأنوار للخياطة والطرز، مقابلة خاصة بمقر الجمعية، السويقة أدرار.

208-شاري، الطيب ناسخ خزانة كوسام، مقابلة شخصية،بمقر الخزانة.

209-تامرتي محمد، مقابلة شخصية بمنزله بقصر أولاد علي يوم 2019/12/18، ويوم 2019/03/5 2020/08/18.

عاشراً: المصادر الأجنبية

1-Ben Abou.Bekr-et Touaty, Cid-El haj-Abd-akader, Le Sahara et soudan (histouriques et géograpfiques, traduits de l´arabe, M.L´abbén Bargés, extrait de revue dorient, bulttin de la sociéte orientale de France, cahier de février, 1853

2. Bissuel, Henri: Le Sahara Français : ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIRE -E´DITEUR Imprimeur-libraire de l'Académie 4, place du gouvennement, 4, Alger 1891

3. Champeaux .Guillaume de : Atravers Oasis Sahariennes Les spahis Saharien, Premiere, Chaplot, Paris ,1903 .

4. Crouzet.Tidikilt-Touat-Gourara et L´Algérie, l´ibraire, Militaire, De.lbaudoin imprémeur-éditeure paris, 1893.

5-Devors.p: le Touat étude géographique et médicale, archives l´institut pasteur, D´algérie, txxv.n°.3-4.sep- déc 1947.

6- de la Martiniére(H.M.P) la croix : […]Documents pour servir â l´étude du nord -ouest A fricain les oasis de l´extrême

sud Algerie : service des Affaires indigées IV gouvernement général de l´Agérie,

7-Eugéne.Daumas : grand desert, imprimerie et librairie centrales de Napoléon chaix et cie, paris, 1848.

8- Gautier .E.F: Missions au Sahara, Sahara Algérien : libraire Armand Colin, 1908.

9- Gerhard. Rohlfs, reise durch Marokko, vebersteigung des grossen Atlas, Exploration der oasen von.Tafilet, Tuat und Tidikelt, und reise durch die grosse.wuste uber.Rhoidnes nach.Tripoli, Bremen, 1868.

10.Honore.Morice, Le Train Saharienne et la penetration Francaise en, Afrique Paris a pedone,1901

11. (j).Bissoule Gourara etude de geographie humaine universite´d´Alger, institut de recherche Sahariennes mémoire 3,°1995.

12. L.Decolomb, Notice sur les Oasis du Sahara et les routes qui y conduisent, extrait de la revue Algérienne et colonail, imprimerie de ch, Lahure et cie, 1860.

13-Lutaud.M.CH.Exposé de la situation générale des territoires du sud de l´Algérie, imprimeur-libiraire- éditeur Alger, 1913

14- Martin. Alfred.Georges.Paul : Quatre sièclees d´histoire marocaine : au Sahara de1504 à 1902, au Marouc de 1894 à 1912 l´ibrairie Félix Alcan, Paris, 1923.

15-.Martin .A.G.P: Les Oasis Sahariennes (Gourara- Touat-Tidikelt), E´dition de l´imprimerie, Algérienne, 1908.

16-Malt (braun) : S´hara Ou g rand Désert, Sahara central, les Touarégs géographie univerelle, Toume Quatriéme, Gustave Barba, libraire, éditur, Paris,1858.

17-Mercadier.G, R.Rondreux, J.Salleras : L'Oasis rouge, Editions Robert et Rene chaix.Alger, 1946.

18-Tillon. G, la conquête d'Ouasis Sahariennes, Paris, 1903

19- Paul. Soleillet : L'Afrique occidentale : Algérie, Mzab, Tildikelt, Avignon : F. Seguin aîné, 1877-1878

20-Soleille. P : exploration du Sahara central, voyage.De paul. Soleillet.D´in- Salah.Rapport, chambre de commerce .D´Alger .Alger.Typographie. Et lithugraphie.Ajordan 1875

21-Selka. Abderahman : Notice sur le Touat : Bulletin de la société de géographie d´Alger: l´Frique de Nord, imprimerie Algérienne, 1922.

22-Voinot.Louis : Le Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire, les moeurs du pays :repord en fasion, L.voinot, 1909.

23-Victor.Benjamin.Deporter : Sahara Algérien : Gourara, Touat, Tidikelt, caravanes et transsaharien, 1891.

24-Victor Benjamin.Deporter : la question du Touat aus Sahara Algerien, Fontana, Alger.1891.

25- Watin.O.I origine des populations du touat d´après les traditions conservées dans le pays, bulltin de la societé de géographie. D´Alger et de l´Lafrique du Nord, 2 éme trimestre, 1905.
26-yves (Guillermou) : Survie et ordre social au Sahara les du Touat-Gourara-Tidikelt en Algérie, Cahier des sciences humaines, 29(1)1983.
27-Revue de géographie / dirigée par M. Ludovic Drapeyron, Exploration – Colonisation, Géographie Scientifique et Economique, Tome XLIX, Juiellet-Décembre, 1901, Librarie Ch. Delagrave, Paris

الفهارس

1- فهرس الأماكن:

2- فهرس القبائل

فهرس الموضوعات

الملخص

إن الحرف والمهن من الأنشطة المهمة، والأساسية في حياة الناس، وقد ولدت وظهرت مع ظهور الإنسان، منذ أن بدأ البحث عن سبل العيش للحفاظ على حياته فقد فكر الإنسان البدائي في ملبسه، و مسكنه ومأكله فأوجد الوسائل لتحقيقها، فبدأ بكل ما هو موجود في بيئته فاستخدم الحجارة في جميع نشاطاته بدءً بالأدوات التي يستخدمها بحثا عن قوته، وأسلحة للدفاع عن نفسه وغيرها، وتطورت هذه الوسائل مع تطور المجتمعات فاستغل الإنسان بيئته واكتشف البذور، وبدأ بالزراعة والرعي، واستغل صوف الحيوانات في نسج ملابسه وطور من مأكولاته ومسكنه فارتسمت في المجتمعات مجموعة من الحرف والمهن، ساهمت في نموها وتطورها في جميع نواحي الحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية. ومجتمع توات لم يختلف عن تلك المجتمعات فمنذ أن بدأت فيه الحياة، وعرف الاستقرار ظهرت به عدد من الحرف، والمهن المتماشية مع بيئته الصحراوية البسيطة، والتي لايمكن حصرها، فظهرت من المهن معلم القرءان و الإمام، (الشاهد) والقاضي، والطبيب المعالج، والولاَّدة، والوقاف، والدهمان، وغيرها من الوظائف، كما عرفت العديد من الحرف اليدوية كالسِّلالة بمختلف أنواعها لوجود أشجار النخيل، وصناعة الفخار اليدوي والحياكة ونسيج الزرابي والأبسطة، وأنشطة الحدادة، الزراعة والتجارة والدلال، والصراف ،...إلخ

تمكنت من خلال المنهج الوصفي، والتحليل الإحاطة ببعض الجوانب التاريخية المتعلـقة بهذه الحرف كطرق العمل، والوسائل والمواد المستخدمة وما نتج عنها من منتجات صناعية يمكن أن توصف بالبسيطة، ودورها في المجتمع، رغم أنها لم تتطور مقارنة مع الحرف والصناعات التي شهدتها المدن الشمالية في الجزائر، أو بلاد المغرب عموما، إذ تفتقر إلى الوسائل أو التنظيم في شكل جماعات أوأمناء، مثل ما كانت عليه الجزائر خلال الفترة العثمانية ولعل السبب يعود لكون هذا الإقليم الصحراوي كان يفتقد لسلطة سياسية حقيقية قادرة على تسييره وتنظيمه، والإشراف عليه من جميع الجوانب، السياسية والإجتماعية، والإقتصادية.

Résumé

L'artisanat et les professions sont parmi les activités importantes et essentielles pour compléter la vie des gens, qui sont nés et ont émergé en même temps que l'apparition de l'homme depuis le moment où il a commencé à chercher des moyens de subsistance pour rester en vie. Cependant, l'homme primitif pensait à son habillement, à son logement et à sa nourriture ; il a donc créé les moyens d'y parvenir ; il a donc commencé par tout ce qui existait dans son environnement en utilisant des pierres pour fabriquer ses propres outils ; il a découvert à cette époque les graines et a commencé à cultiver et à paître, il a exploité la laine des animaux pour tisser ses vêtements, tout en développant son alimentation et ses conditions de logement ; ainsi, un groupe d'artisanats et de professions est apparu à cette époque et a contribué à la croissance et au développement des sociétés dans tous les aspects de la vie économique, sociale et culturelle.

Par ailleurs, la communauté de Touat n'était pas en désaccord avec ces sociétés, un certain nombre de métiers et de professions y sont apparus depuis que la vie a commencé dans cette société qui connaissait une telle stabilité, car ils sont en harmonie avec son environnement désertique simple ; ainsi, l'enseignant du Coran et l'Imam sont apparus parmi les professions, en plus du juge, du médecin traitant, de la sage-femme, du surveillant, de l'envahisseur et d'autres emplois. De même, elle a connu de nombreux métiers artisanaux, à l'instar de la vannerie de toutes sortes en raison de l'existence de palmiers, de la poterie artisanale, du tricot, du tissage de tapis et de carpettes, des activités de forge, de l'agriculture, du commerce, du commissaire- priseur, du changeur de monnaie, et autres.

D'autre part, l'étude a pu, grâce à l'approche historique et descriptive qu'elle a adoptée, prendre connaissance de certains des aspects historiques qui se rapportent à ces métiers, tels que les méthodes de travail, les moyens et les matériaux utilisés, ainsi que leur rôle dans la Communauté de Touati, en plus des produits industriels qui en résultent, que l'on peut qualifier de simples, qui n'ont pas encore connu d'essor ou de développement par rapport aux métiers et aux industries que l'on observe dans les villes du nord de l'Algérie ou dans les pays du Maghreb en général, étant donné qu'ils manquent de moyens ou d'organisation sous forme de professions et d'artisanat qui les organisent et en assurent la pratique à l'époque où l'Algérie subsistait pendant la période ottomane, la raison est probablement due au fait que la région désertique manquait d'une véritable autorité politique capable de la gérer, de l'organiser et de la superviser en termes d'aspects politiques, économiques et sociaux.

Mots clés : Touat, poterie artisanale, tricot, tissage de tapis, L'artisanat, professions, agriculture, commerce, médecin traitant, sage-femme.

Abstract

Crafts and professions are considered amid the important and essential activities to complete lives of people, which were born and appeared together with the appearance of man from the time when he began searching for livelihoods to preserve his life. However, primitive man thought about his clothing, accommodation and food; thus, he brought into being the means of attainment therefore, he started with everything existing in his surroundings, whereat he used stones in making his own tools, and he discovered at that time the seeds and started farming and grazing, and he exploited the wool of animals to weave his clothes, along with developing his food and his accommodation conditions; hence, a group of crafts and professions appeared at that era and contributed to the growth and development of societies in the entire aspects of economic, social and cultural life. More to the point, the Community of Tawat was not at variance with those societies, a number of crafts and professions appeared therein since life began in this society that knew such a kind of stability, as they are in line with its simple desert environment; hence, the teacher of Quran and Imam have appeared among the professions, in addition to the judge, attending physician, midwife, supervisor, invader and other jobs. Likewise, it alike knew many handicrafts, in respect such as basketry of all kinds due to the existence of palm trees, hand crafted pottery, knitting, weaving carpets and rugs, forging activities, agriculture, trade, auctioneer, money changer, and the like.

On the other hand, the study was able, through the historical and descriptive approach adopted therein, to acquaint with some of the historical aspects that appertain to such crafts, such as work methods, means and used materials, together with their role in Community of Twati, in addition to the resulting industrial products that can be described as simple, which have yet to rise or develop compared to the crafts and industries witnessed in the northern cities in Algeria or the Maghreb countries in general, seeing that they lack the means or organization in the form of professions and crafts that organize them and ensure its practice in the era though which Algeria subsisted during the Ottoman period, probably the reason is due to the fact that the desert region lacked a real political authority capable of managing, organizing and supervising the same in terms of political, economic and social aspects.

Key words: Crafts, professions, Tawat, handicrafts, basketry attending physician, midwife. agriculture, trade, jobs.